الأَحَادِيثُ القُدْسِيَّةِ الصَّحِيحَةِ

جمع وإعداد
الشيخ زكريّا عميرات

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ-١٩٩٧م

دار الكتب العلمية

بيروت ـ لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الواحد الأحد، الذي أكرمنا وشرّفنا بجمع هذه الأحاديث القدسية المباركة العظيمة، وله الشكر والثناء العميمان، وإليه سبحانه يرجع الفضل في انتاج عملنا الذي لا نرجو منه إلا رضوانه ومغفرته، وندعوه عز وجل أن ينفعنا بهذا العلم القدسي الشريف، وأن يغفر لنا زلاتنا ويستر لنا عيوبنا وأن يرفعنا في الدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب الدعاء.

تعريف الحديث القدسي

يقول أبو البقاء في كلياته ص ٢٨٨: «إن القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحي جلي، وأما الحديث القدسي فهو ما كان لفظه من عند الرسول ـ ﷺ ـ. ومعناه من عند الله بالإلهام أو بالمنام».

وعلى هذا، فإننا نستطيع القول بأن أنواع الكلام التي نطق بها رسول الله ﷺ هي على ضروب ثلاثة:

١ ـ **القرآن الكريم**: وهو ما كان لفظه ومعناه من الله عز وجل عن طريق الوحي بواسطة أمين الوحي سيدنا جبريل عليه السلام، وهو أفضل الكلام وأحسن الحديث، يثاب قارئه على كل حرف منه حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، والله يضاعف الحسنات لمن يشاء، على حسب الإخلاص والإيمان.

٢ ـ **الحديث القدسي**: ويسمى أيضاً بالحديث الإلهي أو الرباني، وهو ما كان لفظه من رسول الله ﷺ، ومعناه من عند الله عز وجل، وذلك عن طريق الإلهام أو من خلال الرؤيا الصادقة يراها الرسول ﷺ في منامه.

وللحديث القدسي صيغ كثيرة وأشهرها ما نسبه النبي ﷺ صراحة وبكل وضوح إلى الله عز وجل، كقوله «قال الله» أو «أوحى الله إليَّ» أو غير ذلك من الصيغ. وتبقى هنالك صيغة يُعرف بها الحديث القدسي من طريق المعنى والاستدلال كقول النبي ﷺ في بعض الأحاديث القدسية «فيُقال» من غير تحديد للقائل، ولكننا إذا تتبعنا ألفاظ الحديث علمنا حينذاك إن الله سبحانه وتعالى هو المقصود بذلك القول، وعلمنا أيضاً ان هذا الحديث حديث قدسي. ومثال ذلك ما أخرجه ابن ماجه في سننه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما من حاكم يحكم بين الناس، إلا جاء يوم القيامة وملك آخذٌ بقضاه، ثم يرفع رأسه إلى السماء، فإن قال ألقه، ألقاه في مهواة أربعين خريفاً».

٣ ـ **الحديث الشريف**: وهو ما كان لفظه ومعناه من رسول الله ﷺ.

أهم الفروقات بين القرآن الكريم والحديث القدسي

ذكر الأمير حميد الدين في فوائده ستة أوجه للفرق بين القرآن والحديث القدسي. ونحن نذكرها لمزيد الفائدة إن شاء الله.

الوجه الأول: إن القرآن معجز، والحديث القدسي ليس معجزاً.

الوجه الثاني: إن الصلاة لا تكون إلا بالقرآن بخلاف الحديث القدسي.

الوجه الثالث: إن جاحد القرآن يكفر بخلاف جاحد الحديث القدسي فلا يكفر.

الوجه الرابع: إن القرآن الكريم لا بد فيه من كون جبريل عليه السلام واسطة بين النبي ﷺ وبين الله تعالى بخلاف الحديث القدسي.

الوجه الخامس: إن القرآن يجب أن يكون لفظه من الله تعالى، بخلاف الحديث القدسي فيجوز ان يكون اللفظ من النبي ﷺ.

الوجه السادس: إن القرآن لا يُمسُّ إلا بالطهارة، والحديث القدسي يجوز مسُّه من المحدث.

موضوع الحديث القدسي وأسلوبه

إن المتتبع للأحاديث القدسية والمتمعن في معانيها يلاحظ بشكل واضح وجلي، إن هذه الأحاديث لا تتطرّق أبداً إلى الأحكام الفقهية أو التشريعية بالتفصيل وإنما تأتي على ذكرها عرضاً وبغاية الإيجاز والاختصار، ويلاحظ أيضاً ان معظم الأمور التي تعالجها هذه الأحاديث القدسية، وتركز في الحديث عنها، إنما هي التربية الإيمانية، وتقويم النفس الإنسانية وتزكيتها من الخبائث والأدران، وتطهيرها من حب الدنيا وأمراض القلب وعلات الروح من كبر وعجب وأنانية وركون إلى الدنيا وتعلّق بشهواتها.

والأحاديث القدسية تطرق أبواب الخير والبر، وتفتح المجالات الواسعة أمام المؤمن ليتزود من هذه الدنيا لتلك الدار، التي سوف تبقى وتدوم، وترغبه كذلك بالجنة والسعي لها، وتخوفه من النار والابتعاد عنها وعن كل طريق أو قول أو فعل يؤدي إليها.

كل ذلك بكلمات تفيض بالنور والقدسية، وتحوطها هالات من البهاء الرباني والسناء الإلهي المشرق المنير، بحيث تشعر وأنت أمام الحديث القدسي، بطعم خاص، وبذوق متميّز عن أي كلام، وتراه يشع بالفيض الروحي، مما يجعل له موقعاً خاصاً في السمع، واستعداداً آسراً في النفس، وتأثيراً عظيماً في العواطف والمشاعر والأحاسيس.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد والإيمان

(١) باب أخذ الميثاق من الله على بني آدم بتوحيده وعبادته

١/١ ـ عَنْ أُبيّ بنِ كَعْب ـ رضي الله عنه ـ في قوله ـ عز وجل ـ:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣].

قال:

جَمَعَهُم لَهُ يَوْمَئِذٍ جَميعًا مَا هُو كَائِنٌ إلى يوم القيامةِ، فَجَعَلَهُمْ أَرواحًا ثُمَّ صَوَّرَهُم، وَاسْتَنْطَقَهُم فَتَكلمُوا، وَأَخَذَ عَلَيْهِم العَهْدَ وَالميثَاقَ، وَأَشْهَدَهُمْ على أنفُسِهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، شَهِدْنَا. أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشركَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِم أَفَتُهلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المبطِلُون﴾.

قَالَ: فَإِنِّي أُشهِدُ عَلَيْكُمْ السَّمَاواتِ السَّبعَ وَالأَرَضِين السَّبعَ وأُشهدُ عَلَيْكُمْ أَبَاكُمْ آدمَ أَنْ تَقولُوا يَوْمَ الْقِيَامةِ لَم نَعْلمْ، أَوْ تَقُولُوا: إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلينَ، فَلاَ تُشرِكُوا بِي شَيْئًا فَإِنِّي أُرْسِلُ إِلَيْكُم رُسُلي يُذَكِّرونكُمْ عَهْدِي وَمِيثَاقِي، وَأُنزل عَلَيْكُمْ كُتُبي. فَقَالوا: نَشْهَدُ أنك رَبُّنا وَإِلهنا لاَ رَبَّ لنا غَيْرُكَ، وَلاَ إِله لَنَا غَيْرُكَ، وَرُفِعَ لَهُمْ أَبُوهُمْ آدمُ فَنَظَر إِلَيْهِمْ فَرَأَى فِيهِمُ الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ وَحَسَنَ الصُّورةِ وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَقَال: رَبِّ لَوْ سَوَّيْتَ بَيْنَ عِبَادِكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي أُحبُّ أَنْ أُشكَرَ. وَرَأَى فِيهِمُ الأَنْبِياءَ مِثْلَ السُّرُجِ، وخُصُّوا بميثاق آخر بالرسالةِ والنبوة، فَذَلِكَ قَوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧].

وهو قوله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾ [الروم: ٣٠].

وذلك قوله تعالى:

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٦].

وقوله:

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢].

وهو قوله:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾ [يونس: ٧٤].

كَانَ فِي عِلْمِهِ بما أَقَروا به مَنْ يُكَذِّبُ بِهِ وَمَنْ يُصَدِّقُ بِهِ فَكَانَ رُوح عِيسَى مِنْ تِلْكَ الأَرْوَاحِ الَّتي أَخَذَ عَلَيْها الميثَاقَ فِي زَمَنِ آدَمَ فَأَرسَلَ ذَلِكَ الروح إِلى مَرْيَمَ حِينَ:

﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ إلى قوله ﴿مَّقْضِيًّا فَحَمَلَتْهُ﴾ [مريم: ١٦ ـ ٢١].

قَالَ: حَمَلَتْ الَّذِي خَاطَبَها وَهُو روحُ عِيسى ـ عليه السلام ـ.

قَال أُبي بْنُ كَعْب: دَخَل مِنْ فِيها.

(صحيح موقوف) ـ أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ١٣٥) والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) وابن جرير في تفسيره (١٣/ ٢٣٨) وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٥).

٢/٢ ـ عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:

أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنَعْمان، يعني عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذرّ، ثم كلمهم قبلاً، قال: «ألست بربكم؟» قالوا: بلى. شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبل، وكنا ذرية من بعدهم، أفتهلكنا بما فعل المبطلون.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ١ ص ٢٧٢)، ووثق رجاله الهيثمي في مجمع الزوائد (جـ ٧ ص ٢٥)،

الشرح

نَعْمان: بفتح النون وادٍ على مسافة ليلتين من عرفات.

كالذر: جمع ذرّة وهو صغار النمل أو ذلك الذي يُرى عند دخول شعاع الشمس من النافذة.

قُبُلاً: بضم القاف والباء أي عَيانًا وليس من وراء حجاب ومن دون واسطة.

ملاحظة: لقد تم شرح هذين الحديثين في كتاب التفسير باب قوله: ﴿وإذا أخذَ ربك من بني آدم. . . ﴾.

(٢) باب الألوهية لله وحده ونبذ الشرك

١/٣ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال في هذه الآية:

﴿هو أهلُ التقوى وأهلُ المغفرةِ﴾ [المدثر: ٥٦].

قال: قال الله عز وجل: «أنا أَهلٌ أن أُتّقى، فمن اتقاني فلمْ يجعلْ معي آلهًا فأنا أهلٌ أن أغفرَ له».

(حسن لغيره) ـ أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ٧٠ كما أخرجه أحمد (جـ ٣ ص ١٤٢، ٢٤٣)، وابن ماجه في كتاب الزهد باب ٣٥.

٢/٤ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

قال الله تبارك وتعالى: «أنا أغنى الشُّركاءِ عن الشِّركِ، من عملَ عملاً أشركَ فيه معي غيري تركتهُ وشركَه».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الزهد حديث ٤٦.

٣/٥ ـ وعن أبي هريرة أيضًا أن رسول الله ﷺ قال:

قال الله عز وجل: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشركَ فيه غيري فأنا منه بريءٌ وهو للذي أشركَ».

(صحيح) ـ أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد باب ٢١.

٤/٦ ـ وعنه قال: قال رسول الله ﷺ يعني:

قال الله عز وجل: «أنا خيرُ الشركاء، من عمل لي عملاً أشركَ فيه غيري فأنا منه بريءٌ وهو للذي أشركَ».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٠١، ٤٣٥).

٥/٧ ـ وعنه أيضًا عن النبي ﷺ قال:

قال الله تعالى وتبارك: «أنا أغنى الشركاء، منْ أشرك بي كان قليلُهُ وكثيرُهُ له».

(صحيح) ـ أخرجه الطيالسي في مسنده برقم (٢٥٥٩).

الشرح

إن أهم أمر في عقيدة المسلم هو التوحيد لله وعدم إشراكه أحدًا في عبادته وطاعته لله، ومن فعل ذلك أوكله الله إلى ذلك الشريك ليجازيه هو وليحاسبه هو وأنى لذلك الشريك مهما بلغ من مجد وغنى وسلطان أن ينفع نفسه فضلاً عن أن ينفع الآخرين، ولن يجد له في الدنيا ولا في الآخرة وليًا ولا نصيرًا لأن الله تعالى قد برىء منه وتخلف عنه وأوكله إلى الشركاء الذين لا يغنون عن أمره شيئًا.

(٣) باب عدم التفكر في ذات الله عزّ وجل

٨/١ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

قال الله عزّ وجلّ: «إنَّ أمتك لا يزالون يقولون: ما كذا؟ ما كذا؟ حتى يقولوا: هذا الله خلقَ الخلقَ فمن خلقَ الله؟».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في (كتاب الإيمان حديث ٢١٧) وأحمد (ج ٣ ص ١٠٢).

٩/٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: «لا يزال عبدي يسأل عني؛ هذا اللهُ خلقني فمن خلق الله؟»

(صحيح) ـ أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٦٤٦/١). كما أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام باب ٣. ومسلم في كتاب الإيمان حديث ٢١٦، كلاهما بمعناه من غير الحديث القدسي.

الشرح

من المستحسن بل من الأحوط لدين المسلم أن لا يخوض في التساؤل في ذات الله فإنه لا تحيط به الفكرة، ولكي لا يجره التساؤل هذا إلى عواقب وخيمة وأمور لا تُحمد عقباهَا، بل عليه أن يكثر التفكر في خلق الله العجيب وفي صنعه البديع وفي آياته الباهرات من خلق الأرض والسماء وما ذرأ في هذا الوجود من أنس وجن وملك، إلى غير ذلك من الآيات البينات التي تزيد في إيمان المسلم، وتزيده خشوعًا لله سبحانه.

(٤) باب اعتقاد أن النعم كلها من عند الله وحده

١٠/١ ـ عَنْ زَيْدِ بْن خَالِد الْجُهَنِيِّ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله

ـ ﷺ ـ صَلاَةَ الصُّبحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ، عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ[١] كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ لَهُمْ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بي، كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ[٢] كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بي، مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب ١٥٦. كتاب الاستسقاء باب ٢٨ كتاب المغازي باب ٣٥. مسلم في كتاب الإيمان حديث ١٢٥. أبو داود في كتاب الطب باب ٢٢. الموطأ في كتاب الاستسقاء حديث ٤. أحمد في مسنده (٤/١١٧).

شرح المفردات

١ ـ إثر سماء: عقب وبعد نزول المطر في تلك الليلة.

٢ ـ نَوء: النجم عند غروبه، وكذلك المطر الشديد.

وأفضل شرح ورد في تفسير هذا الحديث القدسي هو ما ذكره الحافظ البيهقي في سننه (جـ ٣ ص ٣٥٨) بإسناده إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال:

«أرى معنى قوله ﷺ ـ والله أعلم ـ أن من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك إيمان بالله، لأنه يعلم أنه لا يمطرُ ولا يعطي إلا اللهُ عز وجل، وأما من قال مطرنا بنوء كذا. على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه أمطره نوء كذا، فذلك كفر كما قال رسول الله ﷺ، لأن النوءَ وقتٌ والوقت مخلوقٌ لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئًا، ولا يمطر ولا يصنع شيئًا.

فأما من قال: مطرنا بنوء كذا. على معنى مطرنا في وقت نوء كذا، فإنما ذلك كقوله: مطرنا في شهر كذا. فلا يكون هذا كفرًا، وغيره من الكلام أحبُ إليّ منه، أحب أن يقول: مطرنا في وقت كذا، وبلغني أن بعض أصحابِ رسول الله ﷺ كان إذا أصبح وقد مُطِرَ الناسُ قال: مطرنا بنوءِ الفتحِ ثم يقرأ:

﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢].

(٥) باب في وحدانية الله وقدرته على الإحياء

١١/ ١٠ ـ وعن أبي هريرة أيضًا عن النبي ﷺ قال:

قال الله: «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي؛ فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليسَ أولُ الخلقِ بأهونَ عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي؛ فقوله: اتخذَ الله ولدًا، وأنا الأحدُ الصمدُ، لم ألدْ ولم أولد، ولم يكن لي كُفُأً أحد».

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب تفسير سورة ١١٢ باب ١، ٢. كتاب تفسير سورة ٢ باب ٨. النسائي في كتاب الجنائز باب ١١٧. أحمد في مسنده (٢/٣١٧، ٣٥١، ٣٩٤).

شرح المفردات

الشتم: هو السّبُّ وإضافة الشيء إلى النقص والعيب.

الصمد: هو السيد المصمود ـ أي المقصود ـ إليه في الحوائج قال الشاعر:

علوته بحسامي ثم قلت له خذها حذيف فأنت السيد الصمدُ

وذكر الرازي في تفسيره رواية ابن عباس أنه لما نزلت هذه الآية أي قوله تعالى ﴿الله الصمد﴾ قالوا: ما الصمد؟ فقال عليه السلام: هو السيد الذي يُصمد إليه في الحوائج.

الكفؤ: الند والمثيل والمشابه له في صفاته وأفعاله.

المعنى

إن الله سبحانه قد وعد بالموت وسيكون، وحكم بالبعث والنشور وسيكون، والذي خلق هذا الخلق، وأوجد هذا الوجود، قادر على إيجاده بعد خرابه، وعلى إحيائه بعد موته كما قال سبحانه **﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى﴾** [الأحقاف: ٣٣]. والله هو الأحد الفرد الصمد لم يتخذ ولدًا ولا زوجة ولا صاحبة تعالى الله عما يقول الظالمون.

(٦) باب لا ينفع الإيمان عند طلوع الشمس من مغربها

١٢/١ ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنتُ مع النبيِّ ﷺ على حمارٍ عليه برذعة أو قطيفة. قال: فذاك عند غروب الشمس فقال لي: يا أبا ذر، هل تدري أين تغيبُ هذه؟ قال: قلت: اللهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: فإنها تغرُب في عين حامئةٍ تنطلق حتى تخِرَّ لربها عز وجل ساجدةً تحت العرش فإذا حان خروجُها أذنَ اللهُ لها فتخرجُ، فتطلعُ، فإذا أراد اللهُ أن يُطلعها من حيثُ تغرُبُ حَبَسَها فتقول: يا ربِّ إن مسيري بعيدٌ فيقول لها:

«إطلعي من حيثُ غِبْتِ، فذلك حين لا ينفعُ نفسًا إيمانُها».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٦٥).

ملاحظة: تمّ شرح هذا الحديث مستوفى في كتاب التفسير باب قوله تعالى ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك. . . ﴾.

(٧) باب في النهي عن سبِّ الدَّهر

١٣/ ١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

قال اللّه عزَّ وجلَّ: «يؤذيني ابنُ آدمَ يسبُّ الدهرَ، وأنا الدهرُ بيدي الأمرُ، أقلِّبُ الليلَ والنهارَ»

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ١. مسلم في كتاب الأدب حديث ٢. أبو داود في كتاب الأدب باب ١٨١.

١٤/ ٢ ـ وعن أبي هريرة أيضًا عن رسول الله ﷺ قال:

يقولُ الله عزَّ وجلَّ: «يؤذيني ابنُ آدمَ، يسبُّ الدهرَ وأنا الدهرُ أقلِّبُ ليلَه ونهارَه، فإذا شئتُ قبضتُهما».

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (ج ٢ ص ٤٥٣)، والبيهقي (ج ٣ ص ٣٦٥).

وصدَّر الحاكم حديثه بقول راويه سفيان بن عيينة قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إن الدهر هو الذي يهلكنا، هو الذي يميتنا ويحيينا، فردّ الله عليهم قولهم. ثم ذكر الحديث.

١٥/ ٣ ـ وعن أبي هريرة أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ:

قال الله عز وجلَّ: «يؤذيني ابنُ آدمَ يقولُ: يا خيبةَ الدهرِ، فلا يقولنَّ أحدكم: يا خيبةَ الدهرِ، فإني أنا الدهرُ أقلِّبُ ليلَه ونهارَه، فإذا شئتُ قبضْتُهما».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الأدب حديث ٣، وأحمد (٢/ ٢٧٢) بمثله إلا قوله: «فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر».

١٦/ ٤ ـ وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ:

قال الله عز وجل: «استقرضت من عبدي فأبى أن يقرضَني، وسبَّني عبدي ولا يدري، يقول: وادهراهُ! وادهراهُ! وأنا الدهرُ».

(صحيح) ـ أخرج الحاكم (ج ٢ ص ٤٥٣).

١٧/ ٥ ـ وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا يقولُ ابنُ آدم: يا خيبةَ الدهرِ، إني أنا الدهرُ، أُرسلُ الليلَ والنهارَ، فإذا شئتُ قبضتهما».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (٢/ ٢٧٥).

١٨/ ٦ ـ وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ:

قال الله: «يسبُّ بنو آدم الدهرَ، وأنا الدهرُ، بيدي الليل والنهارُ».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ١٠١، وبنحوه مسلم في كتاب الأدب حديث ١.

١٩/ ٧ ـ وعنه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال:

قال الله عزَّ وجلَّ: «يشتمني ابن آدم، يقول: وادهراه وأنا الدهرُ، وأنا الدهرُ».

(حسن) ـ أخرجه ابن أبي عاصم (جـ ١/ ٥٩٨).

٢٠/ ٨ ـ وعن أبي هريرة أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ:

لا تسبُّوا الدهرَ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: «أنا الدهرُ، الأيامُ والليالي لي، أجدِّدُها، وأبليها، وآتي بملوك بعدَ ملوك».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ٤٩٦).

٢١/ ٩ ـ وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

لا يقُلْ أحدُكم: يا خيبةَ الدهرِ، قال الله عز وجل: «أنا الدهْرُ، أُرسلُ الليلَ والنهارَ، فإذا شئتُ قبضتُهما، ولا يقولنَّ للعنبِ الكرْمَ، فإن الكرْمَ الرجلُ المسلمُ».

(حسن لغيره) ـ أخرجه البخاري في الأدبَ المفرد (ص ٢٦٩/ ٧٧٠).

المعنى

قال الإمام البيهقي في سننه الكبرى (جـ ٣ ص ٣٦٥):

قال الإمام الشافعي رحمه الله في تأويل هذا الحديث: وإنما تأويله ـ والله أعلم ـ أن العرب كان شأنها أن تذم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت أو هزم أو تلف أو غير ذلك فيقولون إنما يهلكنا الدهر ـ وهو الليل والنهار وهما الفتنتان والجديدان

فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، فيجعلون الليل والنهار اللذين يفعلان ذلك فيذمون الدهر ـ فإنه الذي يفنينا، ويفعل بنا، فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الدهر» على أنه الذي يفنيكم والذي يفعل بكم هذه الأشياء، فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء فإنما تسبون الله تبارك وتعالى، فإن الله فاعل هذه الأشياء».

وقال البيهقي: «وطرق هذا الحديث وما حفظ بعض رواته من الزيادة فيه دليل على صحة هذا التأويل» أ.هـ.

(الفَيْنة): الساعة والطرف من الدهر.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: قوله (وأنا الدهر) قال الخطابي: معناه أنا صاحب الدهر ومدبر الأمور التي ينسبونها إلى الدهر، فمن سب الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إلى ربه الذي هو فاعلها، وإنما الدهر زمن جعل ظرفاً لمواقع الأمور، وكانت عادتهم إذا أصابهم مكروه أضافوه إلى الدهر فقالوا: بؤسًا للدهر، وتبًا للدهر.

(٨) باب الإيمان بالقدر

٢٢/ ١ ـ عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إن الله عزّ وجلّ خلق آدمَ، ثم أخذَ الخلقَ من ظهره، وقال: «هؤلاءِ في الجنة ولا أُبالي، وهؤلاءِ في النارِ ولا أُبالي»، قال فقال قائلٌ: يا رسول الله فعلى ماذا نَعملُ؟ قالَ: على مواقع القدرِ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (ج ٤ ص ١٨٦) بإسناد جيد، وبنحوه الحاكم (جـ ١ ص٣١).

٢٣/ ٢ ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سئل عن هذه الآية:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

قال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ يُسْئَلُ عنها فقال رسول الله ﷺ:

إن الله خلق آدم، ثم مسحَ ظهره بيمينه، فأخرجَ منه ذريةً، فقال: «خلقتُ هؤلاءِ للجنة، وبعملِ أهلِ الجنةِ يعملونَ»، ثم مسحَ ظَهْرَه، فاستخرج منه ذريةً، فقال: «خلقتُ هؤلاءِ للنَارِ، وبعملِ أَهل النارِ يعملون»، فقال رجلٌ: يا رسول الله ففيم العملُ؟ قال: فقال

رسول الله ﷺ: إن الله إذا خلقَ العبدَ للجنةِ، استعمله بعملِ أهلِ الجنةِ، حتى يموتَ على عملٍ من أعمالِ أهل الجنةِ، فيدخِلَه الجنةَ، وإذا خلق العبدَ للنار، استعملهُ بعملِ أهلِ النارِ، حتى يموتَ على عملٍ من أعمال أهلِ النارِ، فيدخِلَه الله النار.

(صحيح لغيره) - أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ٨، وبنحوه أبو داود في كتاب السنة باب ١٧، ومالك في الموطأ (القدر - باب النهي عن القول بالقدر حديث ٢)، وأحمد في مسنده (١/ ٣١١).

٣/٢٤ - وعن عمر بن الخطاب أيضًا أنه خطب بالجابية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

مَنْ يَهْدِهِ الله فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، فقال له قسٌ بين يديه كلمةً بالفارسية، فقال عمرُ لمترجم يترجمُ له: ما يقول؟ قال: يزعمُ أنَّ الله لا يضلُّ أحدًا. فقال عمر: كذبتَ يا عدوَ الله بل الله خلقكَ وهو أَضَلَّكَ وهو يدخلكَ النارَ إن شاء الله [ولولا وليت] عَقْدًا لضربتُ عُنُقَكَ ثم قال:

إن الله لما خلق آدمَ نثر ذريته، فكتبَ أهلَ الجنةِ وما هم عاملون، وأهلَ النارِ وما هم عاملونَ، ثم قال: «هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه».

فتفرق الناسُ وهم لاَ يختلفون في القدرِ.

(صحيح لغيره) - كنز العمال (جـ ١/ ١٥٤٧)، وسلسلة الصحيحة للألباني (جـ ١/ ٤٦).

٤/٢٥ - عن رجل رضي الله عنه من أصحاب النبي ﷺ مرضَ فدخل عليه أصحابهُ يعودونه فبكى، فقيلَ له ما يبكيك يا عبدَ الله؟ ألم يقل لك رسولُ الله ﷺ: «خذ من شاربك ثم أقرِزهُ حتى تلقاني؟».

قال: بلى. ولكني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ:

إن الله تبارك وتعالى قبضَ قبضةً بيمينه، فقال: «هذه لهذه ولا أبالي». وقبضَ قبضةً أخرى - يعني بيده الأخرى - فقال: «هذه لهذه ولا أبالي».

فلا أدري في أي القبضتين أنا؟؟.

(صحيح) - أخرجه أحمد (جـ ٥ ص ٦٨). بإسناد صحيح.

٥/٢٦ - عن أنس رضي الله عنه قال:

إن الله عزَّ وجلَّ قبض قبضةً فقال: «في الجنةِ برحمتي»، وقبضَ قبضةً فقال: «في النارِ ولا أبالي».

(صحيح لغيره) ـ أخرجه أبو يعلى والعقيلي وابن عدي والدولابي. انظر سلسلة الصحيحة للألباني (ج ١/ ٤٧).

٦/٢٧ ـ عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال:

خلق الله آدم حينَ خلقه فضربَ كتفه اليمنى فأخرج ذريةً بيضاءَ كأنهم الدرّ، وضرب كتفه اليسرى فأخرجَ ذريةً سوداء كأنهم الحممُ، فقال للذي في يمينه: «إلى الجنة ولا أبالي»، وقال للذي في كفه اليسرى: «إلى النار ولا أبالي».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد وابنه في زوائد المسند (ج ٦ ص ٤٤١). بإسناد صحيح. وكذا ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (ج ٧ ص ١٨٥) وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني ورجاله رجال الصحيح.

٧/٢٨ ـ عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال:

خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال:

أتدرون ما هذان الكتابان؟ قال: قلنا، لا، إلا أن تخبرنا يا رسول الله، قال: ـ للذي في يده اليمنى ـ: هذا كتابٌ من ربِّ العالمين تبارك وتعالى بأسماء أهلِ الجنةِ، وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أُجمِلَ على آخرِهم[٣]، لا يزادُ فيهم ولا ينقصُ منهم أبدًا، ثم قال: ـ للذي في يساره ـ: هذا كتابُ أهلِ النارِ بأسمائهم، وأسماءِ آبائهم وقبائلهم، ثم أُجمِلَ على آخرهم، لا يزاد فيهم، ولا ينقص منهم أبدًا.

فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فلأي شيء إذن نعمل إن كان هذا أمرًا قد فرغ منه؟ قال رسول الله ﷺ:

سدِّدوا وقاربوا[٤]: فإنَّ صاحبَ الجنةِ يختمُ له بعملِ أهلِ الجنةِ وإن عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ، وإنَّ صاحبَ النارِ ليختمُ له بعملِ أهلِ النارِ، وإن عملَ أيَّ عملٍ، ثم قال بيده فقبضها. ثم قال:

فرغ ربكم عز وجل من العبادِ، ثم قال باليمنى[٤] فنبذ بها، فقال: «فريق في الجنة»، ونبذ باليسرى، فقال: «فريق في السعير».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (٢/ ١٦٧)، وبنحوه الترمذي في كتاب القدر باب ٨.

٨/٢٩ ـ عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق إنه:

يجمعُ خلقُ أحدِكم في بطنِ أمّهِ أربعين، ثم يكونُ علقةً مثلَ ذلك، ثم يكونُ مضغةً مثل ذلك، ثم يبعثُ الله إليه المَلَكَ، فيؤمرُ بأربعِ كلماتٍ فيقول: «اكتبْ عملَه وأجلَه ورزقَه وشقيٌ أم سعيدٌ»، فوالذي نفسي بيده: إنَّ أحدَكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ، حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ فيدخلُها.

وإن أحدكم ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ، حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعمل أهل الجنة فيدخلُها.

(صحيح) أخرجه ابن ماجه في كتاب المقدمة باب ١٠. أحمد في مسنده (١/ ٤١٤) بلفظ الحديث القدسي قال: «ثم يبعث الله عز وجل مَلَكًا من الملائكة فيقول: اكتبْ عمله وأجله ورزقه واكتبه شقيًا أو سعيدًا...».

كما أخرجه البخاري في كتاب القدر باب ١. كتاب الأنبياء باب ١. مسلم في كتاب القدر حديث ١. أبو داود في كتاب السنة باب ١٦. الترمذي في كتاب القدر باب ٤. أحمد في مسنده (١/ ٣٧٥، ٣٨٢) (٣/ ١١٧، ١٤٨) لكن ليس فيه لفظ الحديث القدسي صراحة.

٩/٣٠ ـ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إنَّ أولَ ما خلقَ اللهُ القلمُ، فقالَ: «اكتبْ»، فقال: ما أكتبُ؟ قال: «اكتبِ القدرَ، ما كانَ وما هو كائنٌ إلى الأبَد».

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب القدر باب ١٧.

١٠/٣١ ـ وعن عبادة بن الصامت أنه قال: لابنه:

يا بني إنك لن تجد طعمَ حقيقةِ الإيمان، حتى تعلمَ أن ما أصابك لم يكن ليخطئَكَ، وما أخطأكَ لم يكنْ ليصيبَكَ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

إنَّ أولَ ما خلق اللهُ: القلمُ، فقال له «اكتبْ». قال: ربِّ وماذا أكتبُ؟ قال: «اكتبْ مقاديرَ كلِّ شيءٍ حتى تقومَ الساعةُ».

يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَنْ ماتَ على غيرِ هذا فليس مني».

(صحيح) ـ أخرجه أبو داود في سننه (في كتاب السنة باب ١٧).

٣٢/ ١١ ـ وعن عبادة بن الصامت أيضًا يوصي ابنه قال:

يا بني أوصيكَ أن تؤمنَ بالقدرِ خيرِهِ وشرِهِ، فإنكَ إن لم تؤمن أدخلكَ الله تبارك وتعالى النارَ، قال: وسمعتُ النبي ﷺ يقول:

أولُ ما خلقَ الله تبارك وتعالى القلمُ. ثم قال له: «اكتبْ» قال: وما أكتبُ؟ قال: «اكتُبْ ما يكون وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة».

(صحيح لغيره) أخرجه أحمد (جـ ٥ ص ٣١٧).

شرح المفردات

١ ـ لقد تمّ شرح هذا الحديث والذي بعده في كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم. . .﴾.

٢ ـ ثم أجمل على آخرهم: أي أحصيت أسماؤهم وجُمعوا فلا يُزاد فيهم ولا يُنقص.

٣ ـ سددوا وقاربوا: أي استقيموا واقتصدوا في أعمالكم واتركوا الغلو والنقصان.

٤ ـ ثم قال باليمنى: أي أخذ.

المعنى

هذه الأحاديث القدسية الكريمة تبحث في مواضيع متعددة لكنها كلها تجتمع في موضوع واحد وهو الإيمان بالقدر. فالموضوع الأول قضاء الله سبحانه بأهل جعلهم من أهل الجنة وبآخرين جعلهم من أهل النار، والموضوع الثاني أن الله سبحانه وتعالى خلق أعمال أهل الجنة وأعمال أهل النار، والموضوع الثالث قضاء الله وقدره في رزق الإنسان وعمله، وأجله، وشقاوته وسعادته، والموضوع الرابع هو القلم حيث أمره الله أن يكتب ما كان وما سيكون إلى الأبد، وأنت ترى أن هذه المواضيع كلها تلتقي وتتمحور وتتركز حول موضوع واحد واتجاه واحد ومعنى واحد هو الإيمان بالقضاء والقدر، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

كتاب الإخلاص

(١) باب التحذير من الشِّرك

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

قال الله تبارك وتعالى:

١/٣٣ ـ «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ فَمَنْ عَمِلَ لِيَ عَمَلاً أَشْرَكَ فيه غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ».

(صحيح) كما في الزَوَائِد أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد باب ٢١.

٢/٣٤ ـ «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» (صحيح) رواه مسلم. في كتاب الزهد حديث ٤٦.

٣/٣٥ ـ وعنه رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ يعني.

قال الله عز وجل: «أنا خيرُ الشُّركاءِ، من عَمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك».

رواه أحمد في مسنده (٢/ ٣٠١، ٤٣٥).

٤/٣٦ ـ وعنه أيضًا رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

قال الله تبارك وتعالى: «أنا أغنى الشركاء، من أشرك بي كان قليلُه وكثيرُه له».

رواه الطيالسي في مسنده رقم (٢٥٥٩).

٥/٣٧ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْت رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاس يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَة عَلَيْه رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فيها؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْت، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقال: جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، حَتَّى أُلْقِيَ في النَّار. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَال تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتهُ، وَقَرَأْت فِيكَ الْقُرْآن قالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْت الْقُرْآنَ، لِيُقَالَ: هُوَ قارِىءٌ،

فَقَدْ قِيلَ، ثمَّ أُمِرَ بِهِ، فسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُل وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَال كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا، قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلٰكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلى وَجْهِهِ،، ثُمَّ أُلْقِيَ في النَّارِ».

(صحيح) رواه مسلم (في كتاب الإمارة حديث ١٥٢) أحمد في مسنده (٢/ ٣٢٢) النسائي في كتاب الجهاد باب/ ٢٣ وفي كتاب فضائل القرآن باب (١٠٨).

المعنى

يحذرنا الله تعالى من أن نعمل العمل ونقصد غيره ورضا غيره في هذا العمل، وهذا هو الشرك الذي يجب على العبد أن يحذر منه أشد الحذر لأن الأصل في الأعمال كلها أن تكون خالصة لوجه الله الكريم، فإذا فعلها العبد من أجل فلان وإرضاء لفلان وخوفًا من ذاك ومحبة للآخر فإن ذلك يدل على ضعف الإيمان في القلب وعدم مراقبة الله عز وجل في إعمالنا وأقوالنا، وفي يوم القيامة يأتي العبد ويظن نفسه أنه قد قدم أعمالاً كثيرة وكبيرة وإذا به يراها هباء منثورًا لا قيمة لها، بل يقال له اذهب إلى من كنت تعمل هذه الأعمال من أجله، وأنّى له أن ينفعه ذلك المخلوق فهو أشد حاجة إلى العون والإسعاف منه إليه.

إن الإنسان لا يستطيع أبدًا أن ينفعك لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولذلك فإنه من الواجب عليك أن تتمسك بحبل الله المتين، وتجعل هدفك دومًا إرضاء الله وحده لا شريك له.

(٢) باب التحذير من النفاق والرياء

٦/٣٨ ـ عن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

إن أخوفَ ما أخافُ عليكم الشركُ الأصغرُ، قالوا: يا رسول الله وما الشركُ الأَصْغَرُ؟ قال: الرياءُ، إنَّ الله تبارك وتعالى يقول يومَ تُجَازَى العبادُ بأعمالهم:

«اذهبوا إلى الذين كنتم تُرَاءُونَ بأعمالِكم في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟!!».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (ج ٥ ص ٤٢٩).

٧/٣٩ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ - يَخْرُجُ في آخرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ، يَخْتِلُونَ[١] الدُّنْيَا بِالدِّينِ، يَلْبَسُونَ[٢] للنَّاس جُلُودَ الضَّأن منَ اللِّينِ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى من السُّكَّرِ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئابِ، يَقُولُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَبي يَغْتَرُّون؟ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ؟ فَبي حَلَفْتُ لأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولئك مِنْهُمْ فتْنَةً، تَدَعُ الْحَليمَ منْهُمْ حَيْرَانَ).

(حسن) رواه الترمذي في كتاب الزهد باب ٥٩ ولم يذكر في وصفه شيئًا.

٨/٤٠ - عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ - رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا - عن النَّبيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ - قَالَ: إنَّ اللهَ قَالَ: لَقَدْ خَلَقْتُ خَلْقًا، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ منَ الصَّبْرِ، فَبِي حَلَفْتُ لأُتِيحَنَّهُمْ فتْنَةً، تَدَعُ الْحَليمَ منْهُمْ حَيْرَانَ، فَبِي يَغْتَرُّونَ؟ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ؟.

(ـ المصدر نفسه ـ قال الترمذي رحمه الله تعالى: حديث حسن غريب).

شرح المفردات

١ ـ يختلون: الختل الخداع. أي يخدعون الناس بما يتظاهرون به من الدين والتقوى للحصول على الدنيا ومتاعها.

٢ ـ يلبسون: أي يتمسكنون ويُلينون في القول والعملَ ليكسبوا ودّ الناس وثقتهم لينالوا بعد ذلك مصالحهم ويُحققوا أهواءهم.

المعنى

وهنا أيضًا تحذير من هؤلاء المرائين المنافقين الذين يستخدمون الأساليب الناعمة والكلمات اللينة والأوجه الخداعة والأقنعة الكاذبة لكي يوقعوا الناس في ودِّهم والاطمئنان إلى المعاملة معهم وأما أكثر هؤلاء في مجتمعاتنا اليوم، فعلى المسلم أن يكون حذرًا وفطنًا من الانزلاق وراء أمثال هؤلاء، فلا يغترَّنَّ بالكلمات حتى يرى الأعمال توافقها، ولا يقترن بالمظاهر البديعة حتى يرى الأخلاق الحسنة تواكبها، ولا يغترن بالخطابات والشعارات حتى يتأكد من السلوك الجيد الشرعي لأولئك الخطباء وأصحاب الشعارات.

إن هؤلاء المنافقين سوف يقذف الله بهم في فتنة عمياء تذهب بعقولهم وأخلاقهم فتدعهم حيارى لا يستهدون إلى حيلة للخلاص كلما فتشوا عن نجاة غرقوا في أكبر منها وما هذا إلا لأنهم استخدموا اسم الدين واسم الرسول واسم الشرع والقرآن ستارًا لأهوائهم ومصالحهم. هذا ما يكون في الدنيا، أما في الدار الآخر، فإن الله عز وجل يأمرهم بالذهاب إلى مَن كانوا يَعملون الأعمال الخيرة من أجلهم ليأخذوا الثواب منهم إن كانوا قادرين على ذلك وأني لهم والجميع في ذلك اليوم لا يفكر أحدهم إلا بنفسه والخلاص بمفرده.

كتاب العلم

(١) باب في فضل العلم

١/٤١ ـ عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ:

إن الله أوحى إليّ أنه «من سلك مسلكًا في طلب العلم سَهَّلْتُ له طريق الجنة، ومن سلبتُ كريمتيه(١) أَثَبْتُهُ(٢) عليهما الجنة، وفضلٌ في علم خير من فضل في عبادة، وملاك الدين الورع».

(صحيح) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان كما في صحيح الجامع الصغير للألباني (جـ ٢/١٧٢٣).

٢/٤٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

سأل موسى ربه عن ست خصال كان يظن أنها له خالصة، والسابعة لم يكن موسى يحبها قال: يا ربِّ أيُّ عبادك أتقى؟ قال: الذي يذكر ولا ينسى. قال: فأيُّ عبادك أهدى؟ قال: الذي يتبع الهدى. قال: فأيُّ عبادك أحكَم؟ قال: الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه. قال: فأي عبادك أعلم؟ قال: الذي لا يشبع من العلم يجمع علم الناس إلى علمه. قال: فأي عبادك أعزُّ؟ قال: الذي إذا قدر غفر. قال: فأيُّ عبادك أغنى؟ قال: الذي يرضى بما يُؤتى. قال: فأيُّ عبادك أفقر؟ قال: صاحب مبغوض.

قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن ظهر(٣)، إنما الغنى غنى النفس، وإذا أراد الله بعبد خيرًا جعل غناه في نفسه، وتُقاه في قلبه، وإذا أراد بعبد شرًا جعل فقره بين عينيه».

(حسن) أخرجه بن حبان (جـ ٨٦).

شرح المفردات

١ ـ أي عينيه.

٢ ـ أي أعطيته ثوابًا هو الجنة.

٣ ـ أي ليس عن وجود متاع أو ظهر وهو كناية عن كثرة الإبل والأغنام والأبقار.

المعنى

هذه دعوة صريحة من الله سبحانه لكي ينكب العبد على العلم يأخذه من أهله، ويقتبسه

من أربابه، وهو بذلك السير الذي يمشي به وبتلك الطريق التي يشقها من أجل الحصول على العلم الذي يقرّبه إلى الله، إنما يشق في الواقع طريقه إلى رضوان الله وجنته، ولكن بشرط أن يعمل بهذا العلم الذي تعلمه وبشرط أن يطبقه وإلا أصبح علمه حجة عليه يوم القيامة.

أما الحديث الثاني ففيه صفات العالم الحق، فهو الذي لا يشبع من العلم أبدًا، بل يأخذه من ذاك ومن ذاك، لا يتكبر ولا يترفع، بل يتتلمذ على أي إنسان ما دام يملكُ علمًا نافعًا ومعرفة حقيقية واضحة أما الذي يتكبر ويأنف فهذا سيبقى عمره كله جَاهَلاً بعيدًا عن الهُدى ودروب العلم.

(٢) باب فضل العلم بمغفرة الله للذنوب

١/٤٣ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ـ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا ـ وَرُبَّمَا قَالَ: أَذْنَبَ ذَنْبًا ـ فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا ـ وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ ـ فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا ـ أَوْ قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا ـ فَقَالَ: رَبِّ، أَذْنَبْتُ ـ أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ، فَاغْفِرْهُ، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا ـ وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ، أَصَبْتُ أَوْ قَالَ: أَذْنَبْتُ آخَرَ، فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ.

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ٣٥، أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٦).

٢/٤٤ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَالَ: أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ. تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا، يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَذْنَبَ عَبْدي ذَنْبًا، فَعَلمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلمَ أَنَّ لهُ رَبًّا، يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ.

(صحيح) أخرجه مسلم في كتاب التوبة حديث ٢٩.

ملاحظة: لقد تمّ شرح هذين الحديثين وأمثالهما في كتاب التوبة باب (فائدة العلم في مغفرة الذنوب).

كتاب العبادات

(١) باب السماء والأرض مفطورتان على الطاعة

١/٤٥ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله تعالى:

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]

قال للسماء: «أَخْرِجي شمسَكِ وقمركِ ونجومَكِ»، وقال للأرضِ: «شقِّقي أنهارَكِ، وأَخْرِجي ثمارَكِ»، فقالتا: أتَيْنَا طائعينَ.

(صَحيح) ـ أخرجه الحاكم (جـ ١ ص ٢٧) وقال: «تفسير الصحابي عند الشيخين مسند».

(٢) باب التفرغ للعبادة والتقرب بالنوافل

١/٤٦ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: قال الله عز وجل: «يا ابن آدم تفرَّغْ لعبادتي املأْ صدرَك غنىً وأسُدَّ فقرَكَ، وإلا تفعلْ ملأتُ صدرَك شغلاً ولم أَسُدَّ فقرك».

(صحيح لغيره) أخرجه أحمد (٢/٣٥٨) والترمذي في كتاب القيامة باب ٣٠.

ابن ماجه في كتاب الزهد باب ٢.

٢/٤٧ ـ عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول ربكم تبارك وتعالى: «يا ابن آدم تفرَّغْ لعبادتي أملأْ قلبك غنى وأملأْ يديك رزقًا، يا ابن آدمَ لا تباعدْ مني فأملأُ قلبك فقرًا وأملأُ يديك شُغلاً».

(صحيح لغيره) أخرجه الحاكم (جـ ٤ ص ٣٢٦) والطبراني (جـ ٢٠/ ٥٠٠).

٣/٤٨ ـ عن شُريح قال: سمعتُ رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقول: قال النبي ﷺ: قال الله تعالى: «يا ابن آدمَ، قمْ إليّ امشي إليك، وامش إليّ أهرولْ إليك».

(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٤٧٨).

المعنى

الحديثان موضوعهما واحد وهو دعوة العبد إلى الغاية التي خلق الله هذا الخلق، وهي عبادته وتوحيده سبحانه، كما قال ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦].

والذي يحرص على العبادة ويداوم عليها في أوقاتها كما أمر الله، فإنه سيحصل على السعادة المرجوة والسرور المطلوب، لأن الله تعالى بذاته العلية سيكون حليفه ونصيره ومعينه في أمور دنياه وآخرته، وسينشرح صدره وتطمئن نفسه، فلا يشعر بضيق من مشاكل الحياة، ولا بحزن ولا بهم على رزقه ومعاشه ومعاش أولاده، فالله يضمن له ذلك، وإلا عاش حياة الضنك والتعب والشقاء ومهما حصّل من أمور الدنيا ومتاعها فلن يشعر ببركتها ولا بالسعادة المنشودة وسيخسر دنياه كما سيخسر آخرته، ونعوذ بالله من الشقاء في الدارين.

(٣) باب محبةُ الله تُنالُ بالنوافل

١/٤٩ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ اللهَ قال: «مَنْ عَادَى لي وليًا فقد آذنتُه بالحربِ، وما تقرّبَ إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضتُ عليه، وما يزالُ عبدي يتقربُ إليّ بالنوافِلِ حتى أحبَّه، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَهُ الذي يسمعُ به، وبصَرَهُ الذي يبصرُ به، ويدَه التي يبطشُ بها، ورجلَهُ التي يمشي بها[١]، وإن سألني لأعطينَّه، ولئنْ استعاذَني لأعيذَنَّه، وما ترددتُ عن شيءٍ أنا فاعلُهُ ترددي عن نفسِ المؤمِنِ يكرهُ الموتَ وأَنَا أكرهُ مساءتَه»[٢].

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب ٣٨.

٢/٥٠ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: «وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله ترددي عن موته، فإنه يكره الموت، وأنا أكره مساءته». يعني المؤمن.

(صحيح لغيره) ـ أخرجه ابن أبي عاصم (جـ ١/ ٤١٤).

التفسير

(١) قال الإمام ابن حجر في فتح الباري في شرح هذا الحديث وهو تحت رقم (٦٥٠٢).

وقد استشكل كيف يكون الباري جلّ وعلا سمع العبد وبصره الخ؟

والجواب من أوجه:

أحدها: أنه ورد على سبيل التمثيل، والمعنى كنت سمعه وبصره في إيثار أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح.

ثانيها: إن المعنى كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيني، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به.

ثالثها: المعنى اجعل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره الخ.

رابعها: كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه.

خامسها: قال الفاكهاني وسبقه إلى معناه ابن هبيرة ـ: هو فيما يظهر لي.

أنه على حذف مضاف والتقدير: كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل استماعه، وحافظ بصره كذلك الخ..

(٢) قال الإمام ابن حجر في المصدر السابق نفسه: وعبّر ابن الجوزي بأن التردد للملائكة الذين يقبضون الروح وأضاف الحق ذلك لنفسه لأن ترددهم عن أمره. قال: وهذا التردد ينشأ عن إظهار الكراهة.

فإن قيل: إذا أمر الملك بالقبض كيف يقع منه التردد؟ فالجواب أنه يتردد فيما لم يحد له فيه الوقت، كأن يقال لا تقبض روحه إلا إذا رضي.

ثم ذكر جوابًا ثالثًا وهو احتمال أن يكون معنى التردد اللطف به كأن الملك يؤخر القبض، فإنه إذا نظر إلى قدر المؤمن وعظم المنفعة به لأهل الدنيا احترمه فلم يبسط يده إليه، فإذا ذكر أمر ربه لم يجد بدًا من امتثاله اهـ.

أما بالنسبة لقوله «يكره الموت وأنا أكره مساءته» فقد أسند البيهقي في «الزهد» عن الجنيد قال: الكراهة هنا لما يلقى المؤمن من الموت وصعوبته وكربه، وليس المعنى أني أكره له الموت لأن الموت يورده إلى رحمة الله ومغفرته اهـ.

قلت: وهناك شرح كثير في «فتح الباري» شرح حديث رقم (٦٥٠٢) فمن أحب فليراجعه.

٣/٥١ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ، نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ في أَهْلِ

السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ٦ وأحمد (جـ ٢ ص ٥١٤).

٤/٥٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: إني قد أحببت فلانًا فأحبَّهُ قال: فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قول الله ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًا**﴾ [مريم: ٩٦] وإذا أبغض الله عبدًا نادى جبريل: إني قد أبغضت فلانًا، فينادي في السماء ثم تنزل له البغضاء في الأرض.

(صحيح) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب تفسير سورة مريم رقم (٢٠) وقال: حديث حسن صحيح.

٥/٥٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَال رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فلانًا فأُحِبَّهُ، قَال: فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثم ينادي في السماء فيقولُ: إن الله يحب فُلانًا فأَحِبُّوهُ، فيحبه أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ اللهُ عَبْدًا، دَعَا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ـ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلاَنًا، فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ.

أخرجه مسلم من كتاب البر والصلة حديث ١٥٧ ومالك في الموطأ في كتاب الشعر باب ما جاء في المتحابين في الله حديث ١٥.

٦/٥٤ ـ وعن أبي إمامة قال: قال رسول الله ﷺ: المِقَةُ ـ المَحبة ـ في السماء فإذا أحب الله عبدًا قال: إني أحببْتُ فلانًا فأحِبّوه. قال فتنزل له المقة في أهل الأرض.

(صحيح لغيره) أخرجه أحمد (جـ ٥ ص ٢٥٩).

٧/٥٥ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ ـ مَا مِنْ حَافِظَيْنِ رَفَعَا إِلَى اللهِ مَا حَفِظَا مِنْ لَيْل أَوْ نَهَار، فَيَجِدُ اللهُ فِي أَوَّلِ الصَّحِيفَةِ، وَفِي آخِرِ الصَّحِيفَةِ خَيْرًا، إِلاَّ قَالَ اللهُ تَعَالَى: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي مَا بَيْنَ طَرَفي الصَّحِيفَةِ.

(صحيح) أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز باب ٩.

التفسير

قد مر معنا في هذا الباب أن الله سبحانه وتعالى يحب عبده المؤمن إذا تقرب إليه بالنوافل زيادة عن الفرائض، وهذه المحبوبية التي سينالها العبد في أهل السماء وفي أهل الأرض لا بد وأن يكتسبها العبد عن طريق طاعته وعبادته لله وبالإكثار من النوافل والقربات.

(٤) باب المريض يكتب له ما كان يعمل في صحته

١/٥٦ ـ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

إذا ابْتلى اللهُ العبدَ المسلم ببلاء في جسده قال الله: «اكتبْ له صالحَ عملِهِ الذي كانَ يعملُهُ»، فإن شفاهُ غسلَهُ وطهَّرَهُ، وإنْ قبضَهُ غَفَرَ له ورَحِمَهُ.

(حسن) ـ أخرجه أحمد (جـ ٣ ص ١٤٨، ٢٣٨)،

٢/٥٧ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ:

إنّ العبدَ إذا كانَ على طريقة حسنة من العبادةِ ثم مرضَ، قيلَ للمَلَكِ الموكلِ به: «اكتبْ له مثلَ عملِهِ إذا كانَ طليقًا حتى أطلقَهُ أو أكْفِتَهُ إليّ».

(حسن) ـ أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ٢٠٣)،

٣/٥٨ ـ وعن عبد الله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ:

ما من أحد من المسلمين يصابُ ببلاءٍ في جسدهِ إلا أمر الله تعالى الحفظة الذين يحفظونه قال: «اكتبوا لعبدي في كل يوم وليلة مثل ما كان يعمل من الخير ما دام محبوسًا في وثاقي».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ١٩٨، ١٩٤)، والحاكم (ج ١ ص ٣٤٨).

٤/٥٩ ـ وعن عبد الله بن عمرو قال: قال سول الله ﷺ:

إذا اشتكى العبدُ المسلمُ أمَر اللهُ تبارك وتعالى الذين يكتبون عملَه فقال: «اكتبوا عمله إذ كان طليقًا حتى أقبضَه أو أطلقَه».

(صحيح) ـ أخرجه البزار (جـ ١/ ٧٥٩).

٥/٦٠ ـ وعن عقبة بن عامر يحدث عن النبيﷺ أنه قال:

ليس من عملِ يومٍ إلا وهو يختم عليه، فإذا مرضَ المؤمن قالت الملائكةُ: يا ربنا عبدك فلان قد حبستَه، فيقولُ الربُ عز وجلّ: «اختموا له على مثلِ عملِه حتى يبرأ أو يموتَ».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ١٤٦)، والطبراني في الكبير (جـ ١٧/ ٧٨٢).

٦/٦١ ـ عن أبي الأشعثِ الصنعاني أنه راحَ إلى مسجدِ دمشقَ وهَجَّر بالرَّواحِ فلقي شداد بن أوس والصنابحيّ معه قال فقلت: أين تريدان يرحمكما الله؟ قالا: نريدُ ههنا إلى أخ لنا مريضٍ نعودُهُ، فانطلقتُ معهما حتى دخلا على ذلك الرجل، فقالا له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بنعمة، فقال له شداد: أبشرْ بكفاراتِ السيئات وحَطِّ الخطايا، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:.

إن الله عَزَّ وَجَلَّ يقولُ: «إني إذا ابتليتُ عبدًا من عبادي مؤمنًا فحمدني على ما ابتليتُهُ، فإنه يقومُ من مَضْجَعه ذلك كيوم ولدتْهُ أمُه من الخطايا»، ويقول الربُّ عَزَّ وَجَلَّ: «أنا قيدتُ عبدي وابتليتُهُ، وأجْروا له كما كنتم تُجْرُون له وهو صحيحٌ».

(حسن) ـ أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ١٢٣)، والطبراني (جـ ٧/ ٧١٣٦).

٧/٦٢ ـ عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

إن العبد إذا مرض أوحى الله إلى ملائكته: يا ملائكتي أنا قيدت عبدي بقيدٍ من قيودي، فإن أقبضه أغفر له، وإن أعافِه فحينئذٍ يقعدُ ولا ذَنْبَ له.

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (جـ ٤ ص ٣١٣)، والطبراني في الكبري. (جـ ٨/ ٧٠٠١)، والبغوي (جـ ٥ ص ٢٣٧).

ملاحظة: لقد تمّ شرح هذه الأحاديث في كتاب الموت باب (المريض يكتب له ما كان يعمل في صحته) فليرجع إليه من شاء.

(٥) باب الهمّ بالحسنة والسيئة

١/٦٣ ـ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَقُولُ اللهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَلاَ تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا

بمثْلِهَا، وإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعمائَةِ ضِعْفٍ.

أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ٣٥.

٢/٦٤ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: «إذا همَّ(١) عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإنْ عَملَهَا فاكتبوها سيئةً، وإذا همَّ بحسنة فلم يَعْملْهَا فاكتبوها حسنةً فإنْ عَمِلَهَا فاكتبوها عشرًا».

أخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٢٠٣.

٣/٦٥ ـ عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ ـ وقوله الحق ـ: «إذا همَّ عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنةً فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها، وإذا همَّ بسيئة فلا تكتبوها فإن عَمِلها فاكتبوها بمثلها فإن تركها وربما قال: لم يعملْ بها فاكتبوها له حسنةً». ثم قرأ: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها).

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب تفسير سورة ٦ باب ١٠.

٤/٦٦ ـ وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: «إن همَّ عبدي بحسنة فاكتبوها، فإنْ عَمِلَهَا فاكتبوها بعشرةِ أمثالها، وإنْ همَّ بسيئةٍ فلا تكتبوها، فإنْ عَملَها فاكتبوها بمثلها فإن تركها فاكتبوها حسنةً».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٢، ٣١٧).

٥/٦٧ ـ وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ عن الله جل وعلا قال:.

«إذا همَّ عبدي بحسنة فلم يَعْمَلْهَا فاكتبوها له حسنةً فإن عملها فاكتبوها له عشرًا لأمثالها إلى سبعمائة ضعف. وإذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإنْ عملها فاكتبوها سيئةً، فإنْ تابَ منها فامْحُوها عنه».

(صحيح) ـ أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٤٦١ ـ موارد).

٦/٦٨ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: «إذا تَحدَّثَ عبدي بأنْ يعملَ حسنةً فأنا أكتُبها له حسنةً ما لَمْ يعملْ فإذا عَمِلَهَا فأنا أكتبها بعشرِ أمثالها، وإذا تَحدَّث بأنْ يعمل سيئةً فأنا أغفرهَا له ما لَمْ يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها».

وقال رسول الله ﷺ:.

قالت الملائكة ربِّ ذَاكَ عَبدُكَ يريدُ أنْ يعمل سيئةً (وهو أبصر به) فقال: «ارقبوه فإنْ عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنةً، إنما تركها من جرّايَ».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٢٠٥.

٧/٦٩ ـ وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:

قال الله عَزّ وَجَلّ: «إذا همّ عبدي بحسنة ولمْ يعملها كتبتُها له حسنةً، فإن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعفٍ، وإذا همّ بسيئةٍ ولم يعملْها لم أكتبْهَا عليه، فإن عَمِلها كتبتُها له سيئةً واحدةً».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث ١١٧.

٨/٧٠ ـ وعن ابن عباس عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال:

«إن الله كتبَ الحسناتِ والسيئاتِ ثم بَيّنَ ذلك، فمنْ همّ بحسنةٍ فلمْ يعملْها كتبهَا الله عنده[٢] حسنةً كاملةً، وإن همّ بها فعملها كتبها[٣] الله عَزّ وَجَلّ عنده عشرَ حسنات إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضْعاف كثيرةٍ، وإن همّ بسيئةٍ فلمْ يعملها كتبها الله عنده حسنةً كاملةً، وإن همّ بها فعملها كتبها الله سيئةً واحدةً»[٤].

(صحيح) ـ وأخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب ٣١.

وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٢٠٧ وزاد «ومحاها الله، ولا يهلك على الله إلا هالكَ»[٥].

٩/٧١ ـ عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه قال:

«إن ربّكَ رحيمٌ من همّ بحسنةٍ فلمْ يعملْهَا كُتبتْ له حسنةٌ، فإنْ عَمِلَها كُتبتْ عشرًا إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة، ومن همّ بسيئةٍ فلم يعملْها كَتبتْ له حسنةً، فإن عملها كتبتْ له واحدةً، أو يمحوها الله، ولا يَهْلِكُ على الله إلا هالكٌ».

(صحيح) أخرجه أبو عوانة في مسنده (جـ ١ ص ٨٤).

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الإسراء عن رسول الله ﷺ قال في آخره:

١٠/٧٢ ـ . . . فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ وَبَيْنَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ

حَتَّى قَالَ اللهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ، كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ.

أخرجه مسلم في كتاب الإسراء حديث ٢٥٩.

شرح المفردات (من فتح الباري)

١ ـ همّ: الهمّ ترجيح قصد الفعل، تقول هممت بكذا أي قصدته بهمتي وهو فوق مجرد فطور الشيء بالقلب.

٢ ـ عنده: العندية هنا إشارة إلى الشرف، وأما الكمال في قوله «كاملة» فإشارة إلى رفع توهم نقصها لكونها نشأت عن الهم المجرد، فكأنه قيل بل هي كاملة لا نقص فيها.

قال النووي: أشار بقوله: «عنده» إلى مزيد الإعتناء به، وبقوله «كاملة» إلى تعظيم الحسنة وتأكيد أمرها، وعكس ذلك بالسيئة فلم يصفها بكاملة بل أكدها بقوله «واحدة» إشارة إلى تخفيفها مبالغة في الفضل والإحسان.

٣ ـ كتبها الله: أي أمر الحفظة بكتابتها بدليل قوله ذلك في الأحاديث السابقة. وفيه دليل على أن الملك يطلع على ما في قلب ابن آدم؛ إما بإطلاع الله إياه أو بأن يخلق له علمًا يدرك به ذلك، ويؤيد الأول ما أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي عمران الجوني قال «يُنادَى الملك اكتب لفلان كذا وكذا، فيقول يا رب إنه لم يعمله، فيقول إنه نواه».

٤ ـ سيئة واحدة: قال ابن عبد السلام في أماليه: فائدة التأكيد دفع توهم من يظن أنه إذا عمل السيئة كتبت عليه سيئة العمل وأضيفت إليها سيئة الهم، وليس كذلك إنما يكتب عليه سيئة واحدة.

٥ ـ ولا يهلك على الله إلا هالك: أي من أصرّ على التجري على السيئة عزمًا وقولاً وفعلاً، وأعرض عن الحسنات همًا وقولاً وفعلاً.

فوائد هذه الأحاديث

نقل الإمام ابن حجر في فتح الباي فقال: قال السبكي الكبير:

الهاجس لا يؤاخذ به إجماعًا، والخاطر وهو جريان ذلك الهاجس وحديث النفس لا يؤاخذ بهما للحديث المشار إليه - أي الأحاديث في هذا الباب - والهمّ وهو قصد فعل المعصية مع التردد لا يؤاخذ به لحديث الباب، والعزم وهو قوة ذلك القصد أو الجزم به ورفع التردد؛ قال المحققون: يؤاخذ به. وقال بعضهم: لا. واحتج بقول أهل اللغة: همّ بالشيء عزم عليه، وهذا لا يكفي. قال: ومن أدلة الأول حديث «إذا التقى المسلمان بسيفيهما» الحديث، وفيه أنه كان حريصًا على قتل صاحبه فعلّل بالحرص.

واحتج بعضهم بأعمال القلوب ولا حجة معه لأنه على قسمين: أحدهما لا يتعلق بفعل خارجي وليس البحث فيه، والثاني يتعلق بالملتقيين عزم كل منهما على قتل صاحبه واقترن بعزمه فعل بعض ما عزم عليه وهو شهر السلاح وإشارته به إلى الآخر، فهذا الفعل يؤاخذ به سواء حصل القتل أم لا. انتهى..

ثم نقل عن ابن بطال قوله:

في هذا الحديث - أي حديث الهمّ - بيان فضل الله العظيم على هذه الأمة، لأنه لولا ذلك كاد لا يدخل أحد الجنة، لأن عمل العباد للسيئات أكثر من عملهم الحسنات، ويؤيد ما دلّ عليه حديث الباب من الإثابة على الهمّ بالحسنة وعدم المؤاخذة على الهمّ بالسيئة قوله تعالى: ﴿**لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

إذ ذكر في السوء الافتعال الذي يدل على المعالجة والتكلف فيه بخلاف الحسنة.

وفيه ما يترتب للعبد على هجران لذته وترك شهوته من أجل ربه رغبة في ثوابه ورهبة من عقابه.

واستدل به على أن الحفظة لا تكتب المباح للتقييد بالحسنات والسيئات.

وفيه أن الله سبحانه وتعالى بفضله وكرمه جعل العدل في السيئة، والفضل في الحسنة، فضاعف الحسنة، ولم يضاعف السيئة، بل أضاف فيها إلى العدل الفضل فأدارها بين العقوبة والعفو بقوله «كُتبت له واحدة أو يمحوها» وبقوله «فجزاؤه بمثلها أو أغفر» انظر فتح الباري في شرح حديث رقم (٦٤٩١).

(٦) باب جملة من أفعال البر والخير

١/٧٣ - عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

أَتَاني رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ الليلةَ في أَحْسَنِ صُورَةٍ - أَحسَبُهُ يعني في النَّوم - فقال: «يا مُحَمَّدُ

هَلْ تَدْري فيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟» قال: قلتُ: لا. قال النبيُّ ﷺ: فَوَضَعَ يَدَهُ بيْنَ كَتِفيَّ حتَّى وَجَدتُ بردَهَا بين ثَدْيَيَّ أو قال: نَحْرِي. فَعَلِمْتُ ما في السماوات وما في الأرض. ثم قال: «يا مُحَمَّد: هَلْ تَدْرِي فيم يختَصِمُ الملأُ الأعْلى؟» قال: قلت: نعم. يَخْتَصِمُونَ في الكفَّاراتِ والدَّرَجَاتِ. قال: «وما الكفَّاراتُ والدَّرَجَاتُ؟» قال: «المَكْثُ في المَسَاجِد، والمَشْيُ على الأَقْدَامِ إلى الجُمُعاتِ وإبلاغُ الوُضُوءِ في المَكَارِهِ، ومن فَعَل ذلك عاشَ بخَيْر وماتَ بخير، وكان من خَطيئته كَيَوْمِ وَلَدَتْه أمه وقُلْ يا مُحَمَّد إذَا صليتَ: اللَّهُمَّ إني أسأَلُكَ الخَيْرَات، وتَرْكَ المُنكَراتِ وحَبَّ المَسَاكِينِ، وإذا أرَدْتَ بِعبَادِكَ فتْنَةً أن تَقْبِضَني إليكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ». قال: «والدَّرَجَاتُ: بَذْلُ الطَّعامِ وإفْشاءُ السَّلاَمِ والصَّلاَةُ بِاللَّيْلِ والنَّاسُ نيَامٌ».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (١/ ٣٦٨)، والترمذي في كتاب التفسير باب ٣٩.

٧٤/٢ ـ وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: احتُبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح، حتى كدنا نتراءى عين الشمس، فخرج سريعًا فَثُوِّبَ بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ وتجوَّز في صلاته، فلما سلَّم دعا بسوطه قال لنا: .

«عَلى مَصَافِّكُمْ كَما أَنْتُمْ».

ثم انفتل إلينا ثم قال: .

أمَا إنّي سأحدِّثكم ما حَبَسَني عنكُم الغداةَ. إنّي قُمتُ من اللَّيلِ فتوضَّأتُ، وصلَّيتُ ما قُدِّر لي فَنَعسْتُ في صَلاتي، حتى استَثْقَلْتُ، فإذا أنا بِرَبّي تبارك وتعالى في أَحْسَنِ صُورةٍ فقال: يا مُحَمَّدُ. قلتُ: لَبَّيْكَ يا ربِّ. قال: فِيمَ يختَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟ قلتُ: لا أَدْرِي. قالَها ثَلاثًا. قال: فرأيتهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَين كَتِفَيَّ، حَتّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بين ثَدْيَيَّ، فَتَجلَّى لِي كلُّ شَيءٍ وَعَرَفْتُ.

فَقَالَ: يَا مُحَمَد. قلتُ: لَبَّيْكَ ربِّ. قال: فيمَ يختَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟ قلت: في الكَفَّارات. قال: مَا هُنَّ؟. قُلْتُ: مَشْيُ الأَقْدامِ إلى الحَسناتِ، والجُلُوسُ في المَسَاجِدِ بعد الصَّلَواتِ، وإسْبَاغُ الوُضُوءِ حينَ الكَرِيهَاتِ. قال: فيم؟ قلت: إطعامُ الطَّعامِ، ولينُ الكلامِ، والصَلاةُ بِاللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ. قال: سَلْ، قل: اللَّهُمَّ إني أسأَلُكَ فعْلَ الخَيْراتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَات، وحُبَّ المَسَاكِين، وأنْ تَغْفِرَ لي وَتَرْحَمَني وإذَا أرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَفَّني غَيْرَ مَفْتُونٍ، أسأَلُكَ حُبَّكَ وحبَّ من يُحبُّكَ، وحبَّ عملٍ يقربُ إلى حُبِّكَ. قال رسول الله ﷺ: إنها حَقٌّ فادْرِسُوها ثم تَعلَّمُوها.

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي كتاب التفسير باب ٣٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح سألت محمد بن إسماعيل ـ هو الإمام البخاري ـ عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح.

ملاحظة: لقد تمّ شرح هذين الحديثين في كتاب التوبة باب (الكفارات).

(٧) باب في ذم الأسواق

٧٥/ ١ ـ عن جُبير بن مطعم عن أبيه أنّ رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله أيُّ البلدان شرٌّ؟ قال فقال: لا أدري فلما أتاه جبريل عليه السلام قال: يا جبريل أيُّ البلدان شرٌّ؟ قال: لا أدري حتى أسأل ربي عز وجل، فانطلق جبريل عليه السلام، ثم مكث ما شاء الله أن يمكُث ثم جاء فقال: يا محمد، إنك سألتني أيُّ البلدان شرٌّ؟ فقلتُ: لا أدري وإني سألت ربي عز وجل: أيُّ البلدان شر؟ فقال: أسواقها.

(صحيح) أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ٨١) الحاكم (جـ ١ ص ٩٠) و (جـ ٢ ص ٧).

المعنى

لقد كانت الأسواق شرَّ الأماكن عند الله تعالى، لأنها يكثر فيها الكذب والإحتيال، ويغلب فيها الغش وأكل الحرام من كثير من التجار الذين لا يخافون ولا يتورعون عن المعصية من أجل جمع المال، وهناك ينصب الشيطان رايته ويكون هو وجنوده الأسياد الذين يُطاعون ولا تُعصى أوامرهم ولا تُخالف مطالبهم، وقد ورد أيضًا عن النبي ﷺ ما يؤيد هذا المعنى حين قال: «أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدُها، وأبغضُ البلاد إلى الله أسواقها» رواه مسلم. وكذلك روى أحمد والبزار واللفظ له، وأبو يعلى والحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، أيُّ البلدان أحب إلى الله، وأي البلدان أبغض إلى الله؟ قال: لا أدري حتى أسأل جبريل عليه السلام. فأتاه فأخبره جبريل أن أحسن البقاع إلى الله المساجدُ، وأبغضَ البقاع إلى الله الأسواق. (أنظر الترغيب والترهيب كتاب فضل المساجد).

كتاب الصلاة

(١) باب الطهارة والوضوء

١/٧٦ ـ عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: لا أقول اليوم على رسول الله ﷺ ما لم يقل. سمعت رسول الله ﷺ يقول: .

من كذب عليّ ما لم أقلْ فليتبوأ[١] بيتًا من جهنم.

وسمعت النبيّ ﷺ يقولُ:

رجلان من أمتي، يقومُ أحدُهما الليلَ يُعَالجُ[٢] نفسَهُ إلى الطهورِ، وعليه عقد[٣]، فيتوضأُ، فإذا وضّأ يديه انحلّتْ عقدةٌ، وإذا وضّأ وجهَه انحلّتْ عقدةٌ، وإذا مسحَ برأسه انحلت عقدةٌ، وإذا وضّأ رجليه انحلّتْ عقدةٌ، فيقولُ الله عزّ وجلّ للذين وراء الحِجابِ[٤]:

«انظروا إلى عبدي هذا يعالجُ نفسه يسألُني، ما سألني عبدي فهو له».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ٢٠١)، (جـ ٤ ص ١٥٩)، وابن حبان في صحيحه (الإحسان/ ١٠٤٩)، والطبراني في الكبير (جـ ١٧/ ٨٤٣).

٢/٧٧ ـ وورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في رؤية رسول الله ﷺ ربه عز وجل في أحسن صورة.

. . . قال: وما الكفارات والدرجات؟ قال: المكث في المساجد، والمشي على الأقدام إلى الجمعات وإبلاغ الوضوء في المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه.

(صحيح) أخرجه أحمد (١/ ٣٦٨) الترمذي في كتاب تفسير سورة ٨٨ باب ٢.

شرح المفردات

١ ـ فليتبوّأ: فليتّخذْ.

٢ ـ يعالجُ نفسه: أي يخالف هوى نفسه التي تدفعه إلى النوم ويدفعها إلى الوضوء.

٣ ـ عقد: جمع عقدة وهي كل وثاق ورباط يحتاج إلى حل وفك، وهي هنا عبارة عن تثبيط النفس ووسوسة الشيطان للمتعبد بعدم القيام والخلود إلى النوم.

٤ ـ للذين وراء الحجاب: الملائكة المستورون عن أعين الناس.

المعنى

يحدثنا النبي ﷺ عن صنفين من المؤمنين. صنف يجاهد نفسه وهواه ومتعته فيقوم من الليل يتطهر ويتعبد ويسأل الله حاجته، وهذا العبد حينما يقوم فإنه يكون قد تخلص من حبال الشيطان وعقده ووساوسه ونجى من أوهام النفس الأمارة بالسوء التي تدفع بصاحبها إلى النوم بدل الاستيقاظ، وإلى الكسل بدل القيام بين يدي الله، فإذا قام العبد وسأل الله حاجته لبّى الله له واستجاب سؤاله وكشف له غمته.

أما الصنف الآخر فلم يذكره لكنه أشار إليه بقوله: «رجلان من أمتي» ولما ذكر الصنف الأول المتمثل بالرجل الأول المتعبد القوام المتطهر، فإن معنى ذلك عن الصنف الثاني المتمثل بالرجل الثاني ليس على هذه الشاكلة، بل هو قد استسلم لهوى نفسه واتبع أمانيها وأخلد إلى الشيطان فأصبح من الخاسرين.

وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ: «يعقِدُ الشيطانُ على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاثَ عُقدٍ يضربُ على كلِّ عقدةٍ: عليك ليلٌ طويلٌ فارقدْ، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلتْ عقدةٌ، فإن توضأ انحلت عقدةٌ فإن صلى انحلتْ عُقَدُهُ كُلها فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيثَ النفس كسلان» رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه. ورواه أيضًا ابن خزيمة في صحيحه بنحوه وزاد في آخره «فحُلُّوا عقَد الشيطان ولو بركعتين». (انظر الترغيب والترهيب كتاب قيام الليل).

(٢) باب فضل الأذان

١/٧٨ ـ عن عقبة بنِ عامرٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: يَعْجَبُ[١] ربُّكم من راعي غنم في رأسِ شظيَّةٍ[٢] بجبلٍ يؤذّنُ بالصلاة ويصلي فيقول الله عز وجل:.

انظروا إلى عبدي هذا، يؤذّنُ ويقيمُ الصلاةَ يخاف مني، فقد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة.

(صحيح) أخرجه أبو داود في كتاب السفر باب ٣. النسائي في كتاب الأذان باب ٢٦.

شرح المفردات

١ ـ يعجب: التعجب من صفات الإنسان وهو متحيل على الله تعالى، وهو هنا بمعنى تعظيم حال المؤذن والمصلي.

٢ ـ الشظيَّة: القطعة من الجبل غير منفصلة عنه.

المعنى

إن المؤمن الذي لا ينسى ربه وهو دائمًا يفكر في عبادة الله ولو كان وحيدًا وبعيدًا عن الناس، فهو يؤذن ويصلي: وفيه فضيلة الأذان، ولو علم المؤذن أنه لن يسمع أذانه أحد أو لن يستجيب لندائه أحد، لأن كل شيء يسمع صوت المؤذن من حجر ومن شجر سيستغفر له الله كما قال ﷺ «يُغفرُ للمؤذن منتهى أذانه، ويستغفرُ له كل رطب ويابسٍ سمعه» رواه أحمد بإسناد صحيح والطبراني في الكبير (الترغيب والترهيب كتاب الأذان).

فهذا العبد الذي في رأس الجبل الذي أذن للصلاة وصلّى، يمدحه ربه ويثني عليه ويكرمه بالمغفرة والجنة الواسعة.

(٣) باب فرضية الصلاة

١/٧٩ ـ عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال:

بينما أنا في الحطيم[١] ـ وربما قال: في الحجرِ ـ مضطجعًا، إذ أتاني آتٍ[٢] ـ فقد قال وسمعته يقول ـ فشقَّ ما بين هذه إلى هذه، فقلت [للجارود][٣] وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثُغْرةِ[٤] نحره إلى شِعْرَتِهِ[٥]، وسمعته، يقول: من قصه[٦] إلى شعرته ـ فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب[٧] مملوءة إيمانًا[٨]، فغسل قلبي، ثم حُشِيَ[٩].

ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، ـ فقال له [الجارود]: هو البراق يا [أبا حمزة؟] قال أنس: نعم ـ يضع خَطْوه عند أقصى طَرْفه[١٠]، فحملت عليه.

فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟[١١] قال: نعم، قيل مرحبا[١٢] به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت فإذا فيها آدم، فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحبًا بالإبن الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى[١٣] وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت، فردّا، ثم قالا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح..

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح، قيل من هذا؟ قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف، فسلم عليه، فسلمت عليه فرد، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت فإذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلم عليه، فسلمت عليه، فردّ ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي، حتى أتى السماء الخامسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلامًا[١٤] بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي.

ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قال: مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك فسلم عليه، قال: فسلمت عليه، فرد السلام، قال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم رفعت لي سدرةُ المنتهى[١٥]، فإذا نبقها مثل قلال هجر[١٦]، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات[١٧]، ثم رفع لي البيت المعمور[١٨]، ثم أتيت بإناء من

خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن[١٩]، فقال: هي الفطرة أنت عليها وأمتك.

ثم فرضت عليّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررتُ على موسى، فقال: بما أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بما أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم.

قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وأني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم، قال فلما جاوزت نادى منادٍ:

«أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب ٤٢، وبنحو ذلك مع شيء من اختلاف في اللفظ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٢٥٩ وأحمد (جـ ٤ ص ٢٠٨)، .

(أبو حمزة): هو أنس بن مالك رضي الله عنه.

٢/٨٠ ـ وعن أنس عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: فُرِجَ سقفُ بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانًا، فأفرغها في صدري، ثم أطبقه.

ثم أخذ بيدي فعرج بي السماء، فلما جاء إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح، قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل. قال: معك أحد؟ قال: معي محمد، قال: أرسل إليه قال: نعم فافتح، فلما علونا السماء إذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم[٢٠] بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى.

ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح، فقال له خازنها مثل ما

قال الأول ففتح، قال أنس: فذكر أنه وجد في السماوات إدريس وموسى وعيسى وإبراهيم، ولم يثبت لي كيف منازلهم، غير أنه قد ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السادسة، وقال أنس: فلما مرّ جبريل بإدريس، قال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح فقلت: من هذا؟ قال: هذا إدريس.

ثم مررت بموسى فقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، ثم مررت بعيسى فقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت من هذا؟ قال: عيسى، ثم مررت بإبراهيم فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيم، [قال][٢١]: وأخبرني [ابن حزم] أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان: قال النبي ﷺ: ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع صريف الأقلام،[٢٢] قال ابن حزم وأنس بن مالك رضي الله عنهما قال النبي ﷺ:.

ففرض الله عليّ خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى أمر بموسى فقال موسى: ما الذي فرض على أمتك؟ قلت: فرض عليهم خمسين صلاة، قال: فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فرجعت فراجعت ربي فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك فذكر مثله فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى فأخبرته، فقال: راجع ربك؟ فإن أمتك لا تطيق ذلك، فرجعت فراجعت ربي فقال:.

«هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي».

فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك، فقلت: قد استحييت من ربي، ثم انطلق حتى أتى السدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت فإذا فيها جنابذ[٢٣] اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ٥، وبنحوه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٢٦٣، وأحمد (جـ ٥ ص ١٤٣).

٣/٨١ ـ ومن حديث أنس في قصة إسراء النبي ﷺ قال فيها:

... فأوحى الله فيما أوحى إليه: «خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة».

ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى، فقال: يا محمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال: عهد إليّ خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل: أن نعم إن شئت، فعلا به إلى الجبار [فقال وهو مكانه]: يا رب خفف عنا فإن أمتي لا

تستطيع هذا، فوضع عنه عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى فاحتبسه، فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات.

ثم احتبسه موسى عند الخمس، فقال: يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه، فأمتك أضعف أجسادًا وقلوبًا وأبدانًا وأبصارًا وأسماعًا فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة، فقال: يا ربِّ إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا.

فقال الجبار: «يا محمد»، قال: لبيك وسعديك، قال: «إنه لا يُبَدَّلُ القولُ لديَّ كما فرضت عليك في أم الكتاب. قال: فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك»، فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلت؟ فقال: خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشرَ أمثالها، قال موسى: قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضًا، قال رسول الله ﷺ:

يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه، قال: فاهبط باسم الله، قال واستيقظ وهو في مسجد الحرام.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باب ٣٧.

٨٢/ ٤ ـ ومن حديث أنس أيضًا عن رسول الله ﷺ قال في آخره:

. . . فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: «يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، ومن هم[٢٤] بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرًا ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة».

قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ: فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٢٥٩.

٨٣/ ٥ ـ ومن حديثه أيضًا عن رسول الله ﷺ قال في آخره:

. . . فأتينا سدرة المنتهى فغشيتني ضبابة فخررت ساجدًا فقيل لي: «إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة، فقم بها أنت وأمتك». فرجعت إلى إبراهيم فلم يسألني عن شيء ثم أتيت إلى موسى فقال: كم فرض الله عليك

وعلى أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: فإنك لا تستطيع أن تقوم بها أنت ولا أمتك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف.

فرجعت إلى ربي فخفف عني عشرًا، ثم أتيت موسى فأمرني بالرجوع، فرجعت، فخفف عني عشرًا ثم ردت إلى خمس صلوات، قال: فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإنه فرض على بني إسرائيل صلاتين فما قاموا بهما، فرجعت إلى ربي عز وجل، فسألته التخفيف، فقال:

«إني يوم خلقت السماوات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فخمس بخمسين، فقم بها أنت وأمتك».

فعرفت أنها من الله تبارك وتعالى صِرّى، فرجعت إلى موسى عليه السلام فقال: ارجع، فعرفت أنها من الله صِرّى أي حتم فلم أرجع.

(صحيح) ـ أخرجه النسائي في كتاب الصلاة باب ١.

٦/٨٤ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

فُرِضَتْ على النبي ﷺ ليلةَ أُسْرِيَ به الصلواتُ خمسين، ثم نقصتْ حتى جعلت خمسًا، ثم نودي: .

«يا محمدُ إنه لا يبدلُ القولُ لدي، وإنَّ لك بهذه الخمس خمسين».

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب الصلاة باب ٤٥.

٧/٨٥ ـ وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ:

فرض الله على أمتي خمسين صلاةً، فرجعت بذلك حتى آتِيَ على موسى، فقال موسى: ماذا افترضَ ربُّك على أمتك؟ قلت: فَرَضَ عليَّ خمسين صلاةً. قال: فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيقُ ذلك، فراجعتُ ربي، فوضعَ عني شطرَها، فرجعتُ إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجعْ إلى ربك، فإن أمتك لا تطيقُ ذلك، فراجعتُ ربي فقال:

«هي خمسٌ وهي خمسون، لا يبدلُ القول لدي»، فرجعتُ إلى موسى، فقال: ارجع إلى ربك. فقلت: قد استحييت من ربي.

(صحيح) ـ أخرجه ابن ماجه في كتاب الصلاة باب ١٩٤.

شرح المفردات من «فتح الباري»

١ ـ الحطيم: هو حِجْرُ الكعبة أو جداره، أو ما بين الركن وزمزم والمقام (القاموس المحيط).

٢ ـ آتٍ: هو جبريل عليه السلام.

٣ ـ الجارود: قال في فتح الباري: لم أرَ من نسبه من الرواة، ولعله ابن أبي سبرة البصري صاحب أنس.

٤ ـ ثغرة نحره: البقعة الصغيرة المجوفة قليلاً أسفل الرقبة.

٥ ـ شِعْرته: بكسر الشين شعر العانة.

٦ ـ قصِّه: رأس صدره.

٧ ـ بطست من ذهب: خُصَّ الطستُ لكونه أشهر آلات الغسل عرفًا، والذهب لكونه أعلى الأواني الحسية وأصفاها، ولعل ذلك كان قبل تحريم استعمال الذهب أو يمكن القول بأن تحريم استعماله مخصوص بأحوال الدنيا وما وقع في تلك الليلة كان الغالب أنه من أحوال الغيب فيلحق بأحكام الآخرة.

٨ ـ مملوءة إيمانًا: زاد في كتاب بدء الخلق «وحكمة». قال البيضاوي: لعل ذلك من باب التمثيل، وفائدته كشف المعنوي بالمحسوس لأن المحسوس أبلغ وأظهر في الدلالة على الأشياء.

٩ ـ حُشي: أي إيمانًا وحكمة.

١٠ ـ يضع خطْوه عند أقصى طرْفه: يضع رجله عند منتهى ما يرى بصرُه.

١١ ـ وقد أُرسل إليه: أي للعروج وليس المراد أصل البعث لأن ذلك كان قد اشتهر في الملكوت الأعلى. والحكمة في ذلك أن الله أراد أن يطلع نبيه على أنه معروف عند الملأ الأعلى، فدل على أنهم كانوا يعرفون أن ذلك سيقع له وإلا لكانوا يقولون: ومن محمد؟ مثلاً.

١٢ ـ مرحبًا به: أي اصاب رحبًا وسعة.

١٣ ـ إن قيل كيف رأى الأنبياء في السموات مع أن أجسادهم مستقرة في الأرض في

قبورهم؟ فالجواب أن أرواحهم تشكلت بصور أجسادهم أو أُحضرت أجسادهم لملاقاة النبي ﷺ تلك الليلة تشريفًا له وتكريمًا.

١٤ ـ غلامًا: المقصود بالغلام نبينا محمد ﷺ، قال ذلك على سبيل التنويه إلى ما أنعم الله به عليه من استمرار القوة في الكهولية وإلى أن دخل في سن الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعترى قوته نقص. ولم يبكِ سيدنا موسى عليه السلام حسدًا. معاذ الله ـ فإن الحسد في ذلك العالم منزوع من آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالى؟! بل كان أسفًا على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفات لأوامر الله سبحانه.

١٥ ـ سدرةُ المنتهى: فسَّرها رسول الله ﷺ بقوله كما روى ذلك الإمام مسلم من حديث ابن مسعود قال:

«انتهى بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة وإليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط فيقبض منها».

١٦ ـ فإذا نبقها مثل قلال هجر: النبق بفتح النون وكسر الباء وسكونها وهو ثمر شجر السدر. قلال جمع قُلة بضم القاف وهي الجرار. هَجرَ اسم بلدة مشهورة بهذه الجرار الكبيرة. يريد أن ثمارها في الكبر مثل الجرار.

١٧ ـ النيل والفرات: قيل: إنما أطلق عليهما أنهما من الجنة تشبيهًا بأنهار الجنة لما فيها من شدة العذوبة والحسن والبركة.

وقال النووي: إن أصل النيل والفرات من الجنة، ويخرجان من أصل سدرة المنتهى، ثم يسيران حيث شاء الله، ثم ينزلاه إلى الأرض، ثم يسيران فيها ثم يخرجان منها، وهذا لا يمنعه العقل، وقد شهد به ظاهر الخبر فليُعْتمدْ.

١٨ ـ البيت المعمور: هو مكان الحج للملائكة بموازاة الكعبة التي هي المكان لحج أهل الأرض. يدخله سبعون ألف ملك كل يوم ويخرجون منه ولا يعودون.

١٩ ـ فأخذت اللبن: قال القرطبي: يحتمل أن يكون سبب تسميته اللبن فطرة لأنه أول شيء يدخل بطن المولود ويشق أمعاءه.

٢٠ ـ نسم بنيه: أرواحهم.

٢١ ـ قال: القائل هو ابن شهاب الزهري راوي الحديث عن أنس، أما ابن حزم فهو أحد التابعين الرواة.

٢٢ ـ صريف الأحلام: تصويتها حالة الكتابة، والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه وتعالى.

٢٣ ـ جنابذ اللؤلؤ: واحدها جنبذة بالضم أي القباب وهي ما ارتفعت من الأرض.

٢٤ ـ تفسير الهم وباقي الحديث مر شرحه في هذا الكتاب باب (الهمّ بالحسنة والسيئة).

(٤) باب فضلُ الصلاة خوفًا من الله تعالى

١/٨٦ ـ عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ:

يَعْجَبُ ربُكم من راعي غنمٍ في رأسِ شظِيَّةٍ بجبلٍ، يؤذِّنُ بالصلاة ويصلي فيقولُ الله عز وجل:

«انظروا إلى عبدي هذا يؤذِّنُ ويقيمُ الصلاةَ، يخافُ منّي، فقد غفرتُ لعبدي وَأَدْخَلْتُهُ الجنّةَ».

(صحيح) ـ أخرجه أبو داود في كتاب صلاة السفر باب ٣. النسائي في كتاب الأذان باب ١٥. أحمد في مسنده (٤/ ٥٨).

ملاحظة: لقد مرَّ شرح هذا الحديث مستوفى في نفس الكتاب باب (فضل الأذان).

(٥) باب فضل صلاة الفجر وصلاة العصر

١/٨٧ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يتعاقبون[١] فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم[٢] ـ وهو أعلم بهم ـ: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم[٣] وهم يصلون[٤]، وأتيناهم وهم يصلون.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب المواقيت باب ١٦. مسلم في كتاب المساجد حديث ٢١٠. الموطأ في كتاب قصر الصلاة في السفر حديث ٨٢.

٢/٨٨ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

تجتمع ملائكة الليل والنهار في صلاة الفجر وصلاة العصر قال: فيجتمعون في صلاة الفجر قال: فتصعد ملائكة الليل وتثبت ملائكة النهار قال: ويجتمعون في صلاة العصر قال: فتصعد ملائكة النهار وتثبت ملائكة الليل قال: فيسألهم ربهم: كيف تركتم عبادي؟ قال: فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون.

قال سليمان ـ وهو أحد رجال إسناد الحديث ـ: ولا أعلمه إلا قد قال فيه «فاغفر لهم يومَ الدين».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٢/٢٣٣، ٢٥٧، ٣١٢، ٣٤٤).

شرح المفردات من «فتح الباري»

١ ـ يتعاقبون: تأتي طائفة عقب طائفة ثم تعود الأولى عقب الثانية.

٢ ـ فيسألهم: قيل الحكمة فيه استدعاء شهادتهم لبني آدم بالخير، واستنطاقهم بما يقتضي التعطف عليهم، وذلك لإظهار الحكمة في خلق نوع الإنسان في مقابلة من قال من الملائكة ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال أني اعلم ما لا تعلمون**﴾ أي وقد وجد فيهم من يسبح ويقدس مثلكم بنص شهادتكم. (فتح الباري).

٣ ـ تركناهم وأتيناهم: قال ابن أبي جمرة: أجابت الملائكة بأكثر مما سئلوا عنه، لأنهم علموا أنه سؤال يستدعي التعطف على بني آدم فزادوا في موجب ذلك.

٤ ـ يصلون: يستفاد أن الصلاة أعلى العبادات لأنه عنها وقع السؤال والجواب.

ما يستفاد من هذا الباب

قال الإمام ابن حجر:

فيه الإشارة إلى عظم هاتين الصلاتين ـ صلاة الفجر والعصر ـ لكونهما تجتمع فيهما الطائفتان وفي غيرهما لا تجتمع إلا طائفة واحدة، والإشارة إلى شرف الوقتين المذكورين. وقد ورد أن الرزق يقسم بعد صلاة الصبح، وأن الأعمال ترفع آخر النهار، فمن كان حينئذٍ في طاعة بورك في رزقه وفي عمله والله أعلم.

ويترتّب عليه حكمة الأمر بالمحافظة عليهما والاهتمام بهما، وفيه تشريف هذه الأمة على غيرها، ويستلزم تشريف نبيها على غيرها.

وفيه إعلامنا بحب الملائكة لنا لنزداد فيهم حبًا ونتقرب إلى الله بذلك.

(٦) باب المحافظة على أوقات الصلاة

١/٨٩ ـ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: أما أنا فأشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

أتاني جبريلُ عليه السلام من عند الله تبارك وتعالى فقال: يا محمدُ إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال لك: «إني قد فرضتُ على أمتك خمس صلوات، من وافاهنَّ[1] على وضوئهن ومواقيتهن وسجودهن، فإن له عندك بهن عهدًا أن أُدخلَه بهن الجنةَ، ومن لقيني قد أنقصَ من ذلك شيئًا ـ أو كلمة نسيتها ـ فليس له عندك عهدٌ، إن شئتُ عذبتُه وإن شئتُ رحمتُه».

(صحيح لغيره) ـ أخرجه الطيالسي في مسنده (٥٧٣)، وغيره كما في سلسلة الصحيحة للألباني (٨٤٢). والحديث رواه عبادة في نفر من الصحابة ذكروا الوتر فقال بعضهم: واجب وقال بعضهم: سنة، فذكره.

٢/٩٠ ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ مرّ على أصحابه يومًا فقال لهم:

هل تدرون ما يقولُ ربكم عزَّ وجلَّ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قالها ثلاثًا: قال: «وعزَّتي وجلالي لا يصلِّيها عبدٌ لوقتها إلا أدخلته الجنةَ، ومن صلاَّها لغير وقتها إن شئتُ رحمْتُه، وإن شئتُ عذبتُه».

(حسن لغيره) ـ أخرجه الطبراني (جـ ١٠/ ١٠٥٥٥).

٣/٩١ ـ وعن أبي قتادة بن ربعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

قال الله عز وجل: «افترضتُ على أمتك خمسَ صلوات، وعهدتُ عندي عهدًا، أنه من حافظَ عليهن لوقتهن أدخلتُه الجنةَ، ومن لم يحافظْ عليهن فلا عهدَ له عندي».

(حسن لغيره) ـ أخرجه ابن ماجه في كتاب الإقامة باب ١٩٤.

٤/٩٢ ـ وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: بينما أنا جالس في مسجد رسول الله ﷺ مسندي ظهورنا إلى قبلة مسجد رسول الله ﷺ سبعة رهط؛ أربعة موالينا وثلاثة من عربنا إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ صلاة الظهر حتى انتهى إلينا فقال:

ما يُجْلِسُكُمْ ههنا؟ قلنا: يا رسول الله ننتظرُ الصلاةَ. قال فأرمَّ[2] قليلاً ثم رفع رأسه فقال: أتدرون ما يقول ربكم عز وجل؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال فإنَّ ربكم عزَّ وجلَّ يقولُ: «من صلَّى الصلاةَ لوقتها، وحافظَ عليها، ولم يضيعها استخفافًا بحقها فله عليَّ عهدٌ أن أدخلَه الجنةَ. ومن لم يصلِّ لوقتها، ولم يحافظْ عليها، وضيعها استخفافًا بحقها فلا عهدَ له، إنْ شئتُ عذبتُه، وإن شئتُ غفرتُ له».

(حسن لغيره) ـ أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ٢٤٤). والطبراني (جـ ١٩/ ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤).

شرح المفردات

١ ـ وافاهن: أدّاهن من غير نقص.

٢ ـ أرَمَّ: سكت.

المعنى

إن الذي يحافظ على تأدية الصلوات الخمس في أوقاتها المحددة لها أي أداءً ولم يتكاسل عنها ويؤخرها ويسوِّفها، فإنه يدل ذلك فيه على قوة الإيمان في قلبه، وشدة تعلقه وتمسكه بدينه ولذلك سيثيبه الله على محافظته على صلاته بأن يدخله الجنة يوم القيامة. أما أولئك الذين يتهاونون في صلواتهم ويلتهون عنها بمتاع الدنيا أو يعرضون عنها من أجل اللعب وتضييع الوقت بما لا يجدي، أو ينصرفون عنها كسلاً وإهمالاً ويؤخرونها عن وقتها ولا يقومون إليها إلا وهم كسالى، فهؤلاء قد تحلوا بسمات المنافقين الذين قال الله فيهم **﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾** [النساء: ١٤٢]. فهؤلاء سيعاقبهم الله سبحانه على تقصيرهم ذاك وعلى إعراضهم عن عبادة الله، وأمرهم موكول إليه عز وجل، فإن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم وغفر لهم.

(٧) باب فضل انتظار الصلاة بعد الصلاة

٩٣/١ ـ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: صلينا مع رسول الله ﷺ المغربَ فرجَعَ من رَجَعَ، وعقَّب[١] من عقَّب، فجاءَ رسول الله ﷺ مسرعًا قد حَفَزَه[٢] النَّفَسُ، وقد حَسَرَ عن ركبتيه، فقال:

أَبشروا؛ هذا ربكم قد فتحَ بابًا[٣] من أبوابِ السماء يُبَاهِي بكم الملائكةَ، يقولُ: «انظروا إلى عبادي قد قَضَوْا فريضةً، وهم ينتظرونَ أخرى».

(صحيح) ـ أخرجه ابن ماجه في كتاب المساجد باب ١٩

٩٤/٢ ـ وعنه رضي الله عنه قال: صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب، فعقب من عقب، ورجع من رجع، فجاء ﷺ وقد كاد يحسر ثيابه عن ركبتيه فقال:

أبشروا معشرَ المسلمين، هذا ربكم فتحَ بابًا من أبوابِ السماءِ يباهي بكم الملائكة يقول: «هؤلاء عبادي قضوا فريضةً، وهم ينتظرونَ أخرى».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (١٨٧/٢، ٢٠٨)

شرح المفردات

١ ـ عقَّب: بقي في المسجد ينتظر صلاة العشاء.

٢ ـ حَفَزَهُ النفس: أعجله.

٣ ـ بابًا: أي بابًا من الرحمة والفضل.

المعنى

هذه بشرى من الله سبحانه بشَّرَنا بها رسول الله ﷺ بحالة مثيرة وبصورة تدعو إلى الاشتياق، فقد جاء مسرعًا يتعجل في سيره حتى بلغ حدَّ الإرهاق وقصَّر به نفسه، وكلماته كلها تحمل معاني البشر والسرور والفرح، فقد فتح الله بابًا من أبواب رحمته، ويستعظم ما يتقدم به عباده من انتظار الصلاة بعد الصلاة، إشارة إلى عظيم رضاه عنه، وإلى كبير قبوله لما يفعلون، وفي هذا المعنى يقول الرسول ﷺ: «إنّ أحدكم إذا دخل المسجدَ كان في صلاة ما كانت الصلاة تحبُسُه، والملائكةُ يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه، ما لم يُحدثْ، ما لم يؤذِ فيه» رواه ابن ماجه في كتاب المساجد باب ١٩.

(٨) باب صلاة الليل

١/٩٥ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

عجب ربنا من رجلين؛ «رجل ثارَ عن وطائه ولحافه من بين حيِّه وأهله إلى صلاته، رغبةً فيما عندي، وشفقًا مما عندي، ورجل غزا في سبيل الله فانهزم مع أصحابه، فعلم ما عليه في الانهزامِ، وما له في الرجوع فرجعَ حتى أُهْرِيق دَمُهُ»، فيقول الله لملائكته: «انظروا إلى عبدي رجع رغبةً فيما عندي، وشفقًا مما عندي حتى أُهْرِيقَ دَمُه».

(حسن) ـ أخرجه البغوي في شرح السنة (جـ ٤/ ٩٣٠)، وأحمد (جـ ١/ ص ٤١٦)، وابن حبان (٦٤٣ ـ موارد)، والطبراني (جـ ١٠/ ١٠٣٨٣).

٢/٩٦ ـ عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال:

ثلاثةٌ يحبهم الله عز وجل: رجلٌ أَتى قومًا فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم، فمنعوه، فتخلَّفهم رجلٌ بأعقابهم فأعطاهُ سرًا لا يعلمُ بعطيته إلا اللهُ عزَّ وَجلَّ والذي أعطاه. وقومٌ ساروا ليلَتهم حتى إذا كان النومُ أحبَّ إليهم مما يُعْدَلُ به نزلوا فوضعوا رؤوسَهم [فقام

يتملقني ويتلو آياتي]. ورجلٌ كان في سريةٍ فلقوا العدو فانهزموا، فأقبلَ بصدره حتى يُقْتَلَ، أو يُفْتَحَ له.

(صحيح) ـ أخرجه النسائي في كتاب قيام الليل باب ٣؛ وأحمد (جـ ٥ ص ١٥٣)، والترمذي في كتاب صفة الجنة باب ٢٦.

٣/٩٧ ـ وقد ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنه في حديث رؤية رسول الله ﷺ ربَّه عز وجل في أحسن صورة قال في آخر الحديث قال: «... والدرجات بذل الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (١/٣٦٨) والترمذي في كتاب التفسير باب ٣٩.

٤/٩٨ ـ وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال:

عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ من رَجُلينِ: رَجُل ثَارَ عن وطَائِهِ ولِحَافِه من بَيْنِ أَهْلِهِ وَحيِّه إلى صَلاَتِه، فيقول ربُّنا: «أيا مَلاَئِكَتي انظروا إلى عَبدي، ثَارَ من فرَاشِهِ ووطَائِه، ومِنْ بين حَيِّه وأهلِهِ إلى صَلاَتِهِ، رَغْبةً فيما عندي، وشفَقَةً مما عندي، ورَجُلٍ غَزا في سبيل الله عَزَّ وجَلَّ، فانْهَزَمُوا فعلِمَ ما عَلَيْه من الفِرارِ، وما لَهُ في الرُّجُوعِ، فَرَجَعَ حتى أُهْرِيقَ دَمُهُ، رَغْبَةً فيما عندي، وَشَفَقَةً مما عنْدِي» «انظروا إلى عَبْدي، رَجَعَ رَغْبَةً فيما عِنْدِي، ورهبةً مما عندي، حتى أُهْرِيقَ دَمُهُ».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (١/٤١٦)، وابن حبان (٦٤٣) موارد.

٥/٩٩ ـ وعنه أيضًا قال: يضحك الله عز وجل إلى رجلين: رَجُلٍ لَقِيَ العَدُوَّ وَهُوَ على فَرَسٍ من أَمْثَلِ خيلِ أَصْحَابِهِ، فانْهَزَمُوا وَثَبَتَ، فإنْ قُتِلَ استُشْهِدَ، وإن بقِيَ فَذَلِكَ الَّذِي يَضْحَكُ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ، ورَجُلٍ قَامَ فِي جُوفِ اللَّيْلِ، لا يُعْلَمُ بِهِ، فَتَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ، ثُمَّ حَمِدَ الله، وَمَجَّدَهُ، وصلَّى عَلى النَّبِيِّ ﷺ، واستَفْتَحَ القرآن، فَذَلِكَ الَّذِي يضحكُ الله عَزَّ وَجَلَّ إليه يقول: **«انظُروا إلى عَبْدِي فإنَّمَا لا يَرَاهُ غَيْرِي»**.

(حسن لغيره) ـ أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٧٦١).

٦/١٠٠ ـ وعنه أيضا قال:

رَجُلاَنِ يضْحَكُ الله إليهما: رجُلٌ تحتهُ فرسٌ من أمثَلِ خَيْلِ أصْحابِهِ، فلقيهم العدو

فانهزموا، وثَبتَ الآخر؛ إن قُتِلَ قُتِلَ شهيدًا، فذلك يَضحك الله إليه، وَرَجُلٌ قامَ من اللَّيل، لا يَعْلَمُ بِهِ أحَدٌ، فأَسبَغَ الوضُوءَ، وصلَّى على مُحَمَدٍ ﷺ، وحَمِدَ الله، واستفْتَحَ القِراءةَ، فيضْحَكُ الله إلَيْهِ يقُول: «انظُرُوا إلى عَبْدِي لا يَرَاهُ أحدٌ غَيْرِي».

(حسن لغيره) ـ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (ج ٩/٨٧٩٨).

٧/١٠١ ـ وعنه أيضًا:

«ألا إنَّ الله يضحكُ إلى رجُلَيْن: رَجُلٍ قام في لَيْلَةٍ باردةٍ، من فراشِهِ ولِحَافِهِ ودثَارِه، فَتَوَضَّأ، ثم قَامَ إلى الصَّلاةِ، فيقولُ الله عزَّ وجلَّ لملائكته: «ما حَمَلَ عبدِي هَذَا على مَا صَنَعَ؟» فيقولونَ: ربَّنا رجاءَ ما عِندَكَ، وشفقةً ممَا عندكَ، فيقول: «فإنِّي قدْ أعْطَيْته مَا رَجَا وأمَّنْتُهُ مما يَخَافُ».

(حسن) ـ أخرجه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (ج ٢ ص ٢٥٥).

٨/١٠٢ ـ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«ثلاثَةٌ يُحِبُّهم الله، ويَضْحَكُ إليْهم، ويسْتَبْشِرُ بِهِم: الّذي إذا انكَشَفَتْ فِئَةٌ قاتَلَ وراءها بنفْسِهِ لله عَزَّ وَجَلَّ، فإمَّا أنْ يُقتَلَ، وإمّا أن ينصره الله عَزَّ وَجَلَّ ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صَبَرَ لي بنفسه؟ والذي له امرأة حَسَنَةٌ وَفِراشٌ ليِّنٌ حسنٌ، فيقومُ من الَّليلِ، فيقولُ: يَذَرُ شَهوَتَه وَيَذْكُرُني ولو شاءَ رَقَدَ، والّذي إذَا كانَ فِي سَفَرٍ وكان معه رَكْبٌ، فَسَهِرُوا ثم هَجَعُوا، فقام من السَّحَرِ في ضَرَّاء وسَرَّاء».

(حسن) ـ أخرجه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (جـ ٢ ص ٢٥٥) والترغيب والترهيب للمنذري (ج ١ ص ٥٥٦).

ملاحظة: لقد تمّ شرح هذه الأحاديث في كتاب الحرب باب (يعجب ربنا من الغازي ويضحك إليه).

(٩) باب فائدة النوافل يوم القيامة

١/١٠٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

إن أوَّلَ ما يُحَاسَبُ به النَّاسُ يوم القيامة من الصَلاةِ. قال: يقولُ ربُّنَا عزَّ وجلَّ لملائكته وهو أعلَمُ: «انظُروا في صَلاةِ عَبْدِي أتَمَّها أم نقَصَها؟» فإن كانت تامَّةً كُتِبَتْ له

تَامَّةً. وإنْ كانَ انتَقَصَ مِنْها شَيْئًا. قال: «انظرُوا هَلْ لِعَبْدِي من تَطَوُّعٍ؟» فإن كان لهُ تَطَوُّعٌ قال: «أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِه»، ثم تُؤْخَذُ الأَعْمالُ عَلى ذَلِكُمْ.

قال [يونس]: وأحسبه قد ذكر النبي ﷺ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (٤/ ٦٥) (٥/ ٧٢) وأبو داود في كتاب الصلاة باب ١٤٩. النسائي في كتاب الصلاة باب ٩.

[يونس]: هو ابن عبيد أحد رجال إسناد هذا الحديث.

٢/١٠٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ يرويه عنه حريث بن قبيصة قال: قدمت المدينة، فقلت: اللهم يسر لي جليسًا صالحًا. قال: فجلست إلى أبي هريرة فقلت: إني سألت الله أن يرزقني جليسًا صالحًا فحدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لعل الله أن ينفعني به ـ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إنَّ أَوَّلَ ما يُحَاسَبُ به العَبْدُ يوْمَ القيامةِ من عَمَلهِ صلاتُه، فإن صلحتْ فقد أفْلَحَ وأنجحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خَابَ وخَسِرَ فإن انتقصَ من فريضَتِهِ شيءٌ قال الربُّ عزَّ وجلَّ: «انظُروا هل لِعَبْدِي من تَطَوُّعٍ؟ فَيُكَمَّلُ بها ما انتقص من الفريضَةِ»، ثم يكونُ سائِرُ عملِهِ على ذَلِكَ.

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب الصلاة باب ١٨٨، ١٨٩، والنسائي في كتاب الصلاة باب المحاسبة على الصلاة.

٣/١٠٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه: إن أولَ ما يحاسبُ به العبد صلاتُه، فإن صلحت صلحَ سائرُ عمله، وإن فسدت فسدَ سائرُ عمله، ثم يقول: «انظروا هل لعبدي من نافلة؟» فإن كانت له نافلةٌ أتمَّ بها الفريضة، ثم الفرائض كذلك لعائدة الله ورحمته.

(حسن) ـ أخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال (جـ ٧/ ١٨٨٨٨).

٤/١٠٦ ـ عن تميم الداري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

أولُ ما يحاسبُ به العبدُ يوم القيامة صلاتُه، فإن أكملها كُتبت له نافلة فإن لم يكن أكملها قال الله سبحانه وتعالى لملائكته: «انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع؟ فأكملوا بها ما ضَيّع من فريضته»، ثم تؤخذُ الأعمالُ على حَسَبِ ذلك.

(صحيح) ـ أخرجه ابن ماجه في كتاب الصلاة باب ٢٠٢، وأحمد (جـ ٤ ص ١٠٣).

٥/١٠٧ ـ عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

إنَّ أولَ مَا افترَضَ الله على النَّاس من دينهم: الصلاةُ، وآخِر ما يبقَى الصَّلاة، وأول مَا يُحاسبُ به الصَّلاةُ، ويقول الله: **«انظُروا في صَلاةِ عَبْدي»**؛ فإنْ كانتْ تَامَّة كُتِبتْ تَامَّةً وإن كانت ناقصةً يقول: **«انظُرُوا هل لِعَبْدِي من تَطَوّعٍ؟»** فإن وُجِد له تطوعٌ تَمَّت الفريضةُ من التطّوعِ ثم قال: **«انظُرُوا هَلْ زكاتُهُ تَامَّةٌ؟»** فإن كانتَ تَامَّةً كُتِبتْ تَامَّةً وإن كانتْ ناقِصَةً. قالَ: **«انظروا هل له صَدَقَةٌ؟»** فإن كانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ تَمَّتْ له زكاتُهُ.

(حسن) ـ أخرجه أبو يعلى كما في الترغيب والترهيب (ج ١ ص ٣١٤).

ملاحظة: لقد تمّ شرح هذه الأحاديث بمستوفى في كتاب القيامة باب (أول ما يحاسب عليه العبد).

(١٠) باب فضل صلاة الضحى

١٠٨/ ١ ـ عن أبي مُرَّة الطائفي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: قال الله عز وجل:

«ابنَ آدمَ صلِّ لي أربعَ ركعاتٍ من أولِ النهار أكفِكَ آخرَهُ».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (ج ٥ ص ٢٨٧).

١٠٩/ ٢ ـ وعن أبي الدرداءِ وأبي ذرٍ رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ:

عِن الله عز وجل أنه قال: **«ابنَ آدمَ اركعْ لي من أولِ النهار أربعَ ركعاتٍ أكْفِكَ آخرَه»**.

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب أبواب الصلاة باب ١٥.

١١٠/ ٣ ـ وعن أبي الدرداءِ أن النبي ﷺ قال:

إن الله عز وجل يقول: **«ابنَ آدمَ لا تَعجَزْ من أربعِ ركعاتٍ أولَ النهارِ أكْفِكَ آخرَه»**.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (ج ٦ ص ٤٥١).

١١١/ ٤ ـ وعن نعيم بن همار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

يقول الله عز وجل: **«يا بنَ آدمَ لا تُعجزني من أربعِ ركعاتٍ في أول نهارك أكْفِكَ آخره»**.

(صحيح) ـ أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب ١٢.

٥/١١٢ ـ وعن عُقْبَة بنِ عامرٍ الجُهَنيِّ رضي الله عنه عن رسول الله قال:

إن الله عز وجل يقول: **«يا بنَ آدم اكفني أول النهار بأربعِ ركعاتٍ أكفك بهنَّ آخرَ يومك»**.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ١٥٣، ص ١٥٤).

المعنى

تركز هذه الأحاديث القدسية على فضل صلاة الضحى، الصلاة النافلة التي تُصَلى بعد طلوع الشمس إلى ما قبل دخول وقت الظهر. إن الله سبحانه وجلَّت قدرته ينادي عباده من بني آدم عليه السلام أن يسارعوا ولا يتقاعسوا ولا يتأخروا ولا توهمهم أنفسهم بالعجز والهوان والضعف، بل عليهم بأن يبادروا ويسارعوا إلى خير عميم، ونفع كبير وعظيم، وهو الثواب الكبير الذي سوف ينالونه من ربهم تبارك وتعالى إذا هم أدُّوا أربعَ ركعات الضحى في أولِ النهار، فإذا فعلوا كان الله لهم ومعينهم وناصِرهم وكفاهم حاجاتهم وقضى لهم كل طلباتهم في ذلك اليوم كله.

فطوبى لمن وفقه الله سبحانه لهذا الخير الكبير، ونسأل الله أن يجعلنا منهم إنه سميع مجيب.

(١١) باب فضل سورة الفاتحة

١/١١٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

من صلى صلاةً لم يَقْرأ فيها بأُمِّ القُرآنِ فهي خِدَاجٌ ـ ثلاثًا ـ غَيرُ تمامٍ.

فقيل لأبي هريرة: إنا نكونُ وراء الإِمام فقال: اقرأ بها في نَفْسِك فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ:

قال الله تعالى: **«قَسَمْتُ الصلاةَ**[1] **بيني وبين عَبْدي نصْفَيْنِ ولِعَبْدي ما سَأَلَ»**. فإذا قَالَ العَبْدُ: الْحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ. قال الله تعالى: **«حَمدَني عَبْدِي»**. وإذا قال الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ. قال الله تَعالى: **«أثْنَى علي عَبْدي»**، وإذا قال: مَالِكِ يومِ الدِّينِ: قال: **«مَجَّدَنِي عَبْدِي»**. (وقال مرة: **«فَوَّضَ إليَّ عبدي»**). فإذا قال: إياكَ نَعْبُدُ وإياكَ نَسْتَعِينُ. قال: **«هَذَا بَيْني وبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي ما سَأَلَ»**. فإذا قال: اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ صراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم غير المَغْضُوبِ عَلَيْهِم ولا الضَّالين. قال: **«هذا لِعَبْدِي وَلِعبدِي ما سَأَلَ»**.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الصلاة حديث ٣٨، والترمذي في كتاب التفسير باب ٢، وابن ماجه في كتاب الأدب باب ٥٢.

٢/١١٤ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج غير تمام.

قال أبو السائب: أكون أحيانًا وراء الإمام فقال أبو السائب: فغمز أبو هريرة ذراعي. فقال: يا أعرابي اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

قال الله: **«قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْن، فنِصْفُها لِي ونصْفُها لِعَبْدي ولِعَبْدِي ما سأَلَ»**. قال رسول الله ﷺ: اقرأ. يقُوم العَبْدُ فيقولُ: الحَمدُ لله رَبِّ العَالِمينَ. فيقول الله: **«حَمِدَنِي عَبْدِي»**. ويقول العبدُ: الرَّحْمَن الرَّحيم. فيقول الله: **«أثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي»**. ويقولُ العَبدُ: مالك يَوْمِ الدِّينِ. فيقولُ الله: **«مَجَّدَنِي عَبْدِي»**. وقال: **«هَذِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي»**. فيقولُ العَبدُ: إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ. فيقولُ الله: **«أجرها لِعَبْدِي ولهُ ما سألَ»**. يقولُ العبد: اهْدِنَا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ. إلى آخر السورة. يقول الله: **«هَذا لِعَبدِي، ولَهُ ما سألَ»**.

(صحيح) ـ ومن طريقه مسلم في كتاب الصلاة حديث ٤٠.

[أبو السائب] هو مولى بني عبد الله بن هشام بن زهرة راوي هذا الحديث عن أبي هريرة. يعرف بكنيته، ولا يعرف اسمه وهو ثقة.

٣/١١٥ ـــ وعن أبي هريرة عن أبي بن كعب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ما أنزل الله عز وجل في التوراة ولا في الإنجيل مثلَ أُمِّ القرآن، وهي السبعُ المثاني(٢)، «وهي مقسومةٌ بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سألَ».

(صحيح) ـ أخرجه النسائي في كتاب الافتتاح باب ٣.

شرح المفردات

١ ـ الصلاة: الفاتحة، وسميت بالصلاة لأنها الأصل والأساس في فريضة الصلاة.

٢ ـ السبع المثاني: السبع أي هي سبع آيات. والمثاني أي تُكرر وتُعاد في كل ركعة.

كتاب الزكاة

(١) باب فرض الزكاة

١١٦/١ - عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: كنا نأتي النبي ﷺ إذا أنزل عليه فيحدثنا فقال لنا ذات يوم:

إن الله عز وجل قال:

«إنا أنزلنا المالَ لإقام الصلاةِ وإيتاءِ الزكاة، ولو كان لابن آدمَ وادٍ لأحبَّ أنْ يكونَ له ثانٍ، ولو كان له واديان لأحبَّ أن يكون إليهما ثالثٌ، ولا يملأ جوفَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ ثم يتوبُ الله على من تابَ».

(صحيح) أخرجه أحمد (جـ ٥ ص ٢١٨) وصححه العراقي في تخريج الإحياء والألباني في صحيحه.

ملاحظة: لقد تمّ شرح هذا الحديث في كتاب الأموال باب (حبُّ ابن آدم للمال).

(٢) باب الترهيب من عدم تادية الزكاة

١١٧/٢ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

ما مِنْ صَاحِبِ إبِلٍ لا يَفْعَلُ فيها حقَّها[١]، إلا جاءتْ يومَ القيامةِ، أكثرَ ما كانَتْ قَطُّ، وأُقْعِدَ لهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ[٢]، تَسْتَنُّ[٣] عليه بِقَوائِمِها وأَخْفافِها، ولا صَاحِبِ بقرٍ لا يَفْعَلُ فيها حَقَّها، إلا جاءتْ يوم القيامة، أكثرَ مَا كانَتْ، وأُقْعدَ لها بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، تَنْطَحُهُ بقرونها، وتَطَؤُه بقَوَائِمِهَا، ولا صَاحِبِ غَنَمٍ لا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّها، إلا جاءتْ يومَ القيامةِ، أكثرَ ما كَانَتْ وأُقْعِدَ لها بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، تَنْطَحُهُ بقُرُونِها، وتَطَؤُهُ بأَظْلافِها، ليسَ فِيها جَمَّاءُ[٤] ولا مُنْكَسِرٌ قَرْنُها، ولا صاحِبِ كنزٍ لا يفعَلُ فيه حقَّهُ، إلا جاء كنزُهُ يومَ القِيامةِ شُجَاعًا[٥] أَقْرَعَ، يَتْبَعُهُ فاغِرًا فَاهُ[٦]، فإذا أتاهُ فَرَّ مِنه فيناديه ربُّه: «خُذْ كَنزَكَ الَّذِي خَبَّأْتَهُ فَأَنَا عَنْهُ أَغْنَى مِنْكَ». فإذَا رَأَى أَنَّهُ لا بُدَّ له مِنْهُ، سَلَكَ يَدَهُ فِي فِيه فَقَضَمَهَا قَضْمَ الفَحْلِ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٣ ص ٣٢١)، وبنحو معناه من الحديث النبوي أخرجه مسلم في كتاب الزكاة حديث ٢٧، والنسائي في كتاب زكاة الغنم باب ١.

شرح المفردات

١ ـ لا يفعل فيها حقها: لا يؤدي زكاتها.

٢ ـ بقاعٍ قرقر: القاع هو المكان المستوي من الأرض. والقرقر هو الأملس.

٣ ـ تسْتَنُّ: تجري عليه بقوة.

٤ ـ جمّاء: هي الشاة التي لا قرن لها.

٥ ـ شجاعًا أقرع: الشجاع هو الذكر من الحيات. والأقرع الذي تمشّط شعر رأسه وذهب من كثرة سُمِّه.

٦ ـ فاغرًا فاه: فاتحًا فَمَهُ.

المعنى

هكذا يفعل الله يوم القيامة بكل من تقاعس عن فريضة الزكاة ولم يؤدّها، تأتي جماله وبقره وغنمه بأكثر أعدادها وتجري عليه بقوة وشدة وإيلام في أرض مستوية ملساء إشارة إلى تسهيل تعذيبها لهم فتطؤهم بأظلافها وأخفافها وتنطحهم بقرونها، والشاة التي كانت عنده جماء لا قرون لها، ففي يوم القيامة يكون لها قرون، زيادة في العذاب والنكاية.

وكذلك صاحب المال يُمثَّلُ له حية كبيرة مسمومة من أشد الحيتان سمًا وأذى وهو الشجاع الأقرع، فيلحقه فاتحًا فمه ليعَضّه وينهش من لحمِه ويصيح به قائلاً تعال إليَّ، أنا كنزك، أنا مالك الذي كنت تخبئه وتمنعه عن الفقراء والمحتاجين ولا تعطي فيه حق الله سبحانه من الزكاة، كل ذلك وصاحبه يفر منه ويهرب، ولكن إلى أين؟ وحينها يستسلم مانع الزكاة لذلك الشجاع الأقرع فيعثر فيه نهشًا وقضمًا وتقطيعًا، نعوذ بالله سبحانه من ذلك العذاب.

كتاب الصوم

(١) باب الصيام سر الإخلاص

١١٨/ ١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«كُلُّ عَملِ ابنِ آدمَ لَه، إلاَّ الصومَ فإنَّه لي، وأنا أَجْزِي به، ولَخُلُوفُ[١] فَمِ الصَائِمِ أطيبُ عندَ الله مِن رِيحِ المِسْكِ».

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب ٢ ومسلم في كتاب الصيام حديث ١٦٤، ١٦٥.

١١٩/ ٢ ـ وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ:

قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: «كل عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ، إلا الصِّيامَ هُوَ لِي، وأَنَا أَجْزِي بِهِ، والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّد بيَدِهِ لَخُلْفَةُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِندَ الله مِنْ رِيحِ المِسْكَ».

(صحيح) ـ أخرجه النسائي في كتاب الصيام باب ٤١، ٤٢.

١٢٠/ ٣ ـ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:

والَّذي نفسُ محمَّد بيدِهِ لَخُلُوفُ فم الصَّائِمِ أَطْيبُ عِنْدَ الله من ريحِ المِسْك **«يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعامَهُ وشَرَابَهُ من جَرَّاي[٢]، فالصِّيامُ لِي وأَنَا أَجْزِي بِهِ».**

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (١/ ٤٤٦) (٢/ ٢٣٢) (٣/ ٥، ٤٠).

شرح المفردات

١ ـ لخلوف: تغير رائحة فم الصائم حيث تصبح كريهة لخلو المعدة من الطعام.

٢ ـ من جرّاي: من أجلي وفي سبيل مرضَاتِي.

المعنى

لما كان الصائم يقلع عن الطعام والشراب فإن رائحة فمه لا شك ستتغير وستصبح نوعًا ما كريهة ربما انزعج منها الناس، ولكيلا يكون الصائم تهمة لهذا الانزعاج والاشمئزاز

من الناس بسبب رائحة فمه، جعلها الله سبحانه وتعالى أطيب من أطيب ريح يستعمله الإنسان ليتطيب به وليكون أنيقًا بين الناس وهو عطر وريح المسك.

أما لماذا قال «الا الصوم فإنه لي» مع أننا نعلم أن كل الطاعات من صلاة وزكاة وحج وصدقة إلى غيرها هي لله سبحانه وتعالى أيضًا، فلماذا خصَّ الله الصيام بهذه الخاصية وميّزه عن غيره من العبادات بهذه المزية؟.

اعلم ـ حفظنا الله وإياك ـ أن الصلاة عبادة ظاهرة يطلع عليها الناس ويرونها، ولما كان الناس يطلعون عليها من المصَلي ويَرونها منه وهو يؤَديها، فإنها تبقى عرضة للمدح والثناء منهم، مما يسهل لعملية الرياء ولمرض العجب والكبر أن يدخلا في نفس المصلي، فينزلق في هذه الأمراض الباطنة المفسدة ويقع في الرياء شر ذنب وأخطر معصية. وكذلك هي الحال مع الحج والصدقات والزكاة وغيرها من العبادات. أما الصيام فهو عبادة باطنية لا يحس بها إلا صاحبها، ولا يشعر بجهدها وتعبها ومشقتها إلا الصائم نفسه، وبالتالي هو بعيد عن مدح الناس وثنائهم وتعظيمهم لأنه ما رأينا أحدًا يقول ما أعظم صيام فلان ولا من يقول ما أكثر ما يجهد فلان بصيامه لأن هذه المشقة لا يشعر بها أحد ولا يراها أحد بخلاف الصلاة والحج والزكاة، فإنه بإمكان الناس أن يقولوا ما أجمل صلاة فلان، وما أكثر كرم هذا المزكى، وما أشد خشوع هذا الحاج وهو يطوف أو يسعى، لأنهم يرون كل تلك الأعمال، وهذا المدح وهذا الثناء هما اللذان يؤثران على العبد بالنسبة لإخلاصه العمل، وكذلك إحساسه بأنهم يرونه ويرقبونه أيضًا يؤثر عليه وعلى إخلاصه في طاعة الله بخلاف الصيام فإن أحدًا لا يراه، وإن أحدًا لن يمدحه ولن يثني عليه، ولذلك كان الصيام سر الإخلاص لله تعالى، وأهم شيء في دين الله هو الإخلاص له عز وجل.

(٢) باب للصائم فرحتان

١/١٢١ ـ عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ:

إنَّ الله عزَ وجلَّ يقولُ: «إنَّ الصومَ لي، وأَنَا أَجْزِي به»، إنَّ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَيْنِ، إذَا أفطَرَ فَرِحَ، وإذَا لَقِيَ الله فرِحَ، والَّذِي نفسُ محمدٍ بيده لخلوفُ فمِ الصائِمِ أطيبُ عندَ الله من ريح المسْكِ.

(صحيح) أخرجه مسلم في كتاب الصيام حديث ١٦٥ وفي رواية له: «إذا لقي الله فجزاه فرح» كما أخرجه أحمد (جـ ٣ ص ٥)، والنسائي في كتاب الصيام باب (٤١، ٤٢).

٢/١٢٢ ـ وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

إن الله تبارك وتعالى يقول: **«الصومُ لي وأنا أجزي به»**، وللصائم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربه، والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيبُ عند الله من ريحِ المسكِ.

(صحيح لغيره) ـ أخرجه النسائي في كتاب الصيام باب ٤١، ٤٢.

المعنى

هذان الحديثان لهما نفس الموضوع، في الباب السابق، غير أنهما يشيران إلى فرحتين للصائم يفرحهما وهذا ما يشعر به كل صائم منا، فالفرحة الأولى هي عند السماح له بالطعام والشراب عند غروب الشمس من كل ليلة من رمضان. وهذا ما تُسَرُّ له كل نفس، أو هي فرحة عيد الفطر المبارك حيث ينتهي الصائم من صيام شهر رمضان ويفرح لمعونة الله له على ذلك. أما الفرحة الثانية فهي في يوم القيامة عندما يجد ثواب صيامه في صحائفه مسجلاً وهو ينتظر رحمة الله وجزاءه عليه الذي وعده به وهو الجنة حيث النعيم الخالد والمقيم.

(٣) باب ثواب الصائم لا يعلمه إلا الله تعالى

١٢٣/ ١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

كُلّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ يُضَاعفُ، الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا، إلى سَبْعِمائةِ ضِعْف، قَالَ الله عزَّ وجلَّ: **«إلا الصومَ، فإنَّه لِي، وأنا أجزِي به، يَدَعُ شَهوَتَه وَطَعَامَهُ من أجلِي»**، للصَائِمِ فَرْحَتانِ: فَرْحَةٌ عند فِطْرِهِ، وفَرْحَةٌ عِند لِقاء رَبِّه، وَلَخُلُوفُ فِيه أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ المِسْكِ.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الصيام حديث ١٥٩ وبنحوه النسائي في كتاب الصيام باب ٤١، ٤٢، وابن ماجه في كتاب الصيام باب ١.

١٢٤/ ٢ ـ وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَم الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ المِسْكِ، **«إنَّمَا يَذَرُ شَهوَتَه وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي؛ فَالصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ إلاَّ الصِّيامَ فَهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»**.

(صحيح) ـ أخرجه مالك في الموطأ (الصيام ـ باب جامع الصيام حديث ٥٧)، والبيهقي (جـ ٤ ص ٣٠٤).

١٢٥/٣ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: «كُل عمل ابن آدَمَ لَهُ، الحسنةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ إلا الصيامَ، هُوَ لِي وأَنَا أَجْزِي بِهِ».

(صحيح) أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ٥٠٣).

١٢٦/ ٤ ـ وعنه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال:

«الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِها، والصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَلَخُلُوفُ فَم الصَّائِمِ أَطيَبُ عِنْدَ الله من رِيحِ المِسْكِ».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ٥١٦).

١٢٧/ ٥ ـ وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«كُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُها ابنُ آدَمَ فَلَهُ عَشرُ أَمْثَالِها إلاَّ الصِّيامَ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ».

(صحيح) ـ أخرجه النسائي في كتاب الصيام باب ٤١، ٤٢.

١٢٨/ ٦ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«كُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُها ابنُ آدَمَ تُضَاعَفُ عَشرًا، إِلَى سَبْعِمَائَةَ ضِعْف، إلاَّ الصِّيام فَهُوَ لِي، وأَنا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، وَيَدَعُ طَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي» فَرْحتانَ لِلصَّائِمِ، فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِه، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاء رَبِّه عَزَّ وَجَلَّ، ولَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ المِسْكِ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ٤٨٠).

١٢٩/ ٧ ـ وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ، الحَسَنَةُ بِعَشرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ الله: «إلاَّ الصِّيامَ فَهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بهِ. يَدَعُ الطَّعَامَ مِنْ أَجْلِي، وَيَدَعُ الشَّرابَ مِنْ أَجْلِي، وَيَدَعُ لَذَّتَه مِنْ أَجْلِي، وَيَدَع زوجته من أَجْلِي»، وَلَخُلُوفُ فَم الصَائِمِ أَطيَبُ عِند الله من ريحِ المِسْكِ، وللصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فرحةٌ حين يُفْطِر، وفرحة عِندَ لِقَاءِ رَبِّهِ.

(صحيح) ـ أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (جـ ١٨٩٧/٣).

١٣٠/ ٨ ـ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

إنَّ الله عزّ وجلّ جَعَلَ حسنَة ابن آدَمَ بعشْرِ أَمْثَالِهَا، إلى سَبْعِمَائَةِ ضِعْف «**إلا الصَّومَ، والصَّومُ لي، وأَنَا أَجْزِي بِهِ**» وللصَّائِمِ فَرْحَتانِ؛ فَرْحةٌ عِند إِفْطَارِه، وفَرْحَةٌ يومَ القيَامَةِ، ولَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عند الله من رِيحِ المِسْكِ.

(صحيح لغيره) ـ أخرجه أحمد (١/٤٤٦).

٩/١٣١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل قال:

«**لكل عمل كفارة، والصومُ لي وأنا أجزي به**»، ولخلوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عندَ اللهِ من ريح المسك.

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ٥.

المعنى

وهذه الأحاديث أيضًا هي كسابقاتها غير أنها تشير إلى أن ثواب الصائم عند الله غير محدد، فإذا كانت كل حسنة بعشر أمثالها، ومنها ما يصل إلى سبعمائة ضعف، فإن ثواب الصوم لم يحدده الله سبحانه بل قال «وأنا أجزي به» والملك الغني الكريم عندما يعد بشيء ولا يحدد عدده وقدره فمعنى ذلك أنه كثير وكبير وعظيم، لأن تخيل الكرم يكون على قدر ومكانة الكريم، فإذا كان الكريم هو الله تبارك وتعالى، فلا شك أن يكون تخيلك في هذا الكرم عظيمًا.

(٤) باب الصوم جُنَّة

١/١٣٢ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

يقولُ الله عزَّ وجلَّ: «**الصَّومُ لي وأَنَا أَجزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَه وأَكْلَهُ وشُرْبَهُ من أجلي**»، والصَّوْمُ جُنَّةٌ، وللصَّائِمِ فَرْحَتَانِ؛ فَرْحَةٌ حينَ يُفطِرُ، وفَرْحَةٌ حين يَلْقَى رَبَّه، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطَيبُ عِنْدَ الله مِنْ ريح المِسْكِ.

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ٣٥.

٢/١٣٣ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«**كلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ إلاّ الصِّيامَ، فَهُوَ لِي وأنا أَجْزِي بِهِ**»، والَّذِي نَفْسِي بِيَده لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَب عندَ الله يومَ القِيَامَةِ مِن ريحِ المِسْكِ، والصِّيامُ جُنَّةٌ، وللصائِمِ فَرْحَتانِ يفرحهما: إذا أَفطَرَ فَرِحَ، وإذَا لَقِيَ رَبَّهُ عزّ وجلّ فَرِح بصَوْمِهِ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ٥١٦)، وابن خزيمة (جـ ٣ ص ١٩٦).

٣/١٣٤ ـ وعن جابر عن النبي ﷺ قال:

«إنّما الصِّيَامُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بها العَبْدُ من النّار، هُوَ لِي وأنَا أَجْزِي بِهِ».

(حسن) ـ أخرجه أحمد (جـ ٣ ص ٣٩٦).

٤/١٣٥ ـ وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال:

«الصيامُ جنةٌ وهو حصنٌ من حصونِ المؤمنِ وكل عملٍ لصاحبه والصيام لي وأنا أجزي به».

(حسن لغيره) ـ أخرجه الطبراني (جـ ٨/٧٦٠٨).

٥/١٣٦ ـ وعن بشير بن الخصاصية عن النبي ﷺ قال:

قَالَ رَبُّكُمْ: «الصومُ جُنَّةٌ مِن النّارِ، وَلِي الصَّومُ وأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وشَرَابَهُ مِنْ أجلِي»، لَخُلُوفُ فِي الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِن رِيحِ المِسْكِ.

(صحيح لغيره) ـ أخرجه البغوي وعبدان والطبراني في الكبير والضياء المقدسي كما في الإتحافات (١٢٥، ١٢٨) وفي كنز العمال (جـ ٨/٢٣٦٢٦).

٦/١٣٧ ـ وعن بشير بن الخصاصية وعن أبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يروي عن ربه تعالى:

«الصوم جُنّةٌ يَجُنُّ بها عبدي من النار، والصوم لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشهوته من أجلي»، والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم عند الله عز وجل يوم القيامة أطيب من ريح المسك.

(صحيح لغيره) ـ أخرجه الطبراني في الكبير (جـ ٢/١٢٣٥)، وانظر مجمع الزوائد للهيثمي (جـ ٣ ص ١٨٠).

المعنى

وأيضًا هذه الأحاديث تحمل ذات الموضوع في الأبواب السابقة ولكنها تزيد عليها بتحديد الصيام بأنه جُنّة أي وقاية وستر، ولك في معنى الوقاية هذا أن تجعله بمعنى يقي الصائم ويحميه من الشهوات والوقوع في المعاصي، ولك أن تجعله بمعنى يقيه ويحميه من نار جهنم يوم القيامة ولذلك قال الله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾** [البقرة: ١٨٣].

(٥) باب أخلاق الصائم

١٣٨/ ١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

الصِّيامُ جُنَّةٌ فلا يَرْفُثْ[1] وَلاَ يَجْهَلْ، وإنْ امرُؤٌ قَاتَلهُ أو شاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إنِّي صَائِمٌ. مرتين. والَّذي نفسي بِيَدِه لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عندَ الله تعالى مِنْ ريحِ المِسْكِ. «يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي. الصِّيَامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، والْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب ٢.

١٣٩/ ٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

قال الله: «كُل عملِ ابنِ آدَمَ لَهُ، إلاّ الصِّيَامَ فإنّه لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»، والصِّيامُ جُنَّةٌ، وإذَا كَانَ يومُ صومِ أَحَدِكُم فلا يَرْفث، ولا يَصخَبْ، فَإنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إنِّي امرُؤٌ صَائِمٌ، والَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِن ريحِ المِسْكِ. للصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفرَحهمَا؛ إذا أَفْطَرَ فَرِحَ، وإذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب ٩، ومسلم في كتاب الصيام حديث ١٦٣.

١٤٠/ ٣ ـ وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

إنَّ رَبَّكُم يَقُولُ: «كُلُّ حَسَنَة بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمائَةِ ضِعْف، والصَّوْمُ لِي، وأَنَا أَجْزِي بِهِ»، الصَّومُ جُنَّةٌ من النَّارِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِند الله مِنْ ريح المِسْكِ، وإنْ جَهِلَ عَلَى أَحَدِكُم جَاهِلٌ وَهُوَ صَائِمٌ فَلْيقُلْ إنّي صَائِمٌ.

(صحيح لغيره) أخرجه الترمذي في كتاب الصوم باب ٥٥.

١٤١/ ٤ ـ وعنه أيضًا عن رسول الله ﷺ قال:

قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «الصِّيَامُ لِي، وأَنَا أَجْزِي بِهِ»، وبِمَخْلُوفِ[2] رَسُوْلِ الله ﷺ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ عندَ الله أَطْيَبُ من رائِحَةِ المِسْكِ، فَأَيُّما امرِىءٍ مِنْكُمْ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلاَ يَرْفُثْ، ولاَ يَجْهَلْ، وإنْ إنسانٌ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إنِّي صَائِمٌ، فإنَّ لَهُمْ يومَ القِيَامَةِ حَوْضًا ما يَرِدهُ غيْرُ الصُّوَّامِ.

(صحيح لغيره) ـ أخرجه البزار (جـ ١/ ٩٦٥).

٥/١٤٢ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

يقول الله عزّ وجلّ: «من لم يُصِمْ[٣] جوارحَهُ عن محارمي فلا حاجةَ لي في أن يدعَ[٤] طعامه وشرابه من أجلي».

(صحيح لغيره) ـ أخرجه أبو نعيم كما في الإتحافات السنية (١٧١).

شرح المفردات

١ ـ فلا يرفُثْ: أي يمتنع عن الجماع ومقدماته من نظر ومسّ ومداعبة وغيرها.

٢ ـ وبمحلوف: أي بالذي يحلف به رسول الله ﷺ وهو قوله «والذي نفس محمد بيده».

٣ ـ لم يُصِمْ جوارحَه: أي يمسكها ويمنعها عن الوقوع في الحرام.

٤ ـ فلا حاجة لي في أن يدع: ليس معناه أن يدع الصيام وإنما معناه التحذير من فعل الحرام.

المعنى

هي نفس الأحاديث التي سبقتها، لكنها تحدد أخلاق الصائمين وما يجب أن يتحلوا به من الصبر وتحمل جهل الجاهلين لأن الصائم ربما فقد شيئًا من صبره بسبب عطشه وجوعه وتعبه ولذلك يجب عليه أن يكون حريصًا على ثوابه لئلا يخسره في صراعه وقتاله ومخاصماته مع الناس، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ «من لم يَدَعْ قولَ الزور والعملَ به، فليس لله حاجة في أن يَدَعَ طعامه وشرابه» رواه البخاري حديث رقم (١٩٠٣).

(٦) باب (الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر...)

١/١٤٣ ـ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:

الطاعمُ الشاكرُ مثل الصائمِ الصابرِ، قال رسول الله ﷺ قال الله: «كلُّ عملِ ابن آدم له إلا الصومَ فإنه لي وأنا أجزي به، يدع الطعامَ والشرابَ وشهوته من أجلي».

(صحيح) ـ أخرجه ابن خزيمة في صحيحه(جـ ١٨٩٨/٣).

(٧) باب استحباب التعجيل بالفطر

١/١٤٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

قال الله عز وجل: «**أحبُّ عبادي إليّ أعجلُهم فطرًا**».

(**صحيح لغيره**) ـ أخرجه الترمذي في كتاب الصوم باب ١٣.

المعنى

إنّ أحب عباد الله الصائمين إليه سبحانه هم الذين يستعجلون بالإفطار من صيامهم متى تحققوا من غروب الشمس، وليس معناه أن يتعجلوا بالإفطار من غير يقين بغروب الشمس وإلا خسروا صيامهم وتجب عليهم الإعادة. ومن السنة أن يتناول الصائم عند إفطاره شيئًا من التمر ثم يقوم إلى صلاة المغرب ثم يعود لتناول عشائه.

(٨) باب دعوة الصائم لا تُردُّ

١٤٥/١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

ثلاثة لا تُرَدُّ دعوتُهم: الصائم حتى يفطَر، وإمامٌ عدلٌ، ودعوةُ المظلوم، يرفعها الله فوقَ الغمام، ويفتح لها أبواب السماواتِ، فيقول الربُّ عزَّ وجلَّ: «**وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين**».

(**حسن**) ـ أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (جـ ٣/ ١٩٠١).

المعنى

كل الدعاء يستجيبه الله تعالى إذا كان صاحبه مخلصًا مخبتًا صالحًا وتقيًا، لكنه لما كان هؤلاء الأصناف الثلاثة لهم ميزة وخصوصية في صبرهم كالصائم، وفي تحقيق الخير والاطمئنان للناس كالإمام العادل، وفي تحمل الآلام والتسلط الجائر كما يفعل المظلوم، كان الدعاء منهم مقبول ومستجاب أكثر من غيرهم، بل إن دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام إشارة في ذلك إلى تقديرها وعظمتها واعتناء الله بها، ثم يقسم بعزته العلية أنه سينصرها وسيستجيب لصاحبها.

كتاب الحج

(١) باب من استطاع الحج ولم يحج فهو محروم

١٤٦/ ١ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حديثًا يرفعه قال: يقول الله عز وجل:

«إن عبدًا أصححتُ له جِسْمَه، وأوسعتُ عليه في المعيشةِ، فأتى عليه خمسةُ أعوامٍ لم يفدْ إليّ لمحرومٌ».

(صحيح) ـ أخرجه البيهقي (جـ ٥ ص ٢٦٢)، وابن حبان في صحيحه (٩٦٠ ـ موارد) والطبراني في الأوسط، وأبو يعلى في مسنده).

المعنى

إن العبادة لله سبحانه، خيرها ونفعها ونتائجها كلها تعود إلى المتعبد فإذا لم يلتزم العبد بما أمره الله به فهو الخاسر الأكبر وهو المتضرر، فمن استطاع أن يحج بيت الله الحرام، وكانت صحته سليمة، ورزقه واسعًا، وهو قادر على مصاريف الحج وتبعاته ثم لم يلبِّ أمر الله فهو المحروم الخاسر في الدنيا والآخرة.

(٢) باب فضل القِران بين الحج والعمرة

١٤٧/ ١ ـ عن عُمَرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ بوادي العقيق[١] يقول:

«أتاني آتٍ من ربي فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارَكِ وقل: عمرةٌ في حَجَّةٍ[٢]».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الحج باب ١٦. كتاب الاعتصام باب ١٦ ابن ماجه في كتاب المناسك باب ٤٠. أحمد في مسنده (١/ ٢٤).

شرح المفردات

١ ـ وادي العقيق: هو بقرب البقيع بينه وبين المدينة أربعة أميال. وروى الزبير بن بكار في «أخبار المدينة» أنَّ تبعًا لما رجع من المدينة انحدر في مكان فقال: هذا عقيق الأرض، فسمّي العقيق (فتح الباري).

٢ ـ عمرةٌ في حَجَّة: أي نوى النبي ﷺ القِرَانَ وهو فعل الحج والعمرة بنسك واحد.

(٣) باب التباهي بأهل عرفات

١٤٨/ ١ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال:

ما مِنْ يَوم أكثَرَ مِن أن يَعْتِقَ الله فِيهِ عَبْدًا مِنَ النّار، من يَوْم عَرَفَةَ، وإنَّهُ لَيَدْنُو، ثمّ يُبَاهي بِهم الملائكَةَ، فَيقُولُ: «ما أرادَ هَؤُلاء؟».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الحج حديث ٤٣٦، وابن ماجه في كتاب المناسك باب ٥٦ والنسائي في كتاب المناسك باب ما ذكر في يوم عرفة.

١٤٩/ ٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله عز وجل يباهي الملائكة بأهل عرفات، يقول: انظروا إلى عبادي شُعْثًا[١] غُبْرًا»[٢].

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٥)، والحاكم (جـ ١ ص ٤٦٥)، وابن خزيمة في صحيحه (جـ ٤/ ٢٨٣٩)، وابن حبان في صحيحه (١٠٠٧ موارد) وغيرهم.

١٥٠/ ٣ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول:

إن الله عز وجل يباهي ملائكته عشيةَ عرفة بأهل عرفة، فيقول: **«انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا»**.

(حسن) ـ أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ٢٢٤).

١٥١/ ٤ ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنت جالسًا مع النبي ﷺ في مسجد مِنىً فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما ثم قالا: يا رسول الله جئنا نسألُكَ فقال:

إن شئتما أخبرتكما بما جئتماني تَسْألانّي عنه فعلت، وإن شئتما أن أمسكَ وتسألاني فعلتُ، فقالا: أخبرنا يا رسول الله! فقال الثقفي للأنصاري: سل، فقال: أخبرني يا رسول الله، فقال: جئتني تسألني عن مخرجك من بيتك، تؤمُّ[٣] البيت الحرام وما لك فيه[٤]، وعن ركعتيك بعد الطواف وما لك فيهما، وعن طَوَافِكَ بالصَّفَا والْمروَةِ وما لك فيه، وعن وُقُوفِك عشيَّةَ عَرَفة وما لَك فيه، وعن رَميك الجِمَار وما لَك فيه، وعن نَحرِكَ وما لَك فِيه،

وعن حَلْقِك رأسَكَ وما لَك فيه، وعن طوافِكَ بالبَيْتِ بعد ذلك وما لَك فيه مع الإفاضةِ، فقال: والذي بعثك بالحَقِّ لَعَنْ هذا جئتُ أسألُك. قال:

فإنَّكَ إذا خرجتَ من بيتِكَ تؤمُّ البيتَ الحرامَ، لا تضعُ ناقتك خُفًّا ولا ترفعه، إلا كتَبَ الله لكَ به حَسَنَةً، وَمَحَا عنك خطيئة، وأما ركعتاك بعد الطَّوافِ كَعِتْق رقبةٍ من بني إسماعيل، وأما طوافك بالصفا والمروَةِ بعد ذَلِكَ كعِتْق سَبعينَ رَقَبَةً، وأما وُقوفُكَ عشِيَّةَ عَرَفَةَ فإنَّ الله تبارك وتعالى يَهْبِطُ[٥] إلى سماءِ الدُّنيا، فيباهي بكم الملائكة[٦] يقول:

«عبادي جاؤوني شُعْثًا من كلِّ فَجٍّ عميق، يَرْجُونَ جَنَّتِي، فلو كانتْ ذنوبُكم كعَدَدِ الرَّمْلِ، أو كقَطْرِ المَطَرِ، أو كزَبَدِ البَحْرِ، لغَفَرَهَا ـ أو لَغَفَرْتُها ـ أفِيضُوا عِبادي مَغْفُورًا لكمْ، ولِمَنْ شَفَعْتُم له».

وأمَّا رَمْيُك الجمَارَ فَلَك بكل حصَاةٍ رمْيتها كَبيرةٌ من المُوبِقاتِ، وأما نَحرُكَ فَمَذْخورٌ[٧] لك عندَ رَبِّكَ، وأما حِلاقُكَ رأسَكَ فلك بكلِّ شعرةٍ حَلَقْتَها حَسَنةٌ، ويُمْحَى عنك بها خطيئةٌ، وأما طوافُك بالبيتِ بعد ذلك فإنك تطوف ولا ذنبَ لك، يأتي مَلَكٌ حتى يَضَع يديه بين كَتَفَيْك، فيقول: اعملْ فيما يُسْتَقْبل، فقد غُفِرَ لَك ما مضى.

(حسن) ـ أخرجه البزار (جـ ٢/ ١٠٨٢) وابن حبان في صحيحه (٩٦٣ ـ موارد)، وعبد الرزاق في مصنفه (جـ ٥/ ٨٨٣٠).

١٥٢/ ٥ ـ عَنْ جَابِرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَيامٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَيَامِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ» قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ هِيَ أَفْضَلُ أَمْ عِدَّتُهُنَّ جِهَادًا في سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ: «هِيَ أَفْضَلُ مِنْ عِدَّتِهِنَّ جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللهِ، إلاَّ عَفِيرًا يُعَفِّرُ [وَجْهَهُ][١] فِي التُّرابِ، وَمَا مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يوم عَرَفَةَ، يَنْزِلُ اللهُ إِلى السَّمَاء الدُّنْيا فَيُباهي بِأَهْلِ الأَرْضِ أَهْلَ السَّماءِ، فَيَقُولُ: انظروا إِلى عِبَادِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِينَ[٨]، جَاؤُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لَمْ يَرَوْا رَحْمَتي، وَلَمْ يَرَوْا عَذَابي، فَلَمْ أَرَ يَوْمًا أَكْثَرَ عَتيقًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ».

(حسن) ـ أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤/ ٦٩ ـ رقم ٢٠٩٠) وابن حبان في صحيحه (٦/ ٦٢ ـ رقم ٣٨٤٢) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٥٣) و(٤/ ١٧) وقال: رواه البزار واسناده حسن ورجاله ثقات».

شرح المفردات

١ ـ شعثًا: جمع أشعث وهو الذي تفرّق شعر رأسه لعدم الاعتناء به.

٢ ـ غُبْرًا: جمع أغبر وهو الذي علا رأسه الغبار من طول السفر.

٣ ـ تؤمُّ: تقصد وتتوجه.

٤ ـ وما لك فيه: أي من الثواب.

٥ ـ يهبط: الله سبحانه منزه عن الهبوط والمعنى تهبط رحمته.

٦ ـ فيباهي: يظهر فضلهم وكرامتهم.

٧ ـ مذخورٌ: مدَّخر وباقٍ تجده عند الله يوم القيامة في صحيفة حسناتك.

٨ ـ ضاحين: في مجمع الزوائد «ضاجّين» أي بالتلبية. والضاحين هم البارزون للشمس عند إحرامهم.

(٤) باب فضل الدعاء يوم عرفة

١٥٣/١ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ السُّلَمِيِّ، أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ دَعَا لِأُمَّتِهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، فَأُجِيبَ: إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ مَا خَلاَ الظَّالِمَ، فَإِنِّي آخُذُ لِلْمَظْلُومِ مِنْهُ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، إِنْ شِئْتَ أَعْطَيْتَ الْمَظْلُومَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَغَفَرْتَ لِلظَّالِمِ، فَلَمْ يُجِبْ عَشِيَّةً، فَلَمَّا أَصْبَحَ بِالْمُزْدَلِفَةِ، أَعَادَ الدُّعَاءَ فَأُجِيبَ إِلَى مَا سَأَلَ، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَوْ قَالَ: تَبَسَّمَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنَّ هَذِهِ لَسَاعَةٌ مَا كُنْتَ تَضْحَكُ فِيهَا، فَمَا الَّذِي أَضْحَكَكَ؟ ـ أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ ـ قَالَ: إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَدِ اسْتَجَابَ دُعَائِي وَغَفَرَ لِأُمَّتِي، أَخَذَ التُّرَابَ، فَجَعَلَ يَحْثُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، فَأَضْحَكَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ.

أخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك باب ٥٦. في الزوائد: في إسناده عبد الله بن كنانة قال البخاري: لم يصح حديثه. ولم أر من تكلم فيه بجرح ولا توثيق.

كتاب الأطعمة واللباس

(١) باب النهي عن شرب الخمر ولبس الحرير

١٥٤/ ١ ـ عن أنسٍ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال:

من ترك الخمرَ وهو يقدِرُ عليه لأسْقِيَنَّه من حظيرة القُدُسِ، ومن ترك الحريرَ وهو يقدر عليه لأكْسُوَنَّهُ إيّاهُ في حظيرة القدس.

(حسن) ـ أخرجه البزار في الترغيب (جـ ٣ ص ١٨٧، ٤٤٦) وفي مجمع الزوائد (جـ ٥ ص ٧٦).

المعنى

كل شيء يتركه الإنسان المسلم لأجل تحريم الله إياه، ويقطع شهوته ويمتنع عن التلذذ به من أجل رضا الله سبحانه، فإن الله سيكرمه في الدنيا والآخرة. فالذي يترك الخمر وهو قادر على ذلك وليس معذورًا أي لم يتركه بسبب مرض أو بسبب علة أخرى إنما تركه لله ولأن الله حرمه وأمر باجتنابه، فهذا العبد سيكافئه الله يوم القيامة وسيسقيه من الماء المعين ومن خمر الجنة الطيب الذي لا مرض فيه ولا يسبب السكر ولا الضياع كما قال الله تعالى: **﴿مثل الجنة التي وعد المتقون، فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنها من لبن لم يتغيز طعمه، وأنهار من خمرَ لذة للشاربين، وأنهار من عسَل مصفى﴾** [محمد: ١٥].

وكذلك كل من ترك لبس الحرير وهو قادر عليه كساه الله من حرير الجنة يوم القيامة وفي ذلك يقول الله تعالى: **﴿وجزاهم بما صبروا جنةً وحريرًا﴾** [الإنسان: ١٢]. وكذلك قال تعالى: **﴿عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا﴾** [الإنسان: ٢١].

كتاب الأيمان والنذر

(١) باب في كراهة النذر

١٥٥/١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

قالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: «**لا يأتي النذرُ على ابنِ آدمَ بشيءٍ لم أُقَدِّرْهُ عليه، ولكنهُ شيءٌ استخرجُ به من البخيل، يؤتيني عليه ما لا يؤتيني على البُخلِ**».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (٢٤٢/٢).

١٥٦/٢ ـ وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«**لا يأتي ابنَ آدمَ النذرُ بشيءٍ لم أكن قدرتُهُ له، ولكنه يُلْقيه النذرُ بما قَدْ قَدَّرْتُهُ له، يُسْتَخْرَجُ به من البخيل، يؤتيني عليه ما لمْ يكنْ آتاني من قَبلُ**».

(صحيح) ـ رواه البخاري في كتاب القدر باب ٦.

١٥٧/٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّ النَّذْرَ لاَ يَأْتي ابْنَ آدَمَ بِشَيْءٍ إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ، وَلَكِنْ يَغْلِبُهُ الْقَدَرُ مَا قُدِّرَ لَهُ، فَيَسْتَخْرِجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ، فَيُيَسِّرُ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُيَسِّرُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ، وَقَدْ قَالَ اللهُ: «أَنْفِقْ، أُنْفِقْ عَلَيْكَ».

(صحيح) ـ رواه ابن ماجه في كتاب الكفارات باب ١٥.

المعنى

توضيح هذه الأحاديث القدسية الثلاثة أن الإنسان لا يصيبه من شيء إلا وقد قدَّره الله عليه، خيرًا كان ذلك أو شرًا، وأن النذر الذي ينذره الإنسان لا يقدم ولا يؤخر ولا يغير من قدر الله شيئًا كما نقل ابن حجر العسقلاني عن ابن كثير في شرح صحيح البخاري أنه قال: إنما وجه الحديث أنه قد أعلمهم أن ذلك أمر لا يجر لهم نفعًا في العاجل ولا يصرف عنهم ضرًا ولا يغير قضاء. ثم قال: لا تنذروا على أنكم تدركون بالنذر شيئًا لم يقدر الله لكم، أو تصرفوا به عنكم ما قدَّره عليكم، فإذا نذرتم فأخرجوا بالوفاء، فإن الذي نذرتموه لزم لكم، انتهى.

ومن هنا جاء النهي عن النذر الذي يعتقد صاحبه أنه يغني عن القدر بنفسه، ولذلك قال الله عز وجل: «لا يأتي النذرُ على ابن آدم بشيء لم أقدرهُ عليه» والناذر الذي يعلق طاعته أو صدقته أو نفقاته على حصول منفعة له، فإن طاعته تلك ونفقاته تلك لم تخرج من نفسه على سبيل الإخلاص والعبادة المحضة فأشبه عمله هذا عمل البخيل الذي لا ينفق بل ويحرص على المال ولا يخرج شيئًا من يده إلا في مقابلة عوض يستوفيه أولاً، فيلتزمه في مقابلة ما يحصل له، وذلك لا يغني من القدر، لكن النذر قد يوافق القدر فيخرج من البخيل ما لولاه لم يكن ليخرجه.

ونقل ابن حجر في فتح الباري عن القرطبي جزمه بحمل ما ورد في الأحاديث من النهي على نذر المجازاة فقال ـ أي القرطبي ـ في (المفهم): هذا النهي محله أن يقول مثلاً إن شفى الله مريضي فعليّ صدقة كذا. ووجه الكراهة أنه لما وقف فعل القربة المذكور على حصول الغرض المذكور ظهر أنه لم يتمحض له نية التقرب إلى الله تعالى لما صدر منه بل سلك فيها مسالك المعاوضة، ويوضحه أنه لو لم يشف مريضه لم يتصدق بما علقه على شفائه، وهذه حالة البخيل فإنه لا يخرج من ماله شيئًا إلا بعوض عاجل يزيد على ما أخرج غالبًا.

ثم قال ـ أي القرطبي ـ: وقد ينضم إلى هذا اعتقاد جاهل يظن أن النذر يوجب حصول ذلك الغرض، أو أن الله يفعل معه ذلك الغرض لأجل ذلك النذر، وإليهما الإشارة بقوله في الحديث «فإن النذر لا يرد من قدر الله شيئًا» والحالة الأولى تقارب الكفر والثانية خطأ صريح. (انتهى كلام القرطبي) قلت ـ والكلام للحافظ ابن حجر ـ بل تقرب من الكفر أيضًا.

(٢) باب في التحذير من الحلف الكاذب

١٥٨/ ١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ مَرْفُوعًا:

«إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلاهُ الأَرْضَ وَعُنُقُه مُنْثَنٍ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ: «مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا».

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٩٧) في كتاب الأيمان والنذر.

المعنى

لعل هذا الديك رمز معنوي أو لعله على الحقيقة والله أعلم.

فهذا الديك عظيم وضخم الجثة بحيث أن رجليه قد خرقت الأرض من جانبها وجسده يمتد هكذا إلى أن ينتهي عنقه تحت العرش، وكل هذا يشير إلى عظمة وأهمية الشأن الذي سيصدر عنه وهو التسبيح والتقديس لله، فيجيبه الله عز وجل بأن الذي يحلف على الكذب ويستخدم اسم الله العظيم في قسمه في المكر والاحتيال، فإن هذا الإنسان لم يشعر بعظمة الله في قلبه، ولم يعرف لاسم الله العظيم أي قدر ولا شأن فلذلك فهو يتساهل ويتهاون ويتجرأ على الحلف كاذبًا نعوذ بالله من ذلك.

كتاب التصاوير

(١) باب النهي عن مضاهاة خلق الله تعالى

١٥٩/١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه وقد دخل دارًا بالمدينة فرأى أعلاها مصورًا يصور قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«وَمَنْ أَظلمُ ممنْ ذَهَبَ[١] يَخلُقُ كَخَلْقِي، فليخلُقُوا[٢] حَبَّةً، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً[٣]».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب اللباس باب ٩٠.

١٦٠/٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: **«وَمنْ أظلمُ ممنْ ذَهَب يخلُقُ كخَلْقِي، فَلْيخْلُقُوا ذَرَّةً، أوْ ليخلُقُوا حَبَّةً، أو شَعِيرةً».**

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ٥٦.

١٦١/٣ ـ عن أبي هريرة وقد دخل في دار مروان فرأى فيها تصاوير فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: **«وَمنْ أَظْلَمُ ممنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي؟!! فَلْيخْلُقُوا ذَرَّة، أوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أوْ ليَخْلُقُوا شَعِيرةً».**

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب اللباس حديث ١٠١.

شرح المفردات

١ ـ ذهب: قصد.

٢ ـ فليخلقوا: المراد من هذه العبارة تعجيز هؤلاء الذين يضاهون خلق الله.

٣ ـ ذرة: أي نملة.

المعنى

هذه الأحاديث القدسية تحمل بشدة على كل من يحاول أن يقلد عملية الخلق قاصدًا

بذلك المحاكاة والمضاهاة أو قاصدًا لها أن تعبد من دون الله أو غير قاصد. وقد أجمع العلماء على تكفير صانع التماثيل للحيوان إن كان قصد بها مضاهات خلق الله ومحاكاته أو صنعها لتعبد من دون الله، أما من يصنعها لمجرد الزينة وغير ذلك فهو مرتكب كبيرة.

أما بالنسبة للتصوير بـ«الكاميرا» أي التصوير الشمسي فقد نقل الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه «فتاوى معاصرة» عن مفتي مصر الأسبق محمد بخيت المطيعي في رسالة له سماها «الجواب الكافي في إباحة التصوير الفوتوغرافي» إن هذا التصوير مباح ولا حرج فيه أبدًا، وقال بأن ذلك في الحقيقة ليس عملية خلق كما جاء في الحديث «يخلق كخلقي» ولا هو مضاهاة لخلق الله، وإنما هو حبس للظل، وما أحسن تسميته بـ «العكس». كما يسميه أبناء الخليج والمصور يسمونه «العكاس» وذلك لأنه يعكس الظل كالمرآة.

كتاب الأموال

(١) باب حبُّ ابنِ آدمَ المالَ

١٦٢/ ١ ـ عن أبي واقدٍ الليثي رضي الله عنه قال: كنا نأتي النبيّ ﷺ إذا أُنزل عليه فيحدثُنَا فقال لنا ذاتَ يومٍ:

إن الله عز وجل قال:

«إنا أنزلنا المالَ لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لابنِ آدمَ وادٍ لأحب أن يكون له ثانٍ، ولو كان له واديان لأحب أن يكون له ثالث، ولا يملأ جوفَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ، ثم يتوبُ الله على من تاب».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٥ ص ٢١٨) وصححه العراقي في تخريج الإحياء والألباني في صحيحه.

١٦٣/ ٢ ـ عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن فقرأ ﴿**لم يكن الذي كفروا**﴾ [البينة: ١].

ومن نعتها: **«لو أن ابنَ آدمَ سَأل واديًا مِنْ مالٍ فأعطيتُهُ سألَ ثانيًا، وإنْ أعْطَيتُهُ ثانيًا سألَ ثالثً، ولا يملأُ جَوْفَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ»**، ويتوبُ الله على من تابَ، وإن الدينَ عند الله الحنيفية[1] غيرُ اليهوديةِ ولا النصرانية، ومَنْ يعملْ خيرًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ[2].

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (جـ ٢/ ٢٢٤) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه الدارمي (جـ ٢ ص ٣١٨).

شرح المفردات

١ ـ الحنيفية: أي المائلة والمتوجهة إلى عبودية الله وحده.

٢ ـ يُكفره: لن يُطمسَ ولن يَخسر ثوابَ خيره.

المعنى

أن الله سبحانه حينما ينعم على إنسان ما، فعلى هذا الإنسان أن يشكر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأنواع العبادة، لا أن يصرفه المال ونعمة الله عن طاعة الله والذي يطمع هو ابن آدم أما المسلم فلا يطمع إلا برحمة الله، وما يرى هذا المال أو متاع الدنيا إلا قضاء حاجة آنية يعبرها إلى الدار الطيبة في الآخرة.

فعلى المسلم أن لا يطمع في هذه الدنيا وليتب إلى الله إن سرى في نفسه شيء من ذلك، وليتمسك بعبوديته لله، والله سبحانه لن يضيع عمله الحسن أبدًا كما قال: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره﴾** [الزلزلة: ٧، ٨].

(٢) باب الحفاظ على أموال الناس

١/١٦٤ ـ عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: قال رسول الله ﷺ:

إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ليدْعُو بصاحبِ الدَّيْنِ يومَ القيامةِ، فيقيمه بين يديه فيقولُ: **«أي عَبدِي فيما أذهبتَ مالَ الناسِ؟»** فيقولُ: أيْ ربِّ قد عَلِمْتَ أني لم أُفْسِدْهُ، إنما ذهبَ في غَرَقٍ أوْ حَرَقٍ أو سَرِقَةٍ أوْ وَضِيعةٍ، فيدعو اللهُ عز وجل بشيءٍ، فيضعُهُ في ميزانِهِ، فترجحُ حسناتُهُ.

(حسن) ـ أخرجه أحمد في مسنده (١/١٩٧).

٢/١٦٥ ـ وعن عبد الرحمن بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ قال:

يَدْعو اللهُ بصاحبِ الدَّيْنِ يومَ القيامة، حتى يُوقفَ بين يديه، فيُقالُ: **«يا ابنَ آدم! فيما أخذتَ هذا الدينَ؟ وفيما ضيَّعت حقوقَ الناس؟»** فيقولُ: يا ربِّ إنكَ تعلمُ أني أخذتُهُ فلم آكلْ ولم أشربْ ولم ألْبَسْ ولم أُضَيِّعْ، ولكنْ أَتَى عَلَى يَدَيَّ إما حَرَقٌ وإما سَرَقٌ وإما وَضِيعةٌ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: **«صدقَ عبدي أنا أحقُّ من قَضَى عنك اليومَ»**، فيدعو اللهُ بشيء فيضعُهُ في كِفَةِ ميزانِهِ، فترجحُ حسناتُه على سيئاتِهِ، فيدخلُ الجنةَ بفضلِ رحمته.

(حسن) ـ أخرجه أحمد في مسنده (١/١٩٨).

المعنى

هذا المسلم المؤمن الذي يقضي الله عنه ديونه يوم القيامة ويثقل له موازين حسناته بفضله وكرمه، هو إنسان استدان من الناس وأخذ أموالهم على سبيل الدين، لكنه كان مصممًا وعازمًا على رده وإرجاعه لأصحابه، غير أن المال وهو تحت يده أصابته الجائفة أو أصابه الغرق أو الحرق أو تعرض للسرقة أو للضياع. ولم ينو العبد أبدًا أن يأكله بالباطل أو أن يصرفه على مأكله ومشربه ولباسه ولهوه ومتاعه، لم يرغب في فساده وتضييعه، ولذلك شمله الله سبحانه برحمته وصدقه بما يقول وأدخله جنته.

أما ذلك الذي يأخذ المال من الناس وهو عازم في قرارة نفسه على تضييعه وإفساده وأكله عليهم، فإن عذاب الله لاحِقٌ به في الدنيا وفي الدار الآخرة.

(٣) باب فضل التجاوز عن المعسر

١٦٦/ ١ ـ عن أبي مسعود الأنصاري البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

حُوسِبَ رجلٌ ممنْ كانَ قبلكم، فلمْ يُوجدْ له من الخير شيءٌ إلا أنَّه كانَ يُخَالِطُ الناسَ، وكان مُوسرًا، فكانَ يَأمرُ غلمانه أنْ يتجاوزوا عن المُعْسرِ، قال: قال اللهُ عز وجل: **«نحن أحقُّ بذلك منه، تَجَاوزوا عنه»**.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب المساقاة حديث ٣٠، والترمذي في كتاب البيوع باب ٦٧، وأحمد (جـ ٤ ص ١١٨).

١٦٧/ ٢ ـ وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

تَلَقَّتْ الملائكةُ رُوحَ رجلٍ ممنْ كانَ قبلكم، فقالوا: أَعملتَ من الخيرِ شيئًا؟ قال: لا قالوا: تذكرْ، قال: كنتُ أُدَاينُ الناسَ، فَآمُرُ فتياني: أن يُنْظِرُوا المعْسِرَ، ويَتَجَوَّزُوا عن المُوسِرِ، قال: قالَ اللهُ عز وجل: **«تَجَوَّزُوا عنهُ»**.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب المساقاة حديث ٢٦ والدارمي في كتاب البيوع باب ١٣.

١٦٨/ ٣ ـ اجتمع حذيفة وأبو مسعود فقال حذيفة:

رجلٌ لَقِيَ رَبَّه فقال: ما عملتَ؟ قال: ما عملتُ مِنَ الخيرِ إلا أني كنتُ رجلاً ذا

مالٍ، فكنتُ أُطَالبُ به الناسَ، فكنتُ أَقْبلُ الميسورَ، وأَتجاوزُ عن المعسورِ، فقال: **«تجاوزوا عَنْ عبدي»**.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب المساقاة حديث ٢٧.

١٦٩/ ٤ ـ عن حذيفة رضي الله عنه قال:

أُتِيَ اللهُ بعبدٍ من عبادِهِ آتاهُ اللهُ مالاً فقال له: **«ماذا عملتَ في الدنيا؟»** ـ قال: ولا يكتمونَ اللهَ حديثًا ـ قال: يا ربِّ آتيتني مالَكَ فكنتُ أُبَايعُ الناسَ، وكانَ من خُلُقي الجوازُ، فكنتُ أَتَيَسَّرُ على المُوسِرِ، وأُنْظِرُ المُعْسِرَ، فقال اللهُ: **«أنا أحقُّ بذا منك، تجاوزوا عن عبدي»**.

ـ فقال عقبة بن عامر الجُهني وأبو مسعود الأنصاريّ: هكذا سمعناه من فِي رسول الله ﷺ.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب المساقاة حديث ٢٩.

١٧٠/ ٥ ـ وعن حذيفة أن رجلاً أُتى اللهُ عز وجل به فقال:

«ماذا عملتَ في الدنيا؟» فقال لهُ الرجل: ما عملتُ من مثقالِ ذرةٍ من خيرٍ أرجوكَ بها، فقالها له ثلاثًا، وقالَ في الثالثة: أيْ ربِّ كنتَ أعطيتني فضلاً من مالٍ في الدنيا، فكنتُ أُبَايعُ الناسَ، وكانَ من خُلُقِي أَتَجَاوزُ عنه وكنتُ أَيَسِّرُ على الموسِرِ، وأُنْظِرُ المُعْسِرَ، فقالَ عز وجل: **«نحنُ أَوْلى بذلك منك، تجاوزوا عن عبدي»**، فغفرَ له.

ـ فقال أبو مسعود: هكذا سمعت من فِي رسول الله ﷺ، ورجل آخر أمر أهله إذا مات أنْ يحرقوه، ثم يطحنوه، ثم يذرونه في يومِ ريحٍ عاصفٍ، ففعلوا ذلك به، فَجُمِعَ إلى ربه عز وجل فقال له:

«ما حملكَ على هذا؟» قال: يا ربِّ لم يكنْ عبدٌ أَعْصَى لك مني، فرجوتُ أنْ أنجوَ، قال الله عز وجل: **«تجاوزوا عن عبدي فغفرَ له»**.

ـ فقال أبو مسعود: هكذا سمعته من فِي رسول الله ﷺ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ١١٨).

١٧١/ ٦ ـ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:

إِن رجلاً لم يعملْ خيرًا قطّ، وكانَ يُدَاينُ الناسَ، فيقولُ لرسوله: خذْ ما تيسَّرَ، واتركْ ما عَسُرَ، وتجاوزْ لعلَّ اللهَ تعالى أن يتجاوزَ عنا، فلما هلكَ، قال الله عز وجل له: **«هل عملتَ خيرًا قطّ؟»** قال: لا، إلا أنّه كانَ لي غلامٌ، وكنتُ أداينُ الناسَ فإذا بعثتُهُ ليتقاضى، قلتُ له: خذْ ما تيسَّر واتركْ ما عَسُرَ، وتجاوزْ لعلَّ الله يتجاوزُ عنا، قال الله: **«قد تجاوزتُ عنك»**.

(**صحيح**) ـ أخرجه النسائي في كتاب البيوع باب ١٠٤، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٦٣، ٣٣٢).

ملاحظة: لقد تمّ شرح هذه الأحاديث في كتاب (البر والأخلاق) باب (فضل التجاوز عن المعسر) فليرجع إليه من أراد.

كتاب النفقات

(١) باب الترغيب في الإنفاق

١/١٧٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

قالَ الله عَزّ وجَلّ: «أَنْفِقْ يا بن آدمَ أُنْفِقْ عليكَ».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب النفقات باب ١، وابن ماجه في كتاب الكفارات باب ١٥.

٢/١٧٣ ـ وعنه أن رسول الله ﷺ قال:

قالَ الله عَزّ وَجَلّ: «أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليكَ». وقال: يَدُ الله مَلأَى لا تَغِيضُها[١] نفقةٌ سَحّاءُ[٢] الليلَ والنهارَ. وقالَ: أرأيتم ما أنْفَقَ منذُ خلقَ السماءَ والأَرضَ فإنّه لم يَغِض[٣] ما في يدِه، وكانَ عرشُهُ على الماء، وبِيَدِه الميزانُ يَخْفضُ ويرفعُ.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ٢، وفي رواية له في كتاب التوحيد باب ٢٢ **«إن يمين الله ملأى»**. وفي رواية أخرى في كتاب التوحيد باب ١٩ **«وبيده الأخرى[٤] الميزان يخفض ويرفع»**. وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة حديث ٣٦، ٣٧ بلفظ: **«يمين[٥] الله ملأى»**. وفي إحدى روايتيه: **«وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض»**.

٣/١٧٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

إن النذرَ لا يأتي ابنَ آدمَ بشيءٍ إلا ما قُدِّرَ لَهُ، ولكنْ يغْلِبُهُ القَدَرُ ما قُدِّرَ لَهُ، فيَسْتَخرِجُ به من البخيل، فيُيَسِّرُ عليه ما لم يكنْ يُيَسِّرُ عليه من قبل ذلك، وقد قال الله: «أَنفِقْ أُنفِقْ عليك».

(صحيح) ـ أخرجه ابن ماجه في كتاب الكفارات باب ١٥.

ملاحظة: لقد مرّ شرح هذا الحديث مستوفًى في كتاب الأيمان والنذور.

شرح المفردات

١ ـ لا تغيضُها: لا ينقصها، يقال غاض الماء إذا نقص.

٢ ـ سحَّاءُ: دائمة الصب.

٣ ـ لم يغِضْ: لم ينقُصْ.

٤ ـ وبيده الأخرى: عبَّر عن قدرته على التصرف بذكر اليدين لتفهيم المعنى المراد بما اعتاده المخاطبون إذ إن عادتهم هي تعاطي الأشياء باليدين.

٥ ـ يمين الله: وكذلك قوله «يد الله» المراد بهما نعمة الله سبحانه وخزائنه.

المعنى

أن الله سبحانه وتعالى له ملك السموات والأرض، وهو الغني الذي لا حدود لغناه، وهو المعطي عطاء لا ينفذ أبدًا، ينادي عبده المؤمن أن ينفق في سبيله ونيل مرضاته ولا يخاف فقرًا ولا عوزًا ولا احتياجًا طالما أن الله سبحانه معه برحمته وكرمه وعطائه، ثم مثَّل الرسول ﷺ لما عند الله من الملك والغنى المطلقين بهذا الإنفاق الهائل والعطاء الكبير منذ خلق السموات والأرض فكم وكم وهب عبيده ومنحهم وأعطاهم ولبى لكل منهم سؤله وحاجته، فإنه لم ينقص عما عنده شيء أبدًا، بيده ملكوت السموات والأرض، يعز من يشاء ويذل من يشاء، ويغني من يشاء ويفقر من يشاء سبحانه وتعالى من إله عزيز قادر غفار.

(٢) باب الترهيب من منع الفضل

١٧٥/١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظُرُ إليهم: رجلٌ حَلَفَ على سِلْعَةٍ لقد أُعطِيَ بها أكْثَرَ مما أُعطِيَ وهو كاذِب، ورجلٌ حَلَفَ على يمين كاذبةٍ بعد العصر ليقتطعَ بها مالَ امرىءٍ مسلمٍ، ورجلٌ مَنَعَ فَضْلَ مائِهِ فيقولُ الله يومَ القيامة: **«اليومَ أمنعُكَ فضلي كما منعتَ فضلَ ما لم تعملْ يداك»**.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ٢٤ وفي كتاب الشرب باب ١٠، وأبو داود في كتاب البيوع باب ٦٠.

ملاحظة: لقد مرَّ شرح هذا الحديث في كتاب القيامة باب **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة»** فليرجع إليه من شاء ذلك.

(٣) باب فضل إنفاق الفضل

١٧٦/ ١ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ ـ ﷺ ـ قَالَ: «إِنَّ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَقُولُ:

يَا ابْنَ آدَمَ إِنْ تُعْطِ الْفَضْلَ[١] فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، وَإِنْ تُمْسِكْه فَهُوَ شَرٌّ لَكَ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ[٢]، وَلاَ يَلُومُ اللهُ عَلَى الْكَفَافِ[٣] وَالْيَدُ الْعُلْيَا[٤] خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى».

(صحيح لغيره) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٦٢).

١٧٧/ ٢ ـ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلاَ تُلامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى».**

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الزكاة حديث ٩٧. والترمذي في كتاب الزهد باب ٢٢. وأحمد في مسنده (٥/ ٢٦٢) وقد وقع عند الحاكم (٢/ ١٥٠) «يقول الله يا ابن آدم. . .».

شرح المفردات

١ ـ الفضل: هو ما زاد عن حاجة الإنسان الضرورية.

٢ ـ تعولُ: تنفق عليه.

٣ ـ الكفاف: قدر الحاجة واليد السفلى هي السائلة.

٤ ـ اليد العليا: هي المنفقة.

المعنى

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم:

ومعناه أن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه، وإن أمسكته فهو شر لك، لأنه إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه، وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه وفوّت مصلحة نفسه في آخرته، وهذا كله شر.

ومعنى لا تُلام على كفاف أن قدر الحاجة لا لوم على صاحبها، وهذا إذا لم يتوجب في الكفاف حق شرعي كمن كان له نصاب زكوي ووجبت الزكاة بشروطها وهو محتاج إلى

ذلك النصاب لكفافه، وجب عليه إخراج الزكاة، ويحصل كفايته من جهة مباحة. ومعنى ابدأ بمن تعول أن العيال والقرابة أحق من الأجانب اهـ.

وقد وضح النبي ﷺ من هي اليد العليا ومن هي اليد السفلى في حديث آخر رواه مسلم أيضًا في صحيحه في كتاب الزكاة حديث (٩٤) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا المنفقة، واليد السفلى السائلة».

(٤) باب أوان الصدقة

١٧٨/ ١ ـ عَنْ بُسْرِ بن جَحَّاشٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: بَزَقَ النَّبِيُّ ﷺ في كَفِّهِ، ثُمَّ وَضَعَ أُصْبُعَهُ السَّبَّابَةَ، وَقَالَ: «يَقُولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: أَنَّى تُعْجِزُنِي[1] ابْنَ آدَمَ، وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، فَإِذَا بَلَغَتْ نَفْسُكَ هَذِهِ، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ[2]، قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ».

(صحيح) أخرجه أحمد في مسندة (٤/ ٢١٠) وابن ماجه في كتاب الوصايا باب ٤.

١٧٩/ ٢ ـ عن بُسْرِ بن جَحَّاشٍ القرشي قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿فما للذين كفروا قبلك مهطعين[3]. عن اليمين وعن الشمال عزين[4]. أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم. كلا انا خلقناهم مما يعلمون﴾ [المعارج: ٣٦ ـ ٣٩] ثم بزق رسول الله ﷺ على كفه فقال: يقول الله: يا ابن آدم، انّى تعجزُني وقد خلقتُك من مثل هذه، حتى إذا سوّيتُك وعدّلتُك مشيتَ بين بردتين[5] وللأرض منك وئيد ـ يعني شكوى ـ فجمعتَ ومنعتَ حتى إذا بلغتِ التراقي[6] قلتَ اتصدقُ وأنّى[7] أوانُ الصدقةِ.

(صحيح) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب تفسير سورة المعارج.

شرح المفردات

١ ـ أنّى تعجزني: كيف تعجزني وأنت الضعيف.

٢ ـ حلقه: الضمير عائد إلى النبي ﷺ، أي بلغت الروح الحلقوم.

٣ ـ مهطعين: أهطع الرجل إذا مدّ عنقه وصوّب رأسه، وأهطع في عدوه أسرع فالكافرون مستكبرون ومسرعون قبلَ رسول الله ﷺ.

٤ ـ عزين: متفرقين حلقًا حلقًا.

٥ ـ بُردتين: مفردها بُردة وهي كساء أسود فيه صغر وهذا كناية عن التكبر والصلف.

٦ ـ بلغت التراقي: أي بلغت الروح. والتراقي جمع تَرْقُوَة بفتح التاء ولا تضم. والتَّرقوة هي العظم بين ثغر النحر والعاتق.

٧ ـ وأنّى: أي قد ذهب وقت الصدقة.

المعنى

يرشدنا هذا الحديث القدسي إلى المبادرة بالصدقات في أوانها وأوقاتها وهي أوقات الصحة والعافية لأن الشح غالب في حال الصحة وعند الصحة يتبيّن صدق المؤمن في نفقاته وعطائه، أما إذا أخر الصدقات حتى قاربت روحه أن تخرج من جسده فهذا يكون ثوابه ناقصًا لأنه لم يعد له أمل في الغنى ولا طمع في مال، ولذلك عندما سأل رجل الرسول ﷺ وقال: أيُّ الصدقة أعظم؟ قال له رسول الله ﷺ: «أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقرَ وتأملُ الغنى، ولا تُمهلْ حتى إذا بلغت الحلقومَ قلتَ لفلان كذا ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان» رواه مسلم في كتاب الزكاة حديث (٩٢).

(٥) باب فضل صدقة السرِّ وعظمتها

١٨٠/ ١ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ، فَخَلَقَ الْجِبَالَ، فَعَادَ بِهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ، فَعَجِبَتِ الْمَلائِكَةُ مِنْ شِدَّةِ الْجِبَالِ، قَالُوا: يَا رَبِّ، هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْجِبَالِ؟ قَالَ: نَعَمْ، الْحَدِيدُ، قَالُوا: يَا رَبِّ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْحَدِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، النَّارُ، فَقَالُوا: يَا رَبِّ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ، الْمَاءُ، قَالُوا: يَا رَبِّ، فَهَلْ مِنْ خُلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْمَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ، الرِّيحُ، قَالُوا: يَا رَبِّ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ؟ قَالَ: نَعَمْ، ابْنُ آدَمَ، تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ بِيَمِينِهِ، يُخْفِيهَا مِنْ شِمَالِهِ.

(حسن) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ٩٥.

١٨١/ ٢ ـ عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: .

«ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله. أما الثلاثة الذين يحبهم الله: فرجلٌ أتى قومًا فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينهم وبينه، فتخلف رجل من أعقابهم فأعطاه سرًا لا يعلم

بعطيته إلا الله والذي أعطاه. وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به فنزلوا فوضعوا رؤوسهم فقام رجل يتملقُني ويتلو آياتي. ورجل كان في سرية فلقي العدوّ فهُزموا فأقبل بصدره حتى يُقتل أو يُفتحَ له. والثلاثة الذين يبغضهم الله: الشيخ الزّاني والفقير المختال والغني الظلوم».

(صحيح) أخرجه الحاكم في كتاب الزكاة حديث ٩٤.

ملاحظة: لقد تمّ شرح هذا الحديث مستوفى في كتاب الجهاد باب (فضل الجهاد).

(٦) باب فائدة صدقة التطوع

١٨٢/ ٥ ـ عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: .

إنَّ أولَ مَا افترَضَ الله على النَّاس من دينهم: الصلاةُ، وآخِر ما يبقَى الصَّلاة، وأول مَا يُحاسبُ به الصَّلاةُ، ويقول الله: «انظُروا في صَلاةِ عَبْدي»؛ فإنْ كانتْ تَامَّة كُتِبتْ تَامَّةً وإن كانت ناقصةً يقول: «انظُرُوا هل لِعَبْدِي من تَطَوُّعٍ؟» فإن وُجِد له تطوعٌ تَمَّت الفريضةُ من التطّوع ثم قال: «انظُرُوا هَلْ زكاتُهُ تَامَّةٌ؟» فإن كانتَ تَامَّةً كُتِبتْ تَامَّةً وإن كانتْ ناقِصَةً. قالَ: «انظروا هل له صَدَقَةٌ؟» فإن كانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ تَمَّتْ له زكاتُهُ.

(حسن) ـ أخرجه أبو يعلى كما في الترغيب والترهيب (جـ ١ ص ٣١٤).

المعنى

تلكم هي فائدة صدقة التطوع غير الفريضة، تسعفُ صاحبها وتحميه من الهلاك الناتج من النقصان في الفريضة، وكذلك هي صلاة التطوع والنافلة، وصيام التطوع وكذلك كل عمل تطوع به المسلم لله ربه من عند ذاته فإنه يكون له ذخر عظيم يوم القيامة تُكمّل به أعماله من الفرائض إن كانت ناقصة غير تامّة.

(٧) باب التصدُّق ولو بشِقِّ تمرة

١٨٣/ ١ ـ عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ، فجاءه رجلان، أحدهما يشكو العَيْلَة[1]، والآخرُ يشكو قطعَ السبيل، فقال رسول الله ﷺ: أمّا قَطْعُ السّبيلِ فإنه لا يأتي عَلَيْكَ إلا قليلٌ، حتى تَخْرُجَ العِيرُ[2] إلى مَكَّةَ بِغَير خفير[3]. وأما العَيْلةُ فإنَّ الساعَةَ لا تقومُ، حتى يطوفَ أحدُكم بصدقَتِه لا يَجدُ من يَقْبَلُها منه، ثم ليقفنّ

أحدُكم بينَ يَدَيِ الله، ليس بينَهُ وبينه حِجَابٌ، ولا تَرْجُمانٌ يُتَرجِمُ له، ثم ليقولَنَّ له: «ألم أوتِكَ مالاً؟» فليقولَنَّ: بلى. ثُم ليقولنَّ: «ألمْ أرسلْ إليك رسولاً؟» فَليقولنَّ: بلى. فينظرُ عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظرُ عن شماله فلا يرى إلا النار، فلْيتَّقِيَنَّ أحدُكم النَّارَ ولو بشقِّ تمرةٍ، فإنْ لم يَجِدْ فبكلمةٍ طيبةٍ.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب ٩ وفي كتاب المناقب باب ٢٥.

٢/١٨٤ ـ عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ، وهو جالسٌ في المسجد، فقال القومُ: هذا عديُّ بن حاتم، وجئتُ بغير أمانٍ ولا كتاب، فلما دُفِعْتُ إليه، أخذ بيدي، وقد كان قال قبل ذلك: إنّي لأرجو أن يجعل الله يَدَهُ في يدي. قال: فقام، فَلَقِيَتْهُ امرأةٌ وصبي معها فقالا:

إنَّ لنا إليكَ حاجةً. فقام مَعَهُما، حتى قَضَى حاجَتَهُما، ثم أخذ بِيَدي، حتى أَتَى بي دَارهُ، فألقَتْ له الوَليدةُ وسَادَةً، فجلس عليها، وجَلَسْتُ بين يَدَيْهِ، فحمِدَ الله، وأثْنى عليه، ثُمَّ قال:

ما يُفِرُّكَ[٤] أن تقول: لا إله إلا الله؟ فهل تعلَمُ مِنْ إله سوى الله؟ قال: قلت: لا. قال: ثم تكلم ساعةً، ثُم قال: إنما تَفِرُّ أن تَقُولَ الله أكبرُ وتعلم أن شيئًا أكبر من الله؟ قال: قلتُ لا. قال: فإن اليهود مغضوبٌ عليهم، وإن النصارى ضُلاَّل، قال: قلت: فإنّي جئت مُسْلمًا. قال: فرأيتُ وجههَ تبسَّطَ فَرَحًا. قال: ثم أمَرَ بِي فأُنْزِلتُ عند رجلٍ منَ الأنصارِ، جعلتُ أغشاهُ (آتيه) طرفي النهارِ. قال: فبينا أنا عنده عشية، إذ جاءه قومٌ في ثياب من الصوفِ من هذه النمار[٥]، قال: فصلّى وقام فَحَثَّ عليهم، ثم قال: ولو صاعُ[٦]، ولو بنصفِ صاعٍ، ولو بقبضةٍ، ولو ببعض قبضةٍ، يقي أحدُكم وَجْهَهُ حرَّ جهنم أو النارَ ولو بتمرةٍ، ولو بشقِّ تمرةٍ، فإن أحدكم لاقي اللهِ وقائل له ما أقول لكم: «ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا؟» فيقول: بلى. فيقول: «ألم أجعل لك مالاً وولدا؟» فيقول: بلى. فيقول: «أين ما قدَّمتَ لنفسك؟» فينظرُ قُدَّامه وبعدَه وعن يمينه وعن شماله، ثم لا يجدُ شيئًا يقي به وجهه حرَّ جهنم، ليقِ أحدُكم وَجْهَهُ النارَ ولو بشقِ تمرةٍ، فإن لم يجد فبكلمةٍ طيبةٍ، فإني لا أخاف عليكم الفاقةَ[٧]، فإنَّ الله ناصركم ومعطيكم، حتى تسيرَ الظَّعينةُ[٨] فيما بين يثربَ والحيرة أو أكثرَ ما تخاف على مطيتها السَّرَق[٩]، قال فجعلت أقول في نفسي: فأين لُصوصُ طيىءٍ؟!!.

(حسن) ـ أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ٢، وأحمد (جـ ٤ ص ٣٧٨) بنحوه.

شرح المفردات

١ ـ العَيْلة: الفقر والحاجة.

٢ ـ العِيرُ: القافلة من الإبل.

٣ ـ خفير: مجير ومنقذ.

٤ ـ ما يُفِرُّك: ما يحملك على الفرار.

٥ ـ النّمار: كل شملة مخططة من مآزر الأعراب كأنها أخذت من لون النمر.

٦ ـ الصاع: يساوي ٢١٧٦ غرامًا.

٧ ـ الفاقة: الفقر.

٨ ـ الظعينة: المرأة في الهودج.

٩ ـ السرق: اللصوص

المعنى

إن المعنى واضح وجليٌّ، فالمؤمن سيقف للحساب أمام الله رب العالمين بدون ترجمان ولا واسطة ملك أو أي مخلوق آخر، وسيحاسبه رب العالمين بذاته العلية، ويقرره على نعمه التي أنعمها عليه ولا شك بعدها سيكون هالكًا، فيرى أنه إلى النار سيساق به، حينها نبّهنا رسول الله ﷺ إلى الخلاص وإلى النجاة من هذه النيران، وذلك عن طريق التصدق ولو بالقليل القليل ولو كان هذا القليل شقّ أو بفص تمرة وليس تمرة كاملة، فإن لم يجد بفص التمرة هذا فليتصدق بالكلمة الطيبة الصالحة والنصيحة والدعاء بالخير لكل من أتى إليه سائلاً فإن الله تعالى سيقبل منه إخلاصه وتقواه.

كتاب الأدعية والأذكار

(١) باب فضل الافتقار إلى الله تعالى

١٨٥/ ١ ـ عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال:

«يا عبادي! إني حرمتُ[1] الظلمَ على نفسي وجعلتهُ بينكمْ مُحرمًا فلا تَظَالَمُوا، يا عبادي كلكم ضالٌ إلا مَنْ هديتُهُ، فاستهدوني أهْدِكُمْ، يا عبادي كلكم جائِعٌ إلا من أطعمتُهُ، فاستطعموني أطْعِمْكُمْ، يا عبادي كلُّكُم عار إلا من كسوتُهُ، فاستكسوني أكْسِكُمْ، يا عبادي إنكم تخطَئونَ بالليل والنهار وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أوَّلَكم وآخِرَكم وإنسَكُمْ وجِنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحد منكم ما زادَ ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلبِ رجلٍ واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا.

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألتهُ ما نقصَ ذلك مما عندي إلا كما ينقصُ المخيطُ إذا أُدْخِلَ البحرَ. يا عبادي إنما هيَ أعمالكم أحْصيها لكم ثم أُوفيكم إياها فمنْ وجد خيرًا فليحمد الله، ومَنْ وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسَهُ».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب البر حديث ٥٥ والبخاري في الأدب المفرد (٤٩٠)، والحاكم (جـ ٤ ص ٢٤١)، والبيهقي (جـ ٦ ص ٩٣).

١٨٦/ ٢ ـ وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:.

يقولُ الله تعالى: **«يا عبادي كلكم ضالٌ إلا مَنْ هديته، فسلوني الهدى أهدكم، وكلكم فقيرٌ، إلا مَنْ أغنيتُه، فسلوني أرزقكمْ، وكلكم مذنبٌ، إلا مَنْ عافيتُ، فمنْ عَلِمَ منكم أني ذُو قدرةٍ على المغفرةِ فاستغفرني غفرتُ له ولا أبالي، ولو أنَّ أولكمْ وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادي ما زاد ذلكَ في ملكي جناحَ بعوضةٍ، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على**

أشقى قلب عبدٍ من عبادي ما نقص ذلك من ملكي جناحَ بعوضةٍ، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيدٍ واحد فسأل كلُ إنسانٍ منكم ما بلغتْ أمنيته فأعطيتُ كل سائل منكم ما سأل ما نقصَ ذلك من ملكي إلا كما لو أنَّ أحدكم مَرَّ بالبحر فغمسَ فيه إبرةً ثم رفعها إليه، ذلك بأني جوادٌ ماجدٌ أفعلُ ما أريدُ، عطائي كلامٌ وعذابي كلامٌ، إنما أمري بشيءٍ إذا أردتُهُ أنْ أقولَ له كنْ فيكونُ».

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب القيامة باب ٤٨. وأحمد (جـ ٥ ص ٧٧، ١٥٤)، وابن ماجه نحوهما في كتاب الزهد باب ٣٠ إلا أنه زاد: .

«ولو أن أولكم وآخركم. . اجتمعوا على أشقى قلب من قلوب عبادي ما نقص من ملكي جناح بعوضة».

٣/١٨٧ ـ وعن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن ربه عَزَّ وَجَلَّ:

«إني حَرَّمت على نفسي الظلم وعلى عبادي، ألا فلا تَظَالموا، كلُ بني آدَمَ يُخطىءُ بالليلِ والنهارِ ثم يستغفرُني فأغفرُ له، ولا أُبالي، وقالَ: يا بني آدمَ كلكم كانَ ضالاً إلا من هديتُ، وكلكم كان عاريًا إلا مَنْ كسوتُ، وكلكم كان جائعًا إلا من أطعمتُ، وكلكم كان ظمآن إلا مَنْ سقيتُ فاستهدوني أهدكمْ واستكسوني أكْسُكُم، واستطعموني أُطعمكمْ، واستسقوني أسقكمْ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وجنكم وإنسكم، وصغيركم وكبيركم، وذكركم وأنثاكم على قلب أتقاكم رجلاً واحدًا لم تزيدوا في ملكي شيئًا، ولو أنَّ أولكم وآخركم، وجنكم وإنسكم، وصغيركمْ وكبيركمْ، وذكركم وأنثاكمْ، على قلب أكفرِكم رجلاً، لم تنقُصُوا من ملكي شيئًا، إلا كما ينقص رأسُ المخيطِ من البحر».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٥ ص ١٦٠)، وعبد الرزاق في المصنف (جـ ١١/ ٢٠٢٧٢) مختصرًا بنحوه.

قوله: (قال عبد الصمد: . .). هو عبد الصمد بن عبد الوارث أحد رجال إسناد هذا الحديث وهو ثقة مأمون.

ملاحظة

سبق تفسير هذه الأحاديث في كتاب الظلم باب النهي عن التظالم فمن أحب فليرجع إليه.

(٢) باب الملائكة يلتمسون أهل الذكر

١/١٨٨ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

إنَّ لله ملائكةً يطُوفونَ في الطرقِ، يلْتَمِسونَ أهلَ الذِكرِ، فإذا وجدوا قومًا يذكُرونَ الله، تنادَوْا هلموا إلى حاجتكم، قالَ: فَيَحُفُّونهم بأجْنحتهمْ إلى السماء الدنيا، قال: فيسألُهُم ربُهم وهو أعلمُ منهم: «ما يقولُ عبادي؟» قالوا: يقولونَ: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقولُ: «هل رأَوْني؟» قال: فيقولون: لا والله ما رأوكَ، قال: فيقولُ: «وكيفَ لو رأوني؟» قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادةً، وأشدَّ لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا، قال: يقولُ: «فما يسألوني؟» قال: يسألونَكَ الجنةَ، قال: يقولُ: «وهل رأَوْهَا؟» قال: يقولون: لا والله يا ربِّ ما رأوها. قال: «يقولُ فكيفَ لو أنهم رأوها؟» قال: يقولونَ لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصًا، وأشدَّ لها طلبًا، وأعظمَ فيها رغبةً، قال: «فمِمَّ يتعوذون؟» قال: يقولونَ: من النار قال: يقولُ: «وهل رأوها؟» قال: يقولونَ: لا والله ما رأوها، قال: يقولُ: «فكيفَ لو رأَوْهَا؟» قال: يقولونَ. لو رأوا كانوا أشدَّ منها فراراً، وأشَدَّ لها مخافةً، قال: فيقول: «فأشهدُكُمْ أني قد غفرتُ لهم»، قال يقولُ مَلَكٌ من الملائكة: فيهم فلانٌ، ليس منهم، إنما جاء لحاجةٍ. قال: «همُ الجلساءُ لا يَشْقَى بهم جَليسُهُمْ».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب ٦٦.

٢/١٨٩ ـ عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ: .

إنَّ لله ملائكةً سَيَّاحينَ(١) في الأرض فَضْلاً عن كُتابِ(٢) الناسِ، فإذا وجدوا أقوامًا يذكرونَ الله تنادَوا: هلمُّوا إلى بغيتكم(٣)، فيجيئونَ فَيَحُفُّونَ بهم إلى سماءِ الدنيا، فيقولُ الله: «على أي شيءٍ تركتمْ عبادي يصنعون؟» فيقولونَ: تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويذكرونك.

قال: فيقولُ: «فهل رأوني؟» فيقولونَ: لا. قال: فيقول: «فكيفَ لو رأوني؟» قال: فيقولونَ: لو رأوك لكانوا أشدَّ تحميدًا وأشدَّ تمجيدًا وأشدَّ لك ذكرًا، قال: فيقولُ: «وأيُّ شيءٍ يطلبون؟» قال: فيقولونَ: يطلبونَ الجنة. قال: فيقولُ: «وهل رأَوْها؟» قال: فيقولونَ: لا. فيقولُ: «فيكفَ لو رأوها؟» قال: فيقولونَ: لو رأوها كانوا لها أشدَّ طلبًا وأشدَّ عليها حرصًا، قال: فيقول: «من أي شيءٍ يتعوذون؟» قالوا: يتعوذون من النار، قال: فيقولُ: «وهل رأوها؟» فيقولونَ: لا، فيقول: «فكيف لو رأَوْهَا؟» فيقولونَ: لو رأوها كانوا منها أشدَّ هربًا وأشدَّ منها خوفًا وأَشَدَّ منها تعوذًا. قال: فيقول: «فإني أشهدُكُمْ أني قد غفرتُ لهم»، فيقولونَ: إنَّ فيهم فلانًا الخطاءَ، لم يُرِدْهُمْ، إنما جَاءهُمْ لحاجةٍ، فيقول: «هُمُ القَومُ لا يَشْقَى لهم جليسٌ».

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب ١٣٠.

١٩٠/ ٣ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

إن لله تباركَ وتعالى ملائكةً سيارة فُضُلاً(٤)، يبتغونَ مجالسَ الذكرِ، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكرٌ قعدوا معهم، وحَفَّ بعضُهمْ بعضًا بأجنحتِهِم، حتى يملأُوا ما بينهم وبين السماءِ الدنيا، فإذا تفرقوا عَرَجُوا وصَعَدُوا إلى السماء، قالَ: فَيسألهم الله عز وجل ـ وهو أعلمُ بهم ـ: **«من أينَ جئتُمْ؟»** فيقولونَ: جئنا من عند عبادٍ لك في الأرضِ. يسبحونَكَ ويكبرونَكَ ويهللونَكَ ويحمدونك ويسألونك. قال: **«وماذا يسألوني؟»** قالوا: يسألونك جنتك. قال: **«وهل رأوا جنتي؟»** قالوا: لا. أي ربِّ! قال: **«فكيف لو رأوا جنتي؟»** قالوا: ويستجيرونكَ. قال: **«ومم يستجيرونني؟»** قالوا: من نارك يا ربِّ! قال: **«وهل رأوا ناري؟»** قالوا: لا. قال: **«فكيف لو رأوا ناري؟»** قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول: **«قد غفرتُ لهم فأعطيتُهُم ما سألوا وأجرتُهُم مما استجاروا»**. قال: فيقولونَ: ربِّ فيهم فلانٌ، عبدٌ خطاءٌ، إنما مَرَّ فجلسَ معهم، قال: فيقول: **«وله غفرتُ، هُمُ القومُ لا يشقَى بهم جليسُهُمْ»**.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء حديث ٢٥.

١٩١/ ٤ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله:

إنَّ لله ملائكةً سيارةً فُضُلاً يَلْتَمِسُونَ مجالسَ الذكرِ، فإذا أتوا على قوم يذكرون الله عز وجل، جلسوا فأظلوهم بأجنحتهم، ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا قاموا عَرَجُوا إلى ربهم، فيقولُ تبارك وتعالى ـ وهو أعلمُ ـ: **«من أينَ جئتُمْ؟»** فيقولونَ: جئنا من عند عبادٍ لك يسبحونَك ويمجِّدونَك ويَحْمدُونَكَ ويهللونَكَ ويكبرونَكَ ويستجيرونَكَ من عذابِكَ ويسألونَكَ جنتك فيقولُ تبارك وتعالى: **«وهل رأوا جنتي وناري؟»** فيقولون: لا. فيقول: **«فكيف لو رأوهما؟»** قال: فيقول: **«أشهدُكم فقد أجرتُهُمْ مما استجاروا وأعطيتُهُم ما سألوا»**. فيقال: إن فيهم رجلاً مَرَّ بهم، فقعدَ معهم فيقول: **«وله قد غفرت لهم قومٌ لا يَشْقَى بهم جَليسُهُمْ»**.

(صحيح) ـ أخرجه أبو داود الطيالسي (٢٤٣٤).

١٩٢/ ٥ ـ وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

إنَّ لله عز وجل ملائكةً فُضُلاً، يتَّبِعُون مجالسَ الذكرِ، يجتمعون عند الذكرِ، فإذا مروا بمجلس عَلاَ بعضهم على بعض، حتى يَبْلُغُوا العرشَ، فيقولُ الله عز وجل لهم ـ وهو أعلم ـ:

«من أينَ جئتم؟» فيقولون: من عند عبيدٍ لك يسألونك الجنةَ، ويتعوَّذُون بك من النارِ، ويستغفرونكَ فيقولُ: **«يسألوني جنتي هل رأوها؟ فكيف لو رأوها؟. ويتعوذونَ من نار جهنم فكيف لو رأوها؟ فإني قد غفرتُ لهم»**. فيقولونَ: ربنا إن فيهم عَبْدَكَ الخطاءَ فلانًا مَرَّ بهم لحاجةٍ له، فَجَلَسَ إليهم، فقال الله عز وجل: **«أولئك الجلساء لا يشقَى بهم جَليسُهُمْ»**.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٥١).

٦/١٩٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: .

إن لله ملائكةً سيارةً وفُضلاءَ يلتمسون مجالسَ الذِكرِ في الأرض، فإذا أتوْا على مجلس ذكرٍ، حَفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم إلى السماءِ، فيقولُ تباركَ وتعالى: **«من أينَ جئتم؟»** ـ وهو أعلمُ ـ فيقولونَ: ربنا جئْنا من عندِ عبادِكَ يسبحونَك ويكبرونَك ويحمدونك ويهللونك ويسألونك ويستجيرونك، فيقول: **«ما يسألوني؟»** ـ وهو أعلمُ ـ فيقولون: ربنا يسألونك الجنة. فيقول: **«وهل رأوها؟»**. فيقولون: لا يا ربِّ. فيقول: **«كيف لو رأوها؟»** فيقول: **«ومم يستجيرونني؟»** ـ وهو أعلم ـ فيقولون: منْ النار. فيقول: **«هل رأوها؟»** فيقولون: لا. فيقول: **«فكيف لو رأوها؟»** ثم يقول: **«اشهدوا أني قد غفرت لهم. وأعطيتهم ما سألوني وأجرتُهم مما استجاروني»**. فيقولونَ: ربنا إنَّ فيهم عبدًا خطاءً، جلس إليهم، وليس معهم. فيقول: **«وهو أيضًا قد غفرتُ له، هُمُ القومُ لا يَشْقَى بهم جليسُهمْ»**.

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (جـ ١ ص ٤٩٥).

٧/١٩٤ ـ وعنه أيضًا:

إن لله ملائكةً فُضُلاً، يبتغون الذكرَ، يجتمعون عند الذِكرِ، فإذا مروا بمجلس علا بعضهم على بعض، حتى يبلغوا العرشَ، فيقولُ الله لهم ـ وهو أعلمُ ـ **«من أين جئتم؟»** فيقولونَ: من عِندِ عبيدٍ لَكَ يسألونَك الجنة، ويتعوذون بك من النار، ويستغفرون فيقول: **«يسألوني جنتي فكيف لو رأوها؟ ويتعوذون من ناري فكيف لو رأوها؟ فإني قد غفرتُ لهم»** فيقولون: ربنا إن فيهم عَبْدَك الخطاءَ، فلانًا مَرَّ بهم لحاجةٍ، فجلس إليهم. قال الله عز وجل: **«أولئك الجلساءُ لا يشقَى بهم جليسُهم»**.

(حسن) ـ أخرجه ابن شاهين في الترغيب في الذكر كما في كنز العمال (جـ ١/ ١٨٧٨).

شرح المفردات

١ ـ سيّاحين: أي طوافين في بلاد الله تعالى.

٢ ـ كتاب الناس: الملائكة الذين يكتبون حسنات الناس وسيئاتهم.

٣ ـ بغيتكم: حاجتكم وما تبحثون عنه.

٤ ـ فُضُلاً: الملائكة الزائدون على الحفظة وهم موكلون فقط بالبحث عن مجالس الذكر.

المعنى

إن حلق الذكر التي تفتش عنها الملائكة الموكلة بها هي التي يذكر فيها اسم الله كثيرًا حسب ما ورد عن النبي ﷺ مثل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله واستغفر الله ومختلف الدعاء سواء تعلق بأمور الدنيا أو بأمور الآخرة، وكذلك تلاوة القرآن الكريم ودراسة الحديث النبوي الشريف ومجالس العلم ومجالس التوحيد، وكذلك الاجتماع لصلاة قيام الليل أو غيرها من النوافل التي يستحب الإتيان بها.

قال في (فتح الباري):

ثم الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق ولا يشترط استحضاره لمعناه، ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه ازداد كمالاً، فإن وقع ذلك في عمل صالح مهما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالاً، فإن صحح التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال انتهى.

(٣) باب فضل الذكر الخفي

١٩٥/١ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

قال الله: **«يا ابن آدم، إنْ ذكرتني في نفسك ذكرتُك في نفسي، وإنْ ذكرتني في ملأ ذكرتُك في ملأ من الملائكة أو في ملأ خير منهم، وإنْ دنوتَ مني شبرًا دنوتُ منك ذراعًا، وإنْ دنوتَ مني ذراعًا دنوتُ منك باعًا، وإنْ أتيتني تمشي أتيتُك أهرول»** قال قتادة: فالله عز وجل أسرع بالمغفرة.

(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده (١٣٨/٣).

١٩٦/٢ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل أنه:.

«من ذكرني في نفسِهِ ذكرتُهُ في نفسي، ومن ذكرني في ملأٍ من الناس ذكرتُهُ في ملأٍ أكثرَ منهم وأطيب».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده، (جـ ٢ ص ٤٠٥).

٣/١٩٧ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما:

قال الله تعالى: **«عبدي إذا ذكرتني خاليًا ذكرتُكَ خاليًا، وإن ذكرتني في ملأٍ ذكرتُكَ في ملأٍ خيرٍ منهم وأكثرَ»**.

(صحيح) ـ أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» كما في كنز العمال (جـ ١/١٧٩٧).

٤/١٩٨ ـ وعن ابن عباس أيضًا عن النبي ﷺ قال: قال الله تبارك وتعالى:

«يا ابنَ آدمَ إذا ذكرتني خاليًا ذكرتُك خاليًا، وإذا ذكرتني في ملأٍ ذكرتُكَ في ملأٍ خيرٍ من الذين ذكرتني فيهم».

(صحيح) ـ أخرجه البزار كما في مجمع الزوائد (جـ ١٠ ص ٧٨). ونحوه للطبراني في الكبير عن ابن عباس كما في الكنز (جـ ١/١٨٦٦).

٥/١٩٩ ـ وعن معاذ بن أنس الجهني الأنصاري:

قال الله تعالى: **«لا يَذْكُرُني عبدٌ في نفسِهِ إلا ذكرتُهُ في ملأٍ من ملائكتي ولا يذكُرني في ملأٍ إلا ذكرتُهُ في الرفيق الأعْلى»**.

(صحيح) أخرجه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (جـ ١٠ ص ٧٨).

المعنى

نقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري في تفسير حديث رقم (٧٤٠٥) قول الإمام البيهقي في تفسير النفس في كتاب الأسماء والصفات:

ثم قال ـ أي البيهقي ـ:

والنفس في كلام العرب على أوجه منها: الحقيقة كما يقولون في نفس الأمر وليس للأمر نفس منفوسة. ومنها الذات وقد قيل في قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] أن معناه تعلم ما أكنُّه وما أسره ولا أعلم ما تسِرُّه عني. وقيل ذكر النفس هنا ـ أي في الآية ـ للمقابلة والمشاكلة، وتعقب بالآية التي في أول الباب فليس فيها مقابلة أي قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] اهـ.

وعلى ما تقدم فإن معنى قوله **«من ذكرني في نفسه»** أي إن ذكرني سرًا أو إن ذكرني

في ذاته أي ذكرًا خفيًا ذكرته بالرحمة والفضل والثناء سرًا أو يكون المعنى أنني سأذكره بنفسي وبذاتي العلية وليس عن طريق أحد من الملائكة أو غيرهم، وهذا أبلغ وأعظم من الذكر الآخر الذي يكون في الملأ وبين الناس، مع الجزم بأن النوع الثاني أي الذكر في الملأ له ثوابه العظيم والكبير أيضًا حيث ان الله تعالى سيذكر عبده بين الملائكة الكرام.

قال في فتح الباري: قال أهل العلم: يستفاد منه ـ أي من الحديث ـ إن الذكر الخفي أفضل من الذكر الجهري. والتقدير إن ذكرني في نفسه ذكرته بثواب لا أطلع عليه أحدًا، وإن ذكرني جهرًا ذكرته بثواب أطلع عليه الملأ الأعلى اهـ.

(٤) باب فضل ذكر الله تعالى

١/٢٠٠ ـ عن ابن عمر وعن جابر رضي الله عنهم:

يقول الله تعالى: «من شَغله ذكري عن مسألتي أعطيتُه فوق ما أُعطي السائلين».

(حسن لغيره) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر، وعبد الرزاق عن جابر كما في كنز العمال (جـ ١/ ١٨٧٤).

٢/٢٠١ ـ عن ابن عمر وعن جابر رضي الله عنهم جميعًا:

يقول الله تعالى: **«من شَغله القرآن ذكري عن مسألتي أعطيتُه فوق ما أُعطي السائلين، وفضل كلام الله كفضل الله على خلقه»**.

(حسن) رواه الترمذي في كتاب ثواب القرآن باب ٢٥.

٢/٢٠٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

إن الله عزّ وجلّ يقول: **«أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي[(١)] شفتاه»**.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ٥٤٠)، وابن ماجه في كتاب الأدب باب ٥٣.

٣/٢٠٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يأثر عن ربه عز وجل أنه قال:

«أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ٥٤٠)، وابن حبان (٢٣١٦ ـ موارد).

٤/٢٠٤ ـ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إن الله يقول: **«أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه»**.

(صحيح) أخرجه الحاكم (جـ ١ ص ٤٩٦) أحمد (جـ ٢ ص ٥٤٠).

شرح المفردات

١ ـ وتحركت بي شفتاه: أي ما دام يذكرني بلسانه وشفتيه.

المعنى

لقد أوصى الله المؤمنين عباده بأن يذكروه دائمًا وعلى كل حال، بل أمرهم بأن يكثروا من ذكره سبحانه فقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرًا كثيرًا**﴾ [الأحزاب: ٤١]. وقال أيضًا جل شأنه ﴿**فاذكروني أذكركم**﴾ [البقرة: ١٥٢].

كل هذا ليبقى المسلم محصنًا باسم الله ومدافعًا عن إيمانه وعبادته من وساوس الشيطان وسقائط النفس والذي يداوم على ذكر الله كان الله معه بعونه ورحمته ورعايته، فيعينه الله تعالى على أعباء هذه الدنيا، ويوفقه لأعمال الدار الآخرة كما روى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن عبد الله بن بُسْرٍ رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كَثُرت، فأخبرني بشيء أتشبث به؟ قال: «لا يزالُ لسانُك رطبًا بذكرَ الله» انظر الترغيب والترهيب جـ ٢ كتاب الأدعية والأذكار.

والذي يكثر من ذكر الله سبحانه، فإن الله يقضي حوائجه كلها من غير أن يسأله العبد ويعطيه أفضل وأعظم مما يتوجه إليه به السائلون والداعون، فاللهم ارزقنا ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يا أكرم الأكرمين.

(٥) باب التسمية عند الطعام

١/٢٠٥ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

قال إبليس: يا رب، ليس أحدٌ من خلقك إلا جعلتَ له رزقًا ومعيشةً، فما رزقي؟ قال: «**ما لم يُذْكَرْ عليهِ اسمي**».

(صحيح) أخرجه أبو نعيم في الحلية (جـ ١ ص ١٢٦) وأبو الشيخ في كتاب (العظمة).

المعنى

أنه لمن الواضح في هذا الحديث القدسي أن إبليس شارك الإنسان في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه إذا لم يذكر اسم الله عليها، وإذا شاركه إبليس في هذه الأشياء، فمعنى ذلك

أنه سوف لن يشعر ببركتها، وستنصرف قواه الناتجة عن ذلك الغذاء إلى معصية الله، فالذي يداوم على ذكر الله ويبقى مستشعرًا ومستحضرًا علم الله به في كل مكان فإنه يستحضره ويذكره أيضًا في أموره كلها، ما كبر منها وما صغر، وما دَقَّ منها وما عظم، ولقد رُوي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«مَنْ سَرَّه أنْ لا يَجدَ الشيطانُ عنده طعامًا، ولا مقِيلاً، ولا مبيتًا، فلْيُسَلِّمْ إذا دخل بيته، ولْيُسَمِّ على طعامه».

رواه الطبراني (انظر الترغيب والترهيب جـ ٣ كتاب الطعام).

(٦) باب فضل الحمد لله تعالى

٢٠٦/ ١ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

لما فَرِغ اللهُ من خلق آدمَ وأجرى فيه الروحَ عَطَسَ فقالَ: الحمدُ للهِ، فقالَ له ربُّه: «يَرْحَمُكَ ربُّكَ».

(صحيح لغيره) ـ كما أخرجه الترمذي مطولاً في كتاب التفسير باب ٩٤.

٢٠٧/ ٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

لما خَلَقَ الله عزَّ وجلَ آدمَ ونفخَ فيه الروحَ عَطَسَ، فقالَ الحمدُ للهِ، فَحَمِدَ اللهَ بإذْنِ اللهِ، فقالَ له ربُّه: «يَرْحَمُكَ اللهُ يا آدمُ».

(صحيح لغيره) ـ أخرجه الحاكم (جـ ٤ ص ٢٦٣).

٢٠٨/ ٣ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

لما خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَطَسَ، فألهمه رَبُّه أنْ قالَ: الحمدُ للهِ، قال له ربك: «يرحمُك الله»، فلذلك سبقتْ رحمتُهُ غَضَبَهُ.

(صحيح لغيره) ـ أخرجه ابن حبان (٢٠٨٠ ـ موارد).

٢٠٩/ ٤ ـ وعن أنس بن مالك أنَّ رسولَ الله ﷺ قال:

لما نَفَخَ اللهُ في آدم الرُّوحَ، فَبَلَغَ الروحُ رَأْسَهُ عَطَسَ، فقال: الحمدُ لله رب العالمين، فقال له تبارك وتعالى: «يرحمك الله».

(صحيح) ـ أخرجه ابن خبان (٢٠٨١ ـ موارد).

٥/٢١٠ ـ عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلي فسمع رجلاً يقول: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما قضى صلاته قال:

أَيُّكم القَائِلُ كلمةَ كذا وكَذَا، فَأَرَمَّ[1] القومُ، حَتَّى قَالهَا ثلاثًا، فقالَ رجلٌ: أَنَا قُلْتُهَا يا رسولَ الله، وما أردتُ بها إلا الخيرَ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: لقد رأيتُ اثني عَشَرَ مَلَكًا ابْتَدَرُوهَا[2]، حَتَّى رَفَعُوهَا، فقَال تَبَارَكَ وتعالى: «اكْتُبُوهَا». إلا أَنَّهُمْ سَأَلُوا ربَّهم كَيْفَ يَكْتُبُونَها[3] فقالَ: «اكتبوها كما قَالَ عَبْدِي».

(صحيح) ـ أخرجه الطيالسي (٢٠٠١).

٦/٢١١ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ في الصلاة فقال: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قال:

أَيُّكم القَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وكَذَا.

قال: فأَرَمَّ القومُ، قال: فأعَادَها ثلاثَ مرَّاتٍ، فقَال رجلٌ: أنا قُلْتُهَا، وما أردتُ بها إلا الخيرَ، قال: فقالَ النبيُّ ﷺ:

لقد ابْتَدَرَهَا اثنا عَشَرَ مَلكًا فما دَرَوْا كيفَ يكْتُبُونها، حتى سأَلُوا رَبَّهم عَزَّ وَجَلَّ، فقالَ: «اكتبوها كما قال عَبْدِي».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (ج ٣ ص ٢٦٩).

٧/٢١٢ ـ وعن أنس قال: كنت جالسًا مع رسول الله ﷺ في الحلقة إذ جاء رجلٌ فسلَّم على النبي ﷺ وعلى القَوم فقالَ: السلامُ عليكم: فقالَ النبي ﷺ: **وعليكم السلامُ ورحمةُ الله وبركاته**. فلما جَلَس قَالَ: الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيبًا مُبَارَكًا فيه، كما يُحبُّ ربنا ويَرْضى، فقال له النبيُّ ﷺ:

والذي نَفْسِي بيدِهِ، لَقَدْ ابْتَدَرَهَا عَشَرَةُ أَمْلاكٍ، كُلُّهم حَرِيصٌ على أنْ يكتبوها، فما دَرَوْا كيفَ يكتبوها، فرجَعُوا إلى ذِي العزةِ جل ذكرُهُ، فقال: «اكتبوها كما قالَ عبدي».

(حسن) ـ أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٣٣٧ ـ موارد).

٨/٢١٣ ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حدثهم أنَّ عبدًا من عباد الله قال: يا رب، لك الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، فَعَضَلت[4] بالملكين، فلم يدريا كيف يكتبانها، فَصعِدا إلى السماء وقالا: يا ربنا أن عبدًا من عبادك قال مقالة لا ندري كيف نكتُبُها. قال الله عز وجل ـ وهو أعلم بما قال عبده ـ:

ماذا قال عبدي؟ قالا: يا رب إنه قال: يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك فقال الله عز وجل لهما: اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجْزِيَه بها.

أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب باب فضل الحامدين رقم ٥٥.

قال في الزوائد: في إسناده قدامة بن إبراهيم ذكره ابن حبان في الثقات. وَصَدَقَة بن بشير لم أرَ من جرّحه ولا من وثّقه. وباقي رجال الإسناد ثقات.

٢١٤/ ٩ ـ عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إن الله عز وجل يقول: «**إن عبدي المؤمنَ عندي بمنزلة كلِّ خير، يَحْمَدُني وأنا أنزِع نفسَه من بين جنبيه**».

(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٤١، ٣٦١).

٢١٥/ ١٠ ـ عن ابن عباس وعن أبي هريرة رضي الله عنهم:

قال الله تعالى: «**إن المؤمن مني بعرِضُ كلِّ خير، أنّي أنْزِعُ نفسَه من بين جنبيه وهو يحمدُني**».

(صحيح) أخرجه الحكيم الترمذي كما في كنز العمال (ج ٣/ ٦٦٩٠).

شرح المفردات

١ ـ فأَرَمَّ القوم: سكتوا.

٢ ـ ابتدروها: أي بادر وسارع بعضهم بعضًا إلى تلك الكلمة أيهم يحظى بها قبل صاحبه.

٣ ـ كيف يكتبونها: أي بكم حسنة.

٤ ـ عَضَلَتْ: اشتد عليهم الأمر واستغلق.

المعنى

هذه هي فطرة الله تعالى لآدم ولذريته من بعده، أن يحمدوا الله على كل حال حتى عند العطاس. وقد علمنا رسول الله ﷺ ماذا نقول عند العطاس وماذا يقول الجالسون عند العاطس فقال ﷺ: «إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال، وليقلْ أخوه أو صاحبه يرحمك الله ويقول هو يهديكم الله ويصلحُ بالكم» رواه أبو داود في كتاب الأدب حديث (٥٠٣٣).

هذا ما كان عند العطاس، أما في الصلاة فقد حمد صحابي اللهَ عز وجل بكلمة ما سبقه إليها أحد وهي «الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يُحبُ ربُنا ويرضى» وفي الحديث الثامن كلمة الحمد هي «يا ربِّ لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك» وسواء هذه أو تلك، فقد تسابقت إليها الملائكة الكتبة الكرام لعظيم شأنها هبت خرجت من قلب مخلص محب، واشتد عليهم وقعها وعباراتها وعظمت عندهم معانيها فلم يدريا كيف يكتبانها أي لم يدريا كم تساوي من الحسنات، فسألوا رب العزة فقال لهم: اكتبوها في صحيفته كما قالها بدون ذكر الحسنات التي تستحقها حتى يلقاني في يوم القيامة فأجزيَه بها. وهذا أي إخفاء الثواب من الله وتأخيره إلى يوم القيامة، إنما يعني أن الله سيعطي ذلك العبد الثواب الكبير والأجر العظيم الذي لم ينلْهُ أحد من عبيده.

وانظر إلى المؤمن العابد التقي، يحمد الله في السراء والضراء، في الشدة وفي الرخاء، في الأفراح وفي الأتراح، وحتى عند قبض روحه من جسده وهو يُفارق هذه الحياة يحمد الله سبحانه، وهو بذلك ينال الخير الجزيل من عند الله تبارك وتعالى، فهو دائمًا على خير حَال وأحسن مآل، فإن أصابه حزن أو هم أو أصابته مصيبة صبر عليها فنال ثواب الصابرين، وإذا أصابته نعمة شكر الله عليها فنال ثواب الشاكرين.

(٧) باب فضل جملة من الأذكار

٢١٦/١ ـ عَنِ أَبي إِسْحَاقَ، عَنِ الأَغَرِّ أَبي مُسْلِم، أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبي هُرَيْرَةَ وَأَبي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ قَالَ: إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: صَدَقَ عَبْدِي، لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنَا، وَأَنَا اللهُ أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنَا وَلاَ شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنَا، لِي الْمُلْكُ، وَلِيَ الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنَا، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِي.

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَالَ الأَغَرُّ شَيْئًا لَمْ أَفْهَمْهُ، قَالَ: فَقُلْتُ لأَبِي جَعْفَرٍ: مَا قَالَ؟ فَقَالَ:

(مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ).

(صحيح) رواه ابن ماجه في كتاب الأدب باب ٥٤.

٢/٢١٧ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول:

من قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا اللهُ والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله قال الله: «أسلم عبدي واستسلم»

(صحيح) أخرجه الحاكم (جـ ١ ص ٥٠٢).

٣/٢١٨ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: جَاءَ أَعْرابي إِلَى النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: عَلِّمْنِي خَيْرًا، فَأَخَذَ النَّبيُّ ﷺ بِيَدِهِ فَقَالَ: «قُلْ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وَاللهُ أَكْبَرُ» قَالَ: فَعَقَدَ الأَعْرَابِيُّ عَلَى يَدِهِ وَمَضَى فَتَفَكَّرَ، ثُمَّ رَجَعَ فَتَبَسَّمَ النَّبيُّ ﷺ قَالَ: «تَفَكَّرَ الْبَائِسُ فَجَاءَ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ هَذَا للهِ فمَا لِي؟ فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: «يَا أَعْرَابي إِذَا قُلْتَ: سُبْحَانَ اللهِ، قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ، وَإِذَا قُلْتَ: الْحَمْدُ للهِ، قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ، وَإِذَا قُلْتَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ، وَإِذَا قُلْتَ: اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ، وَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، قَالَ اللهُ: فَعَلْتُ، وَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، قَالَ اللهُ: فَعَلْتُ، وَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي، قَالَ اللهُ: قَدْ فَعَلْتُ» قَالَ: فَعَقَدَ الأَعْرَابِي عَلَى سَبْعٍ فِي يَدِهِ ثُمَّ وَلَّى.

(حسن) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (رقم ٦١٩).

المعنى

هذه جملة من الأذكار والأدعية يعلمنا إياها رسول الله ﷺ ويخبرنا بجواب الله تعالى لنا عن كل نوع منها وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلاّ بالله والاستغفار وطلب الرحمة وطلب الرزق، وقد عدّها الأعرابي في يده سبعًا لكي يواظب عليها، فهي غاية في استسلام العبد لله ولأمره، وهي غاية في عبودية العبد لله وافتقاره إليه، فحبذا لو حافظ المسلم على هذه الوصايا والأذكار وداوم على تكرارها بلسانه وقلبه ليحصل على الخير الكبير والصفاء والنقاء في نفسه والفوز العظيم في دنياه وآخرته.

(٨) باب فضل الشهادتين

١/٢١٩ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن عمرِو بن الْعَاصِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ

اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ لَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاً[١]، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لا يا ربِّ، فيقول: أفلكَ عُذرٌ؟ فيقولُ: لا، يا ربِّ، فيقول: بَلَى، إِنَّ لَكَ حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتُخْرَجُ بطَاقَةٌ، فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ[٢]، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ في كِفَّةٍ، وَالبِطَاقَةُ في كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ أَحَدٌ).

(حسن) رواه الترمذي في كتاب الإيمان باب ١٧.

٢٢٠/٢ ـ وأخرج هذا الحديث ابن ماجه في سننه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أيضًا في كتاب الزهد باب ٣٥ وألفاظه مثل ألفاظ الترمذي ـ إلا أنه زاد فيه:

(أَلَكَ عَنْ ذَلكَ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لاَ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ حَسَنَات، وَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ الخ).

شرح المفردات

١ ـ سجلاً: كتابًا يسجل فيه الحسنات والسيئات وهو هنا كتاب السيئات.

٢ ـ وزنك: وزن حسناتك وسيئاتك.

المعنى

هكذا تنفع الشهادتان العبد يوم القيامة، والواضح من هذا الحديث أن العبد كان كثير الذنوب، كثير الخطايا، كثير المعاصي بحيث أصبحت سيئاته سجلاتٍ وكتبًا مدّ البصر، ولا شك أنه رأى في نفسه الهلاك والخسران، لكن الشهادتين أنقذتاه من هذا المصير الأسود والعذاب المحتوم، والله سبحانه له أن يفعل ما يشاء وأن يغفر لمن يشاء. وأن يعفو عمن يشاء ما دام العبد مؤمنًا مسلمًا موحّدًا لله سبحانه، مع أن هناك أحاديث كثيرة تشير إلى أن العبد وإن كان قد مات على التوحيد لكنه يعذب على ذنوبه ومعاصيه ليتطهر منها ثم بعد ذلك يكرمه الله سبحانه بدخول الجنة، غير أن الله جل شأنه قد أكرم هذا العبد فغفر له بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ حيث أثقلت كِفَّةَ حسناته على كِفَّةِ سيئاته في الميزان.

وقد نقل الإمام المنذري في كتابه الترغيب والترهيب كلامًا للإمام المملي عبد العظيم في الجزء الثاني في كتاب الترغيب في قول لا إله إلا الله قال فيه: قال المملي عبد العظيم: وقد ذهب طوائف من أساطين أهل العلم إلى أن مثل هذه الإطلاقات التي وردت فيمن قال لا إله إلا الله دخل الجنة، أو حرّم الله عليه النار ـ ومثلها الحديث الذي بين أيدينا ـ ونحو ذلك، إنما كان في ابتداء الإسلام حين كانت الدعوة إلى مجرد الإقرار بالتوحيد، فلما فرضت الفرائض، وحَدَّت الحدود نسخ ذلك، والدلائل على هذا كثيرة متظاهرة، وقد تقدم غير ما حديث يدل على ذلك في كتاب الصلاة والزكاة والصيام والحج، وتأتي أحاديث أخر متفرقة إن شاء الله، وإلى هذا القول ذهب الضحاك والزهري وسفيان الثوري وغيرهم.

وقال طائفة أخرى: لا احتياج إلى ادعاء النسخ في ذلك، فإن كل ما هو من أركان الدين وفرائض الإسلام هو من لوازم الإقرار بالشهادتين وتتماته، فإذا أقرّ ثم امتنع عن شيء من الفرائض جحدًا أو تهاونًا على تفصيل الخلاف فيه حكمنا عليه بالكفر وعدم دخول الجنة، وهذا القول أيضًا قريب. انتهى.

وعليه، فإن على العبد المسلم أن يؤدي ما افترضه الله عليه وأن يجتنب ما نهاه الله عنه لكي يكون حقًا من أهل لا إله إلا الله لكي تنفعه هذه الكلمة فتنجيه من عذاب اليم وتدخله جنات النعيم والله تعالى أعلم.

(٩) باب ما يُقال بعد الصلاة

١/٢٢١ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه:

أنَّ أُمَّ سليم غدتْ على النبي ﷺ، فقالت: علمني كلماتٍ أقولُهُنَّ في(١) صلاتي، فقال: كبرِّي الله عشرًا، وسبِّحي الله عشرًا، واحْمديه عشرًا، ثم سَلي ما شئتِ، يقولُ: «نعمْ نعمْ».

(حسن) ـ أخرجه الترمذي (جـ ٢/ ٤٨١)، والحاكم (جـ ١ ص ٣١٧).

٢/٢٢٢ ـ عن أنس بن مالك قال: جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله علمني كلمات أدعو بهنّ قال:

تسبِّحِينَ الله عَزَّ وَجَلَّ عَشْرًا، وتحمدينه عشرًا، وتكبرينه عشرًا، ثم سلي حاجَتَك، فإنه يقول: «قد فعلتُ قد فعلت».

(حسن) ـ أخرجه (أحمد جـ ٣ ص ١٢٠). والنسائي في كتاب الأدعية باب الذكر بعد التشهد.

شرح المفردات

١ ـ في صلاتي: المقصود بعد صلاتي.

المعنى

هكذا كانت النساء يطلبنَ من رسول الله ﷺ أن يعلمهن أمورًا في دينهن وذلك من شدة حرصهن وقوة تمسكهن بالإيمان والعبادة والتقوى، فعلمهن رسول الله ﷺ من طريق أم سليم أن يقُلْن بعد صلاتهن الله أكبر عشر مرات، وسبحان الله عشر مرات، والحمد لله عشر مرات، ثم يسألن الله تعالى بعد ذلك ليستجيب لهن دعاءهن ويقضي لهن حاجاتهن.

وإنما قلنا هذه التسابيح هي بعد الصلاة لما قاله العراقي الذي تراه موجودًا في شرح صحيح الترمذي للحديث رقم ٤٨١ للقاضي الشرعي أحمد محمد شاكر طبع دار الكتب العلمية قال: «إيراد هذا الحديث في باب صلاة التسبيح فيه نظر، فإن المعروف أنه ورد في التسبيح عقب الصلوات لا في صلاة التسبيح، وذلك مبين في عدة طرق، منها في مسند أبي يعلى، والدعاء للطبراني: فقال: يا أم سليم إذا صليت المكتوبة فقولي: سبحان الله عشرًا، إلى آخره».

(١٠) باب فضل الصلاة على النبي

٢٢٣/ ١ ـ عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ جاء ذاتُ يومٍ والبِشْرُ يُرى في وجههِ فقلنا: إنا لنرى البِشرَ في وجهك. فقال: إنه أتاني مَلَكٌ فقال:

يا محمد، إنّ ربك يقول: أما يُرضيك أن لا يصليَ عليك أحدٌ من أمتك إلا صلّيتُ[1] عليه عشرًا، ولا يسلّمُ عليك إلا سلَّمتُ[2] عليه عشرًا.

(صحيح لغيره) أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ٢٩) النسائي في كتاب السهو باب فضل التسليم على النبي.

٢٢٤/ ٢ ـ عن أبي طلحة الأنصاري قال: أصبح رسولُ الله ﷺ يومًا طيِّبَ النفس يُرى في وَجهه البِشْرُ. قالوا: يا رسول الله؛ أصبحتَ اليومَ طيبَ النفس يُرى في وجهك البشرُ؟! قال: أجل أتاني آتٍ من ربي عز وجل فقال: «من صلى عليك من أمتك صلاةً كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وردّ عليه مثلها».

(صحيح لغيره) أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ٢٩).

٣/٢٢٥ ـ عن عبد الرحمن بن عوف قال: خرج رسول الله ﷺ فاتبعتُه حتى دخل نخلاً فسجد فأطال السجودَ حتى خِفتُ أو خَشِيتُ أنْ يكونَ اللهُ قد توفّاه أو قَبَضَه. قال: فجئتُ أنظرُ فرفع رأسَه فقال: ما لك يا عبدَ الرحمن؟ قال: فذكرتُ ذلك له. فقال: إن جبريل عليه السلام قال لي: ألا أبشرُك؟ إن الله عز وجل يقول لك: «من صَلى عليك صليتُ عليه، ومن سلَّم عليك سلَّمتُ عليه».

(صحيح لغيره) أخرجه أحمد (جـ ٣/ ١٦٦٢)، (جـ ٣/ ١٦٦٤).

شرح المفردات

١ ـ صلَّيْتُ عليه: الصلاة من الله تعالى رحمة وغفران.

٢ ـ سلَّمْتُ عليه: أي جعلته في أمان وسلام.

المعنى

هذا مقام رفيع ودرجة عالية لحضرة نبينا محمد ﷺ يهبها الله تعالى له ولأمته من بعده حيث إن من صلى عليه من أمته صلاة يأتيه الجواب والرد من المولى عز وجل بعشر صلوات، وإثبات عشر حسنات في صحيفته، ومحو عشر سيئات من صحيفته، والتسليمة كذلك بعشر تسليمات.

فأكثر أيها العَبد من الصلاة والسلام على هذا الرسول المكرم والنبي المعظم ﷺ، وشرَّف وعظم، وإذا علمت أن النبي ﷺ يصل إليه سلامك ويعرف اسمك واسم أبيك، فكيف يكون حالك يا ترى، فاسمع إلى ما رواه البزار عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ:

«إن الله وكّل بقبري ملكًا أعطاه الله أسماء الخلائق فلا يصلّي عليّ أحدٌ إلى يوم القيامة إلا أبلغني باسمه واسم أبيه: هذا فُلانُ بنُ فلان قد صلى عليك». انظر الترغيب والترهيب للمنذري جـ ٢ كتاب الترغيب في فضل الصلاة على النبي ﷺ.

(١١) باب مَنْ لا تردُ دعوته

١/٢٢٦ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

ثَلاثَةٌ لا تُرَدُ دَعْوَتُهُمْ: الصائمُ حتى يُفطِرَ، والإمام العادِلُ، ودَعْوةُ المظلومِ يَرْفَعُهَا الله

فَوْقَ الغِمامِ، ويَفْتَحُ لها أبْوابَ السماءِ، ويقولُ الربُّ: «وعزتي لأنصرنَّكَ ولوْ بَعْدَ حين».

(حسن) ـ أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب ١٢٩.

٢/٢٢٧ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإمام العادلُ، والصائمُ حتى يُفْطِرَ، ودعوةُ المظلوم يَرْفَعُها الله دُونَ الغمامِ يومَ القيامةِ، وتُفتَحُ لها أبوابُ السماءِ، ويقولُ: «بعزتي لأنْصُرَنَّكَ ولوْ بَعْدَ حين».

(حسن) ـ أخرجه ابن ماجه في كتاب الصيام باب ٤٨. وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٥).

٣/٢٢٨ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله إنا إذا رأيناك رقَّتْ قلوبُنَا وكُنَّا من أهْلِ الآخِرةِ وإذَا فارقناك أعْجَبَتْنَا الدنيا وشممنا النساءَ والأولادَ. قال:

لو تكونون ـ أو قال ـ: لو أنكم تكونون على كل حال، على الحالِ التي أنتم عليها عندي، لَصَافحتكُمُ الملائكةُ بأكفِّهم، ولزارتكم في بيوتكم، ولو لَمْ تُذْنِبُوا لجاء الله بقوم يُذْنِبُونَ كي يغفرَ لهم، قال: قلنا: يا رسولَ الله حدثنا عن الجنة: ما بناؤُهَا؟ قال: لبنةُ ذَهَبٍ ولبنةُ فِضَّةٍ، ومِلاطُهَا المسكُ الأذْفَرُ، وحَصْبَاؤُهَا اللؤلؤ والياقوتُ، وتُرَابُها الزعفَرانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ ولا ييأسُ، ويَخْلُدُ ولا يموتُ، لا تَبْلَى ثيابُهُ، ولا يَفْنَى شَبَابُهُ. ثلاثةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمامُ العادِلُ، والصائِمُ حتى يُفْطِرَ، ودعوة المظلوم تُحْمَلُ على الغِمامِ، وتُفْتَحُ لها أبوابُ السماءِ، ويقولُ الربُّ عَزَّ وَجَلَّ: «وعزتي لأنصرنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حينٍ».

(حسن) ـ ابن حبان (٢٦٢١)، والطيالسي (٢٥٨٣، ٢٥٨٤).

٤/٢٢٩ ـ وعن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

اتَّقُوا دعوةَ المظلوم فإنها تُحْمَلُ على الغمامِ. يقولُ الله: «**وعزتي وجلالي لأنصرنك ولَو بعدَ حينٍ**».

(حسن لغيره) ـ أخرجه الطبراني كما في الترغيب (جـ ٣ ص ٣٢٨).

لقد مرّ شرح هذه الأحاديث مستوفىً في كتاب الظلم باب (نصرة الله لدعوة المظلوم) فليراجع.

(١٢) باب فضل الدعاء في ثلث الليل الأخير

١/٢٣٠ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ يقول:

يتنزلُ[1] ربنا تبارك وتَعَالى كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا حِينَ يَبْقى ثُلُثُ الليل الآخرُ يقولُ: **«مَنْ يدعوني فأستجيبَ له؟ من يسألني فأعطيه؟ ومن يستغفرني فأغفرَ له؟»**.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب ١٤.

٢/٢٣١ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

ينزل الله إلى السماءِ الدنيا كلَّ ليلةٍ حين يمضي ثلثُ الليلِ الأول فيقولُ: **«أنا الملكُ أنا الملكُ، مَنْ ذا الذي يدعوني فأستجيبَ له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيءَ الفجرُ»**.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب المسافرين حديث ١٦٩، والترمذي في كتاب الصلاة باب ما جاء في نزول الرب عز وجل إلى السماء الدنيا كل ليلة.

٣/٢٣٢ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

ينزلُ الله عَزَّ وَجَلَّ كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا لنصفِ الليلِ الآخرِ أو لثلث الليلِ الآخرِ، فيقول: **«من ذا الذي يدعوني فاستجيبَ له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيَهُ؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفرَ له؟»** حتى يطلعَ الفجرُ أو ينصرفَ القارىءُ[2] من صلاةِ الصبحِ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ٥٠٤).

٤/٢٣٣ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

إذا مَضَى شطرُ الليلِ أو ثلثاه ينزلُ الله تباركَ وتعالى إلى السماء الدنيا فيقولُ: **«هل من سائلٍ يُعْطَى؟ هل من داعٍ يُستجابُ له؟ هل من مستغفرٍ يُغْفَرُ له؟»** حتى ينفجر الصبحُ.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب المسافرين حديث ١٧٠.

٥/٢٣٤ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

ينزلُ الله في السماءِ الدنيا لشطر الليل أو لثلثِ الليل الآخرِ فيقولُ: **«مَنْ يدعوني فأستجيبَ له؟ أو يسألني فأعطيه؟** ثم يقول: **«مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ ولا ظَلُومٍ؟[3]»**.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب المسافرين حديث ١٧١.

٦/٢٣٥ ـ وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

لَوْلاَ أنْ أشقّ على أمتي، لأمرتُهُمْ بالسواكِ مَعَ الوضوءِ، ولأَخَّرْتُ العِشَاءَ إلى ثُلُثِ الليلِ، أو نصْفِ الليل، فإذا مضى ثلثُ الليلِ، أو نصفُ الليل، نَزَلَ إلى السماءِ الدنيا عَزَّ وَجَلَّ، فقال: «هل من سائلٍ فأُعطِيَه؟ هل من مستغفرٍ فأغفِرَ له؟ هل من تائبٍ فأتوبَ عليه؟ هلْ مِنْ داعٍ فأجيبَه؟».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٢٠).

٧/٢٣٦ ـ وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول:

إذا بَقِيَ ثُلثُ الليلِ، ينزلُ الله عَزَّ وَجَلَّ إلى سماء الدنيا، فيقولُ: «مَنْ ذا الذي يدعوني استجبْ له؟ من ذا الذي يستغفرني أغفرْ له؟ من ذا الذي يسترزقني أرزقه؟ من ذا الذي يستكشفُ[٤] الضرَّ أكشِفُه». حتى ينفجرَ الصبح.

(حسن) ـ أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ٥٢١).

٨/٢٣٧ ـ وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ:

إن الله يُمْهِلُ حتى إذا ذهبَ ثلثُ الليلِ الأولُ، نَزلَ إلى السماءِ الدنيا، فيقولُ: «هَلْ مِنْ مُستغفرٍ؟ هل من تائبٍ؟ هل من سائلٍ؟ هل من داعٍ؟»، حتى ينفجر الفجرُ.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب المسافرين حديث ١٧٢.

٩/٢٣٨ ـ عن أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال:

إن الله عَزَّ وَجَلَّ يمهلُ حتى يذهبَ ثلثُ الليلُ، ثم ينزلُ فيقولُ: «هَلْ مِنْ سائلٍ؟ هل من تائبٍ؟ هل من مستغفرٍ؟ هل من مذنبٍ؟»، قال: فقال له رجلٌ: حتى يطلعَ الفجرُ؟ قال: نعَمْ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٣ ص ٣٤)، وأبو عوانة في مسنده (جـ ٢ ص ٢٨٨).

١٠/٢٣٩ ـ وعن رفاعة الجهني رضي الله عنه قال:

أقبلنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بالكديد، أو قال: بقديد[٥]، فجعل رجال منا يستأذنون إلى أهليهم، فيأذن لهم، فقام رسول الله ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

ما بالُ رجالٍ[٦] يكونُ شِقُّ الشجرةِ، التي تَلي رسولَ الله ﷺ، أبغضَ إليهم من الشّق الآخر، فلمْ نَرَ عند ذلك من القوم إلا باكيًا، فقال رجلٌ: إنّ الذي يستأذنُكَ بعد هذا لسفيهٌ،

فحمدَ الله، وقال حينئذٍ: أشهدُ عند الله، لا يموتُ عبدٌ يشهدُ أن لا إله إلا الله، وأني رسولُ الله صدقًا من قبله، ثم يسدِّدُ إلا سَلَكَ في الجنةِ، قال: وقَدْ وعدني ربي عَزَّ وَجَلَّ، أن يُدْخِلَ من أمتي سبعين ألفًا لا حسابَ عليهم، ولا عذابَ، وإني لأرجُو أن لا يدخلوها حتى تَبَوَّءُوا(٧) أنتم ومن صَلَحَ من آبائكم وأزواجكم وذرياتكم مساكنَ في الجنةِ، وقال: إذا مضى نصفُ الليلِ أو قالَ: ثلثا الليلِ ينزلُ الله عَزَّ وَجلَّ إلى السماءِ الدنيا، فيقولُ: **«لا أسألُ عن عبادي أحدًا غيري، من ذا الذي يستغفرني فأغفرَ له؟ من ذا الذي يدعوني أستجيب له؟ من ذا الذي يسألني أعطيه؟»** حتى ينفجرَ الصبحُ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ١٦)، والطيالسي (١٩٩١، ١٩٩٢)، وابن حبان ٩ ـ موارد).

٢٤٠/ ١١ ـ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

إذا كانَ ثُلُثُ الليلِ الباقِي، يهبطُ الله عَزَّ وَجَلَّ إلى السماءِ الدنيا، ثم تُفْتَحُ أبوابُ السماءِ، ثم يَبْسُطُ يَدَهُ فيقولُ: **«هل من سائلٍ يُعْطَى سُؤْلَه؟»**، فلا يزالُ كذلك حتى يطلعَ الفجرُ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٨٨).

٢٤١/ ١٢ ـ وعن جبير بن مطعم عن النبي ﷺ:

ينزلُ الله عزَّ وَجَلَّ في كلِّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا فيقولُ: **«هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفرَ له؟»**، حتى يطلعَ الفجرُ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ٨١، ص ٨٤).

٢٤٢/ ١٣ ـ وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة، ولأخرت العِشاء إلى ثلث الليل، فإنه إذا مضى ثلث الليل الأول هبط الله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا، فلم يزل هنالك حتى يطلع الفجر، يقول: **«ألا سائلٌ فيُعْطَى؟ ألا داعٍ فيجابَ؟ ألا مُسْتَشْفِعٌ فَيُشفَعَ. ألا تائبٌ مستغفِرٌ فَيُغْفَرَ لَهُ؟»**.

(حسن) ـ أخرجه البزار (جـ ١/ ٤٩١).

٢٤٣/ ١٤ ـ وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي عن النبي ﷺ قال:

تفتح أبوابُ السماء نصفَ الليل، فينادي منادٍ: «**هل من داعٍ فيستجابَ له؟ هل من سائلٍ فيُعطَى؟ هل من مكروبٍ فيفرَّجَ عنه؟**» فلا يبقى مسلمٌ يدعو بدعوةٍ إلا استجاب الله عَزَّ وَجَلَّ له إلا زانيةً تسعى بفرجها أو عَشَّارًا(٨).

(صحيح) ـ أخرجه الطبراني في الأوسط كما في (سلسلة الألباني الصحيحة/ ١٠٧٣).

شرح المفردات

١ ـ يتنزل ربنا: النزول محال على الله تعالى ويتأول الكلام على نزول الرحمة أو العناية أو الاستجابة للدعاء وغير ذلك.

٢ ـ ينصرف القاريء: أي ينتهي المصلي من صلاة الصبح.

٣ ـ مَنْ يُقرِضُ غير عدم ولا ظلوم: أي من الذي يطيع الله الذي هو غير مفتقر إلى أحد ولا ظلومًا لأحد. قال النووي في شرح الصحيح حديث (١٧١): وسماه سبحانه وتعالى قرضًا ملاطفة للعباد وتحريضًا لهم على المبادرة إلى الطاعة، فإن القرض إنما يكون ممن يعرفه المقترض وبينه وبينه مؤانسة ومحبة فحين يتعرض للقرض يبادر المطلوب منه بإجابته لفرحه بتأهيله للاقتراض منه وإدلاله عليه وذكره له وبالله التوفيق اهـ.

٤ ـ يستكشفُ الضرَّ: يطلب كشف الضرّ.

٥ ـ قُدَيْد: موضع بين مكة والمدينة.

٦ ـ ما بال رجال: هذا كناية عن عتابه ﷺ لهم لتخلفهم عنه.

٧ ـ تَبَوَّؤا: تنزلوا.

٨ ـ العَشّار: هو الذي يأخذ الضرائب على البضائع والسلع.

المعنى

إن من أعظم الأوقات استجابة للدعاء من الله سبحانه وقت الليل وجوف الليل حيث الناس نيام والعبد قائم بين يدي ربه طامعًا وخائفًا، وإن من أفضل الأوقات بركة وفيضًا كذلك هو وقت الليل، حيث تتنزل الرحمات الإلهية والأنوار الربانية وبدل أن يسأل العبد حاجته ويرفع طلباته ويعرض مشاكله، فإن الله جل في علاه هو بذاته العلية وقوته السرمدية وعظمته المقدّسة وغناه المطلق، هو بذاته، يسأل وينادي عبيده الطائعين: من يريد حاجة

فليعرضها، من يطلب مسألة فليقدمها، من لديه مشكلة فليطرحها، من هو مذنب ويريد المغفرة فليستغفر، فهذا أوان التقاء المحب بالمحبوب، والطالب بالمطلوب، والحاجات كلها ستُلَبّى، فأين المتهجدون وأين الراكعون وأين الساجدون، ولذلك فقد وصف الله عباده المتقين الذي يستحقون الجنات التي تجري. من تحتها الأنهار وصفهم فقال: **﴿الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار. الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾** [آل عمران: ١٦، ١٧]. وكذلك وصفهم فقال: **﴿إنهم كانوا قبل ذلك محسنين. كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون. وبالأسحار هم يستغفرون﴾** [الذاريات: ١٦، ١٨]. ومَنْ مِنّا ليس بحاجة إلى ذلك الوقت العظيم ليبثَّ إلى الله شكواه ورجاءه، كلنا بحاجة شديدة وماسّة، فلنحفظ أنفسنا عن الغفلة عن الله. فهو القادر أكثر من أي مخلوق آخر على قضاء حوائجنا ولكن التوفيق منه سبحانه وتعالى.

(١٣) باب من العبد الدعاء وعلى الله تعالى الإجابة

١/٢٤٤ ـ عن سلمان رضي الله عنه قال:

لما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام قال: واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك. فأما التي لي، تعبدُني ولا تشركُ بي شيئًا، وأما التي لك فما عملت من شيء جَزَيْتُك به وأنا أغفرُ وأنا الغفور الرحيم. وأما التي بيني وبينك؛ منك المسألة والدعاء وعليَّ الإجابة والعطاءُ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في الزهد (ص ٤٧).

المعنى

ما من شيء يفعله العبد لله تعالى من إيمان وطاعة وعبادة إلا كان هو المستفيد من ذلك، فإذا ما لقيتَ الله لا تشركُ به شيئًا أعطاك مغفرة من عنده واسعة، وإذا ما رفعت يديك إليه سبحانه تستدر رحمته وتستلهم عفوه وتطلب معونته أجابك واستجاب لك كيف وهو القائل في كتابه الكريم: **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾** [البقرة: ١٨٦].

فاطلب من الله تعالى وحده وبه علِّق قلبك وعليه اعتمد، ولا تركنن إلى أحد آخر تسأله حاجتك فالسؤال لغير الله مذلة وأما لله منتهى العز والرفعة والكمال.

كتاب التوبة

(١) باب سعة رحمة الله تعالى

١/٢٤٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوقَ عرشه: «إن رحمتي سبقت غضبي».

(صحيح) ـ رواه مسلم في كتاب التوحيد حديث ١٥، ورواه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى: ﴿**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين**﴾ (٢٨).

٢/٢٤٦ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

لما خلق الله الخلقَ كتب في كتابه هو يكتب على نفسه وهو وَضْعٌ عنده على العرش «إن رحمتي تغلبُ غضبي».

(صحيح) ـ رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى: ﴿**ويحذركم الله نفسه**﴾ (١٥) ومسلم في كتاب التوبة حديث ١٦.

المعنى

إن الله سبحانه خلق الخلق معرضين لارتكاب الأخطاء واقتراف الآثام، غير أنه فتح لهم باب الرحمة الواسع، فدائمًا رحمته مقدَّمة على غضبه، وهذا يفتح باب الرجاء أمام العبد لكيلا ييأس ولا يقنط، وليتذكر دومًا العبارة الجميلة، والجملة الرائعة، تلك التي وضعت في كتاب فوق العرش، دلالة على علو شأنها وعظمة قدرها، وهذه العبارة هي كلام الله القدسي «إن رحمتي سبقت غضبي».

قال الحافظ في فتح الباري قال ابن البتن: معنى العندية في هذا الحديث، العلم بأنه موضوع على العرش، وأما كتبه فليس للاستعانة لئلا ينساه فإنه منزه عن ذلك لا يخفى عنه شيء، وإنما كتبه من أجل الملائكة الموكلين بالمكلفين.

٣/٢٤٧ ـ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: «قَالَتْ قُرَيشُ للنَّبيِّ ﷺ: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا الصَّفا[١] ذَهَبًا ونُؤمنُ بك قَالَ: «وَتَفْعَلونَ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَدَعَا فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: «إِن رَبَّكَ عزَّ وجلَّ يَقرأُ عَلَيْكَ السَّلامَ وَيَقُولُ: **إِنْ شِئْتَ أصبح لَهُمَ الصَّفا ذَهَبًا**

فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنهُم عَذَّبْتُه عَذَابًا لاَ أُعذِّبُه أَحَدًا مِنَ العَالَمينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتحتُ لَهم بَابَ التَّوبةِ وَالرَّحْمَةِ قَالَ: بَلْ بَابُ التَّوْبةِ والرَّحمةِ».

(صحيح) ـ رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٤٢) والحاكم (جـ ٤ ص ٢٤٠).

شرح المفردات

١ ـ الصفا: جبل قرب الكعبة ويقابله جبل المروة يسعى الحجاج بينهما.

المعنى

في هذا الحديث تتجلى أيضًا رحمة النبي ﷺ بأمته، ويفضل لهم أبواب التوبة والرحمة والغفران بدل أبواب الغنى مع الكفر التي تؤدي إلى عذاب الله الشديد، خاصة إذا ما جعل الإنسان الغنى سببًا للإيمان وعلّق إسلامه عليه، والإيمان هو اعتقاد بوجود الحق جل وعلا عن طريق العقل والاستدلال والبحث في هذا الخلق والكون. وليس سببًا للحصول على المال والمتاع، إذ الإنسان العاقل هو الذي يختار رحمة الله الواسعة على مال الدنيا كله، ولذلك اختارهما النبي صلوات الله وسلامه عليه منبهًا أمته على هذا الاختيار، ولكي يتطلعوا دومًا إلى طلب الرحمة والمغفرة والرضوان.

٢٤٨/ ٤ ـ عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: إنَّ العبدَ ليلتمسُ مرضاةَ الله، ولا يزالُ بذلك، فيقولُ اللهُ عزّ وجلّ لجبريل: **«إن فلانًا عبدي يلتمسُ أنْ يرضيني**[١]**، ألا وإن رحمتي عليه»** فيقول جبريل: رحمةُ الله على فلان، ويقولها حملة العرش، ويقولُها مَنْ حولهم حتى يقولها أهل السموات السبع ثم تهبطُ له إلى الأرض.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٥ ص ٢٧٩).

٢٤٩/ ٥ ـ عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: إن العبد ليلتمس مرضاة الله عز وجل فلا يزال كذلك فيقول: يا جبريل إن عبدي فلانًا يلتمس أن يرضيني برضائي عليه. قال: فيقول جبريل عليه السلام: رحمة الله على فلان، وتقول حملةُ العرش، ويقول الذين يلونهم حتى يقول أهل السموات السبع ثم يهبط إلى الأرض. ثم قال رسول الله ﷺ: وهي الآية التي أنزل الله عليكم في كتابه: **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًا﴾** [مريم: ٩٦].

وإن العبد ليلتمسُ سخط الله فيقول الله عز وجل: يا جبريل إن فلانًا يستسخطني[٢]

ألا وإن غضبي عليه. فيقول جبريل: غضبُ الله على فلان وتقول حملة العرش ويقول من دونهم حتى يقوله أهل السموات السبع ثم يهبط إلى الأرض.

(صحيح) ـ أخرجه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (جـ ١٠ ص ٢٧٢).

شرح المفردات

١ ـ يلتمس أن يرضيني: أي يطلب رضاي بطاعته.

٢ ـ يستسخطني: أي يستوجب سخطي عليه بمعصيته لي.

المعنى

لا شك أن الوسيلة الوحيدة لنيل رضا الله ولكسب محبته هي التوجه إليه سبحانه بالطاعة المستمرة والإنابة الدؤوبة، فالذي يطلب رضوان الله بطاعة الله فإنه سينال المحبة من الله جل جلاله أولاً، ثم يأمر الله جبريل أن يحبه، ثم ينادي جبريل في أهل السموات فيحبونه، ثم تهبط محبته إلى أهل الدنيا. أما الذي يعصي الله تعالى فكأنه يطلب السخط من الله عليه، فيسخط الله عليه ويغضب، وإذا بجبريل والملائكة من حملة العرش ومن دونهم وكل أهل السموات حتى أهل الأرض يغضبون عليه لغضب الله، فليحذر العبد من نفسه أن يراها من الهالكين المغضوب عليهم وقانا الله شر ذلك.

٦/٢٥٠ ـ سأل رجل ابن عمر: كيف سمعت من رسول الله ﷺ يقول في النجوى[1]؟ قال:

يَدْنُو أحدُكُمْ من ربه حتى يضعَ كنفَه[2] عليه، فيقولُ: «**عملت كذا وكذا؟**» فيقول نعمْ، ويقولُ: «**عملتَ كذا وكذا؟**» فيقول: نعمْ، فيُقَرِّرُهُ، ثم يقول: «**إني سترتُ عليكَ في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليومَ**».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري من كتاب الأدب باب ستر المؤمن على نفسه وفي كتاب التوحيد باب كلام الرب مع الأنبياء يوم القيامة.

٧/٢٥١ ـ بينما ابن عمر يطوف إذا عرض رجل فقال: يا ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعت النبي ﷺ يقول:

يُدْنَى المؤمنُ من ربه ـ وقال هشام ـ: يَدْنُو المؤمنُ حتى يَضَعَ عليه كنفَهُ، فيقررهُ بذنوبه، «**تعرفُ ذنب كذا؟**» يقول: أعرفُ، يقول: ربِّ أعرفُ مرتين، فيقولُ: «**سترتُها في الدنيا وأغفرُهَا لكَ اليومَ**»، ثم تُطْوَى صحيفةُ حسناتِهِ، وأما الآخرون أو الكفارُ فينادى على

رؤوسِ الأشهادِ[٣]: هؤلاءِ الذين كذبوا على ربِّهم.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب تفسير سورة هود باب قوله تعالى: **﴿ويقول الأشهاد هؤلاء...﴾**.

٨/٢٥٢ ـ قال رجل لابن عمر: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول:

يُدْنَى المؤمِنُ يومَ القيامةِ من ربِّه عَزَّ وَجَلَّ حتى يَضَعَ عليه كنفَهُ، فيقررُهُ بذنوبِهِ، فيقول: «**هل تعرفُ؟**» فيقولُ: أي ربِّ أعرفُ، قال: «**فإني قد سترتُها عليكَ في الدنيا، وإني أغفرُها لك اليومَ**»، فَيُعْطى صحيفةَ حسناتِهِ، وأما الكفارُ والمنافقونَ فَيُنَادَى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب التوبة حديث ٥٢.

٩/٢٥٣ ـ وعن ابن عمر أيضًا يذكر في النجوى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

يُدْنى المؤمنُ من ربِّه يومَ القيامةِ حتى يَضَعَ عليه كنفَه، ثم يقررهُ بذنوبه، فيقولُ: «**هل تعرفُ؟**» فيقول: يا ربِّ أعرف، حتى إذا بَلَغَ منه ما شاءَ الله أن يَبْلُغَ، قال: «**إني سترتُها عليكَ في الدنيا، وأنا أغفرُها لك اليومَ**»، قال: ثم يُعْطَى صحيفةَ حسناتِهِ أو كتابه بيمينه، قال وأما الكافرُ أو المنافقُ فَيُنَادَى على رؤوس الأشهاد: **﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** [هود: ١٨].

(صحيح) ـ أخرجه ابن ماجه في كتاب المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية.

١٠/٢٥٤ ـ وعن ابن عمر قال: سمعت النبي ﷺ يقول في النجوى:

يَدْنو المؤمنُ من ربه يومَ القيامةِ كأنه بَذَجٌ[٤]، فيضعُ عليه كَنَفَهُ أيْ يستُرُهُ، ثم يقول: «**أتعرفُ؟**» فيقولُ: ربِّ أعرفُ، ثم يقولُ: «**أتعرفُ؟**» فيقول: ربِّ أعرفُ (يعني) فيقول: «**أنا سترتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفرُها لك اليومَ**»، ويُعطى صحيفةَ حسناتِهِ، وأما الكفار والمنافقونَ فينادَى بهم على رُؤوس الأشهادِ:

﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

قال سعيد: وقال قتادة: فلم يَخْزَ يومئذ أحد فَخَفِيَ خزيه على أحدٍ من الخلائِق».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (٢/ ٧٤، ١٠٥).

شرح المفردات

١ ـ النجوى: هو حديث المرء مع نفسه أو مع غيره سرًا دون أن يُسمع مَنْ يليه، والمراد بها هنا المناجاة بين الله تعالى وعباده المؤمنين يوم القيامة.

٢ ـ الكَنَفُ: بفتح الكاف والنون أي الجانب وهو الستر والحماية.

٣ ـ الأشهاد: الخلائق.

٤ ـ البَذَجُ: هو ولدُ الضأن الضعيف، وهو هنا إشارة إلى حال المؤمن الضعيف الخائف من ذنوبه.

المعنى

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في كتاب الأدب في تفسير الحديث رقم(٦٠٧٠) قال المهلب: في الحديث تفضل الله على عباده بستره لذنوبهم يوم القيامة، وإنه يغفر ذنوب من شاء منهم، بخلاف قول من أنفذ الوعيد على أهل الإيمان لأنه لم يستثن في هذا الحديث ممن يضع عليه كنفه وستره أحدًا إلا الكفار والمنافقين فإنهم الذين يُنادى عليهم على رؤوس الأشهاد باللعنة.

قلت: قد استشعر البخاري هذا فأورد في كتاب المظالم هذا الحديث ومعه حديث أبي سعيد «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذن لهم في دخول الجنة» الحديث.

فدل هذا الحديث على أن المراد بالذنوب في حديث ابن عمر ما يكون بين المرء وربه سبحانه وتعالى دون مظالم العباد؛ فمقتضى الحديث أنها ـ أي الذنوب ـ تحتاج إلى المقاصصة، ودل حديث الشفاعة أن بعض المؤمنين من العصاة يعذب بالنار ثم يخرج منها بالشفاعة كما تقدم تقريره في كتاب الإيمان. فدل مجموع الأحاديث على أن العصاة من المؤمنين في القيامة على قسمين:

أحدهما: مَنْ معصيته بينه وبين ربه، فدل حديث ابن عمر على أن هذا القسم على قسمين: قسم تكون معصيته مستورة في الدنيا، فهذا الذي يسترها الله عليه في القيامة وهو المنطوق، وقسم تكون معصيته مجاهرة، فدل مفهومه على أنه بخلاف ذلك.

الثاني: مَنْ تكون معصيته بينه وبين العباد فهم على قسمين أيضًا: قسم ترجح سيئاتهم على حسناتهم فهؤلاء يقعون في النار ثم يخرجون بالشفاعة، وقسم تتساوى سيئاتهم

وحسناتهم فهؤلاء لا يدخلون الجنة حتى يقع بينهم التقاص كما دل عليه حديث أبي سعيد، وهذا كله بناء على ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة أن [الله تعالى] يفعله باختياره وإلا فلا يجب على الله شيء وهو يفعل في عباده ما يشاء.

(٢) باب عدم القنوط من رحمة الله تعالى

٢٥٥/ ١ ـ عن أبي هريرة قال: خَرَجَ النبي ﷺ على رَهْطٍ[1] مِنْ أَصْحَابِهِ يَضْحَكُونَ ويتحدَّثُونَ فقال:

والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعْلَمُ لضحكتمْ قليلاً، ولبكيتُمْ كثيرًا، ثمَّ انصرفَ وأبكَى القومَ، وأوْحَى الله عَزَّ وَجَلَّ إليه: «يا محمدُ لِمَ تُقَنِّطُ[2] عِبَادِي؟» فرَجَعَ النبيُّ ﷺ فقالَ: أَبْشِرُوا وسدِّدُوا وقَارِبُوا.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٥٤)، وابن حبان (٢٤٩١، ٢٤٩٢ موارد).

شرح المفردات

١ ـ الرهط: الجماعة.

٢ ـ تُقنِّطُ: أي تخوفهم إلى درجة جعلهم يائسين من رحمة الله وهذا تحذير لنا لأن النبي ﷺ حاشاه أن يدخل اليأس في قلوب المؤمنين.

المعنى

يجب على الداعي إلى الله أن يرغب الناس برحمة الله كما عليه أن يخوفهم من غضب الله وعذابه، فالدعوة يجب أن تكون بالترغيب وبالترهيب، لأن الإنسان إذا رغب كثيرًا فلربما جره ذلك إلى التهاون في أوامر الله، وإذا خاف كثيرًا فلربما جره ذلك إلى اليأس من رحمة الله، وكلا الأمرين غير صالح وقد يؤدي إلى الهلاك.

٢٥٦/ ٢ ـ عن جندب أن رسول الله ﷺ قال:

أن رجلاً قال: والله لا يغفرُ لفلانٍ، وإن الله تعالى قال: «من ذا الذي يتألى[1] عليّ أن لا أغفرَ لفلانٍ؟ فإني قد غفرتُ لفلانٍ، وأحبطتُ[2] عملَكَ». أو كما قال.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة حديث ١٣٧.

٣/٢٥٧ ـ وعن جندب أيضًا:

قال رجلٌ: لا يغفرُ الله لفلانٍ، فأوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء: «**إنها خطيئةٌ، فليستقبل العملَ**».

(صحيح) ـ أخرجه الطبراني كما في كنز العمال (جـ ٣/ ٧٩٠٠) وفي صحيح الجامع الصغير للألباني (جـ ٤/ ٤٢٢٣).

٤/٢٥٨ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

يقول الله عز وجل: «**من تألّى على عبدي أدخلت عبدي الجنةَ وأدخلتُه النارَ**».

(صحيح لغيره) ـ أخرجه مُسَدَّدُ كما في المطالب العالية (جـ ٣/ ٢٩٧٩).

٥/٢٥٩ ـ عن أبي هريرة وقد قال لضمضم بن جوس اليمامي: يا يماميّ لا تقولنّ لرجل: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة أبدًا. فقال له: يا أبا هريرة إن هذه لكلمة يقولها أحدُنا لأخيه وصاحبه. إذا غضبَ. قال أبو هريرة: فلا تقلها فإني سمعت النبي ﷺ يقول:

كانَ في بني إسرائيل رجلان، كانَ أحَدُهُما مجتهدًا في العبادةِ، وكانَ الآخرُ مُسْرِفًا على نفسه فكانا مُتآخيَيْن، فكان المجتهدُ لا يزالُ يرى الآخرَ على ذَنْبٍ، فيقول: يا هذا أقصرْ، فيقولُ: خَلِّني[٣] وربِّي، أَبُعِثْتَ عليَّ رقيبًا؟ قالَ: إلى أنْ رآه يومًا على ذَنْبٍ استعظمه، فقال له: ويحك أقصرْ، قال: خَلِّني وربِّي، أبعثتَ عليَّ رقيبًا؟ قال: فقال: واللهِ لا يغفرُ اللهُ لك. أوْ لا يدخلُكَ اللهُ الجنةَ أبدًا، قال أحدهما: قال: فبعث الله إليهما مَلكًا، فَقَبَضَ أرْوَاحَهُمَا، واجتمعا عنده، فقال للمذْنِبِ: «**اذهبْ فادخل الجنة برحمتي**»، وقالَ للآخرِ: «**أكنتَ بي عالمًا؟ أكُنْتَ على ما في يَدَيَّ خازنًا؟ اذهبوا به إلى النار**»، قالَ فوالذي نفسُ أبي القاسمِ بيده، لتكلَّمَ بكلمةٍ أوْبَقَتْ[٤] دنياه وآخرتَهُ.

(حسن) ـ أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٣، ٣٦٣) وأبو داود في كتاب الأدب باب ٥١.

شرح المفردات

١ ـ يتألّى: أي يحلف بأن العصاة لا يغفر الله لهم.

٢ ـ احبطتُ عملك: أي أذهبتُ ثوابَهُ.

٣ ـ خلِّني: أي دعني وما يفعل بيَ ربي فإني اعتقد برحمته ومغفرته لي.

٤ ـ أَوْبَقَتْ: أَهْلَكَتْ.

المعنى

إن من الكبائر أن يقنط المرءُ الناسَ من رحمة الله أو أن يُغلقَ في وجوههم أبواب المغفرة والصفح من الله سبحانه، وكل من يرتكب هذا العمل الشنيع فلسوف يخسر كل حسناته وسيحبط عمله؛ فالحديث رقم (١٥) يصور هذا الواقع بين رجلين متآخيين، الأول مذنب والآخر عابد، فكان العابد ينصح المذنب بتجنب المعاصي وبالإقبال على عبادة الله، غير أن المذنب في كل مرة كان يعرض عن نصائحه لكنه في الوقت ذاته كان يرجو رحمة ربه ومغفرته، نعم إن هذا الفعل من المذنب لا يكفي، بل عليه بالعمل الدؤوب وبالطاعة لله لكي يُقرِنَ بين الطاعة والرجاء، ولكي يجمع بين العمل وحسن الظن بالله تعالى، ومع ذلك كله فإن الله جل جلاله والذي وسعت رحمته كل شيء، له أن يغفر الذنوب وبلا توبة إذا شاء ذلك تكرمًا منه وتفضلاً كما أشار إلى ذلك النووي في شرح صحيح مسلم، وقد تأول حبوط عمل هذا العابد المجتهد في العبادة على أنه أسقطت حسناته في مقابلة سيئاته وسُمِيَ إحباطًا مجازًا.

وينبه الحديث أيضًا على أن العابد يجب عليه أن ينصح غيره من المذنبين. لكن من دون أن يسدَّ في وجوههم أبواب الرجاء مهما حصل منهم ومهما بدر منهم خاصة إذا كانوا متكلين على رحمة الله وظنهم الحسن بفضل الله كما فعل هذا المذنب.

(٣) باب حسن الظن بالله تعالى

١/٢٦٠ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: .

قال الله: «انا عند ظنّ عبدي بي».

(صحيح) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب ١٥، ٣٥.

٢/٢٦١ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

قال الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني».

(صحيح) أخرجه أحمد (٢/ ٥٢٤).

٣/٢٦٢ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رضيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا، اقْتَرَبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

(صحيح) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب ١٥. الترمذي في كتاب الدعاء باب ١٣١.

٤/٢٦٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يقولُ: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسِهِ ذكرتُهُ في نفسي، وإنْ ذكرني في ملأ ذكرتُهُ في ملأٍ خيرٍ من ملئِهِ الذين يذكرني فيهم، وإن تقربَ العبدُ مني شبرًا تقربتُ منه ذراعًا، وإن تقربَ مني ذراعًا تقربتُ منه باعًا، وإذا جاءني يمشي جئتُهُ أهرولُ» له المنّ والفضلُ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ٤٨٢).

٥/٢٦٤ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: «عبدي عند ظنه بي، وأنا معه إذا دعاني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُهُ في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرتُهُ في ملأ خيرٍ منهم وأطيبَ، وإن تقربَ مني شبرًا تقربتُ منه ذراعًا، وإن تقربَ ذراعًا تقربتُ باعًا، وإن أتاني يمشي أتيتُهُ هرولةً».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ٤٨٠).

٦/٢٦٥ ـ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، واللهِ للهُ أفرحُ بتوبةِ عبدِهِ من أحدكم يَجدُ ضالَّتَهُ بالفلاةِ، ومن تقرَّبَ إليّ شبرًا تقربتُ إليه ذراعًا، ومن تقرَّبَ إلي ذراعًا تقربتُ إليه باعًا، وإذا أقبلَ إلي يمشي أقبلتُ إليه أُهَرْوِلُ».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب التوبة حديث ١، وأحمد بنحوه (جـ ٢ ص ٥٢٤).

٧/٢٦٦ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

إن الله يقول: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم (جـ ٤ ـ الذكر والدعاء/ ١٩)، والبخاري في الأدب المفرد (ص ٢١٦/ ٦١٦) بنحوه كما رواه غيرهما.

أحمد في مسنده ٣/ ٢٧٧.

٨/٢٦٧ ـ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: .

قال الله عز وجل: **«عبدي أنا عند ظنك بي، وأنا معك إذا ذكرتني»**.

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (جـ ١ ص ٤٩٧).

٩/٢٦٨ ـ وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه ـ يرويه عنه حيان أبو النضر قال: .

دخلت مع واثلة بن الأسقع على أبي الأسود الجرشيّ في مرضه الذي مات فيه، فسلَّم عليه وجلس قال: .

فأخذ أبو الأسود يمينَ واثلة فمسح بها على عينيه ووجهه لبيعته بها رسول الله ﷺ فقال له واثلة: واحدة أسألك عنها، قال: وما هي؟ قال: كيف ظنك بربك؟ قال: فقال أبو الأسود وأشار برأسه أي حسنٌ. قال واثلة: أَبشر إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

قال الله عز وجل: **«أنا عند ظنّ عبدي بي، فليظنّ بي ما شاءَ»**.

(صحيح) رواه أحمد في مسنده (٤/ ١٠٦).

١٠/٢٦٩ ـ وعن حيان أبي النضر ـ وهو من التابعين ـ قال: .

خرجت عائدًا ليزيد بن الأسود فلقيت واثلة بن الأسقع رضي الله عنه وهو يريد عيادته فدخلنا عليه، فلما رأى واثلةَ بسط يده، وجعل يشير إليه فأقبل واثلة حتى جلسَ، فأخذ يزيد بِكَفَّيّ واثلة، فجعلهما على وجهه، فقال له واثلة: كيف ظنك بالله؟ قال: ظني بالله والله حسنٌ. قال: فأبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: .

قال الله جل وعَلاَ: **«أنا عند ظنّ عبدي بي، إن ظنّ بي خيرًا له، وإن ظنّ شرّا فله»**.

(صحيح) ـ أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧١٦ ـ موارد)، (٢٣٩٣ ـ موارد)، وأبو نعيم في الحلية (جـ ٩ ص ٣٠٦).

المعنى

لا يتوهَّمَنَّ امرؤ إن الظن الحسن بالله تعالى مع الإصرار على الذنوب وارتكاب الخطايا سوف ينجيه من عذاب الله، فإن هذا الظن هو محض الجهل بالله والغفلة عن شرع الله والغرور الذي يعقبه الندم والخسران ولذلك فسّر ابن أبي جمرة ـ كما في فتح الباري ـ فسّر الظن هنا بالعلم.

وقد وُفّق القرطبي الى تفسير جليل وقيّم في معنى الظن بالله تعالى في كتابه «المفهم» نقله عنه الحافظ في فتح الباري وهو:

قال القرطبي في «المفهم»: قيل معنى ظن عبدي بي ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكًا بصادق وعده. قال: ويؤيده قوله في الحديث الآخر «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» قال: ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقنًا بأن الله يقبله ويغفر له لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه، فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر، ومن مات عليه وكل إلى ما ظن كما في بعض طرق الحديث المذكور ـ وهو هنا برقم (٩) ـ «فليظن بي عبدي ما شاء» قال: وأما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل والغرة وهو يجر إلى مذهب المرجئة (انتهى).

أما قوله «ان ظن شرًا فله» أي اعتقد سوء الخاتمة فأرخى العنان لنفسه بالعصيان وبغى وفسد وأفسد.

١١/٢٧٠ ـ وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال:.

يُخرج من النار أربعة يعرضون على الله عز وجل، فيأمُرُ بهم إلى النار فيلتفت أحدهم فيقول: أي ربِّ قد كنت أرجو إن أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها، فيقول: لا نعيدُك فيها.

(صحيح) أحمد (جـ ٣ ص ٢٢١) مسلم في (كتاب الإيمان حديث ٣٢١) إلا أن مسلمًا قال: «. . . . رب إذ أخرجتني منها فلا تعدني فيها فينجيه الله منها».

المعنى

وفي هذا الحديث أيضًا يظهر كيف أن الله جل جلاله يكون عند ظن عبده الحسن به ويستجيب منه رجاءه ودعاءه فيخلصه من النار بعد ما أخرج منها بينما الباقون يعودون فيها.

(٤) باب الخشية من الله تعالى

١/٢٧١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

قال رجل لم يعملْ حسنة قطُ لأهله إذا مات فحرّقوه ثم أذْرُوا[١] نصفه في البرِّ ونصفه في البحر، فوالله لئن قَدَرَ الله عليه ليعذبنّه عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين فلما ماتَ الرجلُ فعلوا ما أمرهم به، فأمَرَ اللهُ البرَّ فجمعَ ما فيه، وأَمَرَ البحرَ فجمعَ ما فيه، قالَ: «لم فعلتَ هذا؟» قال: مِنْ خشيتِكَ يا ربِّ وأنتَ أَعْلَمُ، قال: فَغَفَرَ له.

(صحيح) ـ أخرجه مالك في الموطأ (جنائز ـ باب جامع الجنائز/ ٥١)، والبخاري في كتاب التوحيد باب ٣٥. مسلم في كتاب التوبة حديث ٢٤.

٢/٢٧٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

كَانَ رجلٌ يُسْرِفُ على نفسِهِ فلما حَضَرَهُ الموتُ قال لبنيه: إذا أنا متُّ فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذَرُّوني في الريحِ، فواللهِ لئنْ قَدَرَ عليّ ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا، فلما ماتَ فُعِلَ به ذلك، فأَمَرَ اللهُ الأرضَ: فقال: «اجمعي ما فيك منه»، ففعلتْ فإذا هو قائمٌ فقالَ: «ما حملَكَ على ما صنعتَ؟» قال: يا ربِّ خشيتُكَ، فَغَفَرَ له، وقال غيره: مخافتُك يا ربِّ.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب ٥٤.

٣/٢٧٣ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

أسرفَ رجلٌ على نفسه فلما حَضَرَه الموتُ أَوْصَى بنيه، فقالَ: إذا أنا متُّ فَأَحرقوني، ثم اسحقوني، ثم اذروني في الريحِ، في البحرِ، فواللهِ لئنْ قَدَرَ عليّ ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا، قال: ففعلوا ذلك به، فقال للأرضِ: «أدي ما أخذتِ»[٢]، فإذا هو قائمٌ، فقال له: «ما حملَكَ على ما صنعتَ؟» فقال: خَشْيَتُكَ يا ربِّ أو قال ـ مخافتُكَ فغفرَ له بذلك».

قال الزهري وحدثني حميد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:

دخلتْ امرأةٌ النارَ في هِرَّةٍ[٣] ربطتها، فَلاَ هِيَ أطعمتْهَا، ولا هِيَ أرسلَتْهَا تأكلُ من خَشَاش[٤] الأرضِ، حتى ماتتْ هزلاً.

ـ قال الزهري: ذلك لئلا يتكلَ رجلٌ، ولا ييأسَ رجلٌ.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب التوبة حديث ٢٥ وأحمد في مسنده (٢/ ٢٦٩) وغيرهما.

(الزهري): هو أحد أئمة الحديث الكبار وهو من رجال إسناد هذا الحديث.

٤/٢٧٤ ـ وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

كانَ رجلٌ ممن كان قبلكم لم يعملْ خيرًا قط إلا التوحيدَ، فلما احْتُضِرَ قال لأهله: انظروا إذا أنا متُّ أن يَحْرِقُوه حتى يدعوه حُمَمًا، ثم اطحنوه ثم اذروه في يوم ريح، فلما ماتَ فعلوا ذلك به، فإذا هو في قبضةِ الله، فقالَ الله عزَّ وجلَّ: «يا ابن آدمَ ما حملَكَ على

ما فعلتَ؟» قال: أيْ ربِّ من مخافتِكَ، قال: فغفرَ له بها، ولم يعملْ خيرًا قطُّ إلا التوحيد.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٤).

٢٧٥/ ٥ ـ عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

أنَّ رجلاً كانَ قبلكم رَغَسَهُ اللهُ مالاً، فقال لبنيه لما حُضِرَ: أيَّ أبٍ كنتُ لكم؟ قالوا: خيرَ أبٍ، قالَ: فإني لم أعملْ خيرًا قط، فإذا مِتُّ فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذَرُّوني في يومٍ عاصفٍ، ففعلوا فجمعه اللهُ عز وجل، فقال: **«ما حملك؟»** قال: مخافتُك، فتلقاه برحمته.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب ٥٤ رَغَسَهُ: كثر ماله.

٢٧٦/ ٦ ـ عن أبي سعيد الخدري يحدث عن النبي ﷺ:

أن رجلاً فيمن كان قبلكم، رَاشَهُ(٥) اللهُ مالاً وولدًا، فقال لولده: لتفعلُنَّ ما آمُرُكُم به أو لأُولينَّ ميراثي غيركم، إذا أنا متُّ فأحرقوني (وأكثر علمي أنه قال) ثم اسحقوني واذروني في الريحِ، فإني لم أبتهرْ عند اللهِ خيرًا، وإن اللهَ يَقْدِرُ على أنْ يعذبني، قال فأخذَ منهم ميثاقًا ففعلوا ذلك به وربي، فقال اللهُ: **«ما حملَكَ على ما فعلتَ؟»** فقال: مخافتُك قال: فما تلافاهُ غَيْرُها.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب التوبة حديث ٢٧.

٢٧٧/ ٧ ـ وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال:

أنه ذكرَ رجلاً فيمن سلفَ، أو فيمنْ كان قبلكم، قال كلمةً يعني أعطاهُ اللهُ مالاً وولدًا، فلما حضرتِ الوفاةُ، قال لبنيه: أيَّ أبٍ كنتُ لكم؟ قالوا: خيرَ أبٍ، قال: فإنه لم يبتئر(٦) أو لم يبتئرْ عند الله خيرًا، وإن يقدر اللهُ عليه يعذبه، فانظروا إذا متُّ فأحرقوني حتى إذا صرتُ فحمًا فاسحقوني، أو قال: فاسحكوني، فإذا كان يومُ ريحٍ عاصفٍ فأذروني فيها، فقالَ نبي الله ﷺ: فأخذَ مواثيقهم على ذلك وربي، ففعلوا، ثم أذرَوْه في يوم عاصفٍ، فقالَ الله عز وجل: **«كُنْ»**، فإذا هو رجلٌ قائمٌ، قال اللهُ: **«أيْ عبدي ما حملكَ على أن فعلتَ ما فعلتَ؟»** قال: مخافتك أو فَرَقٌ(٧) منك قال: فما تلافاهُ(٨) أن رَحِمَهُ عندها، وقال مرةً أخرى: فما تلافاهُ غيرُها فَحدَّثْتُ به أبا عثمان فقال: سمعتُ هذا من سلمان غير أنه زاد فيه: أذروني في البحر أو كما حدَّث.

(صحيح) ـ رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾.

(أبو عثمان): أحد الرواة من التابعين ويقال له النهدي و (سلمان) هو الفارسي رضي الله عنه.

٨/٢٧٨ ـ وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

كان رجلٌ ممن كانَ قبلكم يسيىءُ الظنَّ بعمله، فقال لِأَهْلِهِ: إذا أنا مت فخذوني فذروني في البحر في يوم صائف ففعلوا به. فجمعهُ الله ثم قال: ما حملَكَ على الذي صنعتَ قال: ما حملني إلا مخافتُكَ فغفرَ له.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب الخوف من الله.

٩/٢٧٩ ـ وعن حذيفة عن رسول الله ﷺ قال:

كانَ رجلٌ ممن كانَ قبلكم يسيىءُ الظنَّ بعملِهِ، فلما حضرتْهُ الوفاةُ قال لأهله: إذا أنا متُ فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم اذروني في البحر، فإنَّ اللهَ إن يقدرْ عليّ لم يغفرْ لي، قال: فأمرَ الله عز وجل الملائكةَ فتلقتْ رُوحه، قال له ما حملَكَ على ما فعلتَ قال: يا ربِّ ما فعلتُ إلا مِنْ مخافَتِكَ، فغفرَ اللهُ له.

(صحيح) ـ أخرجه النسائي في كتاب الجنائز باب أرواح المؤمنين.

١٠/٢٨٠ ـ وعن حذيفة بن اليمان وعقبة بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

إنَّ رجلاً حَضَرَهُ الموتُ لما أَيسَ من الحياةِ أَوْصَى أهلَهُ: إذا مُتُّ فاجمعوا لي حَطَبًا كثيرًا، ثمَّ أوروا نارًا حتى إذا أكلتْ لحمي، وَخَلَصَتْ إلى عظمي، فخذوها فاطحنوني فذرُوني في اليمّ في يوم حارٍ أَوْ رَاحٍ[٩]، فجمعه اللهُ فقال: لِمَ فعلت؟ قال: خشيتك فغفر له.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب ٥٤.

١١/٢٨١ ـ قال عقبة بن عمرو لحذيفة ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ قال: إني سمعته يقول:

إنَّ مع الدجال إذا خرجَ ماءً ونارًا، فأما الذي يَرَى الناسُ أنها النارُ فماءٌ باردٌ وأما الذي يَرَى الناسُ أنه ماءٌ باردٌ فنارٌ تحرقُ، فمن أدركَ منكم فليقعْ في الذي يَرَى أنها نارٌ،

فإنه عذبٌ باردٌ، قال حذيفة: وسمعتُهُ يقول: إن رجلاً كان فيمن كان قبلكم أتاهُ المَلَكُ ليقبضَ رُوحَهُ، فقيل له: هل عملتَ من خيرٍ؟ قال: ما أعلمُ، قيل له: انظرْ، قال: ما أعلمُ شيئًا غير أني كنتُ أبايعُ الناسَ في الدنيا وأُجَازِيهم، فأُنْظِرُ المُوسرَ وأتجاوزُ عن المُعْسِرِ، فأدخله اللهُ الجنةَ، فقال: وسمعته يقولُ: إن رجلاً حَضَرَهُ الموتُ فلما يئسَ من الحياة أَوْصى أهلَهُ إذا أنا مُتُّ فاجمعوا لي حطبًا كثيرًا، وأوقدوا فيه نارًا حتى إذا أكلتْ لحمي وخلصتْ إلى عظمي، فامتحشتْ فخذوها، واطحنوها، ثم انظروا يومًا راحًا، فاذروه في اليمِّ، ففعلوا فجمعه، فقال له: «لِمَ فعلتَ ذلك؟» قال من خشيتك فغفرَ اللهُ له.

قال عقبة بن عمرو: «وأنا سمعتُهُ يقول ذاكَ وكانَ نباشًا».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

١٢/٢٨٢ ـ وعن أبي مسعود الأنصاري وعن حذيفة قالا: قال رسول الله ﷺ:

كانَ رجلٌ ممن كان قبلكم. يعملُ بالمعاصي، فلما حضرهُ الموتُ قال لأهله: إذا أنا مُتُّ فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في البحر، في يومِ ريحٍ عاصفٍ، قال: فلما ماتَ فعلوا، قال: فجمعهُ الله عز وجل في يده، قال له: **ما حملكَ على ما صنعتَ؟** قال: خوْفُكَ، قال: فإني قد غفرتُ لك.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٨٣).

(أبو مسعود الأنصاري): هو عقبة بن عمرو صاحب رسول الله ﷺ.

١٣/٢٨٣ ـ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ومثله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

أن رجلاً لم يعملْ من الخيرِ شيئًا قط إلا التوحيدَ، فلما حضرته الوفاةُ قال لأهله: إذا أنا مُتُّ فخذوني وأحرقوني، حتى تدعوني حُمَمَةً، ثم اطحنوني، ثم اذروني في البحرِ في يوم راحٍ، قال: ففعلوا به ذلك، قال: فإذا هو في قبضةِ اللهِ، قال: فقالَ اللهُ عز وجل له: **«ما حملَكَ على ما صنعتَ؟»** قال: مَخَافَتُكَ، قال: فغفرَ اللهُ له.

(حسن) ـ أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٩٨).

١٤/٢٨٤ ـ عن حذيفة بن اليمان عن أبي بكر الصديق قال:

«أصبَحَ رسولُ اللهِ ﷺ ذات يوم فصلّى الغداة ثم جلس، حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله ﷺ ثم جَلَسَ مكانه. . . فذكر الحديث وفي آخره: ثم يقول:

انظروا في النار هل من أحد عَملَ خيرًا قط؟ قال: فيجدونَ في النارِ رجلاً، فيقال له:

هل عملتَ خيرًا قَط؟ فيقول: لا، غير أني كنتُ أسامح الناسَ في البيع، فيقول: اسمحوا لعبدي كإسماحه إلى عبيدي، ثم يُخرجون من النار رجلاً آخر، فيقولِ: هل عملتَ خيرًا قط؟ فيقول: لا غير أني أمرت ولدي: إذا مُتُّ فأحرقوني بالنارِ، ثم اطحنوني، حتى إذا كنتُ مثل الكحل، فاذهبوا إلى البحرِ، فذروني في الريحِ، قال: فقالَ اللهُ لمَ فعلتَ ذلك؟ قال: مِنْ مخافتِكَ، قال: فيقولُ: انظرْ إلى مُلْك أعظمِ مَلكٍ فإنَّ لك مثله، وعشرةَ أمثالِهِ، قال فيقولُ: لمَ تسخر بي وأنتَ الملكُ؟ فذلك الذي ضَحكتُ منه مِنَ الضُّحَى.

(صحيح) ـ أخرجه أبو عوانة (جـ ١ ص ١٧٥).

٢٨٥/ ١٥ ـ وعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

كان عبدٌ من عبادِ الله، وكانَ لا يدينُ للهِ دينًا، وأنَّه لبثَ حتى ذهبَ منه عُمْرٌ وَبَقِيَ عُمْرٌ، فعلمَ أنه لم يبتئرْ عند اللهِ خيرًا، فدعا بنيه فقال: أيَّ أبٍ تعلموني؟ قالوا: خيرًا يا أبانا، قال: فإني لا أدعُ عند أحدٍ منكم مالاً هو مني إلا أخذتُهُ منه، أو لَتَفْعَلُنَّ ما آمركم، قال: فأخذ منهم ميثاقًا وربي، قال: أمَّا أنَا إذا مُت فخذوني فأحرقوني بالنارِ، حتى إذا كنت حُمَمًا[١٠]، فدقُّوني، ثم اذروني في الريح، قال: ففعلوا ذلك به وربُّ محمدٍ حين ماتَ، فَجِيءَ به أحسنَ ما كانَ قطُّ، فَعُرِضَ على ربه، فقال: ما حملك على النارِ؟ قال خشيتُكَ يا ربُّ، قال: إني أسمعُكَ لراهبًا[١١]، قال: فَتِيبَ عليه.

(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٥).

شرح المفردات

١ ـ أَذْرُوا: أي ارموا.

٢ ـ أدِّي ما أخذتِ: أي أَحْضِري واجمعي ذرات هذا العبد التي تناثرت فيكِ.

٣ ـ في هرة: أي بسبب هرة عذَّبَتْها.

٤ ـ خِشاش: في مختار الصحاح: الخِشاش بالكسر الحشرات وقد يُفتح.

٥ ـ راشه: في مختار الصحاح: راشَ فلانًا أصلح حاله. وهو هنا بمعنى المنح والعطية.

٦ ـ يَبْتَئِرُ: يدَّخرُ. وابتأرَ الخير عمله مستورًا ومنه البُؤْرة والبِئْرة والبئيرة أي الذخيرة.

٧ ـ فَرَقٌ: هو الخوف.

٨ ـ تلافاه: تداركه بعد أن فات ومعناه هنا أنه لم يُنْجِهِ شيء إلا خوفه من ربه فهو الذي خلصه من العذاب.

٩ ـ حارٍ أو راحٍ: قال ابن فارس كما في فتح الباري: الحور ريح تحنُّ كحنين الإبل. وقال الجوهري كما في «فتح الباري» أيضًا: يوم راح أي شديد الريح.

١٠ ـ الحُمَمُ: الفحم وكل ما احترق من النار واحده (حُمَمَة).

١١ ـ إني أسمعك لراهبًا: إني لأجدك خائفًا تستحق المغفرة.

المعنى

تتفق هذه الأحاديث القدسية في مجموعها على موضوع واحد وقصة واحدة تتعلق بذاك الرجل الذي عصى الله طول حياته، حتى إذا أحسَّ بدنو الأجل خشي من محاسبة الله له، وخاف من الوقوف بين يدي الله للسؤال، وبلغ به الفزع مبلغًا كبيرًا، فأمر أولاده أن يحرقوه ويرموا رماد جثته في البحر، ظنًا منه أن هذا يمكن أن يفيده من عذاب الله شيئًا، أو أن يغيب عن الله وعن الحساب، غير أن الله القادر على كل شيء، أمر الأرض والبر والبحر أن يجمعوا ذرات هذا الإنسان، فقام كأحسن ما كان في حياته، فسأل الله عن سبب وصيته أولاده بإحراق جسده بعد موته فقال بسبب مخافتي وخشيتي من عذابك، فغفر الله له وتاب عليه وأدخله جنته.

ولهذه الأحاديث تعليقات كثيرة مهمة إخترنا منها شرحًا للإمام النووي رحمه الله حيث قال في شرحه لصحيح مسلم: (قوله ﷺ في الرجل الذي لم يعمل حسنة أوصى بنيه أن يحرقوه ويذروه في البحر والبر، وقال: فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا، ثم قال في آخره: لمَ فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب ـ وأنت أعلم ـ فغفر له) ـ قال: اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث، فقالت طائفة: لا يصح حمل هذا على أنه أراد نفي قدرة الله، فإن الشاك في قدرة الله تعالى كافر، وقد قال في آخر الحديث: إنه إنما فعل هذا من خشية الله تعالى والكافر لا يخشى الله تعالى، ولا يغفر له.

قال هؤلاء: فيكون له تأويلان: أحدهما أن معناه لئن قدر علي العذاب، أي قضاه، يقال منه: قَدَر بالتخفيف، وقدَّر بالتشديد بمعنى واحد.

والثاني أن قَدَر هنا بمعنى ضيّق علي، قال الله تعالى: (فَقَدَرَ عليه رِزْقَهُ) وهو أحد الأقوال في قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أنْ لَنْ نقدِرَ عليه﴾ ـ أي لن نُضَيِّقَ عليه.

وقالت طائفة: اللفظ على ظاهره، ولكن قاله هذا الرجل، وهو غير ضابط لكلامه،

ولا قاصد لحقيقة معناه، ولا معتقد لها، بل قاله في حالة غلب عليه فيها الدهش والخوف وشدة الجزع، بحيث ذهب تيقظه وتدبر ما يقوله، فصار في معنى الغافل والناسي، وهذه الحالة لا يؤاخذ فيها، وهو نحو قول القائل الآخر، الذي غلب عليه الفرح حين وجد راحلته: (أنت عبدي وأنا ربك) فلم يكفر بذلك للدهش والغلبة والسهو وقد جاء في هذا الحديث في غير مسلم: (فلعلي أضل الله) أي أغيب عنه.

وهذا يدل على أن قوله: (لئن قدر الله عليّ) على ظاهره.

وقالت طائفة: هذا من مجاز كلام العرب، وبديع استعمالها، يسمونه مزج الشك باليقين كقوله تعالى: **﴿وإنا أو إياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين﴾** ـ فصورته صورة الشك، والمراد به اليقين.

وقالت طائفة: هذا الرجل جهل صفة من صفات الله تعالى، وقد اختلف العلماء في تكفير جاهل الصفة: ـ قال القاضي: وممن كفره بذلك ابن جرير الطبري، وقاله أبو الحسن الأشعري أولاً.

وقال آخرون: لا يكفر بجهل الصفة، ولا يخرج به عن اسم الإيمان، بخلاف جحدها وإليه رجع أبو الحسن الأشعري، وعليه استقر قوله: لأنه لم يعتقد ذلك اعتقادًا يقطع بصوابه ويراه دينًا وشرعًا، وإنما يكفر من اعتقد أن مقاله حق.

قال هؤلاء: ولو سئل الناس عن الصفات لوجد العالم بها قليلاً.

وقالت طائفة: كان هذا الرجل في زمن من فترة حين ينفع مجرد التوحيد، ولا تكليف قبل ورود الشرع على المذهب الصحيح، لقوله تعالى: **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾** وقالت طائفة: يجوز أنه كان في زمن شرعهم فيه جواز العفو عن الكافر بخلاف شرعنا وذلك من مجوزات العقول عند أهل السنة، وإنما منعناه في شرعنا بالشرع، وهو قوله تعالى: **﴿إن الله لا يغفر أن يُشرَكَ به﴾** وغير ذلك من الأدلة. والله أعلم. وقيل: إنما وصى بذلك تحقيرًا لنفسه وعقوبة لها، لعصيانها وإسرافها رجاء أن يرحمه الله تعالى، مع العلم بأن ذلك ليس جائزًا في شريعة الإسلام.

(٥) باب لا يجمع الله على العبد خوفين ولا أمنين

١/٢٨٦ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه جل وعلا أنه قال:

«وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين، إذا خافني في الدنيا أَمَّنْتُهُ يومَ القيامة، وإذا أَمِنَني في الدنيا أخفتُه يومَ القيامة».

(حسن) ـ أخرجه ابن حبان (٢٤٩٤).

١/٢٨٦م ـ وعن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

قال الله عز وجل: **«وعزتي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين، إن هو أمِنَنِي في الدنيا أخفتُه يوم أجمعُ فيه عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمعُ فيه عبادي»**.

(حسن لغيره) ـ أخرجه أبو نعيم في الحلية (جـ ٦ ص ٩٨).

٢/٢٨٧ ـ وعن شداد بن أوس أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ:

إنَّ التوبةَ تَغْسِلُ الحوْبةَ[1]، وإنَّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئات، وإذا ذكر العبدُ ربَّه في الرخاءِ، أنجاهُ في البلاءِ، ذلك بأنَّ الله تعالى يقول: **«لا أَجْمَعُ لعبدي أبدًا أمنين، ولا أجمعُ له خوفين، إنْ هو أَمِنَنِي في الدنيا خافني يوم أجمعُ فيه عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أَمَّنتُهُ يومَ أجمعُ فيه عبادي في حظيرة القدس، فيدوم له أمنُهُ، ولا أمحقُهُ فيمن أَمْحَقُ»**[2].

(حسن لغيره) ـ أخرجه أبو نعيم في الحلية (جـ ١ ص ٢٧٠).

شرح المفردات

١ ـ الحَوْبة: الإثم.

٢ ـ المحق: الهلاك.

المعنى

إن المقصود من هذه الأحاديث أن العبد الذي يتساهل في أوامر ربه ويتهاون في شرع الله ويظن نفسه أنه في أمان وسرور في هذه الدنيا دون أن يخاف الله ويحذر عذابه في الآخرة، فإن هذا العبد لن يحصل على الأمن والأمان الثاني في الدار الآخرة، لأن سوف يُعَاقَبُ ويُحَاسَبُ على تقصيره في الدنيا.

أما الذي عاش في دنياه خائفًا وَجِلاً من ربه مستجيبًا لأمرة وعابدًا وتقيًا فإن سوف ينال الأمن من ذلك العذاب الكبير في الدار الآخرة، ولا يهلكُهُ الله سبحانه بل يجعلُه من الفائزين الناجين.

(٦) باب الإنابة إلى الله تعالى

١/٢٨٨ ـ عن أبي هريرة ـ ربما ذكر النبي ﷺ ـ قال: قال الله عَزَّ وَجَلَّ: «إذا تقرب العبدُ مني شبرًا تقربتُ منه ذراعًا، وإذا تَقَرَّبَ مني ذراعًا تقربتُ منه باعًا أو بُوعًا»[1].

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ٥٠.

٢٨٩/ ٢ ـ وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

قالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: «إذا تَقَرَّبَ عبدي مني شبرًا تقربتُ منه ذراعًا، وإذا تقربَ مني ذراعًا تقربتُ منه باعًا ـ أبو بوعًا ـ وإذا أتاني يَمْشي أتيتُهُ هَرْوَلَةً».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء حديث ٢٠. أحمد في مسنده (٢/ ٥٠٩).

٢٩٠/ ٣ ـ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إنَّ الله قالَ: «إذا تلقاني عبدي بشبرٍ تلقيتُه بذراعٍ وإذا تلقاني بذراعٍ تلقيتهُ بباعٍ وإذا تلقاني بباعٍ جئتُهُ أَتَيْتُهُ بأَسرعَ».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء حديث ٣.

٢٩١/ ٤ ـ عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ يرويه عن ربه قال: «إذا تقربَ العبدُ إليَّ شبرًا تَقَرَّبْتُ إليه ذراعًا، وإذا تقربَ مني ذراعًا تقربتُ منه باعًا، وإذا أتاني يمشي أتيتُه هرولة».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ٥٠.

٢٩٢/ ٥ ـ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

قال الله: «يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ من الملائكة، أو في ملأ خير منهم، وإن دنوت مني شبرًا دنوت منك ذراعًا، وإن دنوتِ مني ذراعًا دنوت منك باعًا، وإن أتيتني تمشي أتيتك أهرول» قال قتادة: فالله عز وجل أسرع بالمغفرة.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٣٨).

٢٩٣/ ٦ ـ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وسلم قال:

قال النبي ﷺ: قال الله تعالى: «يا ابن آدمَ قُمْ أمشِ إليك، وامشِ إليَّ أُهرولْ إليك».

(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٧٨).

شرح المفردات

١ ـ الباع: المسافة بين الكفين عند انبساط الذراعين، والباع والبُوع والبَوْع معناهم واحد.

المعنى

إن الله جلّت قدرته يسارع في تلبية نداء عبده، ويبادره بالإقبال عليه إقبالاً كبيرًا بمجرد أن يخطو هو خطوة نحو طاعة ربه، فإذا فعلت القليل مخلصًا في ذلك، أعطاك الله الكثير الكثير، وإذا ناجيت ربك وناديته في قضاء حاجتك، أو في مغفرة ذنبك، أقبل عليك بكل الرضا وبكل القبول والاستجابة، فهو الكريم الذي لا يَرُدُّ سائله أبدًا، فأقبل على الله ودع عنك أوهام النفس وغرور الدنيا وعوائق الشهوات تجده تجاهك ومعك يحميك في دنياك وآخرتك.

(٧) باب الهمُّ بالحسنة

٢٩٤/١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

يقول الله: **«إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملَها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة»**.

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ٣٥.

٢٩٥/٢ ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله :

يقولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: **«من جاءَ بالحسنة فله عشرُ أمثالها وأزيدُ، ومن جاءَ بالسيئةِ فجزاؤُه سيئةٌ مثلها، أو أغفرُ، ومن تقربَ مني شبرًا تقربتُ منه ذراعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مني ذراعًا تقربتُ منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيتهُ هرولةً، ومن لقيني بقُرابِ[1] الأرضِ خطيئةً لا يشركُ بي شيئًا لقيتُهُ بمثلها مغفرةً»**.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء حديث ٢٢، ابن ماجه في كتاب فضل العمل باب ٥٨.

٢٩٦/٣ ـ وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: **«ابنَ آدَمَ إن دَنوْتَ مني شبرًا دنوتُ منك ذراعًا، وإن دنوتَ مني ذراعًا دَنَوْتُ منك باعًا. ابنَ آدَمَ إنْ حَدَّثَتْ نفسَكَ بحسنةٍ فلم تعملْها كتبتُها لك حسنةً، وإن عَمِلْتَهَا كتبتُها عشرًا، وإن هممت[2] بسيئةٍ فَحَجَزَكَ عنها هيبتي كتبتُها لك حسنةً، وإنْ عملتَهَا كتبتُها سيئةً واحدةً»**.

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (جـ ٤ ص ٢٤٦).

٤/٢٩٧ ـ وعن أبي ذر أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ:

قال ربكم عَزَّ وَجَلَّ: **«الحسنةُ بعشرٍ والسيئةُ بواحدةٍ واغفِرُها ومَن لقيني بقارِبِ الأرض خطيئةً لا يشركُ بي لقيتُهُ بقُرابِ الأرضِ مغفرةً، ومن هم بحسنةٍ ولم يَعملها كتبتُ له حسنةً، ومن همَّ بسيئةٍ فلم يعملها لم يُكتبْ عليه شيءٌ، ومن تقرَّبَ مني شبرًا تقربتُ منه ذرعًا، ومن تقرَّب مني ذراعًا تقربتُ منه باعًا»**.

(صحيح) ـ أخرجه الطيالسي في (مسنده/ ٤٦٤).

شرح المفردات

١ ـ قُراب الأرض: قُرابُ الشيء وقرابُه ما قارب قدْرَهُ وهو هنا ما قارب ثَقل الأرض ووزنها.

٢ ـ هَمَمْتَ: همَّ بالشيء أراده وأجَالَ فِكْرَهُ لفعله.

المعنى

وهنا فيض عميم وكرم واسع من الفضل الإلهي والكرم الرباني، حيث يجعل الحسنة الواحدة بعشر حسنات إن فعلها، وإن أرادها وهمّ بها وأجال فكره للإيقاع بها لكن أحالت دون ذلك ظروف قاسية أو أي سبب آخر، فإن الله سبحانه يثيبه على هذه الإرادة الطيبة التي تُسْفِرُ عن النية الصالحة في قلبه ونفسه، فيجازيه بها حسنة واحدة مع أنه لم ينفذ ما نواه وهمَّ به، حتى السيئة إن همَّ بها وأرادها لكنه لم يعملها، فإن الله يجازيه على مجرد اعراضه عن هذه السيئة فيكتبها في صحيفته حسنة واحدة، أما إذا عمل تلك السيئة فلا يكتبها الله عليه إلا سيئة واحدة، وهذا كله بشرط عدم الإشراك به سبحانه وتعالى.

(٨) باب توبة آدم عليه السلام

١/٢٩٨ ـ عن أُبيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن آدم عليه السلامُ كان رجلاً طُوالاً[١] كأنه نخلةٌ سَحُوقٌ[٢]، كثيرُ شعر الرأسِ، فلما وقع بما وقع به[٣] بدت له عورتُه، وكان لا يراها قبل ذلك، فانطلق هاربًا، فأخذتْ برأسه شجرةٌ من شجر الجنة، فقال لها: أرسليني. قالت: لسْتُ مُرْسِلَتَكَ. قال: فناداه ربه عز وجل: **«أَمِنِّي تفِرُّ؟»**.

قال: أَيْ ربِّ لا أَسْتحييك؟[٤] قال: فناداه:

«وإن المؤمن يستحيي ربَّه عز وجل من الذنب إذا وقع به، ثم يعلمُ بحمد الله أين المخرجُ، يعلمُ أن المخرجَ في الاستغفار والتوبة إلى الله عز وجل».

(صحيح) أخرجه أحمد في كتاب الزهد (ص ٤٨)، والحاكم نحوه مختصرًا (جـ ٢ ص ٢٦٢).

شرح المفردات

١ ـ طوالاً: أي طويل القامة.

٢ ـ سَحُوق: طويلة.

٣ ـ وقع: أي عندما أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها.

٤ ـ لا أستحييك: أي لا أخجل منك بسبب ذنبي؟

المعنى

إن الإنسان لا بد أنه سيخطىء وسيذنب وليس هذا بعجيب فكل ابن آدم خطاءٌ، لكن خير الخطائين هم الذين يتوبون ويرجعون إلى ربهم بالندم والاستغفار والله لا يرد مستغفرًا ولا تائبًا والحمد لله على هذه النعمة الفضلى.

٢/٢٩٩ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ [البقرة: ٣٧]. قال: أَيْ رب! ألم تخلقْني بيدك؟ قال: بلى. قال: أي ربِّ! ألم تَنْفُخْ فيَّ من روحِك؟ قال: بلى. قال: أي رب! ألم تُسْكِنِّي جنَّتَك؟ قال: بلى. قال: أي رب! ألم تسبقْ رحمتُك غَضَبَك؟ قال: بلى. قال: أرأيت أن تُبتُ وأصلحت، أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: بلى. قال: فهو قوله **﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾**.

(صحيح) أخرجه الحاكم (جـ ٢ ص ٥٤٥) وصححه ووافقه الذهبي.

المعنى

كان سيدنا آدم عليه السلام في جنة الخلد منعمًا ومكرمًا هو وزوجه حواء، غير أنه لما وُقع في ذلك الخطأ أخرج من تلك الجنة، لكنه راح يستكين إلى الله ويتضرع إليه ويظهر ضعفه وشدة احتياجه إليه، فالله هو الذي خلقه ونفخ فيه الروح وأسكنه الجنة، ثم ذكر آدم عليه السلام رحمة الله التي سبقت غضبه، فتاب وأناب وقبل الله توبته وسيعيده إلى

الجنة التي عرضها السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى. ثم اجتباه فتاب عليه وهدى﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢].

(٩) باب قبول التوبة عن قتل تسعة وتسعين نفسًا

٣٠٠/ ١ ـ عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

كانَ في بني إسرائيل رجلٌ قتلَ تسعةً وتسعين إنسانًا، ثم خرج يَسألُ، فَأَتَى راهباً[١] فسأله، فقال له: هل من توبة؟ قال: لا، فقتلَهُ، فجعل يسألُ، فقال له رجلٌ: ائْتِ قريةَ كذا وكذا، فأدْرَكَهُ الموتُ فناء[٢] بصدرِهِ نحوها، فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذاب، فأَوْحَى الله إلى هذه: «أن تقربي»، وأَوْحَى الله إلى هذه: «أن تباعَدي»، وقال: «قيسوا ما بينهما»، فوُجدَ إلى هذه أقربَ بشبرٍ، فَغُفِرَ له.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ٥٤ كما أخرجه مسلم في كتاب التوبة حديث ٤٦ نحوه من رواية أبي سعيد الخدري أيضًا، وفيه زيادة وتفصيل إلا أنَّ سياقه ليس فيه كلام منسوب للربِّ عز وجلّ قال:

كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قَتَلَ تسعةً وتسعين نفسًا، فسألَ عن أعلمِ أهلِ الأرض، فَدُلَّ على راهبٍ، فأتاه فقالَ: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبةٍ؟ فَقَالَ: لا، فقتلَهُ فكمَّلَ به مائةً، ثم سألَ عن أعلمِ أهلِ الأرض، فَدُلَّ على رجلٍ عالم، فقال: إنه قتلَ مائةَ نفس، فهل له من توبةٍ؟ فقال: نعمْ، ومن يحولُ بينه وبيني التوبةِ؟ انطلقْ إلى أرضِ كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله، فاعْبد الله معهم، ولا ترجعْ إلى أرضِكَ، فإنها أرضُ سُوءٍ، فانطلقَ حتى إذا نَصَفَ الطريقُ أَتَاهُ الموتُ، فاختصمتْ فيه ملائكة الرحمةِ، وملائكةُ العذابِ، فقالتْ ملائكةُ الرحمةِ: جاءَ تائبًا مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكةُ العذاب: إنه لمْ يعملْ خيرًا قط، فأتاهم مَلَكٌ في صورةِ آدمي، فجعلوهُ بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتها كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أرادَ فقبضته ملائكةُ الرحمةِ.

٣٠١/ ٢ ـ وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال:

أن رجلاً قتل تسعةً وتسعين نفسًا، فجعل يسألُ: هل من توبةٍ؟ فأتى راهبًا فسأله، فقال: ليستْ لك توبةٌ، فقتلَ الراهبَ، ثم جعلَ يسألُ، ثم خرجَ من قريةٍ إلى قريةٍ فيها قومٌ صالحون، فلما كانَ في بعضِ الطريق أدركهُ الموتُ، فَنَأَى[٣] بصدرِه ثم ماتَ، فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذاب، فكَان إلى القريةِ الصالحة أقرب منها بشبر، فجعل من أهلها.

وفي رواية أخرى زاد:

فأوحى الله إلى هذه: «أن تباعدي»، وإلى هذه: «أن تقربي».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب التوبة حديث ٤٧، ٤٨.

شرح المفردات

١ ـ الراهِب هنا هو الذي يتعبد الله من دون علم كافٍ بشرع الله.

٢ ـ فناء: بنون ومدٌ أي بَعُدَ، والمعنى هنا نهض مع تثاقل ليبلغ الأرض الصالحة التي طلبها.

٣ ـ فنأى: نأى هنا على وزن (سعى) ومعناه هنا بَعُدَ عن الأرض التي خرج منها.

ما يُستفاد من الحديث

ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري جملة من الفوائد والعبر التي تحتويها هذه الأحاديث القدسية الكريمة فقال:

١ ـ فيه أن المفتي قد يجيب بالخطأ.

٢ ـ وفيه إشارة إلى قلة فطنة الراهب، لأنه كان من حقه التحرز ممن اجترأ على القتل حتى صار له عادة بأن لا يواجهه بخلاف مراده وأن يستعمل معه المعاريض مداراة على نفسه، هذا لو كان الحكم عنده صريحًا في عدم قبول توبة القاتل فضلاً عن أن الحكم لم يكن عنده إلا مظنونًا.

٣ ـ وفيه أن الملائكة الموكلين ببني آدم يختلف اجتهادهم في حقهم بالنسبة إلى من يكتبونه مطيعًا أو عاصيًا، وأنهم يختصمون في ذلك حتى يقضي الله بينهم.

٤ ـ وفيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك، إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها، وإما لوجود مَنْ كان يعينه على ذلك ويحضه عليه، ولهذا قال له الأخير: ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء؛ ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها والاشتغال بغيرها.

٥ ـ وفيه فضل العالم على العابد لأن الذي أفتاه أولاً بأن لا توبة له غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير، وأما الثاني فغلب عليه العلم فأفتاه بالصواب ودلَّه على طريق النجاة.

(١٠) باب قبول التوبة مهما كانت الذنوب عظيمة

١/٣٠٢ - عن أنس بن مالك رضي الله عنهما يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

قال الله: «يا ابن آدم إنك ما دعَوْتني ورجَوْتني غفرتُ لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبُك عَنَانَ(١) السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقُراب(٢) الأرض خطايا ثم لقيتني لا تَشركُ بي شيئًا لأتيتُك بقرابها مغفرة».

(حسن) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب ٩٩.

٢/٣٠٣ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

قال الله عز وجل: «يا ابن آدم، إنك ما دعوتَني ورجَوتني غفرتُ لك على ما كان فيك، ولو أتيتَني بملء الأرض خطايا لقيتُك بملء الأرض مغفرة ما لم تشركْ بي شيئًا، ولو بلغتْ خطاياك عنان السماء ثم استغفرتني لغفرتُ لك».

(حسن لغيره) أخرجه الطبراني في الصغير (ج ٢ ص ٢٠).

٣/٣٠٤ - عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ الصادق المصدق يقول:

قال الله عز وجل: «الحسنةُ عشرةٌ أو أزيدُ، والسيئةُ واحدة أو اغفرها، فمن لقيني لا يشركُ بي شيئًا بقُراب الأرض خطيئة جعلت له مثلَها مغفرة».

(حسن) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٥٥).

شرح المفردات

١ - العَنان: السحاب.

٢ - بقُراب: أي ما يقارب وزن الأرض.

المعنى

أحاديث كثيرة ومتعددة ومتنوعة، تفتح أبواب الرجاء للعبد كيلا ييأس ولا يقنط، فما دام هو يذعن لأمر الله ويُسْلِمُ نفسه لمراد الله، وإيمانه بتوحيد الله قائم، ولا يشركُ بالله شيئًا، فليهنأ برحمة الله الواسعة، إنك إذا تصورت معي تلك الذنوب التي تبلغ السحاب الذي في السماء وعرفت كم سيبلغ عددُها ووزنها وحجمها وكثرتها وعيوبها وآفاتها، وعلمت أن الله سيمحوها عنك ويغفرها لك، بل سيبدلها لك بحسنات كما أشار الحديث

الثالث إلى ذلك، عرفت حينذاك قول الله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ [الأعراف: ١٥٦].

(١١) باب فائدة العلم بمغفرة الله تعالى والاستغفار

١/٣٠٥ ـ عن علي بن ربيعة ـ وهو أحد التابعين رضي الله عنه ـ أنه كان ردفًا(١) لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى على ظهر الدابة قال:

الحمد لله ثلاثًا والله أكبر ثلاثًا.

﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣].

ثم قال: لا إله إلا أنت سبحانك إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم مال إلى أحد شقَّيْه فضحك، فقلت: يا أمير المؤمنين: ما يضحكك؟ قال: إني كنت ردف النبي ﷺ فصنع رسول الله ﷺ كما صنعت، فسألته كما سألتني فقال رسول الله ﷺ:

إن الله ليعجبُ(٢) إلى العبدِ إذا قال: لا إله إلا أنت إني قد ظلمت نفسي فاغفرْ لي ذنوبي، إنه لا يغفرُ الذنوب إلا أنتَ، قال: «**عبدي عَرَفَ أنَّ له ربًا يغفرُ ويُعَاقِبُ**».

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (جـ ٢ ص ٩٨، ٩٩).

٢/٣٠٦ ـ عن علي رضي الله عنه وقد أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال:

بسم الله، فلما استوى عليها قال: الحمدُ لله، سبحان الذي سَخَّرَ لنا هذا وما كنا له مُقْرِنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبونَ، ثمَّ حَمِدَ الله ثلاثًا، وكبَّر ثلاثًا، ثمَّ قَالَ: سبحانَكَ لا إله ألا أنْتَ قد ظلمتُ نَفْسِي فاغفرْ لي، ثم ضَحِكَ فقلتُ: ممَّ ضَحِكْتَ يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ فَعَلَ مِثْلَ ما فعلتُ ثم ضَحِكَ، فقلتُ: مم ضَحِكْتَ يا رسولَ الله؟ قال: يَعْجَبُ الربُّ من عبدِهِ إذا قَالَ: ربِّ اغفرْ لي، ويقولُ: «**عَلِمَ عبدي أنه لا يغفرُ الذنوبَ غيري**».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٩٧/١) والترمذي في كتاب الدعوات باب ٤٧ باب ما يقول إذا ركب الناقة.

٣/٣٠٧ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

إن الله تبارك وتعالى يقول: «**من علم منكم أني ذو قدرةٍ على مغفرةِ الذنوبِ غفرتُ له ولا أبالي ما لم يشركْ بي شيئًا**»

(حسن لغيره) ـ أخرجه الحاكم (جـ ٤ ص ٢٦٢).

٤/٣٠٨ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قال:

إن عبدًا أصاب ذنبًا، وربما قال: أذنَبَ ذنبًا، فقال: ربِّ أذنبتُ وربما قال: أصبتُ فاغفر لي. فقال ربه: «**أَعَلِمَ عبدي أنَّ له ربًا يغفرُ الذنب ويأخذُ به؟ غفرتُ لعبدي**»، ثم مكثَ ما شاء الله، ثم أصابَ ذنبًا أو أذنب ذنبًا، فقال: ربِّ أذنبتُ أو أصبتُ آخرَ فاغفره،، فقال: «**أعلمَ عبدي أن له ربًا يغفرُ الذنبَ ويأخذُ به؟ غفرتُ لعبدي**»، ثم مكثَ ما شاءَ الله، ثم أذنبَ ذنبًا وربما قال: أصابَ ذنبًا، قال: رب أصبتُ أو أذنبتُ آخرَ فاغفره لي، فقال: «**أعلمَ عبدي أن له ربًا يغفرُ الذنبَ ويأخذُ به؟ غفرتُ لعبدي ثلاثًا، فليعملْ ما شاءَ**»[٣].

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ٣٥ باب قوله تعالى: ﴿**يريدون أن يبدلوا كلام الله**﴾. أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٦).

٥/٣٠٩ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عزَّ وجلَّ قال:

أذنَبَ عبدٌ ذنبًا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى:

«**أذنبَ عبدي ذنبًا فعلمَ أنَّ له ربًا يغفرُ الذنبَ ويأخذُ بالذنبِ**»، ثم عادَ فأذنبَ، فقال: أيْ ربِّ اغفرْ لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: «**عبدي أذنبَ ذنبًا فعلمَ أن له ربًا يغفرُ الذنبَ ويأخذُ بالذنب**»، ثم عادَ فأذنبَ فقال: أي ربِّ اغفرْ لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: «**أذنَبَ عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك**».

رواه مسلم في كتاب التوبة حديث ٢٩.

شرح المفردات

١ ـ ردْفًا: أي راكبًا خلفه على الدابة.

٢ ـ لَيَعجَبُ: التعجب من صفات المخلوق غير أنه هنا كناية عن رضا الله سبحانه.

٣ ـ فليعملْ ما شاء: معناه ما دمت تذنب فتتوب غفرت لك.

المعنى

هذه الأحاديث القدسية الخمسة تركز في مجملها على علم العبد بمغفرة الله للذنوب وقبوله التوبة، ولذلك فهو ـ أي العبد ـ يرجع إلى ربه ويستغفره في كل مرة يذنب فيها، ولذلك فهو الناجي يوم القيامة، أما الذي يستنكف عن الاستغفار بحجة أنه يريد توبة صحيحة وإلا فسيبقى على ذنوبه ومعاصيه وهذا من الجهل في دين الله، ولذلك جاءت العبارة واحدة في كل الأحاديث وهي قوله «عبدي عرف. . . .» وقوله «علم عبدي. . . .» وقوله «من علم منكم. . . .» وقوله «أعلم عبدي. . . .» وقوله «فعلم أن له ربًا. . . .». فالعالم بقبول الله التوبة من عبده ولو أنه أذنب في كل مرة هو الفائز الناجح ولذلك قال ﷺ «خياركم كل مُفْتَنٍ تواب» (ذكره في مسند الفردوس عن علي). ومعناه الذي يتكرر منه الذنب والتوبة، فكلما وقع في الذنب، عاد إلى التوبة. وقال النووي في الحديث كما نقل ذلك الحافظ في الفتح: أن الذنوب ولو تكررت مائة بل ألفًا وأكثر وتاب في كل مرة قُبلت توبتهُ أو تاب عن الجميع توبة واحدة صحت توبته.

وقال الإمام الغزالي رحمه الله في كتاب الإحياء: تب، تب، تب، فلأن تلقى الله تائبًا خير من أن تلقاه عاصيًا.

وهذا هو الحق والصواب يا أخي، فالإنسان منا إذا اتسخ قميصه أو تنجست ثيابه فعليه أن يغسلها في كل مرة لا أن يترك الأوساخ والنجاسات تتراكم عليه، وكذلك هي حال المريض فالواجب عليه أن يتناول الدواء كلما انتكس وحل به المرض، ، فإذا ترك الدواء ازداد عليه مرضه وسبب له الهلاك وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «ألا أدُلُّكم على دائِكم ودوائِكم، إلا إنّ داءكم الذنوب ودواءكم الاستغفار» (رواه البيهقي، وذكره في الترغيب والترهيب).

٦/٣١٠ ـ عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال:

«حرّمت الظلمَ على نفسي وحرّمتهُ على عبادي فلا تظالموا، كلُّ بني آدمَ يخطىءُ بالليل والنهار ثم يستغفرُني فأغفرُ له ولا أبالي».

(صحيح) أخرجه الطيالسي في مسنده (٤٦٣).

٧/٣١١ ـ عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: قال إبليس: أيْ ربِّ، لا أزالُ أُغوي بني آدمَ ما دامت أرواحُهم في أجسادهم. قال فقال الرب عز وجل: **«لا أزال أغفر لهم ما استغفروني»**.

(حسن) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٩، ٧٦).

المعنى

وهنا أيضًا تنكيس آخر للشيطان وقهر له وإرغام، فهو يحاول بكل وسائله وحبائله إغواء عباد الله وسوقهم إلى جهنم بارتكاب الذنوب والأخطاء، ويلاحقهم حتى وهم على فراش الموت، غير أن الله الرحيم الكريم تكرم على العبد بقبول التوبة والمغفرة طالما لم يقلع عن الاستغفار.

(١٢) باب انتفاع الأب من استغفار ولده

١/٣١٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنّى لي هذا[١]؟ فيقول: باستغفار ولدك لك.

(حسن) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٥٠٩). ابن ماجه في كتاب الأدب باب (١) بر الوالدين.

شرح المفردات

١ ـ أنّى لي هذا: أي من أين حصلت على هذه الدرجة الرفيعة؟

المعنى

هنا تكمن فائدة التربية الصالحة من الأب تجاه أولاده، فالذي يعلم أولاده شرع الله، وينشئهم على عبادة الله، فسوف يرى نفع ذلك في الدار الآخرة، عندما يتوجه إليه ابنه في عالم الدنيا بالاستغفار والدعاء، فيرتفع الوالد درجات عند الله، ومعنى ذلك أن الوالد لم يكن عنده سيئات ليمحوها الله عنه ولذلك رُفع تلك الدرجة في الجنة.

(١٣) باب الكفارات

١/٣١٣ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: أَتَانِي[٢] رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ـ قَالَ: أَحْسِبُهُ ـ فِي الْمَنَامِ، قَالَ: كَذَا فِي الْحَدِيثِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ[٣]، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ، أَوْ قَالَ: فِي نَحْرِي فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ[٤] الْمَلأُ الأَعْلَى[٥]؟ قُلْتُ: نَعَمْ،

قَالَ: فِي الْكَفَّارَاتِ، وَالْكَفَّارَاتُ: الْمُكْثُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَالْمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغُ[1] الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ، كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلِ: اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ، الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، قَالَ: وَلِلْدَرَجَاتِ إِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ.

رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن باب ٣٩ من سورة صٓ.

قال أبو عيسى الترمذي ـ رحمه الله تعالى:

وقد ذكروا بين أبي قلابة، وبين ابن عباس في هذا الحديث رجلاً.

ـ وأبو قلابة من رجال السند، وهو الذي قبل ابن عباس رضي الله عنهما.

٢/٣١٤ ـ وفي رواية أُخرى ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلتُ: لَبَّيْكَ[2] رَبِّي وَسَعْدَيْكَ[3]، قَالَ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: رَبِّي لاَ أَدْرِي، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ، فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقُلْتُ لَبَّيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الدَّرَجَاتِ، وَالْكَفَّارَاتِ، وفي نَقْلِ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ، وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَمَنْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بِخَيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.

قال أبو عيسى الترمذي ـ رحمه الله ـ: حديث حَسَنٌ غريب.

(ملحوظة): حديث ابن عباس الثاني في سنده أبو قلابة، عن خالد بن اللجلاج، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما.

وخالد بن اللجلاج هو الذي قال عنه الترمذي في الحديث الأول: إنه لم يذكر، فقد عرف بذلك.

وأخرجه الترمذي ـ رحمه الله تعالى ـ من رواية أُخرى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

٣/٣١٥ ـ فَقَالَ: احْتَبَسَ عَنَّا رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ذَاتَ غَدَاةٍ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، حَتَّى كِدْنَا نَتَرَايَا عَيْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ سَرِيعًا، فَثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ، فَصَلَّى رَسُولُ

اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَتَجَوَّزَ[٨] في صَلاَتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِصَوْتِهِ، قَالَ لَنَا: عَلَى مَصَافِّكُمْ[٩] كَمَا أَنْتُمْ، ثُمَّ انْفَتَلَ إِلَيْنَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمُ الْغَدَاةَ، إِنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ، وَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي، فَنَعَسْتُ في صَلاَتِي حَتَّى اسْتَثْقَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ في أَحْسَنِ صُورَة، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: لاَ أَدْرِي، قَالَهَا ثَلاَثًا، قَالَ: فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَتَجَلَّى لي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: في الْكَفَّارَاتِ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قَالَ: مَشْيُ الأَقْدَامِ إِلَى الْحَسَنَاتِ، وَالْجُلُوسُ في الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ حِينَ الْكَرِيهَاتِ، قَالَ: فِيمَ؟ قُلْتُ: إِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَلِينِ الْكَلاَمِ، وَالصَّلاَةِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، قَالَ: سَلْ، قُلْتُ: اللَّهُمَّ، أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لي، وَتَرْحَمَنِي، وَإِذا أَرَدْت فِتْنَةَ قَوْم فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُون، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهَا حَقٌّ، فَادْرُسُوهَا، ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا.

قال أبو عيسى الترمذي ـ رحمه الله تعالى: حديث حسن صحيح.

شرح المفردات

١ ـ أتاني ربي في أحسن صورة: يراد بالصورة هنا صفات الجلال والكمال التي تليق بالله سبحانه لأنه منزه عن مشابهة خلقه.

٢ ـ فوضع يده بين كتفَيّ: كناية عما أفاض الله على قلبه ﷺ من المعارف والعلوم.

٣ ـ يختصم: اختصامهم هو في التسابق إلى كتابة ثواب تلك الأشياء، أو في معرفة مقدار ثوابها.

٤ ـ الملأ الأعلى: هم الملائكة الكرام سكان السموات وما فوقهن من الكرسي والعرش والحافين بالعرش.

٥ ـ إسباغ: هو الإتيان بتمام الوضوء في البرد الشديد حيث يتهاون الكثير في ذلك.

٦ ـ لبَّيْكَ: ثُنّي على معنى التأكيد أي إلبابًا ولزومًا بك وبطاعتك بعد لزوم.

٧ ـ سَعْدَيْك: بنحو (لبيك) ثُنّيَ على معنى التأكيد أي إسعادًا بعد إسعاد، والإسعاد هو الإعانة والمساعدة، فالعبد بقوله سعديك فهو يطلب المعونة المتتالية المستمرة من الله تعالى.

٨ ـ تَجَوَّز: أي اختصر واقتصر.

٩ ـ مصافّكم: أي ظلّوا في أماكنكم.

المعنى

لأن الإنسان معرض دائمًا للوقوع في الأخطاء وفي الذنوب، فقد جعل الله له مخرجًا وسببًا لمحوها وإزالتها وقد ذكر النبي ﷺ جملة من هذه الكفارات التي تمحو السيئات وهي المكث واللبث في المساجد بعد الصلوات لانتظار الصلاة ولذكر الله ولتلاوة القرآن وحضور مجالس العلم، والمشي إلى المساجد لأداء الصلوات في جماعة لأنها تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، وإتمام الوضوء على شكله المطلوب في الشرع في وقت وفي حالة تتهاون فيها النفس في إتمام الوضوء كالبرد القارس الشديد، وعند التعب أو النعاس وغيرها مما يشق على النفس الإتيان بالعبادة على وجهها الصحيح.

أما العبد عندما ينظف من ذنوبه، وتُمحى عنه سيئاته يبدأ في رقى الدرجات عند الله، ولهذه الدرجات العالية أسبابها أيضًا وهي: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل متضرعًا وجلاً خائفًا وراغبًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، في حين أن الناس يغطون في نومهم العميق، فهو بقيامه ذاك قد آثر الطاعة والعبادة على راحته ونومه فاستحق الدرجات الرفيعة عند الله سبحانه.

كتاب البر والأخلاق

(١) باب فضل التواضع

١/٣١٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِذَا سَمِعْتُمْ رَجُلاً يَقُولُ: قَدْ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ، يَقُولُ اللهُ: **إِنَّهُ هُوَ هَالِكٌ**».

(حسن) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٧٢).

٢/٣١٧ ـ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

إن الله أوحى إليّ **«أنْ تواضعوا ولا يَبْغِ بعضُكم على بعضٍ»**.

(حسن) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد باب ٢٣.

المعنى

يوصينا الله سبحانه بأن نتواضع فيما بيننا ولا نتكبر، لأن التكبر ليس من أخلاق المسلم الحق وإنما هو من أخلاق إبليس لأنه كان أول المتكبرين حيث تكبر على آدم حين أمره الله بالسجود له أي لآدم فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، فكانت عاقبته أن طرده الله من رحمته وإلى الأبد من غير أن يفسح له مجالاً للتوبة أو الاستغفار. وإن التكبر في الغالب يصدر من الأغنياء أو الزعماء أو السادة، وفي الحديث الأول هنا يشير إلى أن التكبر إنما صدر من إنسان يطيع الله ويعبده وقد أكرمه الله تعالى بالتقوى والإيمان، فلما رأى ما عليه الناس من خطايا ومن ذنوب ومن بُعدٍ عن هدى الله، راح ينظر إليهم نظرة احتقار واشمئزاز وبأس، وظن أنهم باقون على معاصيهم وأن رحمة الله لن تنزل عليهم ولذلك قال «هلك الناس» وكان الأجدرَ به أن يدعوهم إلى عبادة الله وأن يصبر على نصيحتهم ولا ييأس من هدايتهم، ولذلك هلك وكان من الخاسرين، بل كان أهلكهم وأشدّهم بعدًا عن هدى الله وأهداف رسالته.

(٢) باب التواضع بسبب الرفعة

١/٣١٨ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه قال:

يقول الله تبارك وتعالى:

«من تواضع لي هكذا ـ وجعل يزيد[١] باطن كفّه إلى الأرض وأدناها إلى الأرض ـ رفعتُهُ هكذا ـ وجعل باطن كفّه إلى السماء ورفعها نحو السماء».

(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده (جـ ٣٠٩/١) والطبراني في الصغير (جـ ١ ص ٢٣١).

شرح المفردات

١ ـ يزيد: هو ابن هرون شيخ الإمام أحمد بن حنبل وهو الذي روى عنه أحمد هذا الحديث.

المعنى

من أراد الرفعة وطلب المكانة السامية عند الله وعند الناس فعليه بالتواضع والافتقار إلى الله، فمن تواضع لأستاذه رفع إلى مصافّ العلماء، ومن تواضع لرب عمله رفع إلى خيرة أرباب العمل، ومن تواضع لوالديه رزقه الله أولادًا صالحين، ومن تواضع لأخيه المسلم كسب وده وصداقته، ومن تواضع لله بالافتقار الدائم إليه والاستغفار والندم والتوبة من دون أن يستكثر أعماله، رفع الله قدره وجعله من الأبرار الأتقياء.

(٣) باب التواضع سبب تفجر الحكمة

٣١٩/ ١ ـ عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال:

ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد مَلَكٍ، فإذا تواضع قيل للملك: «ارفع حكمتك» وإذا تكبّر قيل للملَك «ضع حكمتك».

(صحيح لغيره) أخرجه الطبراني في الكبير (جـ ١٢٩٣٩/١٢).

المعنى

كل الناس وهبهم الله الحكمة وحسن التدبير والسير في الحياة بشكل دقيق ومنتظم وبعيد عن الأخطاء، لكنه الكبر والعجب والأنفة، كل هذه الأمراض النفسية الخبيثة تقتل في الإنسان ملكة الوعي وبذور الحكمة وتفقده صوابه ووعيه، فالإنسان الجاهل هو الذي يظن أنه كلما تعالى على الناس وانزوى عنهم وترفع عن الجلوس معهم كان أشد احترامًا وتوقيرًا، ولم يعلم أن أسلوبه هذا سيجعله منبوذًا ومحتقرًا.

إن الإنسان الحكيم العاقل هو الذي يعيش مع الناس ومع مشاكلهم ومع أحزانهم وأتراحهم وأفراحهم من دون أنفة ولا تكبر ولا امتعاض بل بروح أخوية إيمانية إنسانية.

(٤) باب النبي ﷺ يختار العبودية على الملك

١/٣٢٠ ـ عن أبي هريرة. قال: جلسَ جبريل إلى النبي ﷺ فنظرَ إلى السماءِ، فإذا مَلَكٌ[١] ينزلُ، فقال جبريلُ: إن هذا المَلَك ما نزلَ منذُ يومِ خُلِقَ قبلَ الساعةِ، فلما نزلَ، قال: يا محمَّدُ أرسلني إليك ربك، قال: **«أفملكًا نبيًا يجعلُكَ، أوْ عبدًا رسولاً؟»** قال جبريل: تواضع لربك يا محمد، قال: بل عبدًا ورسولاً.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (جـ ٢/ ٢٣١).

٢/٣٢١ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

يا عائشةُ لو شئتُ لسارتْ معي جبالُ الذهبِ، جاءني مَلَكٌ إنَّ حُجْزَتَهُ[٢] لتُسَاوي الكعبةَ، فقال: إن ربَّك يقرأُ عليكَ السلامَ، ويقولُ: **«إن شئتَ نبيًا عبدًا؟ وإن شئتَ نبيًا ملِكًا؟»** فنظرتُ إلى جبريلَ عليه السلام، فأشارَ إليَّ أن ضعْ[٣] نفسَكَ، قال: فقلتُ: نبيًا عبدًا. قالتْ: وكانَ رسولُ الله ﷺ بعد ذلك لا يأكلُ متكئًا يقولُ: آكلُ كما يأكلُ العبدُ، وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ.

(صحيح لغيره) ـ أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي (٦١٠)، والبغوي (جـ ١٣/ ٣٦٨٣). كما أخرجه أبو الشيخ (ص ١٩٨) في كتابه أخلاق النبي ﷺ، والبغوي في شرح السنة (جـ ١٣/ ٣٦٨٤) نحو هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ غير صريح في كونه من الحديث القدسي.

٣/٣٢٢ ـ وعن ابن عمر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لقد هبط عليَّ مَلَكٌ من السماء ما هبطَ على نبي قبْلي، ولا يهبطُ على أحدٍ مِنْ بعدي، وهو إسرافيلُ، وعنده جبريلُ، فقالَ: السلامُ عليك يا محمَّدُ ثم قال: أنا رسولُ رَبِّك إليكَ أمرني أن أخَيِّرَكَ: **«إن شئتَ نبيًا عبدًا، وإن شئتَ نبيًا ملكًا؟»** فنظرتُ إلى جبريلَ فأومأ[٤] جبريلُ إليَّ: أنْ تواضعْ، فقال النبيُ ﷺ عند ذلك: نَبيًا عبدًا، فقال النبيُ ﷺ:

لو أنّي قلتُ نبيًا مَلِكًا ثم شئتُ لسارت الجبالُ مَعِي ذهبًا.

(صحيح لغيره) ـ أخرجه الطبراني في الكبير (جـ ١٢/ ١٣٣٠٩).

شرح المفردات

١ ـ مَلَكٌ: هو سيدنا إسرافيل عليه السلام كما في الحديث رقم (٣).

٢ ـ حُجْزَتَهُ: جمع حُجَز وحُجُزات وهي موضع التكّة من السراويل أو معقد الإزار. وهي هنا كناية عن عظمة وضخامة هذا الملك الكريم.

٣ ـ ضَعْ نفسك: أي تواضع.

٤ ـ أومأ: أي أشار ويقال أومأتُ ولا يقال أوميتُ (مختار الصحاح).

المعنى

ذاك من عظيم تواضعه ﷺ، حيث تعرض عليه الجبال من ذهب، ويُخير بين الملك والسيادة والسلطان وبين العبودية والافتقار إلى الله، فيختار العبودية لله ويزهد بالملك والجاه، وهو الذي لو شاء لجعل له جبال مكة كلها ذهبًا تسير معه حيثما سار، لكنه رضي بالقليل ليواسي بحاله الفقراء والمساكين من أمته، ولذلك كان يسير في حياته كما يسير عامة الناس من دون تعالٍ منه ومن دون تميّز، لم يتخذ القصور والمباني الشاهقة إنما اتخذ الحجرات أي الغرفات الضيقة صلوات الله وسلامه عليه.

(٥) باب ذم العجب

٣٢٣/ ١ ـ عَنْ صُهَيْب قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ[١] أَيَّامَ حُنَيْنٍ[٢]، بِشَيْءٍ لَـمْ يَكُنْ يَفعَلُه قَبْلَ ذَلِكَ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ نَبِيًا كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَعْجَبَتْهُ أُمَّتُه[٣]، فَقَالَ: لَنْ يَرُومَ[٤] هَؤُلاَءِ شَيْءٌ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: **أَنْ خَيِّرْهُمْ بَيْنَ إِحْدَى ثَلاَث، إِمَّا أَنْ أُسَلِطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَهُمْ**[٥]**، أَوِ الْجوعَ، أَوِ الْمَوْتَ**، قَالَ: فَقَالُوا: أَمَّا الْقَتْلُ أَوْ الْجوعُ فَلا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَلَكِنْ الْمَوتُ» قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَاتَ فِي ثَلاثٍ[٦] سَبْعُونَ أَلفًا» فَقَالَ: فَأَنَا أَقُولُ الآنَ: «اللهُمَّ بِكَ أُحَاوِلُ[٧] وَبِكَ أُصُولُ[٨] وَبِكَ أُقَاتِلُ».

(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٣٢). عبد الرزاق (٩٧٥١) والطبراني في الكبير (جـ ٨/ ٧٣١٨).

شرح المفردات

١ ـ يحرك شفتيه: أي يتكلم بكلام لا يُسْمَعُ.

٢ ـ حنين: أي في غزوة حنين.

٣ ـ أعجبته أمته: أي أعجبه كثرتُها.

٤ ـ يَرُومَ: رامَ الشيء طلبه أي لن يقدر أحد على طلب أمته أي لن يقدر على غلبتها لكثرتها.

٥ ـ فيستبيحهم: أي فيهلكهم ويستبيح دماءهم بسفكها.

٦ ـ ثلاث: أي ثلاثة أيام.

٧ ـ أحاول: الحول الحركة أي بك أتحول وأتحرك وبقدرتك تكون كل أفعالي وحركاتي وسكناتي.

٨ ـ أصُول: أي أسطو وأقهر وأغلب أعداءك.

المعنى

إن الإنسان المسلم المؤمن لا يغتر أبدًا بكثرة ماله ولا جاهه ولا سلطانه ولا بوفرة العدد والعدة، إنما اعتماده دائمًا يكون على الله سبحانه، فنبي من أنبياء الله نظر إلى أمته في كثرتها فسرَّه منظرهم وأُعجِبَ من كثرتهم وظن أن ليس أحد أبدًا قادرًا على غلبتهم وقهرهم، فجاءه العتاب من الله، إذ كان عليه أن ينظر إلى قدرة الله وإرادة الله ومعونته، فحكم عليهم بالموت وخيره في إحدى ثلاث طرق ليموتوا: العدو، الجوع، الموت. فاختار القوم الموت فمات منهم سبعون ألفًا في ثلاثة أيام، ولذلك كان النبي ﷺ يكثر من دعائه يوم غزوة حنين فيقول: اللهم بك أحاول ـ أي ليس بكثرة الجنود ـ وبك أصول ـ أي ليس بوفرة العدة والعدد ـ وبك أقاتل ـ أي معتمدًا على حولك وقوتك وليس على أحد غيرك.

لأن المسلمين في غزوة حنين أعجبتهم كثرتهم وقالوا: لن نُغلب اليوم من قلة، فكانت عاقبتهم الهزيمة والفرار وفيهم نزل قول الله سبحانه **﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تُغن عنكم شيئًا وضاقت عليكم الأرض بما رحُبت ثم وليتم مدبرين. ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودًا لم تروها وعذب الذين كفروا، وذلك جزاء الكافرين﴾** [التوبة: ٢٥، ٢٦].

(٦) باب الكبرياء لله وحده

١/٣٢٤ ـ عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ:

قال الله عز وجل: **«العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني بشيءٍ منهما عذبتُه»**.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٥٢).

٣٢٥/ ٢ ـ وعنهما أيضًا قالا: قال رسول الله ﷺ:

العزُّ إزارُه[١]، والكبرياءُ رداؤُه، **«فمن ينازعني عذبتُه[٢]»**.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة حديث ١٣٦.

٣٢٦/ ٣ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: **«الكبرياءُ ردائي، والعظمةُ إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفتُه في النارِ»**.

(صحيح) ـ أخرجه أبو داود في كتاب اللباس باب ٢٩، وابن ماجه في كتاب الزهد باب ١٦ وأحمد في مسنده (جـ ٢/ ٢٤٨، ٤١٤).

٣٢٧/ ٤ ـ وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قال:

«الكبرياءُ ردائي فمن نازعني ردائي قصمتُه».

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (جـ ١ ص ٦١).

٣٢٨/ ٥ ـ وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

يقول الله سبحانه: «الكبرياء ردائي، والعظمةُ إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما ألقيتهُ في النارِ».

(صحيح) ـ أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد باب ١٦.

٣٢٩/ ٦ ـ وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

إن الله تبارك وتعالى يقول: **«إن العزَّةَ إزاري، والكبرياءَ ردائي، فمن نازعني فيهما عذبتُه»**.

(صحيح لغيره) ـ أخرجه الطبراني في الصغير (جـ ١ ص ١١٩).

شرح المفردات

١ ـ إزاره: الضمير فيه وفي «رداؤه» يعود على الله تعالى.

٢ ـ فمن ينازعني: فيه محذوف تقديره قال الله تعالى: فمن ينازعني.

المعنى

قال النووي في شرح صحيح مسلم:

ومعنى ينازعني يتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك وهذا وعيد شديد في الكبر مصرح بتحريمه. وأما تسميته إزارًا ورداء فمجاز واستعارة حسنة كما تقول العرب فلان شعاره الزهد ودثاره التقوى، لا يريدون الثوب الذي هو شعار أو دثار بل معناه صفته؛ كذا قال المازري: ومعنى الاستعارة هنا أن الإزار والرداء يلصقان بالإنسان ويلزمانه وهما جمال له ـ قال ـ فضرب ذلك مثلاً لكون العز والكبرياء بالله تعالى أحق وله ألزم واقتضاهما جلاله، ومن مشهور كلام العرب فلان واسع الرداء وغمر الرداء أي واسع العطية اهـ.

فإياك أخي من الكبر والأنفة والتعالي على الناس، بل عليك بالتذلل لله والافتقار إليه وإلا كنت من الهالكين من قبل جبار السموات والأرض رب العالمين.

(٧) باب ذم المتكبِّرين

١/٣٣٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: تَحَاجَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟ قَالَ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلاَ تَمْتَلِىءُ، حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ، فَتَقُولُ: قَطِ، قَطِ، قَطِ؛ فَهُنَاكَ تَمْتَلِىءُ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يُنْشِىءُ اللهُ لَهَا خَلْقًا.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب (٥٠) سورة قٓ، ومسلم في كتاب الجنة حديث ٣٦.

٢/٣٣١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا، فَقَالَتِ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ، مَا لَهَا، لاَ يَدْخُلُهَا إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟ وَقَالَتِ النَّارُ: ـ يعني ـ أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، فَقَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي، أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، قَالَ: فَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ الله لاَ يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَنَّهُ يُنْشِىءُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ، فَيُلْقَوْنَ فِيهَا

فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيد؟ ـ ثلاثًا ـ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَمْتَلِىءُ، وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلى بَعْض، وَتَقُولُ: قَطِ، قَطِ، قَطِ.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب (٢٥) قوله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾.

٣/٣٣٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: احتجت الجنة والنار. فقالت الجنة: يدخلني الضعفاء والمساكين، وقالت النارِ: يدخُلُني الجبارون والمتكبرون. فقال للنار: أنتِ عذابي أنتقمُ بك ممن شئتُ، وقال للجنة: أنت رحمتي أرحم بكِ من شئتُ.

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب الجنة باب ٢٢.

ملاحظة: قد مرّ شرح هذه الأحاديث مستوفى في كتاب القيامة باب أهل الجنة وأهل النار فليرجع إليه من أراد.

(٨) باب ذم التكبر بالنسب

١/٣٣٣ ـ عن أبي بن كعب قال: انتسب رجلاَن على عهد رسول الله ﷺ فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك؟ فقال رسول الله ﷺ:

انتسبَ رجلان على عهدِ موسى عليه السلامُ، فقال أحدهما: أنا فلانٌ بن فلانٍ حتى عدَّ تسعةً، فمن أنت لا أمّ لكَ؟ قال: أنا فلانٌ بن فلان بنُ الإِسلام، قال: فأوحى الله إلى موسى عليه السلام: «إنَّ هذين المنتسبَين، أما أنتَ أيها المنتمي أو المنتسبُ إلى تسعةٍ في النارِ، فأنتَ عاشرُهم، وأما أنتَ يا هذا المنتسبُ إلى اثنين في الجنة، فأنتَ ثالثهُما في الجنة».

(صحيح) ـ أخرجه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه (ج ٥ ص ١٢٨).

المعنى

إن هذين الرجلين، أحدهما تكبر وافتخر بنسبه وحسبه مع كونهم كانوا عصاة وفاسقين ومذنبين، افتخر بهم لأنهم كانوا من أهل المال والجاه والمتاع، أما الآخر فقد جعل نسبه الذي يفتخر به، والشيء الذي يعتز به ويعزه ويرفع من قدره وشأنه بين الناس، جعله الإسلام وحده وهذا كما قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى

وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير﴾ [الحجرات: ١٣].

(٩) باب تحية آدم وذريته

١/٣٣٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: خلق الله آدمَ على صورته[1] طولُهُ ستون ذراعًا، فلما خَلَقَهُ قال: اذهبْ فسلِّمْ على أولئك النفر ـ وهم نَفَرٌ من الملائكة جلوسٌ ـ فاستمعْ إلى ما يحيُّونك، فإنها تحيتُك وتحيةُ ذريَّتِك. قال: فذهب فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمةُ اللهِ فزادوه «ورحمة الله» قال: فكلُ من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقُصُ حتى الآن.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان باب ١. مسلم في كتاب الجنة حديث ٢٨.

شرح المفردات

١ ـ صورته: الضمير فيها عائد على آدم أي أنه خلق في أول نشأته على صورته التي كان عليها في الأرض وتوفي عليها وهي طوله ستون ذراعًا ولم ينتقل أطوارًا كذريته وكانت صورته في الجنة هي صورته في الأرض لم تتغير (شرح النووي لصحيح مسلم).

المعنى

يبين لنا الحديث القدسي أن تحية المسلم هي «السلام عليكم» ويستحب أن يكون الرد عليها بالزيادة وهي «ورحمة الله وبركاته» كما قال تعالى: **﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها، إن الله كان على كل شيء حسيبًا﴾** [النساء: ٨٦].

وإن من السنة أن يسلم الوارد على الجالسين.

وكذلك يشير الحديث إلى تناقص طول بني آدم في أجسادهم في الحياة الدنيا لكنهم في الدار الآخرة وعندما يدخلون الجنة يكون على هيئة آدم عليه السلام طوله ستون ذراعاً.

(١٠) باب ذم المشاحنة والمخاصمة

١/٣٣٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

تُفتَحُ أبوابُ الجنة في كل اثنين وخميس ـ أو تعرضُ الأعمالُ في كلِّ اثنين وخميس ـ

فيغفرُ الله عزَّ وجلَّ لكل عبدٍ لا يشركُ به شيئًا إلا المتشاحِنَيْنِ[١] يقولُ اللهُ للملائكةِ: «ذروهما[٢] حتى يَصْطَلحَا».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٢/٢٦٨).

٢/٣٣٦ ـ وعن أبي هريرة رفعه قال:

تُعْرَضُ الأَعمالُ في كلِّ يومِ خميس واثنين، فيغفرُ الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرىءٍ لا يشركُ بالله شيئًا إلا أمرءًا كانت بينه وبين أخيه شحناءُ، فيقال: «**اركُوا[٣] هذين حتى يصطلحا، اركوا هذين حتى يصطلحا**».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب البر حديث ٣٦، ومالك في الموطأ في كتاب حسن الخلق حديث ١٧، وأبو داود في كتاب الأَدب باب ٤٧ والترمذي في كتاب البر باب ٧٦ والبخاري في الأدب المفرد (٤١١).

٣/٣٣٧ ـ وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يصومُ الاثنين والخميس، فقيل: يا رسول الله إنك تصوم الإثنين والخميس فقال:

إن يومَ الإثنين والخميس يغفرُ الله فيهما لكلِّ مسلمٍ إلا متهاجريْن يقول: «**دعهما حتى يصطلحا**».

(صحيح) ـ أخرجه ابن ماجه في كتاب الصيام باب ٤٢.

شرح المفردات

١ ـ المتشاحنين: المتخاصمين.

٢ ـ ذروهما: دعوهما واتركوهما.

٣ ـ اركوا: اتركوا.

المعنى

التحابب في الله سبب عظيم من أسباب المغفرة من الله تعالى، وهنالك فرصتان عظيمتان للمؤمن المذنب في كل أسبوع لكي يتخلص من ذنوبه ومعاصيه، في كل يوم اثنين ويوم خميس، فلا تدع هاتين الفرصتين تمران من دون أن تستفيد منهما إن كنت عاقلاً وموفقًا، فاجهد بنفسك وأكثر من الطاعات في هذين اليومين كما كان يفعل رسول الله ﷺ حيث كان يصومهما، فإذا كان رسول الله يفعل ذلك ويطيع الله فيهما فنحن أحرى وأشد حاجة لمغفرة ذنوبنا ومحو معاصينا.

(١١) باب فضل صلة الأرحام

١/٣٣٨ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: خلقَ اللهُ الخلقَ، فلما فرغَ منه قامت الرّحمُ فأخذتْ بِحَقْوِ[1] الرحمن، فقال: لَه: «مَهْ![2]» قالت: هذا مقامُ العائذ[3] بكَ من القطيعة، قال: «**ألاَ ترضَينَ أن أصِلَ من وَصَلَكِ، وأقطعَ من قطعكِ؟**» قالت: بلى يا ربِّ، قال: «**فذاك**»، قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم:

﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُواْ أَرْحَامَكُمْ**﴾ [محمد: ٢٢].

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ١ ومسلم في كتاب البر حديث ١٦، أحمد في مسنده (٢/ ٣٣٠).

٢/٣٣٩ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:

إنَّ الرَّحمَ مشْجَنَةٌ من الرحمن[4] تقولُ: يا ربِّ إني قُطِعْتُ، يا ربِّ إني ظُلِمْتُ، يا ربِّ إني أُسِيءَ إليّ، يا ربِّ، يا ربِّ، فيجيبُها ربُها عز وجل فيقولُ: «**أما تَرْضَينَ أنْ أَصِلَ من وصلكِ، وأقطعَ من قطعكِ؟**».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (٢/ ٣٨٣)، والبخاري في الأدب المفرد (ص ٣٦/ ٣٥)، والحاكم (جـ ٤ ص ١٦٢)، وابن حبان (جـ ٣٥. ٢ ـ موارد).

٣/٣٤٠ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

إنَّ الرَحِمَ شُجْنَةٌ من الرحمن فقالَ اللهُ: «**من وَصَلَكِ وصلْتُهُ، ومن قَطَعَكِ قطعْتُهُ**».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ١٣.

٤/٣٤١ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال اللهُ عزَّ وجلَّ: «**أَنا الرحمنُ وَهِيَ الرحمُ، شققتُ لها من اسمي، مَنْ يَصِلْها أَصِلْه، وَمَنْ يَقْطَعْها أقطعْه فأَبُتُّهُ**».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (٢/ ٤٩٨)، والحاكم (جـ ٤ ص ١٥٧).

٥/٣٤٢ ـ عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل: «**أنا الله، وأنا الرحمن، خلقتُ الرحم وشققتُ لها من اسمي، فمنْ وصلها وصلتُهُ، ومن قطعها قطعتُهُ**».

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (جـ ٤/ ١٥٨).

(١٢) باب صلة الأرحام

٦/٣٤٣ ـ عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«الرحمُ شُجْنَةٌ فمن وَصَلَهَا وصلْتُهُ، ومن قَطَعَهَا قطعْتُه».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ١٣.

٧/٣٤٤ ـ عن إبراهيم بن عبد الله بن قارظ أن أباه حدثه: أنه دخل على عبد الرحمن بن عوف وهو مريض، فقال له عبد الرحمن: وَصَلَتْكَ رَحِمٌ، إنَّ النبي ﷺ قال:

قال الله عزَّ وجلَّ: **«أنا الرحمنُ خلقتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقْتُ لَها من اسمي، فمنْ يَصِلْها أَصِلْه، وَمَنْ يقطعْها أَقْطَعْه فأبته[1]**، أو قال: **من يَبُتُّها أَبُتُّه»**.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٩١، ١٩٤).

٨/٣٤٥ ـ عن الزهري عن أبي سلمة قال: اشتكى أبو الرَّدَّاد الليثي، فعاده عبد الرحمن بن عوف، فقال: خيرهم وأوصلهم ما علمت أبا محمد، فقال عبد الرحمن: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ:

قال اللهُ: **«أنا اللهُ، وأنا الرحمنُ، خلقتُ الرحمَ، وشققتُ لها من اسمي، فمنْ وصلَها وصلْتُه، ومن قطَعَها بتتُه»**.

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب البر باب ٩. وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٠) وأبو داود في كتاب الزكاة باب ٤٥.

٩/٣٤٦ ـ اشتكى أبو الرداد فعاده عبد الرحمن بن عوف فقال أبو الرداد: إن أخيرهم وأوصلهم ما علمت أبو محمد، فقال عبد الرحمن بن عوف: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

يقول الله: **«أنا الله وأنا الرحمن، خلقت الرحم، واشتققت لها اسما من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته»**.

(صحيح) ـ أخرجه الحميدي في مسنده (جـ ١/ ٦٥).

شرح المفردات

١ ـ بحَقْوِ: الحقو معقد الإزار، وهو الموضع الذي يتمسك به المستجير إشارة إلى شدة افتقاره وتذلله وشدة حاجته لله مع اعتقاد تنزيه الله عن الجارحة.

٢ ـ مَهْ: اسم فعل معناه الزجر أي اكفف.

٣ ـ العائذ: المستعيذ والمستجير.

٤ ـ مشجنة: أي شُجنة بضم الشين وكسرها، وأصل الشجنة عروق الشجر المشتبكة. وقوله «من الرحمن» أي أخذ اسمها من هذا الاسم وليس معناه أنها من ذات الله سبحانه وتعالى عن ذلك.

٥ ـ فأبُتُّه: أي أقطعه.

المعنى

نقل النووي في شرح الصحيح عن القاضي عياض قوله:

الرحم التي توصل وتقطع وتبر إنما هي معنى من المعاني ليست بجسم، وإنما هي قرابة ونسب تجمعه رحم والدة ويتصل بعضه ببعض فسمي ذلك الاتصال رحمًا، والمعنى لا يتأتى منه القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسب استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك. والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصليها وعظيم اثم قاطعيها بعقوقهم، لهذا سمي العقوق قطعًا والعق الشق كأنه قطع ذلك السبب المتصل اهـ.

فالرحم التي هي عبارة عن الأقارب والأهل وكل من له صلة بالأم، قد تشبثت بمعونة الله، وتمسكت بقوة الله أشد التمسك ليحميها وليدافع عنها ممن ظلها وأساء إليها وهي التي اشتق اسمها من اسم الرحمن، ليتنبه كل إنسان إلى رَحِمِهِ وأهله وأقاربه ليعاملهم بالرحمة والمحبة والحنان فلا يسيء إليهم أو يظلهم أو يقطعهم. وبعد ذلك الرجاء الحار، وبعد ذلك الإلحاح الشديد والطلب والسؤال من الرحم، استجاب الله لها بأجمل عبارة وأندى كلام قال «ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك» فاطمأنت حينذاك وقالت: بلى. وذاك مصداق قول الله تعالى: **﴿فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمَّهم وأعمى أبصارهم﴾** [محمد: ٢٢، ٢٣].

(١٣) باب التعاون في سبيل الله

١/٣٤٧ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: يقول الله:

استطعمتك[1] فلم تُطعمني. قال: فيقول: يا رب وكيف استعطمتَني ولم أُطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما عَلِمت أن عبدي فلانًا استطعمك فلم تُطعمه؟ أما علمتَ أنك لو كنت أطعمتَه لوجدت ذلك عندي؟. ابنَ آدم: استسقيتُك فلم تسقني. فقال: يا رب

وكيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ فيقول: إن عبدي فلانًا استسقاك فلم تسقه، أما علمت أنك لو كنتَ سقيتَه لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم، مرضتُ فلم تعُدْني. قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أن عَبدِي فلانًا مرض، فلو كنتَ عُدتَه لوجدتَ ذلك عندي أو وجدتني عنده».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥١٧).

٢/٣٤٨ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

إنّ الله عز وجل يقولُ يوم القيامة: **«يا ابنَ آدمَ مرضتُ فلم تعذني»**، قال: يا ربِّ كيف أعودُك؟ وأنتَ ربُّ العالمين! قال: **«أما علمتَ أَنَّ عبدي فلانا مرضَ فلم تعدْه؟ أما علمتَ أنك لو عدته لوجدتني عنده**(١)**؟ يا ابن آدم! استطعمتُك فلم تُطْعمْني»**، قال يا ربِّ وكيفَ أطعِمُكَ وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال: **أما علمتَ أنه استطعَمَكَ عبدي فلانٌ فلمْ تُطْعِمْهُ؟ أما علمتَ أنك لو أطْعَمْتَهُ لوجدتَ ذلك عندي؟ يا ابنَ آدمَ استسقيتُكَ فلم تسْقِنِي»**، قال: يا ربِّ كيف أسْقيك وأنتَ رب العالمين؟ قال: **استسقاك عبدي فلانٌ فلم تسْقِه، أما إِنك لو سقيتَهُ وجدتَ ذلك عندي؟»**.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب البر حديث ٤٣.

٣/٣٤٩ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ عن الله عز وجل أنه قال:

«مرضتُ فلم يعذْني ابنُ آدمَ، وظمئتُ فلم يَسْقِنِي ابنُ آدمَ»، فقلتُ: أتمرضُ يا رب؟ قالَ: **«يمرضُ العبدُ من عبادي ممن في الأرضَ فلا يُعَادُ فلو عَادَه كان ما يعودُهُ لي، ويظمأُ في الأرضِ فلا يُسْقَى، فلو سَقَى كانَ ما سَقَّاهُ لي»**.

(صحيح لغيره) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٠٤).

شرح المفردات

١ ـ **استطعمتك**: قال العلماء: إنما أضاف الله هذه الأوصاف من طلب الطعام وطلب السقيا ومن المرض إليه سبحانه وتعالى وهو المنزه عن ذلك، لكن المراد به العبد وذلك تشريفًا للعبد وتقريبًا له ليعرف الناس قدره ومكانته فلا يحتقروه ولا يصدوه بل يقبلوا عليه ويلبوا حاجته.

٢ ـ **لوجدتني عنده**: أي وجدت ثوابي وكرامتي وعدم عن ذكر الثواب ليكون المقام أعظم وأسمى إذ الذات الإلهية أعظم وأسمى من الثواب.

المعنى

هذا حديث رائع وعظيم في ميدان البر والأخلاق ومعاملة الأخوة في المجتمع الإسلامي، كل مسلم حريص على سعادة أخيه المسلم، إن جاع أطعمه، وإن عطش سقاه، وإن مرض عاده، وإن حزن واساه، وإن فرح شاركه في فرحه، وإن أذنب نصحه، وإن لعبت به نفسه أو هيمن عليه الشيطان، كان هو وأخوه على وساوس الشيطان وإغراءات النفس. عند ذلك سينشأ المجتمع راقيًا متعاونًا متكاتفًا، تظلله رحمة الله، وتشد من أزره معونة الله، لأن المسلم حين يُسعف أخاه المسلم فإن عمله ذاك سيصل إلى الله مباشرة والله إن علم بخير فعله عبده، وهو الكريم الرحيم واسع الجود والمغفرة، فماذا عساك ستنال يا أخي من الأجر العظيم والثواب الجزيل من الله رب العالمين.

ففي كل عمل تقدمه لأخيك فكأنما تعامل الله سبحانه من خلال هذا العبد، كمن يقول له ملك البلاد إذا ساعدت فلانًا فكأنما ساعدتني أنا وأجرك عندي أنا ومعروفك لدي أنا. فكيف يكون حال هذا الإنسان؟ وكيف ستكون معونته ومساعدته؟ إنه سيبذل كل ما في وسعه، بل ربما قدم ماله وكل ما يملك لتكون له عند ملك البلاد يدٌ بيضاء لأنه يعلم أن المعاملة مع الملوك ليست خسارة أبدًا.

هذا أخي مع ملك في الدنيا فكيف يكون الحال مع ملك الملوك رب الخلائق أجمعين؟!.

(١٤) باب فضل الحب في الله تعالى

١/٣٥٠ ـ عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

إنَّ اللهَ تبارك وتعالى يقولُ يومَ القيامةِ: **«أَيْنَ المتحابونَ لجلالي؟ اليومَ أُظِلُّهم في ظلِّي يومَ لا ظلَّ إلا ظلِّي»**.

(صحيح) ـ أخرجه مالك في الموطأ (كتاب العشر ـ باب ما جاء في المتحابين في الله حديث ١٣)، ومسلم في كتاب البر حديث ٤٥ وأحمد (ج ٢ ص ٥٣٥).

٢/٣٥١ ـ عن أبي إدريس الخوْلاني أنه قال: دخلتُ مسجدَ دمشقَ، فإذا فتًى شابٌ براقُ الثَّنَايَا(١)، وإذا الناسُ معه إذا اختلفوا في شيءٍ أَسْنَدُوا إليه(٢)، وَصَدَرُوا(٣) عن قولِهِ، فسألتُ عنه، فقيلَ: هذا معاذُ بنُ جبل، فلما كانَ الغدُ هَجَّرْتُ(٤) فوجدتُهُ قد سبقني بالتهجير، ووجدتُهُ يُصَلِّي، قال: فانتظرتُهُ حتى قضى صلاته ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه ثم قلت والله إني لأُحبُّكَ للهِ، فقالَ: آلله(٥)؟ فقلتُ: آللهِ. فقال: آللهِ؟ فقلتُ: آللهِ.

فقال آللهِ؟ فقال: آلله. قالَ: فَأَخَذَ بحبوةِ[٦] ردائي، فجبذَني إليه، وقَالَ: أَبْشِرْ، فإني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول:

قالَ اللهُ تبارك وتعالى: «وَجَبَتْ محبتي للمتحابين فِيَّ، والمتجالسينَ فِيَّ، والمتزاورينَ فِيَّ، والمتباذلينَ فِيَّ».

(صحيح) ـ أخرجه مالك في الموطأ (كتاب الشعر ـ باب ما جاء في المتحابين في الله حديث ١٦)، وأحمد (جـ ٥ ص ٢٣٣).

٣٥٢/ ٣ ـ وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

قال الله عز وجل: «المتحابون في جلالي لهم منابرُ من نورٍ، يغبطُهم[٧] النبيون والشهداءُ».

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب ٥٣.

٣٥٣/ ٤ ـ وعن أبي إدريس الخولاني وهو أحد التابعين رضوان الله عليهم قال:

دخلت مسجد حِمْص فجلستُ إلى حلقة فيها اثنان وثلاثون رجلاً من أصحاب النبي ﷺ قال: يقولُ الرجلُ منهم سمعتُ رسولَ الله ﷺ فَيُحَدِّثُ، ثم يقولُ الآخرُ سمعتُ رسول الله ﷺ فيحدثُ، قال وفيهم رجلٌ أدعَجُ[٨] براقُ الثَّنَايا، فإذا شَكُوا في شيءٍ ردُّوه إليه، ورَضُوا بما يقولُ فيه، قالَ فلمْ أجلس قبلَهُ ولا بعدَهُ مجلسًا مثله فتفرقَ القومُ وما أعرفُ اسمَ رجلٍ منهم، ولا منزلة، قال فبتُّ بليلةٍ ما بتُّ بمثلها، قالَ وقلتُ: أنا رجلٌ أطلبُ العِلمَ وجلستُ إلى أصحابِ نبي الله ﷺ، لم أعرفْ اسمَ رجلٍ منهم ولا منزلَهُ، فلما أصبحتُ غدوتُ إلى المسجدِ، فإذا أنا بالرجل الذي كانوا إذا شكوا في شيء ردوه إليه يركع إلى بعض اسطوانات المسجدِ، فجلستُ إلى جانبه، فلما انصرفَ قلتُ يا عبد الله والله إني لأحبكَ للهِ تباركَ وتعالى، فَأَخَذَ بِحَبْوَتي حتى أدناني منه، ثمّ قال: إنكَ لتحبُّني للهِ؟ قالَ: قلتُ أيْ واللهِ إني لأحبكَ للهِ، قال: فإني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ:

«إنَّ المتحابينَ بجلالِ اللهِ في ظلّ اللهِ وظلّ عرشِهِ يومَ لا ظلّ إلا ظلُّه».

قال فقمتُ من عنده فإذا أنا برجلٍ من القوم الذين كانوا معه، قال قلتُ: حديثًا حدثنيه الرجلُ، قال: أما إنه لا يقولُ لكَ إلا حقًا، قال: فأخبرته، فقال قد سمعتُ ذلك وأفضلَ منه، سمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو يأثِرُ عن ربه تبارك وتعالى:

«حَقَّتْ محبتي للذين يتحابون فيَّ، وحَقَّتْ محبتي للذين يتباذلون فيَّ، وحَقَّتْ محبتي للذين يتزاورون فيَّ».

قال قلت: من أنتَ يرحمك الله؟ قال: أنا عبادةُ بن الصامت، قال قلتُ مَنِ الرجلُ؟ قال: معاذُ بن جبلٍ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٥ ص ٣٢٨)، والحاكم (جـ ٤ ص ١٦٩).

٥/٣٥٤ ـ وعن أبي مسلم الخولاني ـ وهو من التابعين ـ قال: دخلتُ مسجدَ حِمْصٍ، فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي ﷺ، فإذا فيهم شابٌ أكحَلُ العينين برّاقُ الثنايا، ساكتٌ، فإذا امْتَرَى[1] القومُ في شيءٍ أقبلوا عليه، فسألوه، فقلتُ لجليسٍ لي، مَنْ هذا؟ قال: معاذُ بن جبل، فوقَعَ له في نفسي حبٌ، فكنتُ معهم حتى تفرَّقوا، ثم هَجَّرتُ إلى المسجدِ فإذا معاذُ بن جبلٍ قائمٌ يُصَلّي إلى سارية، فَسكتَ لا يكلمني فصليت ثم جلست فاحتبيت برداء لي ثم جلس فسكت لا يكلمني وَسَكَتُّ لا أُكَلِّمُهُ، ثم قلتُ: والله إني لأحبُكَ قال: فيمَ تحبُني؟ قلتُ: في اللهِ تباركَ وتعالى، فأخذَ بِحَبْوَتي فجرني إليه هُنَيَّةً ثم قال: أبشرْ إن كنتَ صادقًا سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

«المتحابون في جلالي لهم منابرُ من نورٍ، يغبطُهم النبيونَ والشهداءُ».

قال: فخرجت فلقيتُ عُبَادةَ بن الصامتِ فقلتُ: يا أبا الوليدِ لا أُحَدثُكَ بما حدثني معاذ بن جبل في المتحابين؟ قال: فأنا أحدثك عن النبي ﷺ يرفعه إلى الرب عزَّ وجلَّ قال:

«حَقَّتْ محبتي للمتحابين فِيَّ، وحَقَّتْ محبتي للمتزاورين فِيَّ، وحَقَّتْ محبتي للمتباذلين فِيَّ، وحقتْ محبتي للمتواصلين فِيَّ».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٥ ص ٢٣٩)، والطبراني (جـ ٢٠/ ١٦٧).

٦/٣٥٥ ـ وعن أبي مسلم الخولاني قال:

دخلتُ مسجدَ حِمْص فإذا فيه حلقةٌ فيها اثنان وثلاثون رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ قال: وفيهم شابٌ أكحلُ براقُ الثنايا مُحْتَبٍ فإذا اختلفوا في شيءٍ سألوه فأخبرهم فانتهوا إلى خبرِهِ، قال: قلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: هذا معاذ بن جبل. قال: فقمتُ إلى الصلاةِ، قال: فأردتُ أن أَلْقَى بعضهم فلمْ أَقْدِرْ على أحدٍ منهم انصرفوا، فلما كانَ الغدُ دخلتُ فإذا معاذ يُصلّي إلى ساريةٍ، قال: فصليتُ عنده، فلما انصرفَ جلستُ بيني وبينه السارية ثم احتبيتُ، فلبثتُ ساعةً لا أكلمه ولا يكلمني، قال: ثم قلتُ: واللهِ إني لأحبك لغير دنيا أرجوها أصيبها منك، ولا قرابة بيني وبينك، قال: فلأيِّ شيءٍ؟ قلتُ للهِ تباركَ وتعالى: فنثَر حَبْوَتي ثم قالَ: فأبشرْ إن كنتَ صادقًا فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

المتحابونَ في اللهِ تباركَ وتعالى في ظلِّ العرشِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه يَغْبِطُهم بمكانِهِمُ النبيونَ والشهداءُ.

قال: ثم خرجتُ فألْقى عبادة بن الصامت قال: فحدثته بالذي حدثني معاذُ فقال عبادةُ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَرْوِي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال:

«حَقَّتْ محبتي على المتزاورين فيَّ، وحَقَّتْ محبتي على المتباذلينَ فِيَّ، على منابرَ من نورٍ يغبطُهم بمكانهم النَّبِيُّونَ والصديقونَ».

(صحيح) ـ أخرجه عبد الله بن أحمد في زياداته على مسند أبيه (جـ ٥ ص ٣٢٨).

والطبراني في الكبير (جـ ٢٠/ ١٦٨).

٧/٣٥٦ ـ وعن عبادة بن الصامت:

قال الله تعالى: **«حقت محبتي للمتحابين فيَّ، وحقت محبتي للمتجالسين فيَّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ».**

(صحيح) ـ أخرجه الطبراني كما في كنز العمال (جـ ٩/ ٢٤٧١٢).

٨/٣٥٧ ـ وعنه أيضًا رضي الله عنه:

قال الله تعالى: **«حَقَّتْ محبتي للمتحابين فِيَّ، وحَقَّتْ محبتي للمتواصلين فيَّ، وحَقَّتْ محبتي للمتناصحين فيَّ، وحَقَّتْ محبتي للمتزاورين فيَّ، وحَقَّتْ محبتي للمتباذلينَ فِيَّ، المتحابون فيَّ على منابرَ من نورٍ يَغْبِطُهم بمكانهم النبيونَ والصِّدِّيقونَ والشُّهداء».**

(صحيح) ـ أخرجه أحمد والطبراني والحاكم كما في كنز العمال (جـ ٩/ ٢٤٦٧١).

٩/٣٥٨ ـ وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

قال الله عز وجل: **«المتحابون بجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلّي».**

(حسن) ـ أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ١٢٨).

١٠/٣٥٩ ـ وعن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: إن الله عز وجل يقول:

«قد حَقَّت محبتي للذين يتحابُّون من أجلي، وحَقَّت محبتي للذين يتصافون من أجلي، وحَقَّت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وحَقَّت محبتي للذين يتباذلون من أجلي، وحَقَّت محبتي للذين يتناصرون من أجلي».

(حسن) أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ٣٨٦).

شرح المفردات

١ ـ براق الثنايا: جمع ثنيّة وهي اسنان مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل وهي كناية عن أنه حسن الثغر.

٢ ـ أسندوا إليه: أي رجعوا إليه في كل مسألة.

٣ ـ صدروا: أي عملوا بما يقول.

٤ ـ هجّرت: أيّ بكّرت وخرجت باكرًا.

٥ ـ آلله: أي أتُحبني لله؟ فقال: آلله أي والله أني لأُحبك لله.

٦ ـ بحبوة ردائي: جمع حُبىً وحِبىً وهو ما يُحتبى به أي يُشتمل به من ثوب أو عمامة.

٧ ـ يغبطهم: أي لما عظموا في أعين النبيين تمنوا حالاً مثل حالهم دون إرادة زوالها بعكس الحسد الذي هو تمني النعمة مع إرادة زوالها عن صاحبها.

٨ ـ أدعج: هو شديد سواد العين مع سعتهما.

٩ ـ امترى: شكَّ.

المعنى

تلكم جملة من أخلاق المسلمين تنشرها هذه الأحاديث القدسية الجليلة لكي يتمسك بها المسلمون المؤمنون، لكي ينالوا محبة الله وعفوه ورحمته، وليكونوا من الآمنين يوم القيامة حيث يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، في يوم يعرق الناس فيه عرقًا شديدًا من شدة الحر فلا يرون ظلاً يأوون إليه، ولا يعثرون على فيء يتفيأون في أفيائه، إلا المؤمنون المتحلين بتلك الأخلاق، فإن الله تعالى يأوي بهم إلى ظله ليقيهم من حر ذلك النهار.

والأخلاق التي تخولهم نيل محبة الله والاستظلال بظل عرش الله سبحانه هي: التحابب في طاعة الله، هي المجالسة في عبادة الله، هي التزاور من أجل النصيحة في دين الله، هي البذل والعطاء للمحتاجين خالصة لوجه الله، هي التواصل الدائم للاستمرار على الهدى والرشاد، وهي التناصر من أجل دين الله واتباع الحق. فكل خلق من هذه الأخلاق

يجب أن تكون خالصة لوجه الله الكريم، وحينها يرفعهم الله إلى أعلى عليين في عظمته وملكوته الأعظم على منابر من النور، يتمنى مقامهم ودرجاتهم الأنبياءُ والشهداءُ لما يرون من عظيم ما نالوا من الأجر العظيم والثواب الجزيل.

(١٥) باب فضل التجاوز عن المُعْسِر

٣٦٠/ ١ ـ عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، أَنَّ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ حَدَّثَهُمْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: تَلَقَّتِ[١] الْمَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لاَ، قَالُوا: تَذَكَّرْ، قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتيَانِي[٢] أَنْ يُنْظِرُوا[٣] الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا[٤] عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ: قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: تَجَوَّزُوا عَنْهُ.

(صحيح) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة حديث ٢٦ البخاري في كتاب الأنبياء باب٥٠, ٥٤.

٣٦١/ ٢ ـ وفي رواية ثانية لمسلم في كتاب المساقاة حديث ٢٧ بسنده إلى رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، قَالَ: اجْتَمَعَ حُذَيْفَةُ، وَأَبُو مَسْعُودٍ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: رَجُلٌ لَقِيَ رَبَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ؟ قَالَ: مَا عَمِلْتُ مِنَ الْخَيْرِ، إِلاَّ أَنِّي كُنْتُ رَجُلاً ذَا مَالٍ، فَكُنْتُ أُطَالِبُ به النَّاسَ، فَكُنْتُ أَقْبَلُ الْمَيْسُورَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمَعْسُورِ، فَقَالَ: تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي. قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ.

٣٦٢/ ٣ ـ وفي رواية ثالثة له في كتاب المساقاة حديث ٢٩ بسنده إلى ربعي بن حراش، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: أَتَى اللهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ، آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ في الدُّنْيَا؟ ـ قَالَ: (وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا) ـ قَالَ: يَا رَبِّ، آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، فَقَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي.

فَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ، وَأَبُو مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيُّ: هَكَذَا سَمِعْنَاهُ مِنْ ـ في[٥] ـ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣٦٣/ ٤ ـ وفي رواية رابعة له في كتاب السماقاة حديث ٣٠ بسنده إلى أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا،

فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللهُ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ.

٣٦٤/ ٥ ـ عن أَبِي هُرَيْرَة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّ رَجُلاً لَمْ يَعْمَلْ خيْرًا قطُّ، وَكان يُدَاينُ النَّاسَ، فيَقُولُ لِرَسُولِهِ: خُذْ مَا تيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتجَاوَزْ، لعَلَّ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَتجَاوَز عَنَّا، فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قطُّ؟ قَالَ: لاَ، إلاّ أَنَّهُ كَانَ لِي غُلاَمٌ، وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَاسَ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى، قُلْتُ لَهُ، خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ، لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، ـ قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ.

(صحيح) رواه النسائي في كتاب البيوع باب١٧, ١٨.

٣٦٥/ ٦ ـ عن حُذَيفة رَضيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ـ أَنَّ رَجُلاً مَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا كُنتَ تَعْمَلُ؟ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ أُبَايعُ النَّاسَ، فَكُنْتُ أُنْظِرُ الْمُعْسرَ، وَأَتَجَوَّزُ في السِّكَّةِ ـ أَوْ في النَّقْد، فَغُفرَ لَهُ.

(فقال أبو مسعود: وأنا سمعته من رسول الله ﷺ).

(صحيح) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة حديث ٢٨.

شرح المفردات

١ ـ تلقَّت: أي استقبلت روحه عند الموت حين قبضها.

٢ ـ فتياني: أي غلماني وعمالي.

٣ ـ يُنظروا: أي يؤخروا الأجل للمعسر.

٤ ـ يتجوزوا: أي يتساهلوا ويقبضوا منه ما تيسّر ولو كان قليلاً.

٥ ـ في: أي من فم رسول الله ﷺ.

المعنى

ليس شيء أعظم من مساعدة الأخ لأخيه وخاصة إذا كان معسرًا وقد ضاقت به الأحوال، فالرجل التاجر هذا الذي كان في بني إسرائيل كان يساعد الناس وكان يعطيهم البضائع عن طريق الدَين، وكان سهلاً عند المقاضاة وعند الحساب مع الناس حيث كان

يأمر موظفيه وعماله أن يتساهلوا مع الموسرين الذين يملكون الأموال فيأخذوا منهم ما تيسر معهم وإن قليلاً، وكذلك أن يسامحوا ويُنظروا ويُمهلوا المعسرين إلى أجل آخر كي يتسنى لهم تأمين المال الذي له عليهم ويقول في نفسه لعل الله يتجاوز عني يوم القيامة لأنني أتجاوز عن هؤلاء المعسورين.

وهكذا كان، والله سبحانه لن يخيِّب عبده، وعفا عنه وغفر له سيئاته وتجاوز عن خطاياه ببركة عمله الصالح، وبفضل مساعدته لإخوانه في الدين، وبذلك الخلق العظيم، ومعنى ذلك أن اليسير من الحسنات إذا كان خالصًا لله كفّر كثيرًا من السيئات، وأن الأجر يحصل لمن يأمر به وإن لم يتولَّ تحقيقه هو بنفسه كما كان يأمر هذا الرجل عماله بالتساهل والتسامح.

(١٦) باب في فضل زيارة المسلم لأخيه في سبيل الله عز وجل

١/٣٦٦ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا زارَ المسلمُ أخاهُ ـ في الله عز وجل ـ أو عادَهُ قال اللهُ عز وجل: **«طِبْتَ[1] وتبوأت[2] من الجنة منزلاً»**.

(حسن) ـ أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ٣٢٦، ٣٣٤، ٣٥٤)، كما أخرجه ابن حبان (٧١٢ ـ موارد)، والبغوي (جـ ١٣/ ٣٤٧٢)، وغيرهما بمعناه من الحديث النبوي.

٢/٣٦٧ ـ عن أنس عن النبي ﷺ قال:

ما من عبدٍ مسلم أتى أخاه يزورُهُ ـ في الله ـ إلا ناداهُ مُنادٍ من السماء: **«أنْ طِبْتَ وطابتْ لك الجنة»**، وإلاّ قالَ اللهُ في ملكوتِ عرشه: **«عبدي زار فِيَّ وعليَّ قِراه»**[3]، فلمْ يرضَ اللهُ له بثوابٍ دونَ الجنةِ.

(حسن لغيره) أخرجه البزار (جـ ٢/ ١٩١٨) أبو نعيم في الحلية (جـ ٣ ص ١٠٧).

شرح المفردات

١ ـ طِبْتَ: أي طاب عملك وأنت من أصحاب الأعمال والنفوس الطيبة المرضية لربها.

٢ ـ وتبوَّأتَ: هيأنا لك منزلاً في الجنة ومكّناك فيه.

٣ ـ قِراه: طعام الضيف.

المعنى

لكي ينال العبد تلك الدرجة العظيمة، وتلك المنزلة السامية في الجنة، ويفوز بثواب الله والجنة، فما عليه إلا أن يُكثر من زيارة إخوانه، لا لمآرب شخصية، وليس لأمور دُنيوية، وإنما في سبيل الله، وسبيل الله هو النصيحة والتعاون من أجل إقامة شرع الله وحدوده، وكذلك مساعدة الزائر كان محتاجًا أو مريضًا أو لعبت به نفسه أو استهواه الشيطان. ولذلك ينال شهادة الطهر والعبودية الخالصة من الملائكة الأطهار بإذن ربهم العزيز القهار، وإذا دخل بيت أخيه زائرًا تكفّل الله بطعامه وشرابه فكان ضيفًا عند الله سبحانه، وانظر كيف يكون حال ضيوف الله إكرامًا وعطاء.

كتاب الدعوة

(١) باب سؤال الله النبيَّ عن تبليغ الدعوة

١/٣٦٨ ـ عَنْ مُعَاوِيَةَ بنِ حَيْدَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا أَتَيْتُكَ حَتَّى حَلَفْتُ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ أُولَئِكَ ـ يَعْنِي الأَصَابعَ ـ أَلاَّ آتِيكَ وَلاَ آتِيَ دِينَكَ، فَجَمَعَ بَهْزُ بَيْنَ كَفَيْهِ، وَقَدْ جِئْتُكَ امرءًا لاَ أَعْقِلُ شَيْئًا إلاَّ مَا عَلَّمَني اللهُ تَعَالَى وَرَسُولُه ﷺ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ اللهِ بِمَ بَعثَكَ رَبُكَ إِلَيْنَا؟ قَالَ: قَالَ: «بالإِسْلامِ»، قُلْتُ: وَمَا آيَات الإِسْلاَمِ؟ قَالَ: «تَقُولُ أَسْلَمْتُ وَجْهِي للهِ، وَتَخَلَّيْتُ، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَكُلُّ مُسْلِمٍ عَلَى مُسْلِمٍ مُحَرَم، أَخَوَانِ نَصِيرَانِ لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُسْلِمٍ أَشْرَكَ بَعْدَ مَا يُسْلِمُ عَمَلاً، وَتُفَارِقُ الْمُشْرِكِينَ إِلى الْمُسْلِمِينَ، مَا لِي أُمْسِكُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، أَلاَ وَإِنَّ رَبي تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَاعِيَّ وَسَائِلي: هَلْ بَلَّغْتَ عِبَادِي؟ وَإِنِّي قَائِلٌ: رَبِّ قَدْ بَلَّغْتُهُمْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ مَدْعُوُّونَ مُفَدَّمَةً[١] أَفْوَاهُكُمْ بِالْفِدامِ[٢]، ثُمَّ إِنَّ أَوَلَ مَا يَبِينُ عَنْ أَحَدِكُمْ لَفَخِذِهِ وَكَفُّهِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا دِينُنَا؟ قَال: «هَذَا دِينُكُمْ وأينما تحسنْ يَكْفِكَ».

(حسن) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٥) والبغوي في شرح السنة (١٥/ ١٥٠).

شرح المفردات

١ ـ مفدَّمة أفواهكم: أي يُختم على أفواهكم لتنطق جوارحكم بأعمالكم.

٢ ـ الفِدام: بالكسر ما يُوضَع في فم الإبريق ليُصفَّى ما فيه (مختار الصحاح).

المعنى

يبين هذا الحديث القدسي مدى أهمية التبليغ والدعوة إلى دين التوحيد ونبذ الشرك، وأن الله تعالى سيسألنا نحن أيضًا كما يسأل رسوله محمدًا ﷺ عن مسؤولية التبليغ، لأن التبليغ بالحكمة والطريقة الحسنة والعلم الواضح هو الوسيلة الفضلى لنشر دين الله والأخلاق الإسلامية المحمدية. وإذا لم يبلغ المسلم دين ربه، فإن هذا يكون إشارة إلى ضعف إيمانه، إذ الرسل جميعهم أمروا بالتبليغ، قال الله تعالى: **﴿يا أيها الرسول بلغ ما**

أُنزل إليك من ربك، فإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس. إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ [المائدة: ٦٧].

(٢) باب عدم اليأس من دعوة الناس

١/٣٦٩ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إذا سمعتم رجلاً يقول: قد هلك الناس فهو أهلكهم، يقول الله «إنه هو هالك».

(حسن) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٧٢).

المعنى

قد يرى الطائع العابد ما عليه الناس من فجور ومعاصي وبعد عن شرع الله، وبدل أن ينزل إليهم ويمدَّ لهم يد المساعدة، وكلمة النصيحة، ويدعوهم إلى اتباع الحق وترك ما هم عليه من الذنوب، تراه يتعالى عليهم ويترفع فوقهم، وينظر إليهم نظرة احتقار وازدراء واستصغار، ظانًا أنهم باقون على معاصيهم وأن رحمة الله لن تنزل عليهم ولذلك راح يقول «هلك الناس» حيث كان من الواجب عليه أن يدعوهم إلى عبادة الله ويصبر على نصيحتهم، فردَّ عليه رسول الله ﷺ بأنه هو أشدهم هلاكًا، وأبعدهم عن هدى الله ورحمته، وكذلك قال الله عنه أنه هو الهالك الحقيقي لأنه يعلم ما لا يعلمون.

(٣) باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١/٣٧٠ ـ عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إن الله ليسأل العبدَ يوم القيامة حتى يقول: ما منعك إذ رأيتَ المنكر ان تنكره؟ فإذا لقّن الله عبدًا حُجته قال: يا ربِّ رجوتك وفرقْتُ[1] من الناس.

(صحيح) رواه أحمد في مسنده (ج ٣ ص ٢٩، ٧٧) وابن ماجه في كتاب الفتن باب قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾**.

شرح المفردات

١ ـ فَرِقْتُ: خِفْتُ.

المعنى

إن من جملة ما يسأل الله عنه العبد يوم القيامة، الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر، غير أن هنالك أناسًا يخافون من الناس، فيدعوهم ذلك إلى التساهل في حقوق الله طمعًا

برحمة الله ولطفه وكرمه، فإذا ما سئل العبد عن هذا الأمر ربما رأى في نفسه أنه هالك، فيلهمه الله حُجته والبرهان الذي يدفع عنه الهلاك فيقول: يا رب رجوتُك وفرِقتُ من الناس.

(٤) باب من لم تبلغه الدعوة

١/٣٧١ ـ عن الأسود بن سريع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

أربعة يومَ القيامة: رجلٌ أصَمُّ[١] لا يسمعُ شيئًا، ورجلٌ أحمقُ[٢] ورجلٌ هَرِمٌ[٣] ورجلٌ مات في فترة[٤]. فأما الأصم فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا، وأما الأحمقُ فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلامُ والصبيانُ يحذفوني بالبعرِ، وأما الهَرِمُ فيقولُ: ربِّ لقد جاءَ الإسلامُ وما أعقلُ شيئًا، وأما الذي ماتَ في الفَتْرَةِ فيقولُ: ربِّ ما أتاني لك رسولٌ، فيأخذُ مواثيقه ليطيعنه، فيرسل إليهم: «أن أدخلوا النارَ»، قال: فوالذي نَفْسُ محمدٍ بيده لو دخلوها لكانتْ عليهم بردًا وسلامًا.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ٢٤) وأخرجه بعده مثله عن أبي هريرة إلا أنه قال في آخره:

«فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن لم يدخلها يُسْحَبُ إليها».

شرح المفردات

١ ـ الأصمُّ: الذي لا يسمع.
٢ ـ الأَحْمَقُ: الذي لا عقل له.
٣ ـ الهَرِمُ: الذي بلغ أرذلَ العمر.
٤ ـ الفترة: الزمن الذي يخلو من الرسول ليبلغ دين الله تعالى.

المعنى

إن العبد الذي يحاسب يوم القيامة هو العاقل البالغ الذي وصل إليه الدين عن طريق الرسل أو عن طريق الدعاة إلى الله من اتباع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، فإذا لم تتحقق هذه الشروط في العبد فإنه يرفع عنه الحساب ويُعفى من العقاب، وذلك كالأصم والأعمى الذي فقد حاسة التلقي من الآخرين، وكذلك الأحمق الذي فقد عقله، والهرم أيضًا الذي أصبح لا يعلم شيئًا بعد إن كان يعلم، والذي عاش في زمن لم يأته فيه رسول من عند الله، ولا داعٍ من الدعاة، فهؤلاء جميعهم يُعفَوْن من المحاسبة والسؤال والحساب يوم القيامة وتقرأ هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ [الإسراء: ١٥].

كتاب الظلم

(١) باب النهي عن التظالم

١/٣٧٢ ـ عن أبي ذر رضي الله عنه:

عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ أَنَّهُ قَالَ: يَا عبَادي، إِنِّي حَرَّمْتُ[١] الظُّلْمَ عَلَى نَفْسي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلاَ تَظَالَمُوا، يَا عبَادي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدكُمْ، يَا عبَادي، كُلُّكُمْ جَائعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعمُوني أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادي، كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي[٢] أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذنُوبَ ـ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تبْلُغُوا نَفْعِي فتَنْفعُوني، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ[٣] وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّ عِنْدِي، إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ[٤]، إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ.

(صحيح) رواه مسلم في كتاب البر حديث ٥٥.

وفي رواية أخرى قال: أي أبو ذر رضي الله عنه: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ (إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ، وَعَلَى عِبَادِي، فَلاَ تَظَالَمُوا. . .) وساق الحديث بنحوه.

٢/٣٧٣ ـ وأخرجه ابن ماجة في سننه في كتاب الزهد باب ٣٠، عن أبي ذر أيضًا، بألفاظ قريبة من ألفاظ الترمذي في الحديث رقم ٤ وفيه تقديم وتأخير، ولم يذكر فيه قوله: (وَلَوْ أَنَّ حَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ، اجْتَمَعُوا على أَتْقى قَلْبِ وَاحِدٍ) ـ ولم يذكر فيه أيضًا قوله: (وَعَذَابِي كَلاَمٌ). وبقيته مثل لفظ الترمذي.

٣/٣٧٤ ـ وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال:

«حرّمتُ الظلمَ على نفسي، وحرّمتُه على عبادي فلا تَظَالموا؛ كلُّ بني آدمَ يُخطيءُ بالليل والنهار ثم يستغفرُني فأغفرُ له ولا أُبالي».

(صحيح) أخرجه الطيالسي في مسنده (٤٦٣).

٤/٣٧٥ ـ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا عِبَادي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ، إلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ، فَسَلُونِي الْهُدَى أَهْدِكُمْ، وَكُلُّكُمْ فَقِيرٌ، إلاَّ مَنْ أَغْنَيْتُهُ، فَسَلُونِي أَرْزُقْكُمْ، وَكُلُّكُمْ مُذْنِبٌ، إلاَّ مَنْ عَافَيْتُهُ، فَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى الْمَغْفِرَةِ، فَاسْتَغْفَرَنِي غَفَرْتُ لَهُ، وَلاَ أُبَالِي، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْ عِبَادِي، مَا زَادَ ذلِكَ في مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ، اجْتَمَعُوا عَلَى أَشْقَى قَلْبِ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ، وَيَابِسَكُمْ، اجْتَمَعُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَّتُهُ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ سَائِلٍ ـ مِنْكُمْ مَا سَأَلَ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي، إلاَّ كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِالْبَحْرِ، فغَمَسَ فِيهِ، إبْرَةً، ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَيْهِ، ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ، أَفْعَلُ مَا أُرِيدُ، عَطَائِي كَلاَمٌ، وَعَذَابِي كَلاَمٌ، إِنَّمَا أَمْرِي إِذَا أَرَدْتُهُ أَنْ أَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ.

(حسن) رواه الترمذي في كتاب القيامة باب ٤٨.

شرح المفردات

١ ـ حرّمتُ: سمّى تقدّسه عن الظلم تحريمًا لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء. والمعنى تقدست عنه وتعاليت لأن الظلم مستحيل في حقه سبحانه.

٢ ـ فاستكسوني: اطلبوا مني الكساء.

٣ ـ صعيد: مكان.

٤ ـ المِخْيَط: بكسر الميم وفتح الياء وهو الإبرة، وهذا تقريب للأفهام ومعناه لا ينقص شيئًا أصلاً كما قال في الحديث الآخر: «لا يفيضها نفقة» أي لا ينقصها، لأن ما عند الله لا يدخله نقص (شرح النووي للصحيح).

المعنى

يرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى أن نعتمد عليه دائمًا في عسرنا ويسرنا، عند شبعنا وعند جوعنا، فلا يغتر أحد بالمال الذي بين يديه، ولا بالطعام الذي عنده، فهو مسكين وفقير بالرغم من ماله الكثير لأن الله يذهبه في لحظة واحدة إذا شاء، وهو جائع محتاج بالرغم من وفرة طعامه لأن الله قادر على أن يفقدك إياه متى شاء، وكذلك هو عارٍ بالرغم من جميع أنواع اللباس التي يملكها لأن الله قادر على أن يذهب بها. فليكن إعتماد العبد على الله لا على ما معه من طعام الدنيا. وليسأل الله دومًا، وليكثر من السؤال، وهكذا يريدنا الله ربنا، وهكذا يعلمنا في هذا الكلام القدسي، أن نطلب منه الهداية والثبات على الحق والطريق المستقيم، وأن نطلب منه المغفرة على ذنوبنا، فخزائنه واسعة واسعة جدًا لا تنقص أبدًا، وإذا ما طلب منا أن ندعوه ونسأله فهذا يعود بالنفع لنا لأن الله جل وعلا ليس بحاجة أبدًا لعبادتنا، فهو الله القاه والمعبود والإله العظيم، سواء عبدناه وأطعناه أم لا. ان النفع من العبادة والطاعة إنما هو لنا نحن الضعفاء المساكين.

وقد تعالى الله سبحانه عن الظلم وتقدس عنه وحاشاه أن يظلم أحدًا **﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾** ولذلك أمرنا أن نبتعد عن الظلم لأنه ظلمات سوداء قاتمة يوم القيامة.

أما عن الحساب يوم القيامة فإنه يكون حسب الأعمال التي يقدمها كل إنسان في دنياه، فلا يعتمد على أمانيه وهو مسترسل في المعاصي وسادر في غيه وضلاله، فإذا رأى العبد يوم القيامة شيئًا خيرًا فليحمد الله لأنه هو الذي هداه إليه ووفقه له، ومن أراد سوءًا فلا يلومَنَّ إلا نفسه لأنه اتبع هواه ونفسه الأمارة بالسوء.

(٢) باب الظلم يأكل الحسنات

٣٧٦/ ١ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إن إبليس يئسَ أنْ تعبدَ الأصنامُ بأرض العربِ، ولكنه سيرضى بدون ذلك منكم بالمحقراتِ من أعمالكم وهي الموبقاتُ، فاتقوا المظالمَ ما استطعتمْ، فإن العبد يجيءُ يومَ القيامةِ وله من الحسنات ما يرى أنه ينجيه، فلا يزال عبد يقوم فيقول: يا رب إن فلانًا ظلمني مظلمة فيقال: امحوا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة».

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (جـ ٢ ص ٢٧). وصححه ووافقه الذهبي.

المعنى

إن إبليس لم يعد يطمع في تحويل الناس في جزيرة العرب إلى الكفر بعد الإيمان، وإلى عبادة الأصنام بعد التوحيد، ولذلك فإنه لا يعمل جهده في هذا الموضوع، وإنما الميدان الذي يجيش جنوده فيه هو المحقرات من الذنوب، أي ما يحتقره الإنسان من صغائر ذنوبه، أي ما لا يبالي به ويظنه صغيرًا تافهًا لا شأن له، فإن هذا الشيء التافه الصغير الذي لا يبالي به العبد من الذنوب والأخطاء، فإن إبليس يرضى به منه، لأن هذه الصغائر ستجره حتمًا لأن يفعل الكبائر والمظالم، لأن من تجرأ على فعل الصغير لا بد أن يتجرأ على فعل الكبير، ولذلك تكثر مظالمه وظلمه للناس حتى يأتي يوم القيامة وهو على حاله من اللامبالات بذنوبه وأخطائه تلك، لكنه عند الحساب سيسدد للناس حقوقهم، والحقوق يومئذ تدفع وتعوض بالحسنات والسيئات، فيأخذ هذا الذي ظلمه من حسناته، ويأخذ هذا الذي شتمه من حسناته، ويأخذ هذا الذي سرقه ماله من حسناته حتى لا يبقى له حسنة واحدة، فيُلقى عليه من سيئاتهم فيصبح من الخاسرين الهالكين. فهذا هو الظلم الذي يمحق الحسنات ويبيدها، فلينتبه العبد وليحرص على حسناته وخيراته من المحو والنفاد.

(٣) باب في مخاصمة الله للظالمين

١/٣٧٧ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

قال الله تعالى:

«ثلاثة أن خصمهم يوم القيامة: رجلٌ أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًا فأكل ثمنَه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره».

(**صحيح**) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة باب ١٠. أحمد في مسنده (٣٥٨/٢) ابن ماجه في كتاب الرهون باب ٤.

المعنى

لقد تمَّ شرح هذا الحديث مستوفىً في كتاب القيامة باب (ثلاثة لا يظلمهم الله يوم القيامة) رقم (٢).

(٤) باب نصرة الله لدعوة المظلوم

١/٣٧٨ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله إنا إذا رأيناك رقَّتْ

قلوبُنَا وكُنَّا من أهْلِ الآخِرةِ وإذًا فارقناك أعْجَبَتْنَا الدنيا وشممنا النساءَ والأولادَ. قال: لو تكونون ـ أو قال ـ: لو أنكم تكونون على كل حال، على الحالِ التي أنتم عليها عندي، لَصَافحتكُمُ الملائكةُ بأكفِّهم، ولزارتكم في بيوتكم، ولو لمْ تُذْنِبُوا لجاء الله بقوم يُذْنِبُونَ كي يغفرَ لهم، قال: قلنا: يا رسولَ الله حدثنا عن الجنة: ما بناؤُهَا؟ قال: لبنةٌ[1] ذَهَبَ ولبنةٌ فضّة، ومِلاطُهَا[2] المسكُ الأذْفَرُ[3]، وحَصْبَاؤُهَا اللؤلؤ والياقوتُ، وتُرَابُها الزعفَرانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ ولا ييأسُ، ويَخْلُدُ ولا يموتُ، لا تَبْلَى ثيابُهُ، ولا يَفْنَى شَبَابُهُ، ثلاثةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإمامُ العادِلُ، والصائِمُ حتى يُفْطِر، ودعوة المظلوم تُحْمَلُ على الغمامِ، وتُفْتَحُ لها أبوابُ السماءِ[4]، ويقولُ الربُّ عَزَّ وَجَلَّ: «**وعزتي لأنصرنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حينٍ**».

(حسن) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٥، ٤٤٥).

٢/٣٧٩ ـ عن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اتقوا دعوةَ المظلوم فإنها تُجعل على الغمام يقول الله جل ثناؤه: «**وعزتي وجلالي لأنصُرَنَّكِ ولو بعدَ حين**».

(صحيح) أخرجه الدولابي في الكنى والأسماء (جـ ٢ ص ١٢٣) الطبراني كما في الترغيب (جـ ٢ ص ٣٢٨).

شرح المفردات

١ ـ لبنة: هي ما يبنى بها الجدار.

٢ ـ ملاطها: أي ما يجعل بين الحجارة لتتماسك.

٣ ـ الأذفر: ذو الرائحة الزكية الطيبة.

٤ ـ تحمل وتفتح: كناية عن رعاية الله لها وتقبله لها.

المعنى

العبد حينما يكون في جلسات العبادة والتقى وذكر الله فإنه يرق قلبه وتطمئن نفسه كما كان الصحابة مع رسول الله ﷺ، لكنهم عندما ينشغلون بمتاعهم وشهواتهم من النساء والأولاد، فإن قلوبهم حتمًا ستتغير وتتبدل ويخف اتصالها بالله جل شأنه، وشكوا أمرهم لرسول الله ﷺ فأجابهم بأنهم إذا حافظوا على ما يكونون عليه وهم عنده فإن مقامهم سيرقى وسيسمو، وستصافحهم الملائكة، وفي حديث آخر قال لهم روحوا القلوب ساعة وساعة.

ثم نبههم إلى أن من طبيعة الإنسان والفطرة التي فطره الله عليها أنه لا بد واقع في الذنب، وإذا لم يكن هناك من خلق مذنبين لذهب الله بهم وأتى بقوم آخرين يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم.

ولما طلبوا منه ﷺ حديثًا عن الجنة، وصفها لهم وصفًا ممتعًا، ثم ذكرهم بمن يستجيب الله له دعاءه ليدخل تلك الجنة الخالدة، وهم الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوةُ المظلوم التي يرعاها ويرفعها ويتقبلها ويقول، وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين. وهكذا نرى في واقع الدنيا، حيث الظالم لم يظن أن الله قد تركه عندما أخّر عقابه فراح يسترسل في ظلمه للناس وأكل حقوقهم، لكن الله تعالى قال: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار. مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾ [ابراهيم: ٤٢، ٤٣].

(٥) باب تحذير الحكام من الظلم

١/٣٨٠ ـ عن أنس رضي الله عنه:

«يُؤتَى بالحُكّام يومَ القيامة، بمنْ قَصَّرَ وبمنْ تَعَدّى، فيقولُ: أنتُم خُزّانُ أرضي[١]، ورعَاءُ[٢] عبيدي، وفيكمْ بغيَتي، فيقولُ للذي قَصَّر[٣]: ما حَمَلَكَ على ما صنعتَ فيقولُ: رحمتهُ. فيقولُ الله: أنتَ أرحمُ بعبادي مني! ويقولُ للذي تعدّى[٤]: ما حملك على الذي صنعت؟ فيقولُ: غضبًا مني[٥]، فيقولُ: انطلقوا بهمْ فَسُدُّوا بِهِمْ رُكْنًا من أرْكانِ جهنَّمَ».

(حسن) ـ أخرجه أبو سعيد النقاش في كتاب القضاة كما في كنز العمال (جـ ٦/ ١٤٧٧١).

٢/٣٨١ ـ وعن حذيفة رضي الله عنه:

يُؤتَى بالولاةِ يومَ القيامةِ عادِلِهِمْ وَجَائِرِهم، حتى يقفوا على جسْرِ جهنمَ، فيقولُ الله عَزَّ وَجَلَّ:

«فيكمْ طِلْبَتي، فلا يَبْقى جائرٌ في حكمِه، مرتش في قضائِهِ، مميلٌ سَمْعَهُ[٦] أحَدَ الخصْمينِ، إلاَ هَوَى في النارِ سبعينَ خريفًا[٧]، وَيُؤتَى بالرجلِ الذي ضَرَبَ فوقَ الحدِّ، فيقولُ الله: لِمَ ضَرَبْتَ فوقَ ما أمَرْتُكَ؟ فيقولُ: يا ربِّ غضبتُ لَكَ، فيقولُ: أكان لغضبِكَ أنْ يَكونَ أشدَّ من غضبي؟!! ويُؤتى بالذي قَصَّرَ فيقولُ: عَبْدِي لِمَ قَصَّرْتَ؟ فيقولُ: رَحْمته، فيقول: أكان لرحمتك أن تكون أشدَّ من رحمتي؟!!».

(حسن لغيره) ـ أخرجه أبو يعلى كما في كنز العمال (جـ ٦/ ١٤٧٦٠).

شرح المفردات

١ ـ خزان أرضي: أي ما يحتاجه الناس من طعام وشراب وحاجات هي تحت سلطانهم وبإمرتهم.

٢ ـ رعاء: من يرعى مصالح العباد ويسهر على مصالحهم.

٣ ـ قصَّر: أي لم يأخذ الحق من الظالم ولم يعاقبه.

٤ ـ تعدّى: أي تجاوز في العقوبات أو ظلم الضعفاء.

٥ ـ غضبًا مني: الضمير في «مني» عائد على الله سبحانه.

٦ ـ مُميلٌ سمعَه: يسمع لهذا الخصم أكثر من الآخر.

٧ ـ خريفًا: عامًا.

المعنى

إن أهم صفة يجب أن يتحلى بها الحكام والولاة إنما هي العدل بين الرعية من دون تمييز ولا تفريق، وإلا دبّت الفوضى في البلاد، واستبد الأقوياء بالضعفاء، وحاول الضعفاء أن يتخلصوا من الأقوياء بسبب ما يحملون في قلوبهم من الضغائن والحقد على من يظلمونهم. ولذلك يوقفهم الله على الصراط الذي ينصب بين ظهراني جهنم، ولا يستطيع السير عليه إلا العابدون الصالحون لأنه أدق من الشعرة وأحدُّ من السيف، ولكن الله يوسعه حسب عمل العبد وعبادته. أما الحكام الظالمون، والولاة المرتشون، والذين كانوا يميزون في الحكم بين الخصماء فهؤلاء يقذف بهم في نار جهنم من فوق الصراط فيهوون ويسقطون هكذا إلى سبعين سنة. وكذلك يفعل بأولئك الذين تجاوزوا حدود الله وعطلوها ولم يقيموا الحدود على العصاة والمجرمين والظالمين مدّعين في ذلك الرحمة لهم والشفقة عليهم، فإن الله يقول لهم **«أكان لرحمتك أن تكون أشدّ من رحمتي؟» «أنت أرحم بعبادي مني؟!»** فيقذف به في نار جهنم.

ثم يؤتى بالحاكم الذي تعدى وبغى وظلم وجار وأفسد متجاوزًا لعقوبات الله جعلها الله وحدّها، فيسأله الله تعالى لم عاقبت المذنب بأكثر مما يستحقه من العقاب فيقول: يا ربِّ غضبتُ لك. أي من أجل دينك فعلت ذلك. فيقول الله له: **«أكان لغضبك أن يكون أشدّ من غضبي؟»** ثم يقذف به في نار جهنم.

فلكي يسلم الحاكم والقاضي وغيرهما، فما عليهم إلا أن ينفذوا شرع الله كما أراده الله من دون زيادة ولا نقصان، ولا يبرزن أحد رحمة أو شفقة على الظالمين والمجرمين، فإن الله تعالى لا تكون رحمة أحد أعظم من رحمته ولذلك قال تعالى في جلد الزاني والزانية ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ [النور: ٢].

(٦) باب في النهي عن الإسراف في العقوبة

١/٣٨٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

قَرَصَتْ نملةٌ نبيًا من الأنبياء، فَأَمَرَ بقرية النملِ فأُحرِقَتْ، فَأَوْحَى الله إليه: **«أنْ قَرصَتْكَ نملةٌ أَحْرَقْتَ أمةً من الأممِ تُسَبِّحُ»**.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب ١٥٣، ومسلم في كتاب السلام حديث ١٤٨ وغيرهما.

٢/٣٨٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

نزل نبي من الأنبياء تحت شجرةٍ، فلدغته نملةٌ، فأمر بجهازِهِ[1] فأُخرِج من تحتها، ثم أمرَ ببيتها فأُحرقَ بالنار، فأوحى الله إليه: **«فهلاً نملةً واحدةً»**.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ١٦، ومسلم في كتاب السلام حديث ١٥٠.

٣/٣٨٤ ـ وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:

نَزَلَ نبيٌ من الأنبياء تَحْتَ شجرةٍ، فَلَدَغَتْهُ نملةٌ، فَأَمَرَ بجهازِهِ فأُخْرِجَ من تحتها، وأَمَرَ بها فَأُحْرِقَتْ في النارِ، قالَ: فَأَوْحَى الله إليه: **«فَهَلاً نملةً واحدةً»**.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب السلام حديث ١٤٩.

شرح المفردات

١ ـ بجهازه: بمتاعه.

المعنى

نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم تقرصه نملة واحدة فيأمر بإحراق قرية

النمل فيأتيه العتاب من الله كيف تحرق قرية النمل بنملة واحدة، وخاصة وهي أمة كغيرها من الأمم تسبح الله، إذ كان من العدل أن يحرق أو يعاقب أو يقتص من النملة التي سببت له الأذى أما كيف يصدر من نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هذا الفعل فيحرق قرية النمل بكاملها والأنبياء كلهم معصومون وهم أعلم خلق الله بالله وبأحكام الله؟.

وعلى هذا السؤال يجيب الإمام القرطبي رحمه الله تعالى كما نقل ذلك الإمام ابن حجر في فتح الباري فيقول:

قال القرطبي: ظاهر هذا الحديث أن هذا النبي عاتبه الله حيث انتقم لنفسه بإهلاك جمع آذاه منه واحد، وكان الأولى به الصبر والصفح، وكأنه وقع له أن هذا النوع مؤذٍ لبني آدم وحرمة بني آدم أعظم من حرمة الحيوان، فلو انفرد هذا النظر ولم يأت إليه التشفي لم يعاتب.

قال: والذي يؤيد هذا التمسك بأصل عصمة الأنبياء وإنهم أعلم بالله وبأحكامه من غيرهم وأشدهم له خشية انتهى.

كتاب القضاء

(١) باب أحكم العباد من يحكم بالعدل

١/٣٨٥ ـ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال:

سأل موسى ربَّه عن ست خصال كان يظن أنها له خالصة، والسابعة لم يكن موسى يحبها. قال: يا رب أيُ عبادك أتقى؟ قال: الذي يذكر ولا ينسى. قال: فأيُ عبادك أهدى؟ قال: الذي يتبع الهدى. قال: فأي عبادك أحكم؟ قال: الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه. قال: فأي عبادك أعلم؟ قال: الذي لا يشبع من العلم يجمع علم الناس إلى علمه. قال: فأيُ عبادك أعزُّ؟ قال: الذي إذا قَدَرَ غفر. قال: فأيُ عبادك أغنى؟ قال: الذي يرضى بما يُؤتى. قال: فأيُ عبادك أفقرُ؟ قال: صاحب مبغوض.

قال رسول الله ﷺ:

«ليس الغنى عن ظهر[1]، إنما الغنى غنى النفس، وإذا أراد الله بعبدٍ خيرًا جعل غِناه في نفسه، وتُقاه في قلبه، وإذا أراد بعبد شرًا جعل فقرَهُ بين عينيه».

(حسن) أخرجه ابن حبان (ج ٨٦).

شرح المفردات

١ ـ عن ظهر: كناية عن ظهور الأنعام أي له أنعام كثيرة ومال وفير.

المعنى

هذا الحديث القدسي شامل لكثير من المواضيع والأخلاق التي يجب أن يتحلى بها كل مسلم، غير أن الذي يهمنا هنا هو الحاكم الذي يحكم بالعدل بين الناس، ومتى يكون الحاكم عادلاً؟ بيّن الحديث أن الذي يحكم بالعدل هو الذي يحكم بين الناس كما يحكم لنفسه، وهذه قاعدة جليلة لو طبقها كل مسلم على نفسه في كل موضوع وعند كل قضية ومشكلة، لما بقي على وجه الأرض متخاصمان ولذلك يقول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

(٢) باب ترهيب الحكام من الظلم

١/٣٨٦ ـ عن أنس رضي الله عنه:

«يؤتى بالحكام يوم القيامة، بمن قصَّر وبمن تعدّى فيقول: أنتم خزّان أرضي، ورعاءُ عبيدي، وفيكم بُغيتي. فيقول للذي قصّر: ما حملك على ما صنعت؟ فيقول: رحمتُه فيقول الله: أنت أرحم بعبادي مني! ويقول للذي تعدّى: ما حملك على الذي صنعتَ؟ فيقول: غضبًا مني. فيقول: انطلقوا بهم فسُدُّوا بهم ركنًا من أركان جهنم.

(حسن) أخرجه أبو سعيد النقاش في كتاب القضاة كما في كنز العمال (جـ ٦/ ١٤٧٧١).

٢/٣٨٧ ـ وعن حذيفة رضي الله عنه:

يُؤتى بالولاة يوم القيامة عادِلِهِم وجائِرِهِم حتى يقفوا على جسر جهنم فيقول الله عز وجل:

«فيكم طِلبتي، فلا يبقى جائرٌ في حكمه، مرتشٍ في قضائه، مُميلٌ سمعَه أحَدَ الخصمين، إلا هوى في النار سبعين خريفًا، ويُؤتى بالرجل الذي ضرب فوق الحدِّ فيقول الله: لِمَ ضربتَ فوق ما أمرتُك؟ فيقول: يا ربِّ غضبتُ لك. فيقول: أكان لغضبك أن يكون أشدَّ من غضبي؟!! ويُؤتى بالذي قصَّر فيقول: عبدي لم قَصَّرْتَ؟ فيقول: رحَمتُه؛ فيقول: أكان لرحمتك أن تكون أشدَّ من رحمتي؟!!.

(حسن لغيره) أخرجه أبو يعلى كما في كنز العمال (جـ ٦/ ١٤٧٦٩).

٣/٣٨٨ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

ما من حاكم يحكم بين الناس إلا جاء يومَ القيامة ومَلَكٌ آخذٌ بقفاه، ثم يرفع رأسَه إلى السماء فإن قال: ألقِهِ ألقاه في مهواةٍ أربعين خريفًا.

أخرجه ابن ماجه في كتاب الأحكام باب ٢ باب التغليظ في الحيف والرشوة.

ملاحظة: قد شُرحت هذه الأحاديث في كتاب الظلم باب تحذير الحكام من الظلم فيرجع إليه من أراد.

كتاب الحرب

(١) باب فضل الجهاد

١/٣٨٩ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

عجب[١] ربنا من رجلين؛ «رجل ثارَ عن وِطائِهِ ولحافِهِ[٢] من بين حيِّه وأهله إلى صلاته، رغبةً فيما عندي، وشفقًا مما عندي، ورجل غزا في سبيل الله فانهزمَ مع أصحابه، فعلم ما عليه في الانهزامِ، وما له في الرجوعِ فرجعَ حتى أُهْرِيق دَمُهُ»، فيقول الله لملائكته: «انظروا إلى عبدي رجع رغبةً فيما عندي، وشفقًا مما عندي حتى أُهْرِيقَ دَمُهُ».

(حسن) ـ أخرجه البغوي في شرح السنة (جـ ٤/ ٩٣٠)، وأحمد (جـ ١/ص ٤١٦)، وابن حبان (٦٤٣ ـ موارد)، والطبراني (جـ ١٠/ ١٠٣٨٣).

٢/٣٩٠ ـ عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال:

ثلاثةٌ يحبهم الله عز وجل: رجلٌ أتى قومًا فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم، فمنعوه، فتخلَّفهم رجلٌ بأعقابهم فأعطاهُ سرًا لا يعلمُ بعطيته إلا اللهُ عزَّ وَجلَّ والذي أعطاه. وقومٌ ساروا ليلَتهم حتى إذا كان النومُ أحبَّ إليهم مما يُعْدَلُ به نزلوا فوضعوا رؤوسَهم [فقام يتملقني[٣] ويتلو آياتي]. ورجلٌ كان في سريةٍ فلقوا العدو فانهزموا، فأقبلَ بصدره حتى يُقْتَلَ، أو يُفْتَحَ له.

(صحيح) ـ أخرجه النسائي في كتاب قيام الليل باب فضل صلاة الليل في السفر والترمذي في كتاب صفة الجنة باب ٢٥. وأحمد في مسنده (٥/ ١٥٣).

شرح المفردات

١ ـ عجب ربنا: اعلم أن التعجب عبارة عن حالة تعرض في القلب عند الجهل بسبب الشيء وهذه من الأشياء التي لا يمكن إثباتها في حق الله تعالى كالاستهزاء والمكر والحياء والضحك إلى غير ذلك. فالقانون الصحيح في هذه الألفاظ المنسوبة لله في القرآن أو في السنة أن نقول: لكل واحد من هذه الأحوال أمور توجد معها في البداية آثار تصدر عنها في النهاية؛ مثاله أن الغضب حالة تحصل في القلب عند غليان دم القلب وسخونة

المزاج، والأثر الحاصل منها في النهاية إيصال الضرر إلى المغضوب عليه، فإذا سمعت الغضب في حق الله تعالى، فاحمله على نهايات الأعراض لا على بدايات الأعراض، وقس الباقي عليه (تفسير الرازي جـ ١ ص ١٣٠ بتصرف) فالعجب هنا هو كناية عن التعظيم والرضا.

٢ ـ وطائه ولحافه: الوطاء هو الفراش الذي ينام عليه، واللحاف هو الذي يتغطى به.

٣ ـ يتملَّقُني: أي يتودد إليّ ويتقرب مني بالطاعة والعبادة.

المعنى

الحديث الأول يقدم لنا نوعين من الرجال، ومثلين من الطاعات والعبادات وهذان النوعان قد عظم عملهما الله تعالى ورفع من شأنهما.

أما الأول فرجل ترك فراش نومه وهجر راحته وسروره وقام يتهجد في الليل بإقامة الصلاة والدعاء لله راغبًا وراهبًا، وأما الثاني فرجل انهزم أصحابه الذين كانوا معه في القتال، لكنه لم ينهزم ولم يتراجع، بل علم واجبه في هذه الظروف وهو الإقدام والثبات والقتال حتى الشهادة، فاقتحم صفوف العدو وقاتلهم حتى قتل فأثابه الله سبحانه بتعظيم عمله وبإثابته على ذلك بالثواب الكبير والعظيم وهو الجنة التي عرضها السموات والأرض.

والحديث الثاني يقدم لنا ثلاثة أصناف من الرجال مع ثلاثة أصناف من العمل الطيب الصالح. وهذا ليس محصورًا في الرجال فقط وإنما يدخل فيه النساء أيضًا لكنه جاء بلفظ الرجال لأنه الغالب في الاستعمال.

صنفان من هذا الحديث مذكوران في الحديث الأول وهما التهجد والعبادة في الليل والقتال حتى الاستشهاد، أما الصنف الثالث فهو صدقة السر والإخلاص لله في العطاء، حيث القوم كلهم منعوا السائل ولم يعطوه إلا ذلك الرجل الذي تسلل خلفه خلسة وخفية دون أن يراه قومه وأعطى السائل سؤله ولبى له حاجته، ولم يعلم بذلك العطاء إلا الله سبحانه والرجل الذي قدم العطاء، ولذلك استحق هؤلاء الرجال الثلاثة المحبة من الله سبحانه بسبب أعمالهم العظيمة وحسن طاعتهم وإخلاصهم له.

٣/٣٩١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

انتَدَبَ[١] الله لِمَنْ خَرَجَ في سبيلِهِ، **«لا يُخرِجُه إلا إيمانٌ بي، وتصديقٌ برُسُلي، أن أُرْجِعَه بما نَالَ من أجرٍ أو غَنِيمَة، أو أُدْخِلَه الجَنَّةَ»**، ولولا أن أشُقَّ علي أُمتي ما قَعَدتُ خَلْفَ[٢] سريةٍ، ولوددْتُ أني أُقتَلُ في سَبِيلِ الله، ثم أُحيَا، ثُمَّ أُقتَلُ، ثُمَّ أُحيا، ثُمَّ أُقتَلُ.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب ٢٦.

٤/٣٩٢ ـ وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

انتَدَبَ الله لِمَنْ يَخْرُجُ في سبيلِهِ، «لا يُخرجُه إلا الإيمانُ بِي، والجهادُ في سبيلي،، أنَّهُ ضَامِنٌ حَتَّى أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، بأيِّهما كان، إمَّا بِقَتْلٍ، وإمَّا وفاةٍ»، أو أن يرده إلى مَسْكَنِهِ الَّذي خَرَجَ مِنْهُ، يَنَالَ ما نَالَ من أجْرٍ أو غَنِيمَةٍ.

(صحيح) ـ أخرجه النسائي في كتاب الجهاد باب ١.

٥/٣٩٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

تَضَمَّنَ الله لمن خرج في سبيله، «لا يخرجه إلا جهادًا في سبيلي، وإيمانًا بي، وتصديقًا برُسُلي، فهو عليّ ضَامِن أن أُدخِلَه الجنةَ، أو أُرجِعَهُ إلى مَسْكنه الذي خَرَجَ مِنه، نَائِلاً مَا نَالَ من أجر أو غَنيمةٍ».

(صحيح) أخرجه النسائي في كتاب الجهاد باب ١.

٦/٣٩٤ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

تَضَمَّنَ الله لمن خرج في سبيله، «لا يخرجه إلا جهادًا في سبيلي، وإيمانًا بي، وتصديقًا برُسُلي، فهو عليّ ضَامِن أن أُدخِلَه الجنةَ، أو أُرجِعَهُ إلى مَسْكنه الذي خَرَجَ مِنه، نَائِلاً مَا نَالَ من أجر أو غَنيمةٍ، والذي نفسُ محمدٍ بيده، ما من كَلْم[1] يُكْلَمُ في سبيل الله، إلا جاءَ يومَ القيامة كهيئتِهِ حينَ كُلِم، لونُه لونُ دَم، وريحُهُ مِسْكٌ، والذي نفسُ محمد بِيَده، لولا أن يَشُقّ علَى المُسْلِمِينَ، ما قَعَدْتُ خِلافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو في سَبيلِ الله أبدًا، ولكن لا أجدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُم، وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً، ويَشُقُ عليهم أن يتخَلَّفُوا عني، والذي نفسُ محمد بِيَده، لوَدِدْتُ أَنّي أغزُو فيَ سبيلِ الله فأُقتَلُ، ثم أَغْزُو فأُقْتَلُ، ثم أَغْزُو فأُقْتَلُ».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الإمارة حديث ١٠٣.

٧/٣٩٥ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يعني يقول الله عز وجل:

«المجاهدُ في سبيل الله هو عليّ ضامنٌ، إن قبضته أورثته الجنة، وإن رجعتُه رجعتُه بأجرٍ أو غنيمة».

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب الجهاد باب ١.

٨/٣٩٦ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال:

«أيما عبدٍ من عبادي خرج مجاهدًا في سبيلي ابتغاءَ مرضاتي، ضمنتُ له أن أرجعه بما أصاب من أجرٍ وغنيمة، وإن قبضتُه أن أغفرَ له وأرحمه وأدخله الجنة».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١١٧).

٩/٣٩٧ ـ وعن ابن عمر أيضًا عن النبي ﷺ فيما يحكيه عن ربه عز وجل قال:

«أيما عبد من عبادي خرج مجاهدًا في سبيل الله، ابتغاء مرضاتي، ضمنت له أن أرجعه إنْ أرجعته بما أصاب من أجر أو غنيمة، وإن قبضته غفرت له ورحمته».

(صحيح لغيره) ـ أخرجه النسائي في كتاب الجهاد باب ثواب السرية التي تخفق.

١٠/٣٩٨ ـ وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه:

إن الله تعالى قال: **«مَن انتدب خارجًا في سبيلي، غَازِيًا ابْتِغَاءَ وَجْهِي، وتَصْدِيقَ وَعْدِي، وإيمانًا برُسُلي، فهو ضَامِنٌ على الله عزَّ وجلَّ إما يتوفّاه في الجيش بأي حَتْف شاء، فيُدْخلُه الجَنة، وإما يُصبِحُ من ضَمَانِ الله، وإنْ طَالَتْ غَيْبَتُهُ حَتى يَرُدَّهُ إلى أَهْلِه، مَعَ ما نَالَ من أَجْرٍ وغنيمة»**.

(صحيح لغيره) ـ أخرجه الطبراني كما في كنز العمال (جـ ٤/ ١٠٦٤٣).

شرح المفردات

١ ـ انتدب: بالنون أي سارع بثوابه وحسن جزائه وتكفّل به.

٢ ـ خَلْفَ: أي خلاف سرية أي ما تركت سرية إلا وكنت فيها والسرية هي مجموعة من الجند تقاتل وتجاهد.

٣ ـ كَلْم: أي جُرح ويُكْلَم أي يُجرح.

المعنى

تُشير الأحاديث القدسية هذه بمجملها إلى فضيلة الجهاد في سبيل الله، وإلى حب رسول الله ﷺ للاستشهاد في سبيل إعلاء كلمة الإسلام والتوحيد، فربنا تبارك وتعالى قد تكفل بكل من خرج في سبيل الله مقاتلاً ومجاهدًا، مخلصًا النية لله ومقبلاً على الله لا سواه بأن يعطيه إحدى الحسنيين، إما النصر والظفر مع ما يتبعهما من غنيمة وأجر عند الله، وإما الشهادة التي تؤدي إلى الجنة الغالية.

وقد بارك الله سبحانه جروحات الشهداء وعظّم دماءهم الزكية الطاهرة فجعلها بريح المسك طيبًا وعطرًا، ويقسم النبي ﷺ بالذات الإلهية على عظمة الغزوات والقتال في سبيل الله، لكن إشفاقه ﷺ على أمته ما جعل حياتهم كلها غزوًا وجهادًا، وكذلك لولا قلة المال والعتاد لذلك فيتخلف المسلمون لذلك فيدخل عليهم الحرج لأنهم لا يريدون أن يعصوا لرسول الله ﷺ أمرًا.

(٢) باب شهداء بدر

١/٣٩٩ ـ عن علي بن أبي طالب قال: بَعثَني رسولُ اللهِ ﷺ أنا والزُّبيرَ والمقدادَ فقال: «انطلِقوا حتى تأتوا روضةَ خاخٍ[١]، فَإِنَّ بها ظَعينةً[٢] معها كتابٌ فخذوا منها»، قال فانطلَقنا تَعادَى[٣] بنا خيلُنا حتى أتينا الروضةَ، فإذا نحن بالظُّعينةِ، قلنا لها: أخرجي الكتابَ، قالت: ما معي كتابٌ. فقلنا: لتُخرِجنَّ الكتابَ أو لنُلقِينَّ الثيابَ. قال فأخرجَتْهُ مِن عِقاصِها[٤]، فأتَينا بهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَإذا فِيهِ: مِن حَاطبِ ابْنِ أبي بَلتَعةَ ـ إلى نَاسٍ بمكةَ مِنَ المشرِكِينَ ـ يُخبرهُم ببعضِ أمرِ رسولِ الله ﷺ: فقال رسولُ الله ﷺ: «يا حاطبُ ما هٰذا؟» قال: يا رسولَ الله، لا تعجَلْ عليَّ، إني كنتُ أمرَءًا مُلصَقًا في قُرَيْشٍ ـ يَقُولُ: كُنْتُ حَليفًا ـ وَلم أكُنْ مَنْ أنفسِها، وَكَان مَن مَعكَ مِنَ المهاجرين مَن لَهم بِها قَراباتٌ يحمونَ أهلِيهم وأموالَهم، فأحبَبتُ إذْ فَاتني ذَلكَ مِنَ النَسَبِ فِيهم أَنْ أتخِذ عِندهم يدًا يحمُونَ قَرَابتي، ولم أفعَلْهُ ارتدادًا عن دِيني ولا رِضًا بالْكُفرِ بَعْدَ الإسْلاَمِ فَقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أما إنّه قَدْ صَدَقَكم». فقال عمرُ: يَا رَسُول اللهِ، دَعْني أضْرِبْ عنُقَ هذا المنافقِ، فقال: «إنهُ قد شهدَ بَدْرًا، وما يُدرِيكَ لعلَّ اللهَ اطَّلعَ على من شهدَ بدْرًا قال: «اعملوا ما شِئتم فقد غفرتُ لكم». فأنزلَ اللهُ السورةَ: **﴿يا أيُها الذين آمنوا لا تتَّخِذوا عدُوِّي وعدوَّكم أولياءَ تُلقون إليهم بالمودَّة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ـ إلى قوله ـ فقد ضلَّ سواء السبيل﴾**[٥].

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب الجاسوس. وكتاب المغازي باب ٤٧. ومسلم في كتاب فضائل الصحابة حديث ١٦١ والترمذي في كتاب التفسير باب سورة الممتحنة. أحمد في مسنده (١/ ٧٩).

٢/٤٠٠ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ: أَنَّ حَاطِبَ بْن أَبِي بَلْتَعَةَ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ يَذْكُرُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَرَادَ غَزْوَهُمْ، فَدَلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمَرْأَةِ الَّتِي مَعَهَا الْكِتَابُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ كِتَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا، وَقَالَ: «يَا حَاطِبُ أَفَعَلْتَ؟» قَالَ: نَعَمْ أَمَا إِنِّي لَمْ أَفْعَلْه غُشًا

لِرَسُولِ اللهِ ـ وَقَالَ يُونُسُ: غِشًا يَا رَسُولَ اللهِ وَلاَ نِفَاقًا ـ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ مُظْهِرَ رَسُولَهُ وَمُتِمٌ لَهُ أَمْرَهُ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ عَزِيزًا بَيْنَ ظَهْرِيهِمْ، وَكَانَتْ وَالِدَتِي مِنْهُمْ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَّخِذَ هَذَا عِنْدَهُمْ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَلاَ أَضْرِبُ رَأْسَ هَذَا؟ قَالَ: «أَتَقْتُلَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ».

(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٥٠) وابن حبان في صحيحه (٢٢٢١ ـ موارد).

٣/٤٠١ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِحَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنْتَ كَتَبْتَ هَذَا الكِتَابَ؟» قَالَ: نَعَمْ، أَمَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا تَغَيَّرَ الإِيمانُ مِنْ قَلْبِي، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْش إِلاَّ وَلَهُ جِذْمٌ(٥) وَأَهْلُ بَيْتٍ يَمْنَعُونَ لَهُ أَهْلَهُ، وَكَتَبْتُ كِتَابًا رَجَوْتُ أَنْ يَمْنَعَ اللهُ بِذَلِكَ أَهْلِي، فَقَالَ عُمَرُ: ائذَنْ لِي فِيهِ، قَالَ: «أَوَ كُنْتَ قَاتِلَهُ؟» قَالَ: نَعَمْ إِنْ أَنْتَ أَذِنْتَ لِي، قَالَ: «وَمَا يُدْرِيكَ، لَعَلَّهُ اللهُ قَدْ اطَّلَعَ إِلى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَال: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ».

(صحيح لغيره) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٠٩).

٤/٤٠٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

(حسن) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ١٥٥، ١٤/ ٣٨٥). أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٥، ٢٩٦). الحاكم في المستدرك (٤/ ٧٧).

شرح المفردات

١ ـ روضة خاخ: هي موضع بين مكة والمدينة وإلى المدينة أقرب.

٢ ـ ظعينة: الظعينة هي الجارية وأصلها الهودج وسميت بها الجارية لأنها تكون فيه وهي سارة مولاة لعمران بن أبي صيفي القرشي (شرح الصحيح للنووي)

٣ ـ تعادى: تجري.

٤ ـ عِقاصها: بكسر العين أي شعرها المضفور وهو جمع عقيصة.

٥ ـ الجذم: بكسر الجيم وسكون الذال وهو أصل الشيء وهو هنا الأهل والأقارب والعشيرة.

المعنى

إن الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه قد أفشى سرّ رسول الله ﷺ عند فتح مكة حيث كان ﷺ عازمًا على غزو قريش سرًا ومن دون أن يعلموا بغزوه لهم،، لكن حاطبًا كتب كتابًا لقريش أرسله مع امرأة اسمها سارة يعلمهم فيه بنبأ رسول الله ﷺ وعزمه على قتالهم، غير أن الله سبحانه كشف أمر حاطب وأخبر جبريل رسول الله ﷺ بالأمر فبعث في أثرها سيدنا عليًا رضي الله عنه وأخرج الكتاب من بين شعرها المضفور. أما عذر حاطب فقد قال هو فيه إنه لم يكن له في قريش من يدافع عنه أو يحمي له أمواله فأراد أن يصنع معروفًا مع قريش ليقابلوه هم بالحماية والرعاية وليس ارتدادًا عن الدين ولإرضاء بالكفر، لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يحتمل ما صدر من حاطب فاستأذن رسول الله ﷺ بقتل حاطب واعتبره منافقًا، لكن رسول الله ﷺ عفا عنه لأنه كان لمن شهر غزوة بدر ثم قال لعمر: وما يدريك لعلّ الله اطلع على من شهد بدرًا فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

ما يستفاد من الحديث

لقد اخترنا من شرح النووي لصحيح مسلم جملة من الملاحظات والإفادات من هذا الحديث القدسي:

١ ـ فيه هتك أسرار الجواسيس بقراءة كتبهم سواء كان رجلاً أو امرأة.

٢ ـ فيه هتك ستر المفسدة إذا كان فيه مصلحة أو كان في الستر مصلحة، وإنما يُندب الستر إذا لم يكن فيه مفسدة ولا يفوت به مصلحة.

٣ ـ وفيه أن الجاسوس وغيره من أصحاب الذنوب الكبائر لا يكفرون بذلك.

٤ ـ وفيه أنه لا يحد العاصي ولا يغرر إلا بإذن الإمام.

٥ ـ في قوله تعالى: **(اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)** قال العلماء: معناه الغفران لهم في الآخرة وإلا فإن توجب على أحد منهم حدّ أو غيره أقيم عليه في الدنيا. ونقل القاضي عياض الإجماع على إقامة الحد وإقامه عمر على بعضهم قال: وضرب النبي ﷺ مسطحًا وكان بدريًا.

(٣) باب فضل الشهداء وتمنيهم العودة إلى الدنيا

١/٤٠٣ ـ سئل عبد الله بن مسعود عن هذه الآية:

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال:

أَرْوَاحُهُمْ في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ(١)، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بالعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حيثُ شَاءَتْ، ثم تأْوِي إلى تِلْكَ القَنَادِيلِ، فاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطلاعَةً، فقال: «هل تشتهون شيئًا؟» قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرحُ من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نُريد أنْ تَرُدَّ أرْوَاحَنَا في أجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَل في سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فلمَّا رَأَى أنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الإمارة حديث ١٢١.

٢/٤٠٤ ـ عن عبد الله في قوله تعالى:

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

قال: أما إنا سألنا عن ذلك فقال:

أرواحهم كَطَيْرٍ خُضْرٍ، تَسْرَحُ في الجَنَّةِ في أيها شَاءَتْ، ثم تَأْوِي إلى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بالعَرْشِ، فبينما هُمْ كَذِلكَ، إذْ اطَّلَعَ عليهم ربُّكَ اطِّلاعةً، فيقول: «سَلُوني ما شِئْتُم»، قالوا: ربَّنا وماذا نسأَلُكَ ونحنُ نسرحُ في الجَنَّة في أيِّها شِئْنا؟ فلما رَأَوْا أَنَّهُم لاَ يُتركون مِنْ أَنْ يَسألوا، قالوا: نسأَلُكَ أن تَرُدَّ أرواحَنا في أَجْسَادِنَا إلى الدُّنيا حتَّى نُقْتَلَ في سبيلكَ، فلمَّا رَأَى أَنَّهُمْ لا يَسأَلُونَ إلاَّ ذَلِكَ تُرِكوا.

(حسن) ـ أخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد باب ١٦.

٣/٤٠٥ ـ وعن ابن مسعود أيضًا أنه سئل عن قوله:

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فأخبرنا:

أن أرواحهم في طَيْرٍ خُضْرٍ، تَسْرَحُ في الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، وتأْوي إلى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ

بالعَرْشِ، فاطَّلَعَ إِلَيْهِم رَبُّكَ اطّلاعةً، فَقَالَ: «هل تستَزِيدُونَ شَيْئًا فأَزِيدَكم؟» قالوا: ربَّنَا وما نَسْتَزِيدُ، وَنَحْنُ في الجَنَّةِ نَسْرَحُ حيث شئنا؟ ثُمَّ اطَّلَعَ إليهِم الثَّانيَة، فقال: هَلْ تستزيدُونَ شيئًا فأَزيدكُم؟ فلما رَأَوْا أَنَّهُمْ لم يُتْرَكُوا: قالوا: تُعِيدُ أرواحَنَا في أجْسادِنا، حتى نَرْجع إلى الدُّنْيَا، فنُقْتَل في سَبِيلِكَ مرَّةً أُخْرَى.

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ٤.

٤٠٦/ ٤ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

لما أُصِيبَ إِخوانُكم بأُحُدٍ، جَعَلَ الله أَرْوَاحَهُمْ في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الجَنَّةِ، تَأْكُلُ من ثِمَارها، وتَأْوِي إلى قَنَادِيلَ من ذَهَب مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ العَرْش، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهم ومَشْرَبِهِم ومَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إخوانَنا عَنَّا أَنَّا أَحياءٌ فِي الجَنَّة نُرْزَقُ، لئلا يَزهَدُوا في الجهاد، ولا يَنْكُلوا عِنْدَ الحَرْبِ، فَقَالَ الله سُبْحَانَه: «أَنَا أُبَلِّغُهم عَنْكُم» قَالَ: فأَنزلَ الله:

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾. إلى آخر الآية.[آل عمران: ١٦٩].

(صحيح) ـ أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب ٢٧ والحاكم (جـ ٢ ص ٨٨، ٢٩٧) وصححه ووافقه الذهبي.

٤٠٧/ ٥ ـ وعن أبي سعيد رضي الله عنه:

إنَّ أرواحَ الشُّهَداء فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خضر تَرْعَى من رِيَاضِ الجَنَّةِ، ثُمَّ يكُونُ مَأْوَاها إِلَى قَنَاديلَ مُعَلَّقةٍ بِالعَرْشِ، فيقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: «تَعْلَمُونَ كرامة أَكْرَمَ مِن كرامةٍ أَكْرَمْتُكُمْ بها؟» فيقُولونَ: لا، إلا أَنَّا، وَدِدْنَا أَنَّكَ رَدَدْتَ أَرْوَاحَنَا إلى أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقَاتِلَ فِي سَبيلكَ.

(صحيح لغيره) ـ أخرجه هناد كما في كنز العمال (جـ ٤/ ١١١٧١).

٤٠٨/ ٦ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

يُؤْتَى بالرجل من أَهْلِ الجَنَّةِ فيقولُ له: «يا بْنَ آدمَ كيفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟» فيقولُ: أيْ رَبِّ خيرَ مَنْزِلٍ، فيقول: «سَلْ وتَمَنَّ»، فيقول: ما أسألُ وأتمنَّى إلا أن تَرُدَّني إلى الدُّنْيَا، فأُقْتَل في سبِيلكَ عَشر مَرَّاتٍ ـ لِمَا يَرَى من فَضل الشَّهادَةِ ـ ويُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّار فيقولُ له: «يا ابن آدَمَ كيفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟» فيقولُ: أيْ رَبِّ شَرَّ مَنْزِلٍ، فيقولُ له:

«أتَفتَدِي مِنهُ بِطِلاعِ(٢) **الأرضِ ذَهَبًا؟» فيقولُ: أيْ رَبِّ نَعَمْ، فَيَقُولُ: «كَذَبْتَ، قد سألتُكَ أقَلَّ من ذَلِكَ وأيسَرَ فَلَمْ تَفعَلْ»، فيردُّ إلى النَّارِ.**

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٠٧، ٢٣٩) والحاكم (ج ٢ ص ٧٥).

شرح المفردات

١ ـ أرواحهم في جوف طير خُضْرٍ: قالَ ابن قيم الجوزية في كتاب «الروح»: قال قوم: أرواح المؤمنين عند الله في الجنة، شهداء كانوا أم غير شهداء إذا لم يحبسهم عن الجنة كبير، ولا دين، وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم، وهذا مذهب أبي هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم.

وقالت طائفة: هم بفناء الجنة على بابها يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها. وقالت طائفة: الأرواح على أفنية قبورها. وقال مالك: بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث تشاء.

٢ ـ بطلاع الأرض: طلاعُ الشيء قدره أي ثقل الأرض ووزنها.

المعنى

أكرم الله تعالى الشهداء فجعل أرواحهم في أجواف الطيور الخضر، لأن الطيور ترمز إلى انطلاقها وخفتها والفرحة العارمة التي يشعر بها كل من يراها طائرة في جو السماء بكل حرية وسعادة ونشوة. هكذا هي أرواح الشهداء، تسرح في الجنة كما تسرح الطيور، تأكل من ثمارها، وتشرب من أنهارها، وتتمتع بما فيها من النعيم. ولما نظر الله إليهم أراد أن يزيدهم فرحة وحبورًا وسرورًا فعرض عليهم أن يطلبوا ويسألوا ويتمنوا، وإذا بهم يكتفون بنعيمهم وهنائهم، لكن الله سبحانه كرر عليهم العرض، فما رأوا طلبًا أو حاجة أعظم من أن يردهم الله إلى الدنيا، ويعيدا أرواحهم في أجسادهم لكي يذوقوا طعم الموت ثانية في سبيل الله وفي سبيل نشر الإسلام والتوحيد، وهذا الأمر قد قضى الله عدم حصوله فليطلبوا شيئًا آخر غير هذا، لكنهم لم يروا شيئًا أعظم من هذا ليسألوه، حينذاك يُتركوا ولم يعرض عليهم.

أما في الحديث الرابع، فإن الشهداء لما رأوا ذاك النعيم المقيم الخالد، أحبوا أن يدخلوا الطمأنينة على إخوانهم المجاهدين بأنهم على أحسن حال وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ويأكلون ويشربون، ومن ذا الذي سيوصل إلى إخواننا حالتنا العظيمة هذه لئلا يزهدوا في الجهاد ويتخلفوا عن القتال في سبيل الله. فقال الله سبحانه: **«أنا أبلغهم عنكم»** وأنزل قوله: **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا﴾** إلى آخر الآية.

أما الحديث السادس فقد مرّ شرحه في كتاب القيامة باب تمنيات أهل الجنة والنار.

(٤) باب فضل استشهاد أبي جابر رضي الله عنه

١/٤٠٩ ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال لي:

يَا جَابِرُ؛ مَا لي أراكَ مُنْكَسِرًا؟

قلت: يا رسول الله استُشْهِدَ أبِي؛ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وتَرَكَ عِيالا[1] ودَيْنًا.

قال:

أفلا أبَشِّرُكَ بما لَقِيَ اللهُ بِهِ أبَاكَ؟.

قال: قلت بلى يا رسول الله. قال:

ما كَلَّم الله أحدًا قطُّ إلا من وراء حجابٍ، وأحْيَا أبَاكَ فكَلَّمَهُ كِفَاحًا[2]، فقال: «يا عَبْدِي تَمَنَّ عليَّ أُعْطكَ»، قال: يا ربِّ تُحْيينِي فأُقْتلَ فيك ثانيةً، قال الربُّ عزَّ وجلَّ: «إنه قد سبق مني: أنَّهُمْ إلَيْها لاَ يَرْجِعُونَ».

قال: وأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآية:

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أمْوَاتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩].

(حسن) ـ أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ٤، وابن ماجه في كتاب المقدمة باب ١٣.

شرح المفردات

١ ـ عيالاً: أي أولادًا وكل من يعولهم الرجل وينفق عليهم.

٢ ـ كفاحًا: أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول.

المعنى

في غزوة أحد، يُستشهد والد جابر رضي الله عنهما، فيشعر جابر بالمسكنة والانكسار لفقدان أبيه ولهذه العيال التي تركها له من بعده، فطمأنه رسول الله ﷺ بأن أباه قد أحياه الله وكلمه مواجهة وكفاحًا من دون حجاب بينهما ولا رسول ولا ترجمان وطلب منه أن يسأل

ما يشاء وأن يطلب ما يريد ليلبيه الله له، غير أن عبد الله والد جابر طلب من الله أن يعيده إلى الدنيا ليذوق الموت في سبيله مرة ثانية، ولكن طلبه هذا لا يستجاب لأن الله قد قضى أمرًا وسبق القول منه أنّ من مات في الدنيا فلن يعود إليها أبدًا.

(٥) باب شهداء الطاعون

١/٤١٠ ـ عن عتبة بن عبد السلمي عن النبي ﷺ قال:

يأتي الشهداء والمتوفون بالطاعون، فيقول أصحاب الطاعون: نحن شهداء فيقال: «انظروا؛ فإن كانت جراحهم كجراح الشهداء تسيلُ دمًا ريحَ المسك فهم شهداء» فيجدونهم كذلك.

(حسن) ـ أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ١٨٥) الطبراني في الكبير (جـ ٧/ ٢٩٢).

٢/٤١١ ـ عن عرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال:

يَخْتَصِمُ الشُّهَدَاءُ والمُتَوَفَّوْنَ على فُرُشِهِمْ، إلى رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ، في الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ من الطَّاعُونِ، فيقولُ الشُّهَدَاءُ: إخوانُنا قُتِلُوا كما قُتِلْنَا، ويقول المتوفون على فُرُشِهِم: إخوانُنا ماتُوا على فُرُشِهِم، كما مِتْنا على فُرُشِنَا، فيقول الربُّ عزَّ وجلَّ: **«انظُرُوا إلى جراحِهِم، فإنْ أشبَهَتْ جراحُهُم جراحَ المقتولين فإنهم منهم ومعهم»**، فإذا جراحهم قد أشبهت جراحهم.

(حسن) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٢٨، ١٢٩) النسائي في كتاب الجهاد باب مسألة الشهادة.

المعنى

ليست الشهادة محصورة في الجهاد في سبيل الله حيث ينال صاحبها أعلى الدرجات في نعيم الخلد، ولكن هناك من يكون دونه في الأجر والثواب ولم يقاتل أو يحارب ولكنه سماه الرسول شهيدًا لما يذوقه من ألم ومشقة وعذاب في موته كما قال رسول الله ﷺ فيما رواه مسلم قال: ما تعدُّون الشهداء فيكم؟ قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد. قال: إن شهداء أمتي إذًا لقليل! قالوا: فمنْ يا رسول الله؟ قال: من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات من البطن فهو شهيد، قال ابن مِقْسَمٍ: أشهدُ على أبيك ـ يعني أبا صالح ـ أنه قال: والغريق شهيد.

وهذا ما جاء في الحديثين القدسيين حيث سوّى الله بين الشهداء في سبيل الله وبين

الذين ماتوا في الطاعون، وحتى أن جراحاتهم شابهت جراحات المقاتلين، اللونِ لون الدم، والريح ريح المسك.

(٦) باب من خان غازيًا في أهله

١/٤١٢ ـ عن سليمانَ بنِ بُرَيْدَةَ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال:

حرمةُ نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم وإذا خَلَفَهُ في أهله فخانه، قيل له يومَ القيامة:

هذا خانَكَ في أهلك، فَخُذْ من حسناته ما شِئْتَ؛ فما ظَنُّكم؟!.

أخرجه النسائي في كتاب الجهاد باب من خان غازيًا في أهله.

المعنى

يرشدنا هذا الحديث القدسي الجليل إلى ضرورة تعظيم المجاهدين والحفاظ على أعراضهم ونسائهم، فليس من خلق المسلم أن يغتنم فرصة خروج الرجل إلى القتال ليعتدي على عرضه وشرفه ويخونه في زوجه وأهله، فهذا سيكون عقابه شديدًا يوم القيامة وسيدفع ثمن ذلك حسناته ثم يكون بعد ذلك من الخاسرين.

(٧) باب الإخلاص في القتال

١/٤١٣ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يجيء الرجل آخذًا بيد الرجل فيقول: يا رب هذا قتلني؛ فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: قتلته لتكونَ العزةُ لك. فيقول: فإنها لي ويجيء الرجل آخذًا بيد الرجل فيقول: إنَّ هذا قتلني. فيقول الله له: لم قتَلْتَهُ؟ فيقول: لتكونَ العزةُ لفلانٍ. فيقول: إنها ليست لفلان؛ فيبوء بإثمه.

(صحيح) ـ أخرجه النسائي في كتاب تحريم الدم باب تعظيم الدم.

المعنى

إن القتال لا ينبغي أن يكون لعصبية، ولا لمجرد سفك الدماء، ولا وسيلة لنهب الأموال، ولا في سبيل الزعامة والجلوس على الكرسي، إنما القتال في سبيل الله لتكون راية لا إله إلا الله هي العليا ولكي يدخل الناس في الإسلام ويتركوا الشرك والكفر وإلا فسيلقى القاتل خيبة وخسرانًا مبينًا.

(٨) باب يعجب ربنا من الرجل الغازي ويضحك إليه

١/٤١٤ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

عجب[١] ربنا من رجل غزا في سبيل الله، فانهزم ـ يعني أصحابه ـ فعلم ما عليه، فرجع حتى أُهرِيقَ دَمُهُ، فيقول الله تعالى لملائكته: **«انظروا إلى عبدي رجع رغبةً فيما عندي وشفقةً مما عندي حتى أهريقَ دمه»**.

(حسن) ـ أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب ٣٨.

٢/٤١٥ ـ وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال:

عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ من رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ ثَارَ عن وِطَائِهِ[٢] ولِحَافِهِ[٤] من بَيْنِ أَهْلِهِ وَحيِّه إلى صَلاَتِهِ، فيقول ربُّنا: **«أيا مَلاَئِكتي انظُروا إلى عَبدي، ثَارَ من فِرَاشِهِ ووطَائِه، ومِنْ بين حَيِّهِ وأهلِهِ إلى صَلاَتِهِ، رَغْبَةً فيما عندي، وشفَقَةً مما عندي»**، ورَجُلٍ غزا في سبيل الله عَزَّ وَجلَّ، فانهَزَمُوا فعلِمَ ما عَلَيْهِ من الفِرارِ[٥]، وما لَهُ في الرُّجُوعِ، فَرَجَعَ حتى أُهْرِيقَ دَمُهُ، رَغْبَةً فيما عندي، وَشَفَقَةً مما عِنْدِي» فيقولُ الله عَزَّ وَجَلَّ لملائِكَته: **«انظروا إلى عَبْدي، رَجَعَ رَغْبَةً فِيما عِنْدي، ورهبةً مما عندي، حتى أُهرِيقَ دَمُهُ»**.

(صحيح) ـ ابن حبان (٦٤٣) موارد.

٣/٤١٦ ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

رَجُلاَنِ يضحكُ الله إليهِمَا: رجُلٌ تحته فَرَسٌ من أَمْثَلِ خَيْلِ أصحابِهِ، فَلَقُوا العَدُوَّ فانهزَمُوا وثَبَتَ إلى أن قُتِلَ شَهِيدًا، فَذَلِكَ يَضْحَكُ[٦] الله مِنْهُ، فيقولُ: **«انظُروا عَبْدي لا يَرَاهُ أَحَدٌ غَيْرِي»**.

(حسن لغيره) ـ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (جـ ١١/ ٢٠٢٨١).

٤/٤١٧ ـ وعنه أيضًا قال: يضحك الله عز وجل إلى رجلين: رَجُلٍ لَقِيَ العَدُوَّ وَهُوَ على فَرَسٍ من أَمْثَلِ خيلِ أَصْحَابِهِ، فانْهَزَمُوا وَثَبَتَ، فإنْ قُتِلَ استُشْهِدَ، وإنْ بقِيَ فَذَلِكَ الَّذي يَضْحَكُ الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ، ورَجُلٍ قَامَ فِي جُوفِ اللَّيْلِ، لا يُعْلَمُ بِهِ، فَتَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ[٧]، ثُمَّ حَمِدَ الله، وَمَجَّدَهُ، وصلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، واستَفْتَحَ القرآن، فَذَلِكَ الَّذِي يضحكُ الله عَزَّ وَجَلَّ إليه يقول: **«انظُروا إلى عَبْدِي فإنَّمَا لا يَرَاهُ غَيرِي»**.

(حسن لغيره) ـ أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٧٦١).

٥/٤١٨ ـ وعنه أيضًا قال:

رَجُلاَنِ يضْحَكُ الله إليهما: رجُلٌ تحتهُ فرسٌ من أمثَلِ خَيْلِ أصْحابِهِ، فلقيهم العدو فانهزموا، وثَبتَ الآخر؛ إن قُتِلَ قُتِلَ شهيدًا، فذلك يَضحك الله إليه، وَرَجُلٌ قامَ من اللَّيل، لا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ، فأَسْبَغَ الوضُوءَ، وصلَّى على مُحَمَد ﷺ، وحَمِدَ الله، واستفْتَحَ القِراءَةَ، فيضْحَكُ الله إلَيْهِ يقُول: «**انظُرُوا إلى عَبْدِي لا يَرَاهُ أحدٌ غَيْرِي**».

(حسن لغيره) ـ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (جـ ٨٧٩٨/٩).

٦/٤١٩ ـ وعنه أيضًا:

«ألا إنَ الله يضحكُ إلى رجُلَيْن: رَجُلٍ قام في لَيْلَةٍ باردةٍ، من فراشِهِ ولِحَافِهِ ودثارِهِ[٨]، فَتَوَضَّأَ، ثم قَامَ إلى الصَّلاةِ، فيقولُ الله عزَّ وجلَّ لملائكته: «**ما حَمَلَ عبدِي هَذَا على مَا صَنَعَ؟** فيقولونَ: ربَّنا رجاءَ ما عِندَكَ، وشفقةً ممَا عندكَ، فيقول: «**فإنِّي قد أعْطَيْتُه مَا رَجَا وأمَّنْتُهُ مما يَخَافُ**».

(حسن) ـ أخرجه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (جـ ٢ ص ٢٥٥).

٧/٤٢٠ ـ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«ثلاثَةٌ يُحِبُّهم الله، ويَضْحَكُ إليهِمْ، ويسْتَبْشِرُ بِهِم: الَّذي إذا انكَشَفَتْ فِئَةٌ قاتَلَ وراءها بنفْسِهِ لله عَزَّ وَجَلَّ، فإمَّا أن يُقْتَلَ، وإمّا أن ينصره الله عَزَّ وَجَلَّ ويكفيه، فيقول: **انظروا إلى عبدي هذا كيف صَبَرَ لي بنفسه؟** والذي له امرأة حَسَنَةٌ وَفِراشٌ لَيِّنٌ حسنٌ، فيقومُ من اللَّيلِ، فيقولُ: **يَذَرُ شَهوَتَه وَيَذْكُرُني ولو شاءَ رَقَدَ**، والَّذِي إذَا كان في سَفَرٍ وكان معه ركْبٌ فسهروا ثم هَجعوا[٩] فقام من السحر في ضَرَّارَ وسَرَّارَ.

(حسن) ـ أخرجه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (جـ ٢ ص ٢٥٥) والترغيب والترهيب للمنذري (جـ ١ ص ٥٥٦).

شرح المفردات

١ ـ عجب: مرّ شرحها في هذا الكتاب باب فضل الجهاد.

٢ ـ ثار: قام وترك نومه.

٣ ـ وطائه: فراشه.

٤ ـ لحافه: ما يلتحف به ويغطي نفسه.

٥ ـ علم ما عليه من الفرار: أي علم عقاب الفرار.

٦ ـ يضحك الله منه: كناية عن رضا الله عنه.

٧ ـ أسبغ الوضوء: أي توضأ على أتم وجه.

٨ ـ ودثاره: الدثار هو ما كان فوق الشعار، والشعار هو ما ولي الجسد من الثياب.

٩ ـ هجعوا: ناموا..

المعنى

كل هذه الأحاديث القدسية تشير في مجملها إلى تعظيم الله ورفعته لثلاثة أصناف من الناس، حيث التعجب والضحك لا يليقان بالله عز وجل ويستحيلان عليه لأنهما من صفات المخلوقين، فهما كناية عن الإعظام والتقدير وغاية الرضا عن هذه الأصناف الثلاثة:

الأول: رجل ترك فراشه ولحافه وزوجه وراحته ولذة نومه في جوف الليل حيث يكون الإنسان في غاية متعته وسروره ولذته، فيقوم متهجدًا وتاركًا لكل هذه اللذائذ وينصب قدميه راكعًا وساجدًا لله ربه ويتلو كتاب الله المبارك، ومخلصًا عمله في ذلك كله لله، وبعيدًا عن الناس، ولذلك قال: «في جوف الليل» حيث لا يرى عمله إلا الله سبحانه، وهذا غاية في الإخلاص والإيمان بالله جل وعلا.

الثاني: هو نفسه غير أن هذا يكون في سفر مع قومه ورفقته، وهذا أبلغ من ذاك لأن السفر مظنة التعب والمشقة والنصب، فهو مع سفره المنهك والجالب للجهد والتعب، يقوم بعد ما هجع رفاقه، يقوم من السحر يدعو الله راغبًا وراهبًا يرجو الآخرة ورحمة ربه.

الثالث: هو ذاك المجاهد الغازي في سبيل الله، ينهزم رفاقه ويفرون من ساحات القتال، ويصمد هو صمود الأبطال، ويعلم أن الفرار من الزحف ذنب كبير وعظيم، وأن الإقدام على القتال فيه الأجر الكبير والثواب الجزيل، فآثر الإقدام على الانهزام حتى استشهد في سبيل الله ولذلك يضحك الله منه ويرضى عنه.

كتاب الدماء

(١) باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض

١/٤٢١ ـ عَنْ ثَوْبَانَ، قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: «إِنَّ اللهَ زَوَى[١] لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ، وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ[٢] عَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ[٣]، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً، فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَو اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ـ أَوْ قَالَ: مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا ـ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الفتن حديث ١٩.

وفي رواية أخرى لمسلم عَنْ ثَوْبَانَ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ: مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَأَعْطَانِي الكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ، وَالأَبْيَضَ، ثم ذكر نحو الحديث الأول.

٢/٤٢٢ ـ عن عَامِرِ بن سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ، دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلاً، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاَثًا، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ، فَأَعْطَانِيها، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ[٤] بَيْنَهُمْ، فَمَنَعَنِيهَا».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الفتن حديث ٢٠.

٣/٤٢٣ ـ عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: (زُوِيَتْ لِيَ الأَرْضُ، حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الأَصْفَرَ ـ (أَوِ الأَحْمَرَ)، وَالأَبْيَضَ (يعني الذهب والفضّة) ـ

وَقِيلَ لِي: إِنَّ مُلْكَكَ إِلَى حَيْثُ زُوِيَ لَكَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ثَلاثًا: أَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِي جُوعًا، فَيُهْلِكَهُمْ بِهِ عَامَّةً، وَأَنْ لاَ يَلْبِسَهُمْ شِيَعًا، وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، وَأَنَّهُ قِيلَ لِي: إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ، وَإِنِّي لَنْ أُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِكَ جُوعًا، فَيُهْلِكَهُمْ فِيهِ، وَلَنْ أَجْمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا، حَتَّى يُفْنِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي، فَلَنْ يُرْفَعَ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ مِمَّا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي أَئِمَّةً مُضِلِّينَ وَسَتَعْبُدُ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَسَتَلْحَقُ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ دَجَّالِينَ، كَذَّابِينَ، قَرِيبًا، مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَلَنْ تَزَالَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِي أَمْرُ اللهِ).

(صحيح) ـ أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن باب ٩.

٤٢٤/ ٤ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، عَنْ خَبَّابٍ أَبِيهِ ـ وَكَانَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّهُ رَاقَبَ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ اللَّيْلَةَ كُلَّهَا، حَتَّى كَانَ مَعَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ مِنْ صَلاَتِهِ، جَاءَهُ خَبَّابٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَقَدْ صَلَّيْتَ اللَّيْلَةَ صَلاَةً، مَا رَأَيْتُكَ صَلَّيْتَ نَحْوَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: أَجَلْ، إِنَّهَا صَلاَةُ رَغَبٍ وَرَهَبٍ، سَأَلْتُ رَبِّي ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فِيهَا ثَلاَثَ خِصَالٍ: فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَنْ لا يُهْلِكَنَا بِمَا أَهْلَكَ بِهِ الأُمَمَ قَبْلَنَا، فَأَعْطَانِيهَا وَسَأَلْتُ رَبِّي ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَنْ لاَ يُظْهِرَ عَلَيْنَا عَدُوًّا مِنْ غَيْرِنَا، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لاَ يَلْبِسَكُمْ شيعًا(1)، فَمَنَعَنِيهَا.

(صحيح) ـ أخرجه النسائي في كتاب قيام الليل باب ١٥.

شرح المفردات

١ ـ زوى: جمع.

٢ ـ بسَنَةٍ: بقحط.

٣ ـ بيضتهم: جماعتهم وأصلهم وكذلك معناها العز والملك.

٤ ـ بأسَهم: القتال فيما بينهم.

٥ ـ يلبسَكم شيعًا: لبسَ عليه الأمرَ جعله مشتبهًا بغيره وخافيًا عليه، ويلبسكم شيعًا

أي يجعلكم تشتبهون ويخفي على بعضكم حقيقة بعض في أفكاركم وأقوالكم مما يسبب ذلك أن تكونوا شيعًا أي جماعات متفرقين ويؤدي بكم الخلاف والشتات إلى القتال.

المعنى

إن الله سبحانه وتعالى كشف لرسوله ﷺ المساحة التي ستملكها أمة الإسلام من هذه الأرض، وذلك عندما زواها وجمع بعضها إلى بعض فرأى من ضمن هذه المساحة المشارق فيها والمغارب حيث استنتج العلماء من هذا الكلام أن ملك هذه الأمة سيكون أكثره في جهتي المشرق والمغرب وهذا ما حصل بالفعل، أما في جهتي الشمال والجنوب فالمساحة التي فتحت قليلة بالنسبة إلى ما فتح في المشرق والمغرب.

أما الكنزان الأحمر والأبيض فقالوا: هما الذهب والفضة والمراد بهما كنزا كسرى وقيصر ملكي العراق والشام.

وقد سأل النبي ﷺ لهذه الأمة أن لا يهلكها بسنة عامة أي بقحط وجدب يصيب الأرض في خيراتها فيموتون جوعًا فأعطاه هذه المسألة تفضلاً منه وتكرمًا. وسأله أيضًا أن لا يكون هلاكهم على أيدي أعدائهم فإن فيه من الذلة والهوان والأذى والضر ما فيه، فاستجاب الله له أيضًا في مسألته هذه، حتى لو أن أهل الأرض جميعهم اتفقوا على المسلمين فلن يستطيعوا أبدًا أن يلهكوهم. أما المسألة الثالثة وهي طلب ﷺ من الله سبحانه أن لا يجعل بأسهم بينهم أي لا يجعل القتال فيما بينهم فيتقاتلون فيقتل بعضهم بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا، وأن لا يجعلهم شيعًا وأحزابًا وجماعات وفرقًا متحاربة متقاتلة متشاحنة، فقد منعها الله سبحانه رسوله ﷺ ولم يستجب له فيها، فليحذر المسلمون من الوقوع في هذه المسألة الخطيرة وهذه الفتنة العظيمة، فالحديث هذا ليس لأن نستسلم ونقول هكذا أراد الله فلم يستجب لرسوله ﷺ، بل الحديث ينبهنا ويحذرنا لكيلا نقع في مثل هذه الفتنة العمياء الجهولة وإلا لما دعانا إلى الاعتصام به سبحانه والتمسك بحبله المتين فقال جل شأنه: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا﴾** [آل عمران: ١٠٣]. وقال أيضًا سبحانه: **﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾** [آل عمران: ١٠٥]. وقال أيضًا جل وعلا: **﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء، إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾** [الأنعام: ١٥٩]. ونهانا عن قتل بعضنا بعضًا فقال عز وجل: **﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾** [الإسراء: ٣٣].

أما الحديث الثالث ففيه زيادات وهي: إن السيف إذا وقع على هذه الأمة وكان الاحتكام إليه في كل شيء بدل العقل والمنطق والاحتكام إلى شرع الله والرسول والقرآن،

وظلت الأمة على هذه الحال من التشرذم والتقاتل والتناحر فإن السيف والقتل سيبقى هو الحاكم بينهم ولو استمروا في ذلك إلى يوم القيامة.

ويحذر الله تعالى المسلمين وامة الإسلام من الأئمة المضلين الذين يتسترون بالدين ابتغاء الكسب الذاتي والنفع الشخصي ولا يهمهم الدين في شيء أبدًا، وهذا ما يظهره حالهم وفعالهم وأفعالهم.

ويحذر الله تعالى أيضًا من عبادة الأوثان، ويشير إلى أن هذه الأمة من سيعبد الأوثان ويرتد عن دينه ويلحق بالمشركين متأثرًا بدنياهم أو بعلمهم أو بكثرتهم كما هو حاصل اليوم في أيامنا هذه.

ويذكر الحديث الثالث أيضًا ظهور الدجالين الكذابين الذين يدعون النبوة والرسالة، مستخفين بعقول الناس، لكنه ستتصدى لهؤلاء الكذابين الدجالين، ولأولئك الأئمة المضلين، ولأولئك الذين تركوا أمة الإسلام وعبد الأوثان ولحقوا بحضارة المشركين ستتصدى لأولئك جميعهم طائفة من هذه الأمة الخيرية يثبتها الله تعالى على الحق، وهم منصورون من عند الله سبحانه، لا يضرهم من خالفهم، إلى يوم القيامة.

(٢) باب في ذم القتل

١/٤٢٥ ـ عن جندب رضي الله عنه:

يجيء المقتولُ يومَ القيامة متعلقًا بقاتله، فيقول الله: «فيمَ قتلتَ هذا؟» فيقول: في ملك فلان.

(صحيح) أخرجه الألباني في الجامع الصغير (٧٩٠٩/٦).

وأخرجه النسائي في كتاب تحريم الدم باب ٢ (تعظيم الدم) بلفظ مختلف وهو:

عن جندب قال: حدثني فلان أن رسول الله ﷺ قال:

يجيء المقتول بقاتله يوم القيامة فيقول: سلْ هذا فيم قتلني؟ فيقول: قتلته على ملك فلان.

قال جندب: فاتَّقِهَا.

المعنى

إن القاتل سيتشبث به المقتول وسيمسكه من تلابيب ثيابه ويجره إلى الحساب ليشكوه

إلى الله، فيسأله الله تعالى: لماذا قتلت هذا الإنسان وما هو السبب في ذلك؟ فما كان جواب القاتل إلا أن قال لقد قتلته في ملك فلان وعلى ملك فلان أي بسبب السلطان أو غضبًا للحاكم أو في عهد الملك فلان حيث كانوا متسلطين على العباد يشكون دم من يشاؤون، وهذا من أعظم البلايا وأقسى الفتن وأشد المصائب وأفتك الجرائم حيث يقتل الإنسان هكذا بغير سبب يحيج إلى ذلك أو بغير حدٍّ شرعي كما أمر الله سبحانه ولذلك قال جندب: فاتّقها أي فاجتنبها واحمِ نفسك من هذه الخطيئة الشنيعة.

(٣) باب لا توبة للقاتل

١/٤٢٦ ـ وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه سأله سائل:

فقال: يا أبا العباس هل للقاتِل من توبةٍ؟ فقال ابنُ عباس كالمتعجِّب مِنْ شَأْنِهِ: ماذا تقولُ؟ فأَعَادَ عليهِ المسألةَ. فقَالَ لَه: ماذا تقولُ؟ مرتين أو ثلاثًا. ثم قَالَ ابنُ عباسٍ: أنّى لهُ التوبةُ[1]!! سمعت نَبِيَّكُمْ ﷺ يقول:

يأتي المقتولُ مُتَعَلِّقًا رأسَهُ بإحدى يَدَيْهِ، مُتَلَبِّبًا[2] قَاتِلَهُ بِيدِهِ الأُخْرَى، تَشْخُبُ[3] أوْدَاجُهُ دَمًا، حَتّى يَأتِيَ به العَرْشَ، فيقولُ المقتولُ لله: رَبِّ هذا قَتَلَني، فيقولُ الله عَزَّ وَجَلَّ للقاتل: «تَعِسْتَ» ويُذْهَبُ به إلى النّار.

(حسن) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٠٧٤٢).

شرح المفردات

١ ـ أنّى له التوبة: كيف له أن تقتل توبته أي لا توبة له.

٢ ـ متلببًا: جامعًا ثياب المقتول إلى نحره وكذلك يفعل المتخاصمان.

٣ ـ تشخُبُ أوداجه: أي تنزف شرايينه دمًا.

المعنى

يستفاد من الحديث القدسي الذي بين أيدينا أن القاتل المتعمد في قتله ليس له توبة عند الله سبحانه، وهذا هو مذهب ابن عباس وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وأبو سلمة بن عبد الرحمن وعبيد بن عمير والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم. وهو أي القاتل مخلد في النار وغضب الله عليه ولعنه.

وأخرج البخاري ومسلم والنسائي من طرق كثير: منها عن سعيد بن جبير قال: اختلف أهل الكوفة في قوله تعالى: **﴿ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابًا عظيمًا﴾** [النساء: ٩٣]. فرحلتُ إلى ابن عباس فسألته عنها فقال: هي من آخر ما نزل، وما نسخها شيء. وقال ابن عباس في رواية الطبراني: أن الرجل إذا عرف شرائع الإسلام ثم قتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم، ولا توبة له.

والذي عليه سلف الأمة وخلفها، أن القاتل له توبة، فإن تاب وأناب وخشع وغضب وعمل صالحًا غفر الله له، وعوّض المقتول من ظلامته يوم القيامة، والآيات كثيرة في غفران الذنوب إلا الشرك **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾** [النساء: ٤٨]. وقد تواردت الأحاديث بأنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى ذرة من إيمان.

قال ابن حجر في فتح الباري: يُحمل ما جاء عن السلف من عدم قبول توبة القاتل المتعمد على التغليظ والتحذير من القتل، وليس في الآية التي احتج بها ابن عباس تصريح بأنه يخلد، وإنما فيها أنه جزاؤه، ولا يلزم منه أن يجازى به، وقد جاء في الصحيحين حديث الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس وتاب الله عليه. (من كتاب «هذا حلال وهذا حرام» للمؤلف عبد القادر أحمد عطا).

(٤) باب تحريم قتل النفس

١/٤٢٧ ـ عن جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

كان فيمن كان قبلكم رجلٌ به جرحٌ، فجزع[1] فأخذَ سكينًا فحزَّ بها يدَه، فما رقأ[2] الدمُ حتى مات. قال الله تعالى: **«بادرني عبدي بنفسه، حَرّمْتُ عليه الجنّة»**.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ٥٠ وفي كتاب الجنائز باب ٨٣.

٢/٤٢٨ ـ وعنه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

إن رجلاً ممن كان قبلكم، خَرَجَتْ به قُرْحَةٌ، فلما آذته، انتزعَ سهمًا من كِنانته[3]، فنكأها[4]، فلم يرقأ الدمُ حتى مات، قال ربكم: **«قد حرمتُ عليه الجنةَ»**.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث ١٨٠.

٣/٤٢٩ ـ وعنه أيضًا:

أن رجلاً أصابته جراحةٌ، فحمل إلى بيته، فآلمت جراحته، فاستخرجَ سهمًا من

كنانته، فطعنَ بها في لَبَّتِهِ[٥]، فذكروا ذلك عند النبي ﷺ فقال فيما يروي عن ربه عز وجل: «سابقني بنفسه»[٦].

(صحيح لغيره) ـ أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ٣١٢).

شرح المفردات

١ ـ جزع: لم يصبر على الألم.

٢ ـ فما رقأ الدم: لم ينقطع.

٣ ـ كِنانته: جعبة النشاب توضع فيها السهام وسميت كنانة لأنها تكن السهام أي تسترها.

٤ ـ فَنَكَأَهَا: قشرها وخرقها وفتحها.

٥ ـ لَبَّتِهِ: منحره وهو أسفل العنق.

٦ ـ سابقني بنفسه: استعجل الموت من كثرة الألم فقتل نفسه.

المعنى

هذا جزاء من يقتل نفسه سواء كان بمرض مؤلم أو وجع شديد أو بسبب يأس من الحياة، جزاؤه أن يُحرم من دخول الجنة.

قال الإمام ابن حجر في فتح الباري:

وفي الحديث تحريم قتل النفس سواء كانت نفس القاتل أم غيره، وقتل الغير يؤخذ تحريمه من هذا الحديث بطريق الأولى.

وفيه الوقوف عند حقوق الله ورحمته بخلقه حيث حرم عليهم قتل نفوسهم وأن الأنفس ملك الله.

وفيه التحديث عن الأمم الماضية وفضيلة الصبر على البلاء وترك التضجر من الآلام لئلا يفضي إلى أشد منها.

وفيه تحريم تعاطي الأسباب المفضية إلى قتل النفس.

أما بالنسبة لقوله «حرمت عليه الجنة» فقد ذكر الإمام ابن حجر في تأويلها عدة أوجه:

أحدها: أنه كان استحل ذلك الفعل فصار كافرًا.

ثانيها: كان كافرًا في الأصل وعوقب بهذه المعصية زيادة على كفره.

ثالثها: أن المراد أن الجنة حرمت عليه في وقت ما كالوقت الذي يدخل فيه السابقون أو الوقت الذي يعذب فيه الموحدون في النار ثم يخرجون.

رابعها: أن المراد جنة معينة كالفردوس مثلاً.

خامسها: أن ذلك ورد على سبيل التغليظ والتخويف وظاهره غير مراد.

سادسها: أن التقدير حرمت عليه الجنة إن شئت استمرار ذلك.

سابعها: قال النووي: يُحتمل أن يكون ذلك شرع من مضى أن أصحاب الكبائر يكفرون بفعلها.

كتاب الموت

(١) باب كراهية النفس للموت

١/٤٣٠ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

قالَ الله تبارك وتعالى للنفسِ: «**اخرجي**». قالتْ: لا أخرجُ إلا كارهةً. قال: «**اخرجي وإن كَرِهتِ**».

(صحيح) ـ أخرجه البزار (جـ ١/ ٧٨٣). والبخاري في الأدب المفرد (٢١٩) وفي تاريخه الكبير (٢/ ١/ ٢٧٥).

٢/٤٣١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجلَّ ـ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.

(صحيح) أخرجه البخاري في الرقاق باب ٣٨. أحمد في مسنده (٦/ ٢٥٦).

٣/٤٣٢ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

قال الله عز وجل: «**وما ترددت عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن موتِه، فإنه يكره الموتَ وأنا أكرهُ مَسَاءَتَهُ**» يعني المؤمن.

(صحيح لغيره) أخرجه ابن أبي عاصم (جـ ١/ ٤١٤).

ملاحظة: لقد تمّ شرح هذه الأحاديث مستوفىً في أول كتاب العبادات فليراجع.

(٢) باب قول العبد الحمد لله عند النزع

١/٤٣٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إن الله عز وجل يقول: «**إن عبدي المؤمنَ عندي بمنزلة كلِّ خير، يحمدُني وأنا أنزع نفسه من بين جنبيه**».

(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٤١، ٣٦١).

٢/٤٣٤ ـ عن ابن عباس وعن أبي هريرة رضي الله عنهم:

قال الله تعالى: «إن المؤمن مني يعرضُ كلِّ خير، أني أنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمدني».

(صحيح) أخرجه الحكيم الترمذي كما في كنز العمال (جـ ٣/ ٦٦٩٠).

المعنى

لقد مرّ في الأحاديث السابقة في الباب السابق أن المؤمن يكره الموت لأنه يسبب له الألم والازعاج والضيق وهذا ليس بغريب وليسَ مما يؤاخذ عليه المؤمن لأن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: مَنْ أحبَّ لقاء الله أحبَّ اللهُ لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. فقلت: يا نبيَّ الله، إكراهية الموت فكلنا يكره الموت؟ قال: ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا بُشِّر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحبَّ الله لقاءه، وإن الكافر إذا بُشِّر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه. رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

وكراهية المؤمن للموت لا تمنعه من أن يصبر على مصيبة الموت التي هي من أعظم المصائب، بل لا تمنعه من الحمد لله على هذه المصيبة الكبرى ولذلك جاء هنا في الحديث القدسي أنه يحمد الله مع أن الله أمر عزرائيل عليه السلام أن ينزع روحه، فهو عند النزع يحمد الله ويشكره ويستسلم لأمر الله سبحانه، وهذا الحمد من المؤمن يعود بالخير العميم والثواب الكبير عليه من الله سبحانه وتعالى.

(٣) باب حب المؤمن للقاء ربه

١/٤٣٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تبارك وتعالى:

«إذا أحب عبدي لقائي أحببتُ لقاءه، وإذا كره لقائي كرهتُ لقاءه».

(صحيح) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الجنائز باب جامع الجنائز حديث ٥٠ والبخاري في كتاب التوحيد باب ٣٥. النسائي في كتاب الجنائز باب ١.

المعنى

قد أوضحنا هذا الموضوع في الباب السابق وذكرنا فيه حديثًا عن النبي ﷺ يفصل حبَّ العبد للقاء ربه، أو كره العبد ذلك فليُرجع إليه من شاء.

(٤) باب تلقي الملائكة لروح المؤمن

١/٤٣٦ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

إذا خرجت روح المؤمن تلقَّاها ملكان يُصْعِدَانِهَا ـ قال حماد: فذكر من طيب ريحها، وذكر المِسْكَ ـ قال:

ويقولُ أهلُ السَّمَاء: رُوحٌ طيبةٌ جَاءتْ مِنْ قِبَلِ الأرض، صلَّى الله عَلَيْك وعلى جَسَدٍ كنتِ تَعْمُرِينَهُ فَيُنطَلَقُ بِهِ إلى ربه عَزَّ وجلَّ، ثم يقولُ: «**انطلقوا به إلى آخر الأَجَلِ**»[١]. قال: وإنَّ الكافرَ إذا خرجتْ رُوحُهُ ـ قال حَمَّادُ: وذكرَ من نَتْنِها وذكَرَ لَعْنًا ـ ويقولُ أهلُ السَّماءِ: رُوحٌ خَبيثةٌ جاءتْ من قِبَلِ الأرْضِ، قال: فيقالُ: «**انطلقوا به إلى آخر الأجلِ**».

قال أبو هريرة: فردَّ رسولُ الله ﷺ رَيْطَةً[٢] كانت عَلَيْه على أنْفِهِ هكذا.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الجنة حديث ٧٥.

٢/٤٣٧ ـعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال:

خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبرِ ولمَّا يُلْحَدْ[٣]، فجلس رسولُ الله ﷺ، وجلسنا حوله، وكأنَّ على رؤوسنا الطيرَ، وفي يَدِهِ عودٌ ينكتُ في الأرض فرفع رأسَهُ فقال:

استعيذوا بالله من عذاب القبر، مرتين أو ثلاثًا، ثم قال: إن العبدَ المؤمنَ إذَا كانَ في انقطاع من الدنيا، وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيضُ الوجوهِ، كأنَّ وُجُوهَهُمُ الشمسُ، معهم كَفَنٌ من أكفانِ الجنَّةِ وحَنُوطٌ من حَنُوطِ الجنة، حتى يجلسوا منه مَدَّ البصر، ثم يَجيءُ مَلَكُ الموتِ عليه السلامُ حتى يجلسَ عند رأسِهِ، فيقولُ: أيها النفس الطيبةُ أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوانٍ، قال: فتخرجُ تسيلُ كما تسيلُ القطرةُ مِنْ فِي[٤] السِّقَاءِ، فيأخُذُها فإذا أخَذَهَا لم يَدَعُوهَا في يدهِ طرفةَ عَيْنٍ حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفنِ، وفي ذلك الحَنُوط، ويخرج منها كأطيب نفحةِ مسكٍ وُجِدَتْ على وجه الأرض، قال: فيصعدونَ بها، فلا يمرون يعني بها على ملأٍ من الملائكةِ إلا قالوا: ما هذا

الروحُ الطيبُ؟ فيقولون: فلانُ بن فلانٍ بأحسَنِ أسمائِهِ التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستَفْتِحونَ له، فَيُفْتَحُ لهمْ، فَيُشَيِّعهُ من كلِّ سماءٍ مُقَرَّبُوها، إلى السماء التي تليها، حتى يُنْتَهَى به إلى السماء السَابعةِ، فيقولُ الله عزَّ وجلَّ: «**اكتبوا كتابَ عَبْدي في علِّيين، وأعيدوهُ إلى الأرض، فإني منها خَلَقْتُهُمْ، وفيها أعيدهم، ومنها أُخرِجُهُم تارةً أُخرى**»، قال: فَتُعَادُ رُوحُه في جسدِهِ فيأتيه مَلَكَان فَيُجْلِسانه فيقولانِ له: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقولُ: ربي الله، فيقولان له: ما دينُكَ؟ فيقولُ: ديني الإسلامُ، فيقولانِ له: ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقولُ: هو رسولُ الله ﷺ. فيقولانِ له: وما عملُكَ؟ فيقولُ: قرأتُ كتابَ الله فآمنتُ به وصدقتُ، فينادي منادٍ في السماءِ: «**أنْ صَدَقَ عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنةِ، وافتحوا له بابًا إلى الجنة**»، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويُفْسَحُ له في قبرِه مَدَّ بصرِهِ. قال: ويأتيه رجلٌ حسنُ الوجْهِ حَسنُ الثيابِ طَيِّبُ الريحِ فيقولُ: أبشرْ بالذي يَسُرُّكَ، هذا يومُكَ الذي كنتَ تُوعَدُ، فيقولُ له: من أنتَ؟ فوجهُكَ الوجهُ يجيءُ بالخير، فيقولُ: أنا عملُكَ الصالح، فيقولُ: ربي أقِمِ الساعة حتى أرجعَ إلى أهلي ومالي. قال:

وإن العبدَ الكافرَ إذا كانَ في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزلَ إليه من السماءِ مَلائكةٌ سودُ الوجوهِ، معهم المسوحُ فيجلسونَ منه مدَّ البصرِ، ثم يجيءُ مَلَكُ الموتِ حتى يجلس عند رأسِهِ، فيقول: أيتها النفس الخبيثةُ أخرجي إلى سخطٍ من الله وغضبٍ، قال: فَتَفَرَّقُ في جسدِهِ، فينتزعُها كما ينتزعُ السَّفُّودَ(٥) من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يده طرفةَ عَيْنٍ حتى يجعلوها في تلك المسوحِ(٦)، ويخرجُ منها كأَنْتَنِ ريحِ جيفةٍ وجِدَتْ على وجهِ الأرضِ، فيصْعَدُونَ بها، فلا يمرون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروحُ الخبيثُ؟ فيقولون: فلانُ بن فلان بأقبح أسمائِهِ التي كان يُسَمَّى بها في الدنيا حتى يُنْتَهَى به إلى السماءِ الدنيا، فَيُسْتَفْتَحُ له فلا يُفْتَحُ له، ثم قرأ رسول الله ﷺ:

﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَآءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: «**اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السُّفلى**»، فتطرحُ روحُهُ طرحًا ثم قرأ:

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه

لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيُنَادي مُنَادٍ من السماء: **«أنْ كَذَبَ فافرشُوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار»**، فيأتيه من حَرِّها وسَمُومِها، ويُضيِّقُ عليه قبرهُ، حتى تختلفَ أضلاعُه، ويأتيه رجل قبيحُ الوجْهِ، قبيحُ الثيابِ، مُنْتِنُ الريحِ، فيقولُ: أبشرْ بالذي يَسُوءُكَ هذا يومُكَ الذي كنتَ تُوعدُ، فيقولُ: مَنْ أنتَ؟!! فوجهُكَ الوجهُ يجيءُ بالشرِّ، فيقول: أنا عملُكَ الخبيثُ، فيقولُ: ربِّ لا تُقِم الساعةَ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ٢٨٧، ٢٨٨) وأبو داود في كتاب السنة باب ٢٦ والحاكم (جـ ١ ص ٣٧)، والطيالسي (٧٥٣) وعبد الرزاق (٦٧٣٧).

شرح المفردات

١ ـ آخر الأجل: قال القاضي عياض كما في شرح النووي: المراد بالأول انطلقوا بروح المؤمن إلى سدرة المنتهى، والمراد بالثاني انطلقوا بروح الكافر إلى سجين فهي منتهى الأجل، ويحتمل إلى انقضاء أجل الدنيا.

٢ ـ ريطة: ملاءة أو ثوبًا رقيقًا رده على أنفه بسبب ما ذكر من نتن روح الكافر.

٣ ـ ولما يُلحدْ: أي لم يُشَقّ بعد. واللَّحْدُ هو الشقُّ يكون في جانب القبر.

٤ ـ في السقاء: فم السقاء.

٥ ـ السَّفُّود: هو الحديده الرقيقة والطويلة التي يُشوى بها اللحم.

٦ ـ المسوح: مفردها مِسْح وهو الثوب الغليظ يتخذ من الشعر.

(٥) باب فضل أهل البلاء وجزاؤهم

١/٤٣٨ ـ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

«يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يومَ القيامة، فيُصبغُ[١] في النار صَبغةً، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيتَ خيرًا قطُّ؟ هل مرَّ بك نعيم قطُّ؟ فيقول: لا والله يا ربِّ. ويُؤتى بأشدِّ الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغُ صَبغةً في الجنة، فيُقال له: يا ابن آدمَ، هل رأيت بُؤسًا قطُّ؟ هل مرَّ بك شدة قطُّ؟ فيقول: لا والله يا ربِّ، ما مرَّ بي بؤس قطُّ، ولا رأيت شدةً قطُّ.

(صحيح) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين حديث ٥٥.

٢/٤٣٩ ـ عَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ كَانَ بَلاَءً فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَصْبِغُوهُ[٢] صِبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُصبِغُونَهُ فِيهَا صِبْغَةً، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ أَوْ شَيئًا تَكْرَهُهُ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَكْرَهُهُ قَطُّ، ثُمَّ يُؤْتَى بِأَنْعَمِ النَّاسِ كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَقُولُ أَصْبِغُوه فِيها صِبْغَةً فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ، قُرَةَ عَيْنٍ قَطُّ، فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْتُ خَيْرًا قَطُّ، وَلاَ قُرَةَ عَيْنٍ قَطُّ».

(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٥٣).

شرح المفردات

١ ـ فيُصبغُ: فيُغمسُ.

٢ ـ أصبغوه: أغمسوه.

المعنى

صحيح أن المؤمن يلاقي من العذاب والبلاء والمصائب في الدنيا الشيء الكثير والعظيم، لكنه في الدار الآخرة وعندما تغمسه الملائكة في الجنة وأنهارها ويرى لذائذها والتنعيم فيها سوف ينسى كل هذه الآلام وكل هذه المصائب. أما الكافر الذي يصاب أيضًا في دنياه بمصائب فيكون شرًا عليه في الدنيا والآخرة، أما إذا كان الكافر مُنعَّمًا في دنياه، ويعطيه الله متاع الدنيا والمال والجاه والقوة والصحة مع بقائه على كفره وعناده لدين الله، فإنه يأتي يوم القيامة وبغمسة واحدة من ملائكة العذاب له في نار جهنم سوف ينسى ذلك النعيم كله الذي كان له في الدنيا وسيقول ما رأيتِ خيرًا ولا نعمة قطُّ.

فالمؤمن يثاب على صبره وعلى شكره، وأما الكافر فإنه مهما فعل من خيرات وأعمال بارة صالحة فلن يقبلها الله منه ويأتي يوم القيامة صحيفته خالية من الصالحات والحسنات كما روى مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنةً يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعمُ بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنةٌ يُجزى بها» رواه مسلم في كتاب صفات المنافقين حديث ٥٦.

(٦) باب ثواب الصبر على مَوْت الأقارب والأصفياء

١/٤٤٠ ـ عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال:

إذا ماتَ ولدُ العبدِ قال الله لملائكته: «**قبضتم ولدَ عبدي؟**» فيقولون: نعمْ، فيقول: «**قبضتم ثمرةَ فؤادِهِ؟**» فيقولون: نعمْ. فيقولُ: «**ماذا قال عبدي؟**» فيقولون: حَمِدَكَ واسترجع[1]، فيقول الله: «**ابنوا لِعبدي بيتًا في الجنة، سمُّوه بيتَ الحمد**».

(حسن لغيره) ـ أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز باب ٣٦، وأحمد (جـ ٤ ص ٤١٥)، وابن حبان في صحيحه (٧٢٦ ـ موارد) وغيرهم.

٢/٤٤١ ـ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

يقول الله تعالى: «**ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضت صفيّه[2] من أهلِ الدنيا ثم احتسبه[3] إلا الجنة**».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب ٦.

٣/٤٤٢ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ بَيْنَهُمَا ثَلاثَةُ أَوْلادٍ، لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ[4]، إِلاَّ أَدْخَلَهُمَا اللهُ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمُ الْجَنَّةَ، قَالَ: يُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا، فَيَقُولُ: ادْخُلُوا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ.

أخرجه النسائي في كتاب الجنائز باب ٢٥.

٤/٤٤٣ ـ عَنْ عَلِيٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ السِّقْطَ[5] لَيُرَاغِمُ (أي يغاضب ويجادل) رَبَّهُ إِذا أَدْخَلَ أَبَوَيْهِ النَّارَ، فيُقالُ: أَيُّها السِّقْطُ الْمُرَاغِمُ (أي المغاضب المجادل) رَبَّهُ، أَدْخِلْ أَبَوَيْكَ الْجَنَّةَ، فَيَجُرُّهُمَا بِسَرَرِهِ[6] حَتَّى يُدْخِلَهُمَا الْجَنَّةَ.

أخرجه ابن ماجه في كتاب الجنائز باب ٥٨.

شرح المفردات

١ ـ واسترجع: قال إنا لله وإنا إليه راجعون.

٢ ـ صفيّه: من يصطفيه ويحبه ويعز عليه.

٣ ـ احتسبه: أي عدّه عند الله خيرًا ونوى به وجه الله.

٤ ـ الحنث: الإثم والذنب، أي لم يبلغوا المعصية والطاعة بالبلوغ ولم يجر عليهم القلم.

٥ ـ السِّقط: الذي يسقط من بطن أمه قبل تمام خلقته.

٦ ـ بسرره: جمع سُرّة وهي ما تقطعه القابلة من الطفل عند ولادته أو سقوطه.

المعنى

إن المعنى واضح وجلي إن الله سبحانه يعطي الثواب العظيم لكل من صبر على فقدان ولده. سواء اكتمل في خلقته أم لم يكتمل وكان سقطًا، ثم حمد الله ربه واسترجع واحتسب الأجر عند الله رب العالمين. فهذا العابد الصابر المحتسب ستبني له الملائكة بيتًا عظيمًا في الجنة هو بيت الحمد، وفي الحديث الثاني له الجنة، وفي الحديث الثالث يشفع له أولاده الذي صبر على موتهم وفقدانهم، وفي الحديث الرابع صورة ولا أجلى، ومشهد ولا أعظم، حيث السقط يجادل ويدافع عن أبيه وأُمه اللذين تحملا وصَبرا وسلما لأمر الله واستسلما من دون تأفف ولا انزعاج، ويبقى السقط يجادل ويجادل حتى يقول له ربه: أدخل أبويك الجنة، فيجرهما ويسحبهما ويسوقهما بسرره إلى الجنة.

(٧) باب الصبر عند الصدفة الأولى

١/٤٤٤ ـ عَن أبي أمَامَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: ابْنَ آدَمَ، إنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى، لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَابًا إلاَّ الْجَنَّةَ.

(صحيح) أخرجه ابن ماجه في كتاب الجنائز باب ٥٥.

المعنى

الصبر الحقيقي هو عندما يكون عند الصدمة الأولى وعند أول نزول المصيبة على المؤمن. وذلك حين يكون تأثيرها على نفسه صعبًا وقاسيًا، فيصير ويحتسب ويتحمل في سبيل نيل رضا الله سبحانه، أما بعد أن يبدي انزعاجه ويظهر اعتراضه وتململه مما وقع عليه من مصائب ويهدأ حاله فصبره حينئذاك لا طعم له ولا يبرهن عن حسن استسلامه لأمر الله، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «الصابرُ الصابرُ عند الصدمة الأولى» رواه البخاري.

(٨) باب ثواب الصبر على فقد العينين

١/٤٤٥ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُول: إنَّ الله تَعَالَى قَالَ: «إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ». يريد عينيه.

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب المرضى باب ٧. أحمد في مسنده (٣/ ١٤٤).

٢/٤٤٦ ـ وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

إن الله يقول: «إذا أخذت كريمتي[1] عبدي في الدنيا لم يكن له جزاءٌ عندي إلا الجنة».

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب ٥٧.

٣/٤٤٧ ـ وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

قال الله عز وجل: «إذا أخذت بصرَ عبدي فصبرَ عليه واحتسبَ[2] فعِوضُهُ عندي الجنةُ».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (ج ٣ ص ١٥٦).

٤/٤٤٨ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه إلى النبي ﷺ قال:

يقول الله عز وجلّ: «من أذهبت حبيبتيه فصبرَ واحتسبَ لم أرض له ثوابًا دونَ الجنة».

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب ٥٧. والدارمي في كتاب الرقائق باب ٧٥.

٥/٤٤٩ ـ وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:

يقول الله تبارك وتعالى: «إذا أخذتُ كريمتيْ عبدي فصبرَ واحتسبَ لم أرضَ له ثوابًا دونَ الجنةِ».

(صحيح) ـ أخرجه ابن حبان (٧٠٥ موارد).

٦/٤٥٠ ـ وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ:

إن الله أوحى إليّ أنه: «من سلك مسلكًا في طلب العلم سهّلت له طريقَ الجنةِ، ومن سلبتُ كريمتيه أثبْتُهُ عليهما الجنةَ، وفضلٌ في علمٍ خيرٌ من فضلٍ في عبادةٍ، وملاكُ الدينِ الورعُ».

(صحيح) ـ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان كما في صحيح الجامع الصغير للألباني (جـ ٢/ ١٧٢٣).

٧/٤٥١ ـ وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

يقول الله عز وجل: «يا ابن آدم إذا أخذتُ كريمتيك فصبرتَ واحتسبتَ عند الصدمة الأولى لم أرضَ لك بثوابٍ دونَ الجنةِ».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٥ ص ٢٥٨).

شرح المفردات

١ ـ كريمتي: عيني.

٢ ـ احتسَبَ: عدَّه عند الله خيرًا ونوى به وجه الله.

المعنى

العينان أغلى شيء عند الإنسان ولذلك سماهما الله تعالى بالحبيبتين وبالكريمتين، فإن صبر المسلم على هذا البلاء العظيم، واحتسب الأجر من الله وطلبه منه وحده لا سواه، وصبر ابتغاء رحمة الله تعالى، كان ثوابه على ذلك دخوله الجنة، والحمد لله على هذه النعمة الكبرى حيث يثيب الله عباده ويغفر لهم بصبرهم وحسن استرجاعهم، وهذا ما يفعله العاقل الأريب، ولذلك قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنْ صبرتَ على البلاء كنتَ مأجورًا ومضى أمرُ الله، وإن جزعتَ وتفحشتَ بالقول كنت مأزورًا ومضى أمرُ الله أيضًا.

وكل هذا الثواب لذلك المؤمن، شرطه أن يكون مستقيمًا مطيعًا لأوامر الله متبعًا لرسوله ﷺ.

(٩) باب المريض يُكتبُ له ما كان يعمل في صحته

١/٤٥٢ ـ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

إذا ابْتلى اللهُ العبدَ المسلم ببلاء في جسدِهِ قال اللهُ: «اكتبْ له صالحَ عملِهِ الذي كانَ يعملُهُ»، فإن شفاهُ غسلَهُ وطهَّرَهُ، وإنْ قبضَهُ غَفَرَ له ورَحِمَهُ.

(حسن) ـ أخرجه أحمد (جـ ٣ ص ١٤٨، ٢٣٨)، والبغوي (جـ ٥/ ١٤٣٠).

٤٥٣/ ٢ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ:

إنّ العبدَ إذا كانَ على طريقة حسنةٍ من العبادة ثم مرضَ، قيلَ للمَلَكِ الموكلِ به: «**اكتبْ له مثلَ عملِهِ إذا كان طليقًا حتى أطلقَهُ أو أكْفِتَهُ**[1] **إليّ**».

(حسن) ـ أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ٢٠٣)، والبغوي (جـ ٥/ ١٤٢٩).

٤٥٤/ ٣ ـ وعن عبد الله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ:

ما من أحد من المسلمين يصابُ ببلاءٍ في جسدِه إلا أمر الله تعالى الحفظة الذين يحفظونه قال: «**اكتبوا لعبدي في كل يوم وليلة مثل ما كان يعمل من الخير ما دام محبوسًا في وثاقي**».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ١٩٨، ١٩٤)، والدارمي في كتاب الرقائق باب ٥٧.

٤٥٥/ ٤ ـ وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: إذا اشتكى العبدُ المسلمُ أمرَ اللهُ تبارك وتعالى الذين يكتبون عملَه فقال: «**اكتبوا عمله إذا كان طليقًا حتى أقبضَه أو أطلقَه**».

(صحيح) ـ أخرجه البزار (جـ ١/ ٧٥٩).

٤٥٦/ ٥ ـ وعن عقبة بن عامر يحدث عن النبي ﷺ أنه قال:

ليس من عملِ يومٍ إلا وهو يختم عليه، فإذا مرضَ المؤمن قالت الملائكةُ: يا ربنا عبدك فلان قد حبستَه، فيقولُ الربُّ عز وجلُّ: «**اختموا له على مثلِ عملِه حتى يبرأ أو يموتَ**».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ١٤٦)، والطبراني في الكبير (جـ ١٧/ ٧٨٢).

٤٥٧/ ٦ ـ عن أبي الأشعث الصنعاني أنه راحَ إلى مسجدِ دمشقَ وهَجّر[2] بالرَّواحِ فلقي شداد بن أوس والصنابحيّ معه قال فقلت: أين تريدان يرحمكما الله؟ قالا: نريدُ ههنا إلى أخ لنا مريضٍ نعودُهُ[3]، فانطلقتُ معهما حتى دخلا على ذلك الرجل، فقالا له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بنعمة، فقال له شداد: أبشرْ بكفاراتِ السيئات وحَطِّ الخطايا، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

إن اللهَ عَزَّ وجَلَّ يقولُ: «**إني إذا ابتليتُ عبدًا من عبادي مؤمنًا فحمدني على ما ابتليتُهُ فإنه يقومُ منْ مَضْجَعه ذلك كيوم ولدتْهُ أمُّه من الخطايا**»، ويقول الربُّ عَزَّ وَجَلَّ: «**أنا قيدتُ عبدي وابتليتُهُ، وأجْروا**[٤] **له كما كنتم تُجْزُون له وهو صحيحٌ**».

(حسن) ـ أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ١٢٣)، والطبراني (جـ ٧/٧١٣٦).

٧/٤٥٨ ـ عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

إن العبد إذا مرض أوحى الله إلى ملائكته: يا ملائكتي أنا قيدت عبدي بقيدٍ من قيودي، فإن أقبضْه أغفرْ له، وإن أعافِه فحينئذٍ يقعدُ ولا ذَنْبَ له.

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (جـ ٤ ص ٣١٣)، والطبراني في الكبرى. (جـ ٨/ ٧٠٠١)، والبغوي (جـ ٥ ص ٢٣٧).

شرح المفردات

١ ـ أكْفِتَهُ إليّ: أُعيدُه إليّ أي أقبضُ روحَهُ. وأصل الكفتِ هو الضم والكِفاتُ هو الموضع الذي يُكفَتُ فيه الشيء.

٢ ـ هجّر: بكَّر.

٣ ـ نعوده: نزوره.

٤ ـ أَجْروا لَهُ: اكتبوا أجره وثوابه وإن كان لا يفعل العمل.

المعنى

إن كرم الله واسع وعظيم، وهو جل شأنه يحاسب عبده على نيته وحسن عزيمته، فإن كانت نيته طيبة وكان عازمًا بحق وصدق والله أعلم بحال عبيده، فإن كان كذلك عازمًا على فعل الطاعات والعبادات لكنه منعته ظروف صعبة أو مرض خطير أو مصيبة كبرى أو أي شيء آخر من مثل تلك الأشياء، فإن الله عز وجل لن يترك عبده بل يأمر ملائكته بأن يكتبوا له في صحيفة حسناته كل الأعمال وكل العبادات وكل الطاعات التي كان يقوم بها عندما كان صحيحًا معافى، فإن شُفي من مرضه وعافاه الله كان طاهرًا من ذنوبه، وخالصًا من خطاياه، وخرج نقيًا صافيًا، وإن قبضه الله إليه غفر له وأنزل عليه رحمته وسكينته.

(١٠) باب ثواب الصبر على الحمّى

١/٤٥٩ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه عادَ مريضًا ومعه أبو هريرة من وعك[١] كان به فقال له رسول الله ﷺ: أَبْشرْ إن الله عزّ وجل يقول:

«ناري[٢] أسلّطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظّه[٣] من النار في الآخرة».

(صحيح لغيره) أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٤) والترمذي في كتاب الطب باب ٣٥ وابن ماجه في كتاب الطب باب ١٨.

شرح المفردات

١ ـ وعك: الحمّى.

٢ ـ ناري: أي مرض الحمّى وسماها نارًا لأن الحمّى تسبب الحرارة الشديدة للمريض.

٣ ـ حظّه: نصيبه حَيث يُعفى من النار لقاء صبره على النار التي لحقته من الحمّى.

(١١) باب عدم الشكوى إلا إلى الله تعالى

١/٤٦٠ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «إذا ابتليتُ عبديَ المؤمنَ ولم يشكُني[١] إلى عُوَّاده[٢]، أطلقتُهُ من إساري[٣]، ثم أبْدَلتُهُ لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، ثم يستأنف[٤] العملَ».

(صحيح) أخرجه الحاكم (١/ ٣٤٨).

شرح المفردات

١ ـ يشكُني: المقصود لم يتأفف ولم يتململ ولم يتكلم بما لا يرضي الله تعالى.

٢ ـ عُوَّاده: زُوَّاره.

٣ ـ إساري: المقصود به المرض الذي أُسِرَ المريض به ولم يقوَ على العمل.

٤ ـ يستأنف: يبتدىء العمل من جديد بعدما عافاه الله سبحانه.

(١٢) باب شهادة المسلم للميت

١/٤٦١ ـ عَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَشْهَدُ

لَهُ أَرْبَعةُ أَهْلِ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الأَدْنَيْنَ[1] إِلاَّ قَالَ: قَدْ قَبِلْتُ عِلْمَكُمْ فِيه، وَغَفَرْتُ لَهُ مَالاَ تَعْلَمُونَ».

(حسن لغيره) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٤٢) الحاكم في المستدرك (١/ ٣٧٨).

شرح المفردات

١ ـ الأدْنَيْن: القريبين من داره والمجاورين له.

المعنى

هذه دعوة من الله تعالى للمسلم لأن يكون حسن الصحبة وطيب الجوار مع جيرانه والذين يعيشون معه في نفس البناء أو بقربه، لأنهم سيشهدون على أعماله وأفعال بعد موته وشهادتهم عند الله مقبولة، أما الأفعال السيئة التي ارتبكها بينه وبين ربه ولم يعلم بها جيرانه ولا أصحابه، فهذه متروكة لله سبحانه، إن شاء حاسبه عليها، وإن شاء غفرها له، ولقد روى أبو داود وابن ماجه والترمذي عن مالكِ بنِ هُبيرةَ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من مسلم يموتُ فيصلي عليه ثلاثةُ صفوف من المسلمين إلا أوجب (أي استحق دخول الجنة) وكان مالكٌ إذا استقبل أهل الجنازة جزّأهم ثلاثة صفوف لهذا الحديث.

كتاب القيامة

(١) باب أهون أهل النار عذابًا

١/٤٦٢ ـ عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

يقولُ اللهُ تعالى لأَهْوَنِ أهلِ النارِ عذابًا يومَ القيامةِ: **«لو أنَّ لك ما في الأرضِ من شيءٍ أكنتَ تفتدي به؟»** فيقولُ: نعم، فيقولُ: **«أردتُ[1] منك أَهونَ من هذا وأنت في صُلْبِ آدمَ، أن لا تشركَ بي شيئًا، فأبيتَ إلا أَنْ تُشرِكَ بي»**.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب (١) صفة الجنة والنار وفي كتاب الأنبياء باب ٦٠، أحمد في مسنده (٣/١٢٧).

٢/٤٦٣ ـ وعن أنس أيضًا عن النبي ﷺ قال:

يقولُ الله تباركَ وتعالى لأَهونِ أهلِ النارِ عذابًا: **«لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنتَ مُفْتديًا بها؟»** فيقولُ: نعمْ، فيقولُ: **«قد أردتُ منك أهونَ من هذا وأنتَ في صُلْبِ آدمَ، أن لا تشركَ ـ (أحسبه قال) ـ ولا أدخِلَكَ النارَ، فأبيتَ إلا الشركَ»**.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين حديث ٥١ وبعده أيضًا بمثله إلا قوله: **«ولا أدخلك النار»** فإنه لم يذكره.

٤/٤٦٤ ـ وعن أنس أيضًا أن نبي الله ﷺ قال:

يُجَاءُ بالكافِرِ يوم القيامةِ، فيقالُ له: **«أرأيتَ لو كان لك ملءُ الأرضِ ذهبًا أكنتَ مفتيدًا به؟»** فيقول: نعم يا ربِّ، قال فيقالُ: **«لقد سئلتَ أيسرَ مِنْ ذلك»**. فذلك قوله عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾ [آل عمران: ٩١].

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٣/٢١٨) بإسناد صحيح رجاله ثقات، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (جـ ٩/٧٣٠٦).

شرح المفردات

١ ـ أردتُ: وفي رواية «قد سئلتَ»؛ فالمراد بقوله «أردتُ» أي سئلتَ لأنه يستحيل عند أهل الحق أن يريد الله تعالى شيئًا فلا يقع. (انظر صحيح مسلم بشرح النووي).

المعنى

كم هو عذاب جهنم صعب وشديد، وكم هو عظيم يوم القيامة، فإن الإنسان في ذلك اليوم العصيب، مستعد لأن يدفع ماله كله وذهبه كلّه ولو بلغ ثقلَ الأرض، هذا لأهون أهل النار عذابًا، فكيف لمن هو في الدركات السفلى من النار؟!

لكن هذا الإنسان، إذا أعاده الله إلى الدنيا سوف يرجع إلى غيّه وضلاله وشركه ويكون هذا من مَعنى قوله تعالى **﴿ولو ردوا لعادوا لمَا نُهوا عنه﴾**.

(٢) باب مصير آزر والد سيدنا ابراهيم عليه السلام

١/٤٦٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ[١] فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لاَ تَعْصِنِي، فَيَقُولُ: أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، وَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ[٢] مُلْتَطِخ[٣] فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ.

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب (٨) قول الله **﴿واتخذ الله ابراهيم خليلاً﴾** والحاكم في المستدرك (جـ ٢ ص ٢٣٨).

٢/٤٦٦ ـ وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

يلقى رجلٌ أباه يومَ القيامة، فيقول: يا أَبتِ هل أنت مطيعي اليومَ؟ أو هل أنت تابعي اليومَ؟ فيقول: نعم. فيأخذُ بيده، فينطلقُ به حتى يأتيَ به اللهَ تبارك وتعالى وهو يَعْرِضُ الخلقَ: أي رب إنك وعدتني أن لا تخزيني، فيعرض الله تبارك وتعالى عنه، ثم يقول مثل ذلك، فيمسخ الله أباه ضِبْعانًا[٤]، فيهوي في النار، فيقول: «أبوك؟!!» فيقول: لا أعرفك.

(صحيح) ـ أخرجه البزار (جـ ١/ ٩٧ ـ كشف الأستار)، والحاكم في المستدرك (جـ ٤ ص ٥٨٩) ولفظه:

٣/٤٦٧ ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

يلقى رجل أباه يوم القيامة فيقول له: يا أبتِ أي ابنٍ كنت لك؟ فيقول: خيرَ ابنٍ، فيقولُ: هل أنت مطيعي اليومَ؟ فيقول: نعم، فيقول: خُذ بإزرته، ثم ينطلق حتى يأتي الله تبارك وتعالى، وهو يَعْرِضُ الخلقَ، فيقول: **«يا عبدي ادخل من أي أبواب الجنة شئتَ»** فيقول: أي ربِّ وأبي معي، فإنك وعدتني أن لا تخزيني، قال: فيمسخُ اللهُ أباه ضَبُعًا، فيعرضُ عنه، فيهوى في النارِ، فيأخذ بأنفه، فيقول الله تبارك وتعالى: **«يا عبدي أبوك هو؟»**، فيقول: لا وعزتك.

(تنبيه): رواية الحاكم أكثر لفظًا قدسيًا، لكن طريق البزار أوثق رجالاً، وأجود إسنادًا.

شرح المفردات

١ ـ الغبرة: أي الغبار من التراب. والقترة هي السواد الكائن عن الكآبة.

٢ ـ ذِيخ: ذكر الضباع، وقيل لا يقال له ذيخ إلا إذا كان كثير الشعر، وقد مسخه الله ضبعًا لتنفر نفس ابراهيم منه ولئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاضة على ابراهيم (انظر فتح الباري).

٣ ـ ملتطخ: أي متلطخ برجيعه.

٤ ـ ضبعان: لغة في الضبع وهو الحيوان المعروف وهو من أحمق الحيوان.

المعنى

إن سيدنا ابراهيم عليه السلام يلقى أباه آزر عليه أثر الغبار وفي وجهه سواد، إشارة إلى شدة كآبته وتعاسته كما قال تعالى: ﴿**ووجوه يومئذ عليها غبرة، ترهقها قترة. أولئك هم الكفرة الفجرة**﴾ [عبسَ: ٤٠ ـ ٤٢] فيعاتبه سيدنا ابراهيم، فإذا بأبيه يستسلم لابنه ويرضى ما يأمره به بينما كان في الدنيا يزجره ويؤنبه ويتوعده بالرجم فيقول له: اليوم لا أعصيك يا ابراهيم في شيء، فيقول ابراهيم وقد أدركته الرقة والرأفة. إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، وإذا كان أبي بعيدًا اليوم من رحمتك فهذا هو الخزي الكبير، ولعل سيدنا ابراهيم عليه السلام قال هذا لأنه لم يكن قد تيقن من موت أبيه على الكفر بجواز أن يكون آمن في نفسه ولم يطلع ابراهيم على ذلك كما ذكر ذلك الحافظ في فتح الباري في تفسير سورة الشعراء، أما عندما علم كفر أبيه بقوله تعالى: ﴿**إني حَرمت الجنة على الكافرين**﴾ حينذاك

تبرأ منه تبرءًا أبديًا. ثم يأمر الله ابراهيم أن ينظر إلى أسفل منه فإذا به يرى أباه آزر قد مسخه الله ضبعًا متلطخًا برجيعه ونتنه، فينفر منه وينكر أبوته ومعرفته به ولذلك قال في الحديث الثاني «لا أعرفك» وفي الحديث الثالث «لا وعزتك» وقانا الله من خزي الدنيا وخزي الآخرة.

(٣) باب أول ما يقضى عليه من الناس يوم القيامة

١/٤٦٨ ـ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارَ، قَالَ تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ فَقَالَ لَهُ قائلُ أَهْل الشَّام: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْني حَدِيثًا سَمِعْت رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: إنَّ أَوَّلَ النَّاس يُقْضَى يَوْمَ الْقيَامَة عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نعمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فيهَا؟ قَالَ؛ قَاتَلْتُ فيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْت، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلٰكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقال: جَريءٌ فَقَدْ قيلَ: ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ علَى وَجْهِهِ، حَتَّى أُلقِيَ في النَّار. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نعمه فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيك الْقُرْآنَ قالَ: **«كذبتَ، ولكنك تعلمتَ العلمَ ليقال: عالمٌ، وقرأتَ القرآنَ ليقالَ: هو قاريءٌ، فقد قيلَ»**، ثم أُمر به فسحبَ على وجهه، حتى أُلقيَ في النار.

ورجلٌ وسَّعَ الله عليه، وأعطاه من أصنافِ المال كلِّه، فأُتي به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: **«فما عملتَ فيها؟»** قال: ما تركتُ من سبيلٍ تحبُّ أن ينفقَ فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: **«كذبتَ، ولكنك فعلتَ ليقالَ: هو جوادٌ، فقد قيل، ثم أُمر به فسحبَ على وجهه، ثم أُلقيَ في النار»**.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الإمارة حديث ١٥٢ وأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٢٢).

٢/٤٦٩ ـ وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

أولُ الناسِ يدخلُ النارَ يومَ القيامةِ ثلاثةُ نفرٍ: يؤتى بالرجل أو قال: بأحدهم، فيقول: ربِّ علمتني الكتابِ فقرأتُهُ آناءَ الليل والنهَار رجاء ثوابِك، فيقال: **«كذبتَ، إنما كنتَ تصلّي ليقالَ: إنكَ قاريءٌ مصلٍّ وقد قيلَ، اذهبوا به إلى النارِ»**.

ثم يُؤتى بآخرَ فيقولُ: ربِّ رزقتني مالاً فوصلتُ به الرحمَ، وتصدقتُ به على المساكين، وحملتُ ابنَ السبيلِ رجاءَ ثوابكَ وجنتِكَ، فيقالُ: **«كذبتَ إنما كنتَ تتصدق وتَصِلُ ليقالَ: إنك سمحٌ جوادٌ وقد قيل، اذهبوا به إلى النار»**.

ثم يُجَاءُ بالثالثِ فيقولُ: ربِّ خرجتُ في سبيلك، فقاتلتُ فيك، حتى قتلتُ مقبلاً غير مدبر، رجاء ثوابك وجنتِكَ، فيقالُ: «كذبتَ، إنما كنتَ تقاتلُ ليقالَ إنك جريءٌ شجاعٌ وقد قيل، اذهبوا به إلى النارِ».

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (ج ٢ ص ١١١).

٣/٤٧٠ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يِنْزِلُ إِلى الْعبَاد، لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ. فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُونَهُ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ الله. وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللهُ لِلْقَارِيءِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى، يا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فيمَا عَلمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلاَنًا قَارِىءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ، حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى، يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَا عَمِلتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ، وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ في سَبِيلِ اللهِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: فِيمَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ في سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ: كَذَبْت، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْت أَنْ يُقَالَ: فَلاَنٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَلَى رُكْبَتَيَّ، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلاَثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ الله، تَسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

رواه الترمذي في كتاب الزهد باب ٤٨.

قال الترمذي: حديث حسن غريب.

المعنى

تتطرق هذه الأحاديث الثلاثة إلى أهم موضوع يجب أن ينتبه إليه المسلم في عبادته وطاعته لله سبحانه، وهو موضوع الإخلاص. فبدون الاخلاص لله يخسر العبد ما يقدمه في دنياه من علم ومال ووقت ونفس، كما أنه لا يجد شيئًا من هذا في الدار الآخرة لأنه لم يعمل هذه الأشياء لوجه الله عز وجل.

فهؤلاء الأصناف الثلاثة: الشهيد الذي قدم نفسه ودمه في سبيل الله على زعمه وعلى

حسب ما يراه الناس، غير أن الله وحده هو الذي يعلم ما في النفوس، وهو وحده المطلع على النيات، وإذا بهذا العبد تُبانُ سريرته على حقيقتها كما قال تعالى: ﴿يوم تُبلى السرائر﴾ [الطارق: ٩] فيرجع بالندامة والخسران ويُسحبُ على وجهه حتى يُقذف في النار، فخسر ما قدّم وما أَخَّر.

وكذلك هي الحال مع صاحب القرآن الذي أمضى وقته في تعليم كتاب الله وقراءته على الناس، لكنه لم يكن مخلصًا به لوجه الله، فيرُدُّ عليه عملُه يوم القيامة ولا يُقبل منه ويكون مصيره كمصير الصنف الأول حيث يُسحبُ على وجهه حتى يُقذف في النار.

وكذلك أيضًا الذي كان ينفق يمينًا وشمالاً، وما ترك مجالاً ولا موضعًا ولا مشروعًا ولا سبيلاً إلا وأنفق من ماله، وتصدق على المساكين، وأعان أبناء السبيل، لكن مشكلته كانت في عدم الإخلاص، والله لا يقبل إلا عمل المخلصين، كان يعمل هذا كله من أجل مدح الناس له وثنائهم عليه، ولكي يقولوا عنه شجاع وكريم، غير أن العبرة ليست بحساب الناس، وليست كما يقول الناس، وليست كما يظن العبد، إنما العبرة بحلم الله وقضائه، هو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وإنه يعلم السر وأخفى. فالإنسان العاقل هو الذي يخلص عمله ولو كان قليلاً ليربح في الدنيا ما قدم وفي الآخرة ما أَخَّر.

(٤) باب أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة

١/٤٧١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

إن أوّلَ ما يُحاسَبُ به النّاسُ يوم القيامةِ من الصَلاةِ. قال: يقولُ ربُنَا عزَّ وجلَّ لملائكته وهو أعلَمُ: «انظُروا في صَلاةِ عَبْدِي أتمَّها أم نقَصَها؟» فإن كانت تامّةً كُتِبَتْ له تَامّةً. وإنْ كانَ انتَقَصَ مِنْها شَيْئًا. قال: «انظرُوا هَلْ لِعَبْدِي من تَطَوُّعٍ؟» فإن كان لهُ تَطَوعٌ قال: «أَتِمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ»، ثم تُؤْخَذُ الأَعْمالُ عَلى ذَلِكُمْ.

قال [يونس]: وأحسبه قد ذكر النبي ﷺ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٦٥) (٥/ ٧٢) وأبو داود في كتاب الصلاة باب ١٤٩ والنسائي في كتاب الصلاة باب ٩.

[يونس]: هو ابن عبيد أحد رجال إسناد هذا الحديث.

٢/٤٧٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ يرويه عنه حريث بن قبيصة قال: قدمت المدينة، فقلت: اللهم يسر لي جليسًا صالحًا. قال: فجلست إلى أبي هريرة فقلت: إني

سألت الله أن يرزقني جليسًا صالحًا فحدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لعل الله أن ينفعني به ـ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إنَّ أَوَّلَ ما يُحَاسَبُ به العَبْدُ يَوْمَ القيامةِ من عَمَلِه صلاتُه، فإن صلحتْ فقد أفْلَحَ وأنجحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خَابَ وخَسِرَ فإن انتقصَ من فريضَتِهِ شيءٌ قال الربُّ عزَّ وجلَّ: **«انظُروا هل لعَبْدي من تَطَوُّعٍ؟ فَيُكَمَّلُ بها ما انتقص من الفريضَةِ»**، ثم يكونُ سائِرُ عملِهِ على ذَلِكَ.

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب الصلاة باب ١٨٨، ١٨٩ في كتاب الصلاة باب المحاسبة على الصلاة.

٣/٤٧٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه: إن أولَ ما يحاسبُ به العبد صلاتهُ، فإن صلحت صلحَ سائرُ عمله، وإن فسدت فسدَ سائرُ عمله، ثم يقول: **«انظروا هل لعبدي من نافلة؟»** فإن كانت له نافلةٌ أتمَّ بها الفريضة، ثم الفرائض كذلك لعائدة الله ورحمته.

(حسن) أخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال (جـ ٧/ ١٨٨٨٨).

٤/٤٧٤ ـ عن تميم الداري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

أولُ ما يحاسبُ به العبدُ يوم القيامة صلاتهُ، فإن أكملها كُتبت له نافلة فإن لم يكن أكملها قال الله سبحانه وتعالى لملائكته: **«انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع؟ فأكملوا بها ما ضَيّع من فريضته»**، ثم تؤخذُ الأعمالُ على حَسَبِ ذلك.

(صحيح) ـ أخرجه ابن ماجه في كتاب الصلاة باب ٢٠٢. وأحمد في مسنده (٤/ ١٠٣).

٥/٤٧٥ ـ عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

إنَّ أولَ مَا افترَضَ الله على النَّاس من دينهم: الصلاةُ، وآخِرِ ما يبقَى الصَّلاة، وأول مَا يُحاسبُ به الصَّلاةُ، ويقول الله: **«انظُروا في صَلاةِ عَبْدِي»** فإنْ كانتْ تَامَّة كُتِبتْ تَامَّةً وإن كانت ناقصةً يقول: **«انظُرُوا هل لِعَبْدِي من تَطَوُّعٍ؟»** فإن وُجِد له تطوعٌ تَمَّت الفريضةُ من التطوّع ثم قال: **«انظُرُوا هَلْ زَكاتُهُ تَامَّةٌ؟»** فإن كانت تَامَّةً كُتِبتْ تَامَّةً وإن كانتْ ناقِصَةً. قالَ: **«انظروا هل له صَدَقَةٌ؟»** فإن كانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ تَمَّتْ له زكاتُهُ.

(حسن) ـ أخرجه أبو يعلى كما في الترغيب والترهيب (جـ ١ ص ٣١٤).

المعنى

تركز هذه الأحاديث في مجملها على إكثار العبد من التطوع والنوافل الزائدة على الفرائض لكي يحصن نفسه ويحميها من المعاصي والزلات ووساوس الشيطان وأوهام النفس. فالفريضة حصن حصين، والنافلة بعدها حصن آخر، وهكذا كلما أدى عبادة من العبادات زادت حصونة التي يحتمي بها ويحفظ نفسه من شهوات النفس وغرور الدنيا.

وهذه الأحاديث تبين أن النوافل هذه التي قام بها العبد في الدنيا تَسُدُّ الخلل الحاصل في صلوات الفريضة، فإن العبد ولا شك مقصر في صلاته من حيث تأديتُها في وقتها، ومن حيث خشوعُها، ومن حيث الإتيانُ بأركانها وشروطِها، فتأتي النافلة فتسدُّ له ذلك الخلل والنقص. وكذلك هو شأن الصيام، فالعبد ربما أخطأ في صيامه وما أداه على هيئته الشرعية فيأتي صيام النفل أيام الإثنين والخميس وأيام عاشوراء وأيام عرفة والأيام البيض والثلاثة الأيام من كل شهر، تأتي هذه النوافل فتجبرُ النقص الحاصل في صيام الفريضة. وكذلك هي الحال أيضًا في الزكاة تجبرها الصدقات والمعونات إن كان ناقصة.

(٥) باب ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة

١/٤٧٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِمهُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يَنْظُرُ(١) إِلَيْهِمْ، رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَد أُعْطِيَ بِها أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِب، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمين كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ(٢) لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِم، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَائِهِ، فَيَقُولُ اللهُ: الْيَومَ أَمْنَعَكَ فَضْلي كَما مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاك».

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب المساقاة باب ١١.

٢/٤٧٧ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

قال الله تعالى: «ثلاثة أنا خصمُهُم(٣) يوم القيامة: رجل أعطى(٤) بي ثم غدر، ورجل باع حُرًا فأكل ثمنَهُ، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجْرَهُ».

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب البيوع باب ١٠٦. أحمد في مسنده (٢/ ٣٥٨) ابن ماجه في كتاب الرهون باب ٤.

شرح المفردات

١ ـ ولا ينظر إليهم: كناية عن عدم رحمته لهم.

٢ ـ بعد العصر: خُصّ هذا الوقت بالذكر لما فيه من الجرأة الزائدة إذ هو وقت تعظم فيه المعاصي لصعود الملائكة بالأعمال إلى الله فيعظم أن يرتفعوا بالمعاصي ويكون هذا الذنب آخر عمله والعبرة بالخواتيم ولهذا يغلظ في أيمان اللعان به.

٣ ـ خصمهم: الله سبحانه هو خصم لجميع الظالمين إلا أنه أراد التشديد على هؤلاء بالتصريح.

٤ ـ أعطى بي: أعطى العهود والمواثيق حالفًا باسمي.

المعنى

إن الله سبحانه خصم لجميع الظالمين لكنه، ولما كانت هذه الأصناف من الجرائم البشعة والكبيرة خصهم الله بالتصريح في إعلان الخصومة معهم ومن كان الله خصمه فقد قصمه وهذه الأصناف هي: ١ ـ الذي يحلف في تجارته كذبًا لينفقها ويربح فيها ٢ ـ الذي يحلف كذبًا وزورًا خاصة بعد صلاة العصر، ذلك الوقت المبارك الذي تصعد فيه الملائكة بالأعمال، كل هذا ليأكل مال أخيه المسلم بالباطل والبهتان ٣ ـ الذي عنده ماء فاضل عن حاجياته الأساسية والأصلية يطلبه منه المحتاجون إليه وأبناء السبيل فيمنعهم كشح في نفسه وأنانية حقودة، فهذا سيحرمه الله فضله في يوم القيامة كما كان يحرم هو فضل مائه عن الناس ٤ ـ الذي يعطي المواثيق والعهود ويعقد الاتفاقات ويحلف باسم الله عليها، ثم بعد ذلك ينقضَها ويغدر بها ٥ ـ الذي يبيع حرًا وليس عبدًا ٦ ـ الذي يأكل حقوق أجرائه بعد أن يعملوا له ما يطلبه منهم. فهذه الأصناف سينتقم الله منهم ويعاقبهم أشد العقاب.

(٦) باب الرجل يريد الله به خيرًا يوم القيامة

١/٤٧٨ ـ عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ:

يُؤتَى بالرجلِ يومَ القيامةِ فيقالُ: **«اعرِضوا عليه صغار ذنوبه ويُخَبَّأُ عنه كبارُها، فيقالُ: عملت يوم كذي كذي وكذي، وعملتَ يوم كذِي وكذِي، وعملتَ يومَ كذي وكذي ـ ثلاث مرات ـ»** قال: وهو مقرٌ ليسَ بمُنْكِرٍ، وهو مشفقٌ من الكبائرِ أن تجيىء، قال: فإذا أرادَ الله به خيرًا، قال: **«أعْطوه مكانَ كلِّ سيئةٍ حسنةً»**، فيقولُ: يا ربِّ إن لي ذنوبًا ما رأيتُها هاهنا، فلقد رأيتُ رسول الله ﷺ يضحكُ حتى بَدَتْ نواجذُهُ، ثم تلا رسول الله ﷺ: **﴿فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات﴾** [الفرقان: ٨٠].

(**صحيح**) أخرجه أبو عوانة في مسنده (ج ١ ص ١٧٠).

٢/٤٧٩ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

إنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رجلاً من أُمتي على رؤوسِ الخلائق يومَ القيامةِ، فَيَنْشُرُ عليه تسعةً وتسعين سِجِلاً، كلُّ سجلٍ مثل مدِّ البصرِ ثم يقولُ: **«أتُنْكِرُ من هذا شيئًا؟ أظلَمَكَ كتبتي الحافظون»**، فيقولُ: لا يا ربِّ فيقولُ: **«أَفَلَكَ عُذْرٌ؟»** فيقولُ: لا يا ربِّ، فيقولُ: **«بَلَى إنَّ لَكَ عندنا حَسَنَةً فإنَّهُ لا ظُلمَ عليكَ اليومَ»**، فَتُخْرَجُ بطاقةٌ فيها: أشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ، وأشهدُ أَن محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، فيقولُ: احْضرْ وَزْنَكَ فيقولُ: يا ربِّ ما هذهِ البطاقةُ؟ مع هذِهِ السجلاتِ، فقالَ: **«إنك لا تُظْلَمُ»**، قالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ في كِفةٍ والبطاقةُ في كِفةٍ فطاشت السجلاتُ، وثقلت البطاقةُ، فلا يَثْقُل مع اسمِ اللهِ شيءٌ.

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان باب ١٧، وابن ماجه في كتاب الزهد باب (٣٥) ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة.

المعنى

ما أعظم كرم الله وما أوسع رحمته وما أكبر فضله ومَنَّهُ على عبيده في يوم القيامة، حيث يظهر الصغائر من الذنوب ويستر على عبده الكبائر، حتى إذا رأى العبد من نفسه الهلاك وخشي من إظهار الكبائر، تتلقفه رحمه الله فيجعل الله سيئاته حسنات، فيستغرب العبد ويُدهش كل دهشته، كيف لم يرَ الذنوب الكبار تُعرضُ عليه، وهنا يضحك رسول الله ﷺ سرورًا وحمدًا على رحمة الله جل ثناؤه وعزّ جاهه.

وفي الحديث الثاني، ينشرُ أمام العبد تسعة وتسعون كتابًا قد سجلت فيها أخطاؤه ومعاصيه وكل سجل مدّ البصر، فيعترف ويُقِرُ بها، حتى إذا رأى في نفسه الهلاك جاءته رحمة الله، وجاءه إسلامه، شهادة أن لا إله إلا الله وإن محمدًا عبده ورسوله، فتوضع في الكِفّةِ الأخرى من الميزان، فتثقل هذه البطاقة، وهل يثقل مع اسم الله وفي مقابل اسم الله شيء آخر؟!.

حاشا وكلا فأنت الإله الكبير ربنا، وأنت الرب الرحيم إلَهنا، نرجو غفرانك ورحمتك الواسعة في الدنيا والآخرة.

(٧) باب قول الله «أنا الملك» يوم القيامة

١/٤٨٠ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

يقبضُ الله الأرضَ، ويطوي[1] السماء بيمينه[2]، ثم يقول: **«أنا الملكُ أينَ ملوكُ الأرضِ؟»**.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب (٤٤) يقبض الله الأرض يوم القيامة، ومسلم في كتاب المنافقين حديث ٢٣ وابن ماجه في كتاب المقدمة باب ١٣. الترمذي في كتاب الصلاة باب ٢١١.

٢/٤٨١ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال:

إنَّ الله يقبضُ يومَ القيامةِ الأرضَ، وتكونُ السماواتُ بيمينه، ثمَّ يقولُ: **«أنا الملكُ»**.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب (١٩) قوله تعالى: **﴿لما خلقتُ بيديّ﴾**.

٣/٤٨٢ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما يحكي رسول الله ﷺ قال:

يأخذُ اللهُ عزَّ وجلَّ سماواته وأرضيه بيديه[3]، فيقولُ: **«أنا اللهُ ـ ويقبضُ أصابعه ويبسطها[4] ـ أنا الملكُ»**.

حتى نظرتُ إلى المنبر يتحركُ من أسفلِ شيءٍ منه حتى إني لأقولُ:

أساقطٌ هو برسول الله ﷺ؟!!

وفي رواية لابن عمر:

يأخذُ الجبارُ سماواته وأرضيه بيديه.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب المنافقين حديث ٢٥، وابن ماجه في كتاب الزهد باب ٣٣.

٤/٤٨٣ ـ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

يطوي اللهُ عزَّ وجلَّ السماواتِ يومَ القيامةِ، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقولُ: **«أنا الملكُ أين الجبارونَ؟ أين المتكبرونَ؟»** ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: **«أنا الملكُ، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»**.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب المنافقين حديث ٢٤، وأبو داود في كتاب السنة باب في الرد على الجهمية وليس عنده ذكر الشمال.

٥/٤٨٤ ـ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أن يهوديًا جاء إلى النبي ﷺ فقال:

يا محمدُ إنّ اللهَ يُمْسِكُ السماواتِ على إصبعٍ(٥)، والأرضينَ على إصبعٍ، والجبالَ على إصبعٍ، والشجرَ على إصبعٍ، والخلائقَ على إصبعٍ، ثم يقول: **«أنا الملكُ»**.

فضحكَ رسولُ الله ﷺ حتى بدتْ نواجذه(٦)، ثم قرأ:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١].

قال يحيى بن سعيد: وزاد فيه فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله فضحك رسول الله ﷺ تعجبًا وتصديقًا له.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ١٩، والترمذي في كتاب التفسير باب ٤٠ ومسلم في كتاب المنافقين حديث ١٩.

(يحيى بن سعيد): هو القطان وفضيل بن عياض ومنصور، وإبراهيم وعبيدة جميعهم من رواة هذا الحديث.

٦/٤٨٥ ـ وعن عبد الله قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب فقال:

يا أبا القاسم إنَّ اللهَ يمسكُ السماواتِ على إصبعٍ، والأرَضينَ على إصبعٍ، والشَّجَرَ والثرى(٧) على إصبعٍ، والخلائق على إصبعٍ ثم يقول: **«أنا الملكُ أنا الملكُ»**.

فرأيت النبي ﷺ ضحكَ حتى بدتْ نَوَاجِذُهُ ثم قرأ:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١].

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ١٩، ومسلم في كتاب المنافقين حديث ٢١.

٧/٤٨٦ ـ وعن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

يحشرُ اللهُ العبادَ، فيناديهم بصوتٍ يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ: **«أنا الملكُ أنا الديانُ»**.

(صحيح) ـ من معلقات البخاري في صحيحه (ج ٩ ص ١٧٢). طبعة دار الشعب.

٨/٤٨٧ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هل تدرون ما سعة جهنم؟ قال: قلت لا أدري قال: أجل والله ما تدري إن بين سَعَةِ شَحْمَةِ أُذُنِهِمْ وعاتقه مسيرة سبعين

خريفًا تجري فيها أوديةُ القيح والدمِ فقلتُ: أنهارًا قال: لا بل أودية ثم قال ابن عباس: حدثتني عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية:

﴿وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١].

قال: يقولُ: «أنا الجبارُ أنا أنا»، ويمجِّدُ الربُّ نَفْسَهُ، قال: فَرَجَفَ برسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم منبرُهُ، حتى قلنا لَيَخُرَّنَّ.

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (ج ٢ ص ٢٥٢).

٩/٤٨٨ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

ينادي مُنَادٍ بين يدي الساعةِ: يا أيها الناس أتتكم الساعةُ فيسمعها الأحياءُ والأمواتُ، وينزِلُ اللهُ إلى السماءِ الدنيا، فينادي: «لمن الملكُ اليومَ؟ للهِ الواحدِ القهارِ».

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (ج ٢ ص ٤٣٧). وهذا الحديث موقوف على ابن عباس ولكنه في حكم المرفوع لأن مثله لا يقال بمجرد الرأي.

شرح المفردات

١ ـ يطوي: يجمع.

٢ ـ بيمينه: أي بقدرته.

٣ ـ بيديه: نقل النووي في شرحه لصحيح مسلم عن المازري كلامًا مختصرًا وهو: «وأما إطلاق اليدين لله تعالى فمتأول على القدرة، وكنى ذلك باليدين لأن أفعالنا تقع باليدين فخوطبنا بما نفهمه ليكون أوضح وأوكد في النفوس. وذكر اليمين والشمال حتى يتم المثال لأن نتناول باليمين ما نكرمه وبالشمال ما دونه، ولأن اليمين في حقنا يقوي لما لا يقوى له الشمال، ومعلوم أن السموات أعظم من الأرض فأضافها إلى اليمين، والأرضين إلى الشمال ليظهر التقريب في الاستعارة وإن كان الله سبحانه وتعالى لا يوصف بأن شيئًا أخف عليه من شيء ولا أثقل من شيء».

٤ ـ ويقبض أصابعه ويبسطها: الفاعل يعود على النبي ﷺ.

٥ ـ أصبع: الأصابع هنا كناية عن الإقتدار لأن الله ليس كمثله شيء وقال النووي في شرح صحيح مسلم: «أي خلقها مع عظمها بلا تعب ولا ملل، والناس يذكرون الأصبع في مثل هذا للمبالغة والاحتقار فيقول أحدهم بأصبعي أقتل زيدًا أي لا كلفة عليّ في قتله».

٦ ـ نواجذه: أي أنيابه.

٧ ـ الثرى: التراب النديّ.

المعنى

أنه مهما ملك الإنسان في الدنيا، ومهما بلغ جاهه وماله وسلطانه، فإنه سيتركه ويرحل، ويلقى ربه بأعماله وأفعاله. كل الناس مآلهم إلى الموت، وجعل الله الموت إنتقالاً من دار العمل إلى دار الجزاء حتى إذا جاء وعد الله جمع الله السموات والأرض وأعادهما إلى حالتهما الأولى كما قال الله تعالى: **﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى عما يشركون﴾** وسيموت الناس والخلق جميعهم وذلك في قوله تعالى: **﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾** [الزمر: ٦٧، ٦٨].

ويسأل رب العزة الخلائق كلها لمن الملك اليوم؟ فيجيب على نفسه بنفسه، لله الواحد القهار.

فأين الذين كانوا يتكبرون في الأرض بغير الحق؟ وأين الذين كانوا يفسدون بين الناس بسلطانهم وظلمهم وجاههم؟ ذهب الكل، وخرست الألسنة، وهنيئًا لمن كان موحّدًا لله ومستكينًا له وكان في مصافّ الأبرار الأتقياء، بعيدًا عن المتكبرين المتجبرين..

(٨) باب ما يسأل عنه العبد من النعم يوم القيامة

١/٤٨٩ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

إنْ أولَ ما يُسْأَلُ عنه يومَ القيامةِ ـ يعني العبد ـ من النعيمِ أن يُقَالَ له: **«ألم نصحَّ لك جِسْمَكَ، ونُرَوّكَ(١) من الماءِ البارِدِ»**.

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ٨٨، والحاكم (جـ ٤ ص ١٣٨).

٢/٤٩٠ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

يقولُ الله عز وجل ـ قال عفان: يومَ القيامةِ ـ: **«يا ابن آدم حملتُكَ على الخيلِ والإبِلِ، وزَوّجتُكَ النساءَ، وجعلتُكَ تربعُ(٢) وترأسُ، فأينَ شكرُ ذلك؟»**.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٩٢).

٣/٤٩١ ـ عن أبي هريرة وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ:

يُؤتى بالعبدِ يوم القيامة فيقولُ اللّهُ له: **«ألم أجعلْ لك سمعًا وبصرًا ومالاً وولدًا، وسخرتُ لك الأنعامَ والحرثَ، وتركتُكَ ترأسُ(٣) وتَرْبَعُ، فكنتُ تظنُّ أنك ملاقيّ يومك هذا؟»** قال: فيقولُ: لا، فيقولُ له: **«اليومَ أنساكَ كما نسيتني»**.

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة باب ٦٠.

شرح المفردات

١ ـ نُروِّك: أي نسقيك.

٢ ـ تربع: أي تستغل الأرض فتُخْصِبُها وتستفيد من خيراتها بقدرتنا وتسخرنا أو تركتُك مستريحًا لا تتعب من قولهم اربَعَ على نفسك.

٣ ـ ترأس: أي جعلكَ سيدًا تأمر وتنهي وتملك.

المعنى

لقد أغدق الله علينا نعمه، وأعطانا الكثير منها بحيث لو أردنا إحصاءها لما استطعنا إلى ذلك سبيلاً كما قال الله تعالى: **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾** [ابراهيم: ٣٤].

وفي يوم القيامة يسائل الله العبد فإذا فعل بهذه النعم، هل شكرت الله عليها فاستعملتها في طاعته وعبادته أم تمتعت بهذه النعم ونسيت المنعم المتفضل عليك.

وأهم النعم التي يسأل الله عنها العبد يوم القيامة، هي نعمة الصحة ونعمة الماء كما قال تعالى: **﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون. أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ولو نشاء جعلناه أجاجًا فلولا تشكرون﴾** [الواقعة: ٦٨ ـ ٧٠]. وكذلك نعمة الخيل والإبل والأنعام والحرث، وكلها قد ذكرها الله في كتابه الكريم، فقال جل شأنه **﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا فهم لها مالكون. وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون. ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون﴾** [يسٓ: ٧١ ـ ٧٣] وكذلك نعمة الزواج، ونعمة تسخير الأرض والسيادة والرئاسة وغيرها، كل هذه النعم يلزمها شكر وعرفان وإقرار وتوحيد، غير أن أصنافًا من الناس غرتهم الحياة الدنيا ونسوا لقاء الله، فكانوا يوم القيامة من المنسيين من رحمة الله لأنهم نسوا أوامر الله ونواهيه فلم يمتثلوا ولم يجتنبوا.

(٩) باب العدل الإلهي يوم القيامة

١/٤٩٢ ـ عن عبد الله بن أَنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ ـ أو قالَ: العبادُ ـ عراةً[١] غرلاً[٢] بُهْمًا، قال: قلنا وما بُهْمًا؟[٣] قال: ليسَ معهم شيءٌ، ثم يناديهم بصوتٍ يسمعه من قَرُبَ: **«أنا الملكُ أنا الديانُ**

ولا ينبغي لأحدٍ من أهل النارِ أن يدخلَ النارَ وله عندَ أحد من أهلِ الجنةِ حقّ حتى أقُصَّهُ منه، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنةِ أن يدخلَ الجنةَ ولأحدٍ من أهلِ النارِ عنده حقّ حتى أقصهُ منه، حتى اللطمةَ»، قلنا: كيفَ؟ وإنما نأتي الله عز وجل عراةً غرلاً بُهْمًا!! قال: بالحسناتِ والسيئاتِ.

(صحيح لغيره) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٩٥)، (والبخاري في الأدب المفرد ٩٧٠).

٢/٤٩٣ ـ عن أبي هريرة في قوله عز وجل:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قال: يُحْشَرُ الخلقُ كلُّهم يومَ القيامةِ، البهائمُ والدوابُ والطيرُ، وكلُّ شيءٍ، فيبلغُ من عدلِ اللهِ أن يأخذَ لِلْجَمّاءِ(٤) من القرناءِ، ثم يقول: «كوني ترابا» فذلك يقولُ الكافر: .

﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾.

(صحيح لغيره) ـ أخرجه الحاكم (جـ ٢ ص ٣١٦).

٣/٤٩٤ ـ وعن أبي هريرة:

يَقْضي اللهُ بين خلقِهِ الجِّنِ والإِنسِ والبهائِم، وإنه لَيَقِيدُ(٥) يومئذٍ الجماءَ من القرناءِ، حتى إذا لم يُبْقِ تَبعةً(٦) عند واحدةٍ لأُخرى قال اللهُ: «كونوا ترابا»، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾.

(صحيح لغيره) أخرجه ابن جرير في تفسيره كما في صحيح الألباني (١٩٦٦).

٤/٤٩٥ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ عن الروح الأمين قال:

قال الربُّ تبارك وتعالى:

«يُؤْتى بسيئاتِ العبدِ وحسناته فيقتصُّ أو يَقْضي، فإن بقيت له حسنةٌ وُسِّعَ له في الجنة».

(حسن لغيره) ـ أخرجه البزار كما في مجمع الزوائد (جـ ١٠ ص ٣٥٥).

شرح المفردات

١ ـ عراة: كما جاؤا إلى الدنيا من غير ثياب ولا ساتر لعوراتهم.

٢ ـ غرلاً: جمع أغرل وهو الأقلف أي غير مختون، والغرلة هي القلفة التي تقتطع عند الاختتان.

٣ ـ بُهْمًا: قد فسرها رسول الله ﷺ بأنهم ليس معهم شيء من متاع الدنيا.

٤ ـ الجمّاء: هي الشاة التي لا قرن لها فتكون أضعف من القرناء التي لها قرنان تنطح بهما.

٦ ـ تَبِعَةٌ: أي لم يُبق حقًا لواحدة عند أخرى.

٥ ـ ليَقِيدُ: القَوَدُ هو القصاص أي ليقتص للجماء ويأخذ الحق لها من القرناء.

المعنى

يمكن للإنسان أن يتهرب من حقوق الناس في الدنيا، غير أنه في يوم القيامة والمحاسب هو الله سبحانه الذي لا يغرب عنه مثقال في الأرض ولا في السماء، فإنه سيأتي ويؤدي كل المظالم، فقبل دخوله الجنة سيؤدي حقوق الناس عليه ولو كانوا من أهل النار، والحقوق هناك ليست تدفع وتسترجع لأهلها ولأصحابها بالمال والمتاع والعقار، إنما تؤدي بالحسنات والسيئات، فمن كان له عليك حق تدفعه من حسناتك، وإلا طُرح عليك من سيئاته.

إن الحساب جد دقيق في ذلك اليوم، فإذا كانت الحيوانات ستتقاضى فيما بينها، والشاة الجماء التي لا قرن لها ستأخذ حقها من الشاة التي نطحتها وظلمتها في الدنيا، فكيف بالإنسان الذي ظلم أخاه الانسان؟!

وعندما يرى الكافر مصير هذه الحيوانات إذ أصبحت ترابًا بعد محاسبتها فلا جنة ستدخل ولا نارًا، فإنه يتمنى ان لو كان كمثل هذه الحيوانات تحاسب ثم تصبح ترابًا، وذلك كما ذكر الله عنه حيث يقول: ﴿يا ليتني كنت ترابًا﴾.

(١٠) باب شهادة الجوارح

١/٤٩٦ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ: قالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هلْ نرَى رَبَّنا ـ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قالَ: هلْ تُضارُّون[1] في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ في الظَّهِيرَةِ، ليْسَتْ في سَحَابَةٍ؟ قالُوا: لا، قالَ: فهلْ تُضارُّون في رُؤْيَةِ الْقمَرِ ليْلة الْبَدْرِ ليْسَ في سَحَابَة؟ قالُوا: لا، قالَ: وَالَّذِي نفْسِي بِيَدِهِ، لا تُضارُّون في رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إلاَّ كمَا تُضارُّون في رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قالَ: فيَلْقى

الْعَبْدَ، فيقُولُ: أَيْ فُلْ[٢]، أَلَمْ أُكْرِمْك؟ وَأُسَوِّدْك[٣]، وَأُزوِّجْك، وَأُسَخِّرْ لك الْخيْلَ وَالْإِبلَ وَأَذَرْكَ ترْأَسُ، وَترْبَعُ؟[٤] فيَقُولُ: بَلَى، قالَ: فيقول: أفظننت أنّك مُلاَقي؟ فيَقُولُ: لاَ، فيَقُولُ: فإِنِّي أَنْسَاك كمَا نسِيتني، ثُمَّ يَلْقى الثّاني، فيَقُولُ: أَيْ فُلْ، أَلَمْ أُكْرِمْك، وَأُسَوِّدْك، وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ؟ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ، وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقيَّ؟ فَيَقُولُ: لاَ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: ههنا إِذًا[٥]، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا ـ عَلَيْكَ، وَيَتَفكَّرُ في نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ[٦]، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخذُهُ، وَلَحْمُهُ، وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيَعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْه.

(صحيح) رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٣٠٢ وفي كتاب الزهد حديث ١٦.

٢/٤٩٧ ـ عَنْ أَنَسْ بَن مَالكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُول الله ﷺ، فَضَحِكَ، فَقَالَ: «هَلْ تدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلم تُجِرْني مِنَ الظُلْم؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلى قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطقي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ، قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الزهد حديث ١٧.

شرح المفردات

١ ـ تُضَارُّون: أي لا تشكون في رؤية ربكم، ولا تحتاجون إلى كثير من العناء المفضي إلى الضرر في مشاهدة ربكم، كما أنكم ترون الشمس في وقت الظهيرة من دون شك ولا عناء، وكما ترون القمر ليلة البدر كذلك، فالتشبيه في كيفية الرؤية فقط وليس تشبيهًا لله بالشمس أو بالقمر حاشا لله أن يشبه مخلوقاته.

٢ ـ فُلْ: أي يا فلان.

٣ ـ أُسوِّدْك: أجعلُك سيدًا في قومك.

٤ ـ تربعُ: قال القاضي عياض تركتُك مستريحًا لا تحتاج إلى مشقة وتعب من قولهم أربَعْ على نفسك أي ارفُق بها.

٥ ـ ههنا إذًا: أي قف هنا حتى تشهد عليك جوارحك إذ قد صرتَ منكِرًا.

٦ ـ فِيْهِ: فمه.

المعنى

ان من النعم الكبرى التي تنتظرنا يوم القيامة رؤية ربنا سبحانه وتعالى حقيقة وصدقًا ليس في ذلك أدنى شك أو أقلّ ريب، فكما أننا لا نحتار ولا نشك في رؤية الشمس عند الظهيرة، ولا في رؤية القمر وهو بدر منير، كذلك نرى ربّنا من دون حيرة ولا غموض ولا شكوك.

ثم يحاسب الله عبيده واحدًا واحدًا، ويسأل كلاً منهم عن النعم ماذا عمل بها وهل أدى الشكر عليها، فيعدّد الله عليه نعمه من زواج وتسخير للإبل والخيل والأنعام، ومن ترؤس وسيادة وتربع إلى غير ذلك، فيحاول بعض منهم الإنكار فيقول لقد آمنت وصليت وصمت وتصدقت فيقول له الله: ههنا إذًا أي قف ههنا، فتشهد عليه جوارحه بما كسب وبما فعل حقًا لا كما ادّعاه كذبًا ونفاقًا.

وأمام هذه الشهود التي اقترحها هو بنفسه لم يبق للعبد أية حُجة أو أي اعتذار، فيلتفت إلى جوارحه وأعضائه التي شهدت عليه ويدعو عليها بالبعد والطرد والانسحاق. أعاذنا الله من ذلك الخزي آمين.

(١١) باب انتفاع الوالد من الولد

١/٤٩٨ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لَيَرْفَعُ الدرجةَ للعبْدِ الصالحِ في الجنةِ، فيقولُ: يا ربِّ أنَّى[١] لِي هذه؟ فيقولُ: «باستغفارِ ولدكَ لَكَ».

(حسن) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٥٠٩)، وابن ماجه في كتاب الأدب باب (١) بر الوالدين.

٢/٤٩٩ ـ عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول:

يُقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنة. قال: فيقولون: يا رَب حتى يدخل آباؤنا

وأمهاتنا. قال: فيأتون، قال: فيقول الله عز وجل: ما لي أراهم مُحْبَنْطِئِين؟[٢] ادخلوا الجنة قال: فيقولون: يا رب آباؤنا وأمهاتنا. قال فيقول: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم».

(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٠٥).

شرح المفردات

١ ـ أنّى لي: أي من أين لي وكيف حصلت على هذه الدرجة؟.

٢ ـ مُحْبَنْطِئِين: مفردها محبنطء وهو الممتنع امتناع طلب لا امتناع إباء.

المعنى

هكذا تفيد التربية الصالحة للأولاد، تفيد في الدنيا كما تفيد في الدار الآخرة. ففي الدنيا يكون الولد طائعًا وبارًا بوالديه ويعرف حقوقهما عليه من خلال تعلمه لشرع الله ولِدِين الله، وفي الدار الآخرة وعندما ينتقل الأبوان للحساب، يرفعهما الله درجات من عنده من دون أن يعرفا سبب هذه الرفعة وهذه الدرجات، فيسأل الوالد ربّه عنها فيقول الله عز وجل: هذه بسبب استغفار ولدك لك.

أما الأولاد الذين يموتون وهم دون البلوغ أو السقط الذي لم نكتمل نحوه، أو وُلدَ ميتًا في بطن أمه، وصبر الآباء والأمهات على فقدانهم وحمدوا الله على كل حال، واسترجعوا وقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، فإن الله سبحانه يكرم أولئك الآباء والأمهات بفضل صبرهم وشكرهم وعدم تذمرهم من قضاء الله، يكرمهم بسبب أولادهم الذي يمتلؤن غيظًا وغضبًا من أجلهم، فيأمر الله الأبناء أن يدخلوا الجنة مع آبائهم وأمهاتهم.

(١٢) باب وضع الميزان والصراط

٥٠٠/ ١ ـ عن سلمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

يُوضَعُ الميزانُ[١] يومَ القيامةِ، فلو وُزِنَ فيه السماواتُ والأضُ لوسعتْ فتقولُ الملائكةُ يا ربُّ لمن يَزِنُ هذا؟ فيقول الله تعالى: «لمن شئتُ من خلقي»، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حَقَّ عبادتَكَ.

ويُوضَعُ الصراطُ[٢] مثل حدِّ الموسى[٣]، فتقول الملائكة: من تجيزُ على هذا؟ فيقولُ: «من شئتُ من خلقي»، فيقولونَ: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (جـ ٤ ص ٥٨٦).

شرح المفردات

١ ـ الميزان: قال في شرح جوهرة التوحيد: الميزان واحد على الراجح، له قصبة وعمود وكفتان، كل منهما أوسع من أطباق السموات والأرض.

٢ ـ الصراط: لغة الطريق الواضح. وشرعًا هو جسر ممدود على متن جهنم يردُهُ الأولون والآخرون حتى الكفار. (شرح الجوهرة).

٣ ـ حدّ الموسى: قال بعضهم: هو كناية عن شدة المشقة. وقال القرافي: الصحيح أنه عريض وقال بعضهم: يدِقُّ ويتسع بحسب نور العبد (انظر شرح الجوهرة).

المعنى

يشير الحديث القدسي إلى عظمة هذا الميزان ودقته، حيث ستوزن فيه أعمال العباد وتوضع السيئات في كفة والحسنات في كفة، فمن رجحت حسناته نجح وأفلح كما قال تعالى: ﴿**فمن ثقُلت موازينه فأولئك هم المفلحون. ومن خفَّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم**﴾ [الأعراف: ٨].

وعند الميزان لا يذكر أحدٌ أحدًا، ولا يفكر أحد بأهله أو بأقاربه أو بأي عزيز وحبيب وغالٍ، وذلك حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل. كما سألت السيدة عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ فقالت: هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدٌ أحدًا: عند الميزان. . . . . وعند تطاير الصحف. . . . . وعند الصراط (رواه الحاكم).

أما الصراط فإن كل من يمر عليه ساكتٌ إلا الأنبياء فإنهم يقولون: اللهم سلِّمْ سلِّمْ. كما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ:

«يُضربُ الصراط بين ظهراني جهنم فأكونُ أولَ من يُجيزُ بأمته من الرسل، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلِّمْ، اللهم سلِّمْ. وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان؛ هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدْر عظمها إلا الله تعالى، يُختطفُ الناس بأعمالهم، فمنهم من يُوبَق بعمله، ومنهم من يُخرِدَلُ ثم ينجو. . .» (متفق عليه).

(١٣) باب ذبح الموت

١/٥٠١ ــ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

يُؤْتَى بالموتِ يومَ القيامة فَيُوقَفُ على الصراطِ فَيُقَالُ: «**يا أهلَ الجنة!**» فينطلقونَ خائفين وَجِلِينَ أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، ثم يقالُ: «**يا أهلَ النارِ!**» فينطلقونَ فرحين مستبشرين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقالُ: «**هلْ تعرفون هذا؟**» فيقولون [نعم ربنا] هذا الموتُ، فيؤمرُ به فَيُذْبَحُ على الصراطِ ثم يقالُ للفريقين: «**كلاهما خلودٌ ولا موتَ فيه أبدًا**».

(**صحيح**) ـ أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد باب ٣٨ في الزوائد: هذا إسناده صحيح رجاله ثقات.

٢/٥٠٢ ـ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبشٌ أملحُ(١)، فيوقفُ بين الجنةِ والنارِ، ثم يُنَادي منادٍ: «**يا أهلَ الجنةِ!**». فيقولون: لبيكَ ربَّنا، قال: فيقال: «**هل تعرفون هذا؟**» فيقولون: نعم ربنا هذا الموتُ، ثم ينادي منادٍ: «**يا أهل النارِ!**» فيقولون: لبيك ربنا، قال فيقالُ لهم: «**هل تعرفونَ هذا؟**» فيقولون: نعم ربنا هذا الموتُ، فَيُذْبَحُ كما تُذْبَحُ الشاةُ، فيأمنُ هؤلاء وينقطعُ رجاءُ هؤلاء.

(**صحيح**) ـ أخرجه أبو يعلى والبزار والطبراني كما في الترغيب والترهيب جـ ٤ باب ذبح الموت. والحديث في صحيح مسلم (جـ ٤ ـ جنة/ ٤٠) عن أبي سعيد من غير الحديث القدسي بنحو معناه.

شرح المفردات

١ ـ كبش أملح: قيل هو الأبيض الخالص؛ قاله ابن الأعرابي. وقال الكسائي: هو الذي بياضه أكثر من سواده (شرح صحيح مسلم للنووي).

المعنى

إن نعيم الجنة خالد للمؤمنين، وان عذاب النار خالد للكافرين، فلا موت لهؤلاءِ ولا لهؤلاء، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يُري كلا الفريقين عملية ذبح الموت لكي يطمئن المؤمنون وييأس الكافرون. فمثَّل لهم الموت بشكل كبش أملح، جعله بين الجنة والنار على الصراط، ثم نادى على أهل الجنة فخافوا على النعيم الذي هم فيه أن يفقدوه، ونادى على أهل النار ففرحوا علَّهم يتخلصون من العذاب الذي هم فيه، فيسألُ كلُ فريق عن هذا الكائن المخلوق، فيقر كلٌ ويعترف بأنه الموت، حينذاك يأمر الله به فيذبح إشارة إلى

التخلص من الموت، وإشارة الى خلود المؤمنين في جنتهم، وخلود الكافرين في نار جهنم.

(١٤) باب الشفاعة

١/٥٠٣ ـ عن أنس بن مالك قال حدثنا محمد ﷺ قال:

إذا كان يومُ القيامةِ مَاجَ الناسُ بعضُهُم في بعضٍ، فيأتونَ آدمَ. فيقولونَ: اشفعْ لنا إلى ربك، فيقولُ: لستُ لها، ولكنْ عليكمْ بإبراهيم فإنه خليلُ الرحمنِ فيأتونَ إبراهيمَ فيقولُ: لستُ لها، ولكن عليكمْ بموسى فإنه كليمُ الله، فيأتونَ موسى فيقولُ: لستُ لها، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمتُه، فيأتون عيسى فيقول: لستُ لها، ولكن عليكم بمحمد ﷺ، فيأتوني فأقول: أنا لها، فأستأذنُ على ربي فيؤذنُ لي، ويلهمني محامدَ أحمده بها لا تحضرني الآن، فأَحمدُهُ بتلك المحامدِ، وأَخرُّ له ساجدًا، فيقالُ: «**يا محمد ارفعْ رأسك، وقلْ يُسْمعْ لك، وسَلْ تُعطَ، واشفعْ تُشَفّع**»، فأقولُ: يا ربِّ أمتي أمتي، فيقالُ: «**انطلقْ فأَخرجْ منها من كان في قلبه مثقالُ شعيرةٍ من إيمانٍ**»، فأنطلقُ فأفعلُ، ثم أعود فأحمدهُ بتلك المحامِدِ، ثم أخرُّ له ساجدًا، فيقالُ: «**يا محمد ارفعْ رأسك، وقلْ يُسْمعْ لك، وسلْ تُعطَ، واشفَعْ تُشَفَّعْ**»، فأقول: يا ربِّ أمتي أمتي، فيقال: «**انطلق فأخرجْ منها مَنْ كان في قلبه مثقالُ ذرة أو خردلةٍ من إيمان**»، فانطلقُ فأفعل، ثم أعودُ فأحمده بتلك المحامد. ثم أَخِرُّ له ساجدًا، فيقالُ: «**يا محمدُ ارفعْ رأسَكَ، وقلْ يُسْمَعْ لك، وسلْ تُعْطَ، واشفعْ تُشفَّعْ**»، فأقولُ: يا ربِّ أمتي أمتي، فيقول: «**انطلقْ فأَخرِجْ مَنْ كان في قلبه أَدْنَى أَدْنَى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النارَ**»، فانطلقُ فأفعلُ.

هكذا سمع بعض الصحابة من أنس، فلما خرجوا من عنده انطلقوا إلى الحسن البصري سيد التابعين، فزادهم على لسان أنس بن مالك أيضًا.

ثم أعودُ الرابعةَ فأَحْمَدُهُ بتلكَ، ثمَّ أَخِرُّ له ساجدًا فيقالُ: «**يا محمدُ ارفعْ رأسَكَ، وقُلْ يُسْمَعْ، وسَلْ تُعطَ، واشفعْ تُشَفَّعْ**»، فأقولُ: يا ربِّ ائذنْ لي فيمنْ قالَ: لا إله إلا اللهُ، فيقولُ: «**وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأُخْرِجَنَّ منها مَنْ قَالَ لا إِله إِلا اللهُ**».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ٣٦، ومسلم في كتاب الايمان حديث ٣٢٦.

٢/٥٠٤ ـ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

يُحْبَسُ المؤمنونَ يومَ القيامة حتى يُهِمُّوا بذلك، فيقولونَ: لَو اسْتَشْفَعْنا إلى ربِّنا فيريحُنا من مكاننا، فيأتون آدمَ فيقولونَ: أنْتَ آدمُ أبو الناسِ خلقَكَ اللهُ بيدِهِ، وأسكنَكَ جنَّتَه، وأسْجَدَ لك ملائكته، وعلَّمكَ أسماءَ كلِّ شيءٍ، لِتَشْفَعْ لنا عند ربك حتى يريحَنَا من مكاننا هذا، قال: فيقولُ لستُ هُناكمْ، قال: ويذكرُ خطيئتَه ـ التي أصابَ ـ أكلَهُ من الشَجَرةِ، وقد نهى عنها، ولكن ائتوا نوحًا أولَ نبيٍ بعثه اللهُ إلى أهل الأرضِ فيأتونَ نوحًا فيقول لستُ هُنَاكمْ، ويذكرُ خطيئتَه التي أصابَ سؤالَهُ ربَّه بغيرِ علم، ولكنْ ائتوا إبراهيمَ خليلَ الرحمنِ قال: فيأتونَ إبراهيمَ فيقولُ: إني لستُ هُناكم ويذكرُ ثلاثَ كلماتٍ كَذَبَهُنَّ ولكن ائتُوا موسى عبدًا آتاهُ الله التوراةَ وكلَّمهُ وقرَّبَهُ نَجيًا قال فيأتونَ موسى فيقولُ: إني لستُ هُناكم ويذكرُ خطيئته التي أصابَ قتلَهُ النفْسَ ولكنْ ائتوا عيسى عبدَ اللهِ ورسولَه، وروحَ اللهِ وكلمتَه، قال: فيأتونَ عيسى فيقولُ: لستُ هُناكم ولكنْ ائتوا محمدًا ﷺ عبدًا غفرَ اللهُ لَهُ ما تقدَّمَ من ذنبِهِ وما تأخَّرَ، فيأتوني، فأستأذِنُ على ربي في داره فَيؤذَنُ لي عليه، فإذا رأيته وقعتُ سَاجدًا، فَيَدَعُني ما شاءَ اللهُ أن يَدَعَني، فيقولُ: «**ارفعْ محمدُ، وقُلْ يُسْمَعْ، واشْفَعْ تُشفَّعْ، وسَلْ تُعْطَ**»، قال: فأرفعُ راسِي، فأُثْنِي على ربي بثناءٍ وتحميدٍ يُعَلِّمُنيه، فَيَحُدُّ لي حَدًا فأخرج فأُدْخِلُهُمْ الجنةَ.

قال قتادةُ: وسمعتهُ أيضًا يقولُ:

فَأَخرجُ فأُخرِجُهمْ من النارِ، وأُدْخلُهُمْ الجنة، ثمَّ أعودُ فأستأذنُ على ربي في دارِهِ فيؤذَنُ لي عليه، فإذا رأيتُهُ وقعتُ ساجدًا، فَيَدَعُني ما شاء اللهُ أن يَدَعني، ثمَّ يقولُ: «**ارفعْ محمدُ، وقلْ يُسْمعْ، واشفعْ تُشَفَّعْ، وسلْ تُعطَ**»، قال: فأرفعُ رَأسي، فأُثْنِي على ربي بثناءٍ وتحميدٍ يُعَلِّمُنيه، قالَ: ثمَّ أشفعُ فَيَحُدُّ لي حَدًّا، فَأَخرُجُ فأُدْخِلُهم الجنةَ.

قال قتادةُ: وسمعتُهُ يقولُ:

فأخرجُ فأُخْرِجُهُمْ من النارِ، وأُدْخِلُهُم الجنةَ، ثم أعودُ الثالثةَ، فأستأذنُ على ربي في دارِهِ، فَيُؤْذَنُ لي عليه، فإذا رأيتُهُ وقعتُ ساجدًا، فَيَدَعُني ما شاء اللهُ أنْ يَدَعَني، ثم يقولُ: «**ارفعْ محمدُ، وقلْ يُسْمعْ، واشفعْ تُشفَّعْ، وسل تُعْطَهْ**»، قال فأرفعُ رَأسي، فَأُثْنِي على ربي بثناءٍ وتحميدٍ يُعَلمنيه، قالَ: ثم أشفعُ فيحدُّ لي حدًا، فأخرجُ فأدخلُهم الجنة.

قال قتادةُ: وقد سمعتُهُ يقولُ:

فأخرجُ فأُخْرِجُهمْ من النارِ، وأدخلُهُمْ الجنةَ، حتى ما يبقى في النار إلا من حبَسَهُ القُرآنُ، أي وجَبَ عليهِ الخلود.

قال: ثم تلا هذه الآية:

﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] قال: وهذا المقام المحمود الذي وُعِدَه نبيُّكم ﷺ.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب (٢٤) قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ أحمد في مسنده (٣/ ١١٦، ٢٤٢).

قتاده: أحد التابعين وهو راوي هذا الحديث عن أنس رضي الله عنه.

٥٠٤ مكرر/ ٣ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ يَرْفَعُهُ إِلى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا زِلْتُ أَشْفَعُ إِلى رَبي عَزَّ وَجَلَّ، وَيُشَفِّعُنِي، وَأَشْفَعُ وَيُشَفِّعُنِي حَتَّى أَقُولَ: أَي رَبِّ شَفِّعْنِي فِيمَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، فَيَقُولُ: هَذِهِ لَيسَتْ لَكَ يَا مُحَمَّدُ وَلاَ لأَحَدٍ، هَذِهِ لي، وَعِزَّتِي وَجَلالِي وَرَحْمَتِي لاَ أَدَعُ فِي النَّارِ أَحَدًا يَقُولُ: لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ».

(صحيح) ـ أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٩٦ ـ رقم ٨٢٨)، وصححه شيخنا الألباني ـ حفظه الله ـ في تعليقه على كتاب السنة.

٣/٥٠٥ ـ وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال:

يُطوِّلُ يومُ القيامةِ على الناسِ، فيقولُ بعضهُم لبعضٍ انطلقوا بنا إلى آدمَ أبي البشرِ فيشفعُ لنا إلى ربنا عزَّ وجلَّ، فليقضِ بيننا، فيأتون آدمَ فيقولونَ: يا آدمُ أنتَ الذي خلقكَ اللهُ بيدِهِ، وأسكَنَكَ جنَّته، فاشفَعْ لنا إلى رَبِّك فلْيقْضِ بيننا فيقولُ: إني لستُ هناكم، ولكن ائْتوا نوحًا رأسَ النبيين، فيأتونهُ فيقولونَ: يا نوحُ اشفعْ لنا إلى ربِّك فلْيَقْضِ بيننا، فيقولُ: إني لستُ هناكم، ولكن ائْتوا إبراهيمَ خليلَ اللهِ عزَّ وجلَّ، فيأتونَهُ فيقولونَ: يا إبراهيمُ اشفعْ لنا إلى ربِّكَ فليقْضِ بيننا، فيقولُ: إني لستُ هناكم، ولكنْ ائتوا موسى الذي اصطفاهُ الله عزَّ وجلَّ برسالاتِهِ وبِكلامِهِ، قالَ فيأْتُونَهُ، فيقولون: يا موسى اشفع لنا إلى ربِّك عَزَّ وجَلَّ فليقضِ بيننا، فيقولُ إني لستُ هناكم، ولكنْ ائْتوا عيسى رُوحَ اللّهِ وكلمَتَهُ، فيأتونَ عيسى، فيقولونَ: يا عيسى اشفعْ لنا إلى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بيننا، فيقولُ إني لستُ هناكم ولكنْ ائْتوا محمدًا ﷺ فإنهُ خاتمُ النبيينَ، فإنه قدْ حَضرَ اليومَ، وقدْ غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِهِ وما تأخَّرَ، فيقولُ عيسى: أرأيتم لو كانَ متاعٌ في وعاءٍ قَدْ خُتِمَ عليه، هَلْ كانَ يُقْدَرُ على ما في الوِعَاءِ حتى يُفَضَّ الخاتَم، فيقولونَ: لا، قال: فإن محمدًا ﷺ خاتمُ النبيين، قال: فقال رسول الله ﷺ: فيأتوني، فيقولون: يا محمدُ اشفع لنا إلى ربِّكَ، فليقْضِ بيننا، قالَ:

فأقولُ: نَعَمْ، فآتي باب الجنة، فآخُذُ بحلْقِهِ الباب فأستفتحُ فَيُقَالُ: مَنْ أَنْتَ؟ فأقولُ: محمدٌ، فَيُفْتَح لي، فأَخِرُّ ساجدًا فأَحْمَدُ ربي عزَّ وجلَّ بمحامِدَ لم يَحْمدْه بها أحدٌ كانَ قبلي، ولا يحمدُهُ بها أحدٌ كان بعدي، فيقولُ: «**ارفعْ رأسَكَ، وقلْ يُسْمَعْ منك، وسَلْ تُعْطَهْ، واشفعْ تشفَّعْ**»، فيقولُ: أي ربِّ أمتي أمتي، فيقالُ: «**أخرجْ مَنْ كانَ في قلبِهِ مثقالُ شعيرة من إِيمانٍ**»، فأُخْرِجُهُم، ثمّ أَخِرُّ ساجدًا، فأحمدُهُ بمحامِدَ لم يحمده بها أحدٌ كان قبلي، ولا يحمدُهُ بها أحدٌ كان بعدي، فيقالُ لي: «**ارفعْ رأسَكَ، وسلْ تُعْطَهْ، واشفعْ تشفَّعْ**». فأقولُ: أي ربِّ أمتي أمتي، فيقالُ: «**أَخرِجْ من كانَ في قلبه مثقالُ بُرّةٍ من إِيمان**»، قال: فأُخْرِجُهُمْ، قال ثمَّ أَخرُّ ساجدًا فأقولُ مثلَ ذلك، فَيُقَالُ: «**مَنْ كانَ في قلبِهِ مثقالُ ذرةٍ من إِيمان**»، قالَ: فأُخْرِجُهُمْ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٤٧).

٤/٥٠٦ ـ وعن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إني لأَولُ الناسِ تَنْشَقُّ الأرضُ عن جُمْجُمَتِي يومَ القيامةِ ولا فَخْرَ، وأُعْطَي لواءَ الحمدِ ولا فخرَ، وأنا سيدُ الناسِ يومَ القيامةِ ولا فخرَ، وأَنَا أولُ مَنْ يدخُلُ الجنةَ يومَ القيامةِ ولا فخرَ، وآتي بابَ الجنةِ فآخذُ بحلْقتها، فيقولون: مَنْ هَذَا فأقولُ: أَنَا محمدٌ فيفتحونَ لي فَأَدْخُلُ، فأجدُ الجبارَ مُسْتَقْبِلي، فأَسجدُ لَهُ، فيقولُ: «**ارفعْ رأسَكَ يا محمدُ، وتكلَّمْ يُسْمعْ منك، وقلْ يُقْبَلْ منك، واشفعْ تشفعْ**»، فأرفعُ رأسي فأقولُ: أمتي أمتي يا ربِّ، فيقولُ: «**اذهبْ إلى أمتِكَ، فمنْ وجدتَ في قلبِهِ مثقالَ حبة مِنْ شعيرٍ مِن الإِيمانِ فأَدْخِلْهُ الجنَّةَ**»، فأذهبُ فمَنْ وجدتُ في قلبه مثقالَ ذلك أدخلْتُهُم الجنةَ، فأجدُ الجبارَ مُسْتَقْبِلي فأسجدُ لهُ، فيقولُ: «**ارفعْ رأسكَ يا محمدُ، وتكلمْ يُسْمعْ منك، وقلْ يُقْبلْ منك، واشفعْ تشفعْ**»، فأرفعُ رأسي فأقولُ: أمتي أمتي يا ربِّ، فيقولُ: «**اذهبْ إِلى أمتك فمنْ وجدتَ في قلبه مثقالَ حبةٍ من خردل من الإِيمانِ فأدْخِلْهُ الجنةَ**»، فأذهبُ فمنْ وجدتُ في قلبه مثقالَ ذلك أدخلْتُهُمْ الجنةَ، وفرغ من حساب الناسِ، وأدخل من بقي من أمتي في النار مع أهلِ النارِ، فيقولُ أهلُ النارِ: ما أَغْنَى عنكم أنكمْ كنتم تعبدونَ الله ولا تشركون به شيئًا، فيقولُ الجبارُ: «**فبعزتي لأعتقنَّهُمْ من النارِ**»، فيرسِلُ إليهم، فيخْرُجون من النارِ وقد امتحشُوا، فيدخلونَ في نهر الحياةِ، فينبتون فيه كما تنبتُ الحبة في غثاء السيلِ، ويكتبُ بين أعينهم: هؤلاءِ عتقاءُ اللهِ، فيُذْهَبُ بهم فيدخلونَ الجنة، فيقولُ لهم أهلُ الجنة: هؤلاءِ الجهنميونَ، فيقولُ الجبارُ: «**بل هؤلاء عتقاءُ الجبَّارِ**».

(صحيح لغيره) ـ أخرجه الدارمي (ج ١/ ٥٢).

٥/٥٠٧ ـ عن حذيفة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: أصبحَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ فصلّى الغداةَ ثمَّ جلَسَ، حتى كانَ من الضُحى ضَحِكَ رسولُ الله ﷺ ثمَّ جلَسَ مكانَه، حتى صلّى الأولى والعصرَ والمغربَ، كلُّ ذلك لا يتكلمُ حتى صلّى العشاءَ الآخرةَ، ثم قامَ إلى أهلِهِ، فقالَ الناسُ لأبي بكرٍ: ألا تسألُ رسولَ اللهِ ﷺ ما شأنُهُ؟ صَنَعَ اليومَ شيئًا لم يَصْنَعْهُ قطّ، قالَ: فسألَهُ، فقال:

نعـمْ. عُرِضَ عليَّ ما هو كائنٌ من أمْرِ الدنيا والآخرةِ، فَجُمِعَ الأولون والآخرونَ بصعيدٍ واحدٍ، فَفَظِعَ الناسُ بذلك، حتى انطلقوا إلى آدمَ عليهِ السلامُ والعرقُ يكادُ يُلْجِمهُمْ، فقالوا يا آدمُ أنتَ أبو البَشَرِ، وأنتَ اصطفاكَ اللهُ عَزَّ وجلَّ، اشفعْ لنا إلى ربِّك، قالَ: لقدْ لقِيتُ مثل الذي لقيتمْ، انطلقوا إلى أبيكمْ بَعْدَ أبيكمْ إلى نوحٍ.

﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

قال: فَينْطَلِقُون إلى نوحٍ عليهِ السلامُ، فيقولونَ: اشفعْ لنا إلى رَبِّكَ، فأنتَ اصطفاكَ الله واستجابَ لَكَ في دعائِكَ، ولم يَدَعْ على الأرْضِ مِنَ الكافرينَ ديارًا، فيقولُ: لَيْسَ ذاكمْ عندي، انطلقوا إلى إبراهيمَ عليهِ السلامُ، فإنَّ الله عَزَّ وجلَّ اتخذَهُ خليلاً، فينطلِقُونَ إلى إبراهيمَ، فيقولُ: لَيْسَ ذاكم عندي، ولكنْ انطلقوا إلى موسى عليه السلامُ، فإنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ كلَّمَهُ تكليمًا، فيقولُ موسى عليهِ السلامُ: ليسَ ذاكم عِنْدِي، ولكنْ انطلقوا إلى عيسى بن مريم، فإنَّه يُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأبْرَصَ، ويحيي الموتى، فيقولُ عيسى: ليسَ ذاكمْ عِندي، ولكنْ انطلقوا إلى سيِّد ولد آدمَ، فإنَهُ أولُ من تَنْشَقُّ عنهُ الأرْضُ يومَ القيامةِ، انطلقوا إلى محمدٍ ﷺ، فيشفعُ لكمْ إلى ربكم عَزَّ وجلَّ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ، فيأتِي جبريلُ عليه السلامُ رَبَّه، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: **«ائْذَنْ له وبشِّرهُ بالجنة»**، قالَ: فينطلقُ به جبريل، فَيَخِرُّ ساجدًا قَدْرَ جُمْعَة، ويقولُ اللهُ عَزَّ وجلَّ: **«ارْفَعْ رأسَكَ يا محمدُ، وقُلْ يُسْمَعْ، واشفع تُشَفَّع»**، قالَ: فيرفعُ رأسَهُ، فإذا نَظَرَ إلى ربِّه عزَّ وجلَّ خَرَّ ساجدًا قَدْرَ جُمْعَةٍ أُخْرَى، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: **«ارفعْ رأسَكَ، وقلْ يُسْمَعْ، واشفع تُشَفَّعْ»**، قالَ: فيذهبُ لِيقعَ ساجدًا فيأخُذ جبريلُ عليه السلامُ بِضَبْعَيْهِ، فيفتحُ اللهُ عزَّ وجلَّ عليهِ من الدُّعَاءِ شيئًا لمْ يَفْتَحْهُ عَلَى بَشَرٍ قط، فيقولُ: أيْ ربِّ خلقتني سَيِّدَ ولَدِ آدمَ ولا فَخْرَ، وأولَ منْ تَنْشَقُّ عنه الأرْضُ يومَ القيامةِ ولا فَخْرَ،

حتَّى إنَّهُ لَيَرِدُ علَيَّ الحوضَ أكثرَ مما بَيْنَ صنعاءَ وأَيْلَةَ، ثم يُقَالُ: ادعُوا الصديقين فيشفعونَ، ثمَّ يُقَالُ: ادعوا الأنبياء، قالَ فيجيىءُ النبيُّ ومعهُ الصَّحابةُ، والنبيُّ ومعه الخمسة والستةُ، والنبيُّ وليسَ معه أحدٌ، ثمَّ يقالُ: ادعوا الشهداءَ فيشفعونَ لمن أرادوا، وقالَ: فإذا فعلتِ الشهداءُ ذلك، قال يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: **«أنا أرحمُ الراحمين، ادخلوا جنتي من كانَ لا يُشرِكُ بي شيئًا»**، قالَ: فيدخلونَ الجنةَ، قال: ثمَّ يقولُ الله عزَّ وجل: **«انظروا في النارِ هَلْ تَلْقَوْنَ من أحدٍ عَمِلَ خيرًا قط؟»** قالَ: فيجدونَ في النارِ رجلاً، فيقولُ له: هل عملتَ خيرًا قطّ؟ فيقولُ: لا، غير أني كنتُ أُسامِحُ الناسَ في البيعِ والشِّراءِ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: **«اسمحوا لعبدي كإسماحه لعبيدي»**، ثم يُخْرِجُونَ من النارِ رجلاً، فيقولُ لَهُ: **«هل عملتَ خيرًا قطّ؟»** فيقولُ: لا، غيرَ أني قد أمرتُ ولدي إذا مِتُّ فأحرقوني بالنارِ، ثم اطحنوني، حتى إذا كنتُ مثلَ الكُحْلِ، فاذهبوا بي إلى البحرِ، فاذْرُوني في الريحِ، فواللهِ لا يَقْدرُ عليَّ ربُّ العالمين أبدًا! فقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: **«لم فَعلتَ ذلكَ؟»** قالَ: من مخافتكَ، قالَ: فيقولُ اللهُ عَزَّ وجلَّ: **«انظرْ إلى مُلْكِ أعظم مَلِكٍ فإنَّ لَكَ مثلَهُ وعشرةَ أَمْثَالِهِ»**، قالَ فيقولُ: لِمَ تَسْخَرُ بي وأنتَ المَلِكُ؟ قالَ: وذَاكَ الذي ضحكتُ منه مِنَ الضُّحَى.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (١/ ١٥)، وابن حبان (٢٥٨٩ موارد)، وأبو عوانة (جـ ١ ص ١٧٥).

٦/٥٠٨ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منه نهسة ثم قال:

أنا سيد الناسِ يومَ القيامةِ، وهلْ تَدْرُون ممّ ذلك؟ يُجْمَعُ الناسُ ـ الأولين والآخرين ـ في صعيدٍ واحدٍ، يسمعُهُمْ الدَّاعِي، ويَنفذُهُمُ البصرُ، وتَدْنو الشمسُ، فيبلغُ الناسَ من الغمّ والكربِ ما لا يُطِيقونَ ولا يحتملونَ، فيقولُ الناسُ: ألا تَرَوْنَ ما قدْ بلغكمْ، ألا تنظرونَ مَنْ يشفعُ لكمْ إلى ربكم، فيقولُ بعضُ الناسِ لبعضٍ. عليكمْ بآدمَ، فيأتونَ آدمَ عليهِ السلامُ، فيقولونَ له: أنتَ أبو البشر، خلقكَ اللهُ بيده، ونفخَ فيكَ من روحِهِ، وأَمَرَ الملائكةَ فسجدوا لك، اشفعْ لنا إلى ربكَ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقولُ آدمُ إنَّ ربي قد غضبَ اليومَ غضبًا لم يغضبْ قبلَهُ مثْلَهُ، ولنْ يغضبَ بعدَهُ مِثْلَهُ، وإنه نهاني عن الشجرةِ فَعَصيْتُهُ، نفْسِي نَفْسِي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا، فيقولون يا نوحُ إنَّكَ أنتَ أولُ الرسلِ إلى أهلِ الأرض، وقد سَمَّاك اللهُ عبدًا

شكورًا، اشفعْ لنا إلى ربِّك، ألا ترى إلى ما نحنُ فيهِ، فيقولُ: إنَّ ربي عزَّ وجل قَدْ غضبَ اليومَ غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضبَ بعدَهُ مثله، وإنَّه قد كانتْ لي دعوةٌ دَعَوْتها على قومي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيمَ، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيمُ أنتَ نبي الله وخليلهُ من أهلِ الأرضِ، اشفعْ لنا إلى ربِّك، ألا تَرَى إلى ما نحن فيه؟ فيقولُ لهمُ: إنَّ ربي قَدْ غضبَ اليومَ غضبًا لم يغضبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يغضبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإني قَدْ كنتُ كذبتُ ثلاثَ كذباتٍ، ـ فذكرهنَّ أبو حيان في الحديث ـ نَفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتونَ موسى، فيقولونَ: يا موسى أنتَ رسولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ برسالتِهِ وبكلامِهِ على الناسِ، اشفعْ لنا إلى ربِّك، ألا تَرَى إلى ما نحنُ فيه؟ فيقولُ: إنَّ ربي قد غَضِبَ اليومَ غضبًا لَمْ يغضبْ قبلَهُ مثله، ولنْ يغضبَ بعدَهُ مثلَهُ، وإني قد قَتَلْتُ نفسًا لم أُومَرْ بقتلِها، نفسي نفسي نفسي، اذهبُوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولونَ: يا عيسى أنتَ رسولُ اللهِ، وكلمتُهُ ألقَاها إلى مريمَ، وروحٌ منه، وكلَّمتَ الناسَ في المهدِ صبيًا، اشفعْ لنا، ألا تَرَى إلى ما نحنُ فيه؟، فيقولُ عيسى: إنَّ ربي قد غضبَ اليومَ غضبًا لَمْ يغضبْ قبلَهُ مِثْلَهُ، ولنْ يغضبَ بعدَهُ مِثْلَهُ ـ ولَمْ يذكرْ ذنبًا ـ نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمدٍ ﷺ، فيأتونَ محمد ﷺ، فيقولونَ يا محمد أنتَ رسولُ اللهِ وخاتَمُ الأنبياءِ، وقد غَفَرَ اللهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وما تأَخرَ، اشفعْ لنا إلى ربك، ألا تَرَى إلى مَا نَحْنُ فيه؟ فأنطلقُ فآتي تحتَ العَرْشِ، فأقعُ ساجدًا لربِّي عزَّ وجلَّ، ثمَّ يَفْتَحُ اللهُ عليّ من محامِدِهِ وحُسْنِ الثناءِ عليه شيئًا لم يفتَحْهُ على أحدٍ قبلي، ثمَّ يقالُ: «يا محمدُ ارفعْ رأسَكَ، سَلْ تُعْطَه، واشفعْ تُشَفَّعْ»، فأرفع رأسي، فأقولُ: أُمتي يا ربِّ أمَّتِي يا ربِّ، فيقالُ: «يا محمدُ أدخلْ من أمتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عليهمْ مِنَ البابِ الأيمنِ من أبوابِ الجنةِ، وهُمْ شركاءُ الناسِ فيما سِوَى ذلكَ مِنَ الأَبْوابِ»، ثمَّ قالَ: والذي نَفْسي بيده:

إنَّ مَا بينَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجنَّةِ كما بيْنَ مكَّةَ وَحِمْيَر، أَوْ كما بَيْنَ مَكَّةَ وبُصْرَى.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب (٥) قوله تعالى: ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ وأبو عوانه (جـ ١ ص ١٧١).

(أبو حيان): التيمي أحد رجال إسناد الحديث.

٧/٥٠٩ ـ وخطب ابن عباس رضي الله عنهما على منبر البصرة فقال: قال رسول الله ﷺ:

إنه لم يكُنْ نبيٌ إلا له دعوة قد تَنَجْزَهَا في الدنيا، وإني قد اخْتَبَأْتُ دعْوتي شفاعةً لأمتي، وأنا سيدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ ولا فَخْرَ، وأنا أولُ مَنْ تَنشَقُّ عَنه الأرضُ ولا فخْرَ، وبيدي لواءُ الحمدِ ولا فخرَ، آدمُ فمنْ دونه تحتَ لوائي ولا فخر، ويطول يومُ القيامةِ على الناسِ، فيقولُ بعضُهم لبعض: انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشرِ فليشفعْ لنا إلى ربنا عزَّ وجلَّ، فليقضِ بيننا، فيأتون آدمَ، فيقولونَ: يا آدمُ أنتَ الذي خلقَكَ الله بيدِهِ، وأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وأَسْجَدَ لكَ ملائِكَتَهُ، اشفعْ لنا إلى ربنا فليقضِ بيننا، فيقولُ: إني لستُ هُناكم، إني قدْ أُخْرِجْتُ من الجنةِ بخطيئتي، وإنه لا يُهِمُّني اليومَ إلا نفسي، ولكنْ ائتوا نوحًا رأسَ النبيين، فيأتونَ نوحًا، فيقولونَ يا نوح اشفعْ لنا إلى ربنا فليقض بيننا، فيقول: إني لستُ هُناكم، إني دعوتُ بدعوةٍ أغرقَتْ أهلَ الأرْضِ، وإنَّهُ لا يُهِمُّنِي اليومَ إلا نَفْسِي، ولكنْ ائتوا إبراهيمَ خليلَ الله، فيأتونَ إبراهيمَ عليهِ السلامُ، فيقولونَ: يا إبراهيمُ اشفعْ لنا إلى ربنا فليقضِ بيننا، فيقولُ: إني لستُ هُناكم، إني كذبتُ في الإسلام ثلاثَ كذباتٍ ـ والله إنْ حاولَ بهِنَّ إلاَّ عَنْ دِين الله: قولُه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

وقوله لامرأتِهِ حينَ أتى على الملِكِ: (أختي) ـ وإنَّه لا يُهِمُّنِي اليومَ إلا نفسي، ولكنْ ائْتُوا موسى عليه السلامُ الذي اصطفاهُ اللهُ برسالتِهِ وكلامِهِ، فيأتونَهُ فيقولونَ: يا موسى أنتَ الذي اصطفاكَ اللهُ برسالتِهِ، وكلَّمكَ فاشفَعْ لنا إلى ربِكَ فليقْضِ بيننا، فيقولُ: لَسْتُ هُناكم، إني قتلتُ نَفْسًا بغير نفسٍ، وإنه لا يُهِمُّني اليومَ إلا نفسي، ولكن ائتوا عيسى روح اللهِ وكلمته، فيأتُونَ عِيسى فيقولونَ: يا عيسى اشفعْ لنا إلى ربكَ، فَلْيَقْضِ بيننا، فيقول: إني لستُ هُناكم، إني اتُخِذْتُ إلهًا من دون اللهِ، وإنه لا يُهِمُّني اليومَ إلا نَفْسِي، ولكنْ أرأيتم لو كانَ متاعٌ في وعاءٍ مختوم عليه، أكان يُقْدَرُ على ما في جوفِهِ حَتى يُفَضَّ الخَاتَمُ، قال فيقولونَ: لاَ، قالَ: فيقولُ:

إنَّ محمدًا ﷺ خاتَمُ النبيينَ، وقدْ حَضَرَ اليومَ وقَدْ غُفِرَ لهُ ما تقدَّم من ذنبِهِ وما تأخَّرَ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ فيأتون فيقُولُونَ: يا محمدُ اشفعْ لنا إلى ربِّكَ، فليقضِ بيننا، فأقولُ: أنا لها، حَتَّى يأذَنَ اللهُ عزَّ وجلَّ لِمنْ يَشَاءُ ويرضى، فإذَا أرادَ اللهُ تباركَ وتعالى أن يَصْدَعَ بينَ

خلقِهِ، نادَى مُنَادٍ: أين أحمد وأمتُه؟ فنحنُ الآخِرونَ الأولونَ، نحنُ آخِرُ الأممِ وأولُ من يُحاسَبُ، فَتُفْرِجُ لنا الأُممُ عن طريقنَا، فنمضي غرًا مُحَجَّلِينَ مِنْ أثرِ الطهورِ، فتقولُ الأُممُ كادتْ هذه الأمةُ أن تكونَ أنبياءَ كلُّها، فنأتي باب الجنة، فآخذُ بحلقةِ البابِ فأقرعُ البابَ، فيُقَالُ من أنت؟ فأقولُ: أنا محمدٌ فيُفْتَحُ لي، فآتي ربي عزَّ وجلَّ على كرسيِهِ أو سريرِهِ ـ شكُّ حمادُ ـ فأخِرُّ لهُ ساجدًا، فأحمدُهُ بمحامدَ لم يَحْمَده بها أحدٌ كان قبلي وليسَ يحمدُهُ بها أحدٌ بعدي، فيقالُ: «يا محمدُ ارفعْ رأسَكَ، وسَلْ تعطَه، وقلْ تُسْمَعْ، واشفعْ تُشَفَّعْ»، فأرفعُ رأسي، فأقولُ: أي ربِّ أمتي أمتي، فيقولُ: «أخرِجْ من كانَ في قلبِهِ مثقالُ كَذَا وكَذَا ـ لم يحفظ حمادُ ـ» ثم أعِيدُ، فأَسْجُدُ فأقولُ ما قلتُ، فَيُقَالُ: «ارفعْ رأسَكَ وقلْ تُسْمَعْ، وسَلْ تُعْطَهْ، واشفعْ تُشَفَّعْ»، فأقولُ: أيْ ربِّ أمتي أمتي، فيقولُ: «أخرجْ مَنْ كانَ في قلبِهِ مثقالُ كذا كذا، دونَ الأَولِ»، ثمّ أعيدُ فأَسْجُدُ، فأقولُ مثلَ ذلِكَ، فيقالُ لي: «ارفعْ رأسَكَ، وقُلْ تُسْمَعْ، وسَلْ تُعْطَهُ، واشفَعْ تُشَفَّعْ». فأقولُ: أي ربِّ أمتي أمتي، فيقالُ: «أخرجْ مَنْ كانَ في قلبه مثقالُ كذا وكذا دون ذلك».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٨١).

(حماد) هو حماد بن سلمة أحد رجال إسناد الحديث.

٥١٠/ ٨ ـ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

إنَّ الله تعالى: قال: «يا محمدُ لم أبعثْ نبيًا ولا رسولاً إلا سألَني مسألةً أُعطيها إيَّاه، فسلْ يا محمدُ»، فقلتُ: مسألتي شفاعةٌ لأمتي يومَ القيامةِ، فقال قالَ أبو بكر: ما الشفاعةُ يا رسول اللهِ؟ قال: أقولُ أي ربِّ شفاعتي التي اختبأتُ عندك، فيقولُ الربُّ: «نعمْ»، فَيُخْرِجُ ربي بقيةَ أمتي من النارِ وينْبِذُهُمْ في الجنةِ.

(حسن لغيره) ـ أخرجه ابن أبي عاصم (ج ٢/ ٨٢٢)، وأحمد (٥/ ٣٢٥، ٣٢٦).

٥١١/ ٩ ـ وعن عبادة بن الصامت قال:

فَقَدَ النبيّ ﷺ ليلةً أصحابُهُ، وكانُوا إذا أنزلوه أَنْزَلُوه أَوْسَطَهُمْ، فَفَزِعُوا وظنُّوا أَنَّ الله تباركَ وتَعَالى اخْتَارَ لَهُ أصحابًا غيرهم، فإذا هُمْ بخيالِ النبي ﷺ فكبَّرُوا حِينَ رأوه، وقالوا: يا رسولَ اللهِ أَشْفَقْنَا أن يكونَ اللهُ تباركَ وتعالى اختارَ لَكَ أصحابًا غيرنا، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ:

لا بَلْ أنتمْ أَصحابي في الدنيا والآخِرَةِ، إنَّ اللهَ تَعَالَى أيْقَظَنِي فقالَ: «يا محمدُ إني لمْ

أَبْعَثْ نبيًا ولا رسولاً إلا وقد سألني مسألةً أعطيتُها إياهُ، فاسألْ يا محمدُ تُعْطَ، فقلتُ: مسألتي شفاعةٌ لأمتي يومَ القيامةِ، فقالَ أبو بكرٍ: يا رسولَ اللهِ وما الشفاعةُ؟ قالَ: أقولُ يا ربِّ شفاعتي التي اختبأتُ عندك، فيقولُ الربُّ تباركَ وتعالى: **«نعمْ»**، فيَخْرِجُ ربي تبارك وتعالى بقيةَ أمتي من النارِ فَيَنْبِذُهُمْ في الجنةِ.

(حسن) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٢٥).

١٠/٥١٢ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: حدثني نبي الله ﷺ قال:

إني لقائمٌ أنتظرُ أُمتي تعْبُرُ على الصراطِ، إِذْ جَاءني عيسى فقالَ: هذه الأنبياءُ قَدْ جَاءتْكَ يا محمدُ يشتكونَ، أو قالَ: يجتمعونَ إليكَ ويدعون الله عزَّ وجلَّ أنْ يُفَرِّقَ جَمْعَ الأممِ إلى حيثُ يشاء اللهُ لغمِّ ما هُمْ فيه، والخلقُ ملجمونَ في العرقِ، وأما المؤمنُ فهو عليه كالزكْمةِ، وأما الكافرُ فيتغشاهُ الموتُ، قال: قال: عيسى انتظرْ حتى أرجعَ إليكَ، قال فذهَبَ نبيُ اللهِ ﷺ حتى قامَ تحتَ العرشِ، فَلَقِيَ ما لمْ يَلْقَ مَلَكٌ مُصطَفَى، ولا نبيٌ مرسلٌ، فأوحى اللهُ عزَ وجلَ إلى جبريلَ: **«اذهبْ إلى محمدٍ فقلْ له: ارفعْ رأسكَ، سَلْ تُعْطَهُ، واشفعْ تُشَفَّعْ»**، قال: فَشُفِّعْتُ في أمتي أنْ أُخرِجَ من كلِ تسعة وتسعين إنسانًا واحدًا، قال: فما زلتُ أترددُ على ربي عزَ وجلَ، فلا أقوم مقامًا إلا شُفِّعْتُ، حتى أعطاني اللهُ عزَ وجلَ من ذلك أنْ قالَ: **يا محمدُ، أَدْخِلْ مِنْ أُمتِكَ مِنْ خَلْقِ الله عزَّ وجلَّ من شَهِدَ أنه لا إله إلا اللهُ يومًا واحدًا مُخْلِصًا، وماتَ على ذلك»**.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٧٨).

١١/٥١٣ ـ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال:

سألت ربي عز وجل فوعدني أن يدخل من أمتي سبعين ألفًا على صورة القمر ليلة البدر، فاستزدت فزادني مع كل ألف سبعين ألفًا، فقلت: أي ربِّ إن لم يكن هؤلاء مهاجري أمتي، قال: **«إذن أكملهم لك من الأعراب»**.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٥٩).

١٢/٥١٤ ـ وعن أبي هريرة أيضًا:

سألت الله عز وجل الشفاعة لأمتي، فقال لي: **«لك سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب»**، فقلت: يا ألله زدني، فقال: **«فإن لك هكذا، فحثا بين يديه، وعن يمينه، وعن شماله»**.

(صحيح) ـ أخرجه البغوي كما في سلسلة الألباني (ج ٤/ ١٨٧٩).

المعنى

الحمد لله الذي أعطى نبيَّه محمدًا ﷺ الشفاعة في يوم القيامة، وهذا من القدر الكبير والمكانة العظمى لنبينا ﷺ حيث كل الأنبياء والمرسلين يتعاظمون هول الموقف ويقول كل واحد منهم نفسي ونفسي، ويظهر عجزه عن إغاثة الناس، أما نبينا محمد ﷺ فيسارع إلى الشفاعة ويستجيب الله لشفاعته، ولا يفكر بنفسه بل يقول: أمَّتي أمَّتي.

واعلم أخي القارىء أن الشفاعة على خمسة أقسام:

الأولى: الشفاعة العظمى وهي لجميع الخلائق وذلك حيث يريحهم من هول الموقف وتعجيل الحساب كما رأيت في أحاديث الشفاعة.

الثانية: الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب.

الثالثة: الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لبعض أهلها.

الرابعة: الشفاعة في قوم استوجبوا النار بذنوبهم فلا يدخلونها.

الخامسة: الشفاعة في إخراج بعض المذنبين من النار.

واعلم أيضًا أن الشفاعة الأولى والثانية خاصتان بنبينا محمد ﷺ (انظر التاج الجامع للأصول في باب الشفاعة).

(١٥) باب صفة الجنة

١/٥١٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

قالَ اللهُ عز وجل: **«أعْدَدْتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ. واقرءوا إن شئتم:**

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

(صحيح) أخرجه الحميدي (جـ ٢/١١٣٣).

٢/٥١٦ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

قال اللهُ تبارك وتعالى: **«أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خَطَرَ على قلب بشرٍ»**

قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب (١)، ومسلم في كتاب الجنة حديث ٢.

٣/٥١٧ ـ وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

قال اللهُ عزَّ وجلَّ: «أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، ذخرا بله ما أطلعكم الله عليه».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتب الجنة حديث ٣.

٤/٥١٨ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

يقول اللهُ تعالى: «أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ ذُخْرًا بَلهَ ما أُطْلِعْتُم عليه[1]»، ثم قرأ:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ٢٧].

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب (١) قوله: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم﴾، ومسلم في كتاب الجنة حديث ٤.

٥/٥١٩ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

يقولُ اللهُ: «أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلب بشر، واقرءوا إن شئتم»:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

«وفي الجنة شجرةٌ يسيرُ الراكبُ في ظلِّها مائةَ عامٍ لا يقطعُهَا واقرءوا إن شئتم:

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠].

«وموضعُ سوط في الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها واقرءوا إن شئتم:

﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ٥٦، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٣٨) والدارمي (٢/ ٣٢٥).

شرح المفردات

١ ـ بَلْهَ ما أُطلعتم عليه: دعوا ما أطلعتم عليه من نعيم الدنيا فإنَّ ما وعدكم الله به أعظم وأفضل بكثير.

٥٢٠/ ٦ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

قال: خَلَقَ اللهُ تبارَكَ وتعالى الجنةَ لبنةً[1] مِنْ ذَهَبٍ ولبنةً مِنْ فِضَّةٍ، ومِلاَطُهَا[2] المِسْكُ وقال لها: «تكَلَّمِي»، فقالتْ: قد أفلح المؤمنونَ، فقالت الملائكةُ: طوبى[3] لكِ منزلَ الملوكِ.

(صحيح) أخرجه الطبراني والبزار كما في الترغيب والترهيب (ج ٤ ص ٩٥١)، وفي مجمع الزوائد (ج ١٠ ص ٣٩٧).

٥٢١/ ٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ـ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ: أَوَلَسْتَ فيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلٰكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ ـ فَأَسْرَعَ وَبَذَرَ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ، وَاسْتِحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ. فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، لاَ تَجِدُ هَذَا إِلاَّ قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا أَصْحَاب زَرْعٍ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب كلام الرب مع أهل الجنة. أحمد في مسنده (٢/ ٥١١).

شرح المفردات

١ ـ لَبَنَةً: أي الحجر الذي يُبنى به الجدار.

٢ ـ مِلاطها: أي الطين الذي يجعل بين الحجارة لتتماسك.

٣ ـ طوبى: أي الخير العظيم والكثير.

(١٦) باب رضوان الله تعالى في الجنة أعظم ما في الجنة

١/٥٢٢ ـ عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ؛ إِنَّ اللهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، يَقُولُونَ: لبَّيْكَ[١] رَبَّنَا، وَسَعْدَيْكَ[٢]، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا، لا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا.

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ـ باب (٣٨) ـ صفة الجنة والنار. مسلم في كتاب الجنة حديث ١٨.

٢/٥٢٣ ـ وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: إذا دخل أهلُ الجنة الجنة قال، يقول الله عز وجل: هل تشتهون شيئًا فأزيدَكم؟ فيقولون: ربنا وما فوق ما أعطيتنا؟ قال: رضواني أكبر.

(صحيح) أخرجه الحاكم (جـ ١ ص ٨٢) ابن حبان (٢٦٤٧ موارد).

٣/٥٢٤ ـ وعن أنس رضي الله عنه:

.... ندعوه عندنا يوم المزيد قلت: ما المزيد؟ قال: إن الله جعل واديًا في الجنة أفيحَ[٣]، وجعل فيه كثبانًا[٤] من المسك، فإذا كان يوم الجمعة نزل فيه ـ وفيه ـ: أكسُوا عبادي، أطعموا عبادي، أسقوا عبادي، طيِّبوا عبادي ثم يقول: ماذا تريدون؟ قالوا: نريد رضوانَك ربنا. فيقول: قد رضيتُ عنكم، فينطلقون، وتصعدُ الحورُ العين إلى الغرف من زمردة خضراء أو ياقوتة حمراء.

(حسن) أخرجه أبو يعلى كما في المطالب العالية (جـ ١/ ٥٨٠).

شرح المفردات

١ ـ لبَّيك: أنا مقيم على طاعتك إلبابًا بعد إلباب أي إجابة بعد إجابة وقد ثُني اللفظ إشارة للتوكيد وللتكثير وليس لإفادة التثنية اللفظية.

٢ ـ سَعْدَيْك: أي إسعادًا بعد إسعاد أي أطلب منك المعونة تلو المعونة وقد ثُني أيضًا كما ثُني «لبَّيْكَ».

٣ ـ أَفْيَح: أي بيِّنُ الفَيَحَ أي واسع.

٤ ـ كُثْبانًا: مفرد كثيب أي الرمل المجتمع.

المعنى

إن للمسلم الخير الكثير في الجنة يتنعم به ويتلذذ، أنهار وجنائن وأزواج مطهرة وطعَام وشَراب وخدمة الولدان إلى غير ذلك، لكن الله سبحانه يزيدهم على هذه النعم الوافرة نعمة كبرى لم يتفطنوا لها وهي الرضوان من الله سبحانه فلا يسخط عليهم بعد ذلك أبدًا.

(١٧) باب ما لأدنى أهل الجنة من النعيم

١/٥٢٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

«إنّ أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول له: تَمَنَّ. فيتمنّى ويتمنّى فيقول له: هل تمنَّيْتَ؟ فيقول: نعم. فيقول له: فإنّ لك ما تمنّيت ومثلَه معه».

(صحيح) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٣١.

المعنى

إن أهل الجنة ذوو درجات، وذلك على حسب أعمالهم وما قدموا في الدنيا من طاعات وما اكتسبوا من أجر وثواب، وهذا الحديث القدسي الكريم يبين لنا مكانة أدنى أهل الجنة وما لهم من قدر ورفعة وإكرام عند الله، حيث يقول الله له تمنَّ، فيتمنّى العبد ويتمنّى، أي يطلب الأشياء الكثيرة والعديدة، ويستجيب الله له ويعطيه فوق ما تمنّى وزيادة على طلبه. فهذا ما لأدنى أهل الجنة فكيف يكون حال من هم في الدرجات الرفيعة؟! فاللهم اجعلنا منهم يا أكرم الأكرمين.

(١٨) باب طريق الجنة وطريق النار

١/٥٢٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قال: لمَّا خلقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ إِلَى أَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فجَاءَها وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فيها، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ. فَقَالَ: ارْجِعْ

إِلَيْهَا، فَانْظُرْ إِلى ما أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْت أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ ـ قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِها فِيها، فإِذا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُها بَعْضًا، فرَجَع إِلَيْهِ، فقالَ: وَعِزَّتِك لا يَسْمَعُ بِها أَحَدٌ فيَدْخُلها، فأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا.

(صحيح) أخرجه الترمذي في كتاب الجنة باب ٢١ أبو داود في كتاب السنة باب ٢٢. النسائي في كتاب الأيمان باب ٣.

المعنى

عندما رأى سيدنا جبريل عليه السلام الجنة وما أعدّه الله فيها من النعيم المُقيم فكأنه استسهل دخولها على كل إنسان، ورأى أن الحصول عليها يستهويه كل أحد ويرغب فيه فلا شك أنه يحب أن يدخلها، ولذلك أمر الله بها فأحاطها بالمكاره، أي أن الطريق الموصلة إلى الجنة، كلها محفوفة ومحيطة بالمكاره أي الأمور العظام التي تكرهها النفوس وتنفر منها لثقلها، وبالتالي فإن الذي يقوى على تجاوز هذه المكاره من جهاد للنفس وإقام الصلاة في الفجر حيث النفس تكره أن تستيقظ وتترك النوم، وعند الوضوء حيث النفس تكره أن تمس الماء البارد في الطقس البارد، وعند الصدقات حيث تكره النفس من الإنفاق بسبب حبها للمال، وعند الصيام وعند الحج وعند كل عبادة، فهنالك أشياء كثيرة تكرهها النفس وتعافها، ولن يتجاوزها إلا المؤمن التقي الصالح، وعندها تعلم أن دخول الجنة مع ما فيها من نعيم وإغراء بالنعيم ليس بالسهل ولا بالبسيط، إنما يحتاج إلى جهاد في النفس والمال والصحة والشباب، ولذلك قال جبريل بعد ذلك: «وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد».

وكذلك كانت الحال عندما رأى سيدنا جبريل عليه السلام النار وعذابها وأهوالها وجحيمها، فرأى أن الإنسان العاقل والموفق هو الذي لا شك سيبتعد عن هذه الأهوال وعن هذا العذاب الأليم، عن الطبيعي أن لا يدخلها أحد، ومن الطبيعي أن ينفر منها الناس ويبعدوا عنها، فمن سيدخلها إذًا؟ فأمر الله بها فحُفَّت بالشهوات، وإذا بطريق النار يصبح سهلاً وحلوًا وفيه الإغراءات من حب المال وحب الرئاسة والزّعامة والأنانية والحسد وحب التملك والظلم واللهو واللعب والترفه الذي يودي إلى المهالك. فلما رآها جبريل عليه السلام محاطة طريقها بهذه الشهوات علم أن مَنْ سينزلق فيها هم كثيرون بسبب هذه الشهوات ولذلك قال: «وعَزتك لقد خشيت أنْ لا ينجو منها أحد إلا دخلها».

(١٩) باب في سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب

١/٥٢٧ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: «عُرِضَتْ الأُمَمُ بِالموسِمِ فَرَأَيْتُ أُمَّتي فَأَعْجَبَتْنِي كَثْرتُهُمْ وَهَيئُهُمْ قَدْ مَلأُوا السَهَلَ والجبَلَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَرَضِيتَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ أي رَبِّ، قَالَ: وَمَعَ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلونَ الجنَّة بِغيْرِ حِسَابِ الَّذِينَ لاَ يسْتَرْقُونَ[١] وَلاَ يَكْتَوُونَ[٢] وَلاَ يَتَطَيَّرونَ[٣] وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوكَّلُونَ[٤]» فَقَالَ عُكَّاشَةُ[٥]: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنهُمْ فَقَالَ: «اللهُمَّ اجْعَلْه مِنهُم» ثُمَّ قَالَ رَجُلٌ آخَرُ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ: «سَبَقَكَ[٦] بِها عُكَّاشَةُ».

(صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٦٤٦ ـ موارد). أحمد في مسنده (١/ ٤٠١) (١/ ٤٢٠) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤٠٥، ٤٠٦).

شرح المفردات

١ ـ لا يسترقون: أي لا يطلبون الرقية وهي التمائم التي كانت توضع في الجاهلية أما الرقية من القرآن والدعاء فجائزة لا شيء فيها.

٢ ـ لا يكتوون: أي لا يداوون أنفسهم بالكيِّ بالنار، وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك لأنهم كانوا يرونه علة للشفاء وليس سببًا له.

٣ ـ لا يتطيّرون: لا يتشاءمون بشيء.

٤ ـ يتوكلون: التوكل هو ما يجب أن يكون عند جميع المسلمين من أنه لا مؤثر على الأشياء إلا الله تعالى.

٥ ـ عكّاشة: بضم العين وتشديد الكاف وتخفيفها، ابن محصن بكسر الميم وفتح الصاد.

٦ ـ سبقك بها عكاشة: من أحسن ما قيل في ذلك أنه قد يكون سبق عكاشة بوحي أنه يجاب فيه ولم يحصل ذلك للآخر (شرح النووي للصحيح).

المعنى

يرى النبي ﷺ أمته في يوم القيامة بأعداد هائلة وكثيرة بعكس ما يرى الأنبياء الآخرون حيث يكون معهم الرهيط أو العدد القليل جدًا كما روى ذلك مفصلاً الإمام مسلم في كتاب الإيمان حديث ٣٧٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

«عُرضت عليّ الأمم، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرهيط، والنبيَّ ومعه الرجل والرجلان، والنبيّ وليس معه أَحد، إذ رُفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي. فقيل لي: هذا موسى عليه السلام وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتُك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. ثم نهض فدخل منزله. فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله. وذكروا أشياء. فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال، ما الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه. فقال: هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. فقام عكاشة بن مِحْصَن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: أنت منهم. ثم قال رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: سبقك بها عكّاشة».

فصفات هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ولا جواز على الصراط هي التوكل الكامل والتام والحقيقي على رب العالمين الذي بيده مقاليد كل شيء. فهم لا يلتفتون إلى تمائم أهل الجاهلية ولا إلى الخرافات من الأقوال التي يدّعي نفعَها كثير من الكذابين والخداعين ليأكلوا أموال الناس بالباطل، ولو كانوا يستطيعون جلب الخير لأحد لجلبوه إلى أنفسهم وأنت تراهم في أسوأ حال وأزرى مآل. وكذلك لا يتشاءمون من أحد من خلق الله لأنهم يعلمون أن الضر والنفع من عند الله وحده. فهم عليه يتوكلون أبدًا، وبوعده يثقون، ولا يعقلون أنفسهم بمال ولا بكثرة ولا بمتاع.

(٢٠) باب مصير المنعَّمين من أهل الدنيا ومصير البائسين

١/٥٢٨ ـ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

يؤتى بأنعمِ أهلِ الدنيا من أهلِ النارِ يومَ القيامةِ، فَيُصْبَغُ[1] في النارِ صَبْغَةً، ثم يقالُ: «يا ابنَ آدمَ هل رأيتَ خيرًا قط؟ هل مَرَّ بك نعيمٌ قطّ؟» فيقول: لا واللهِ يا ربِّ، ويُؤتى بأشدِّ الناسِ بؤسًا في الدنيا من أهلِ الجنة، فَيُصْبَغُ صبغةً في الجنةِ، فيقالُ له: «يا ابنَ آدم هل رأيتَ بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدةٌ قط؟» فيقولُ: لا والله يا ربِّ ما مرّ بي بؤسٌ قطُّ، ولا رأيتُ شدة قطُّ.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب المنافقين حديث ٥٥، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٠٣).

٢/٥٢٩ ـ عن أنس أن رسول الله ﷺ قال:

يُؤْتَى بأشدِّ الناسِ كانَ بلاءً في الدنيا من أهلِ الجنةِ، فيقولُ: **«اصبغوهِ صبغةً في الجنةِ»**، فيصبغونه فيها صبغة، فيقولُ الله عز وجل: **«يا ابنَ آدم؟ هل رأيتَ بؤسًا قط؟ أو شيئًا تكرهُهُ؟»** فيقول: لا وعزتك ما رأيتُ شيئًا أكرهُهُ قَطُّ، ثم يؤتي بأنعمِ الناسِ كان في الدنيا من أهل النارِ، فيقالُ: **«اصبغوه فيها صبغةً»**، فيقول: **«يا ابنَ آدَمَ! هلْ رأيتَ خيرًا قط قُرَّةَ عينٍ قط؟»** فيقولُ: لا وعزتك ما رأيتُ خيرًا قطّ، ولا قرةَ عينٍ قطّ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٥٣).

شرح المفردات

١ ـ يُصْبَغُ: أي يُغْمَسُ غمسةً.

المعنى

ربما رأيت في الدنيا المقيم على معصية الله والمعرض عن ذكر الله يرفل بالنعمة ويتقلب في الرفاهية والسعادة، بينما يعيش التقي والعبد الصالح في نكد من العيش وضيق في هذه الحياة، فإذا رأيت ذلك فلا تغترّن، ولا تدع ذلك يؤثر في نفسك فيضلك عن سواء السبيل لأنه سوف يجرك إلى الاعتراض على أمر الله والعياذ بالله، فاعلم أيها الأخ المؤمن، أن الدنيا لا تساوي عند الله شيئًا ولذلك فهو يطعم الكافر ويسقيه، ويعطي الفاسق ويمنح المنافق ويوسع على العصاة، لكنه وفي يوم القيامة سوف لن ينال رحمة الله إلا المطيعون العابدون وهناك يكون الفرح الكبير، وهناك تتحقق النعمة التي لا تنقطع، والتي لا يشوبها هَمٌّ ولا تُنغِّصها الأمراض، فما هي إلا غمسة واحدة في الجنة فينسى العبد آلامه وأتعابه وأوجاعه التي عانى منها في دنياه، وما هي أيضًا إلا غمسة واحدة في نار جهنم فينسى العبد الآثم المغتر نعيمه وسروره وسعادته التي تقلب بها في دنياه، فاللهم نسألك خيري الدنيا والآخرة، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

(٢١) باب أهل الجنة والنار

١/٥٣٠ ـ عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

احتجتْ الجنةُ والنارُ فقالت الجنةُ: يا ربِّ مالي لا يدخلني إلا فقراءُ الناسِ وسَقَطُهُم؟(١) وقالت النارُ: مالي لا يدخلني إلا الجبارونَ والمتكبرون؟ فقال للنارِ: **«أنت عذابي أصيب بِكِ من أشاء»**، وقال للجنة: **«أنت رحمتي أصيب بك من أشاء، ولكلّ واحد**

منكما ملؤها»، فأما الجنةُ فإنَّ اللهَ ينشئُ لها ما يشاء، وأما النارُ فَيُلْقَونَ فيها وتقولُ: هل من مزيد؟ حتى يضعَ قدمه[٢] فيها، فهنالك تمتلئُ ويَزْوِي[٣] بعضها إلى بعضٍ، وتقولُ: قطْ قطْ قطْ[٤].

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (ج ١٤/ ٧٧٠٤).

٢/٥٣١ ـ عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال:

افتخرتْ الجنةُ والنارُ، فقالت النارُ: يا ربِّ يدخلني الجبابرةُ والمتكبرون والملوكُ والأشرافُ، وقالتْ الجنةُ: أي ربِّ يدخلني الضعفاءُ والفقراء والمساكينُ، فيقولُ الله تبارك وتعالى للنار: **«أنت عذابي أصيبُ بِك من أشاء»** وقال للجنةِ: **«أنت رحمتي وسعتِ كلَّ شيءٍ، ولكلِّ واحد منكما ملؤها»**، فَيُلْقي في النارِ أهلَهَا، فتقولُ: هل من مزيد؟ قال: ويُلْقَى فيها، وتقولُ: هل من مزيد؟ ويُلْقَى فيها، وتقولُ: هل من مزيد؟ حتى يَأْتِيَهَا تباركَ وَتَعَالَى فيضع قَدَمَهُ عليها فتزوِي فتقول: قَدِي قَدِي[٥]، وأما الجنةُ فيبقى فيها أَهْلُهَا ما شاء اللهُ أن يبقى، فينشئُ الله لها خلقًا ما يشاءُ.

(صحيح لغيره) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ١٣).

٣/٥٣٢ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

تَحَاجَّتِ الجنةُ والنارُ، فقالتْ النارُ: أُوثِرْتُ بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنةُ فما لي لا يَدْخُلُنِي إلا ضعفاءُ الناس وسَقَطُهُم وغِرَّتهم؟ فقال الله للجنةِ: **«إنما أنتِ رحمتي أرحمُ بِكِ من أشاءُ من عبادي»**، وقال للنارِ: **«إنما أنت عذابي أعذِّبُ بك من أشاءُ من عبادي، ولكلِّ واحدةٍ منكما ملؤُهَا»**، فأما النارُ فإنهم يُلْقَوْنَ فيها **﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾** فلا تمتلىءُ حتى يضعَ رِجْلَهُ ـ أو قال قَدَمَهُ ـ فيها فتقول: قطْ قطْ قطْ، فهنالك تُمْلأُ وتنزوي بعضها إلى بعضٍ، ولا يظلمُ الله من خلقه أحدًا، وأما الجنةُ فإنَّ اللهَ يُنْشِيءُ لها ما شاءَ.

(صحيح) ـ أخرجه عبد الرزاق (ج ١١/ ٢٠٨٩٣).

٤/٥٣٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

تحاجَّت الجنةُ والنارُ فقالت النارُ: أُوثِرْتُ بالمتكبرينَ والمتجبرينَ، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناسِ وسَقَطُهُمْ، قال اللهُ تبارك وتعالى للجنة: **«أنتِ رحمتي أرحمُ بِكِ من أشاءُ من عبادي»**، وقال للنارِ: **«إنما أنت عذابُ أعذبُ بِكِ من أشاءُ من عبادي، ولكلِ واحدة منهما ملؤُهَا»**، فأما النارُ فلا تمتلىءُ حتى يضعَ رجلَهُ[٦]، فتقول: قَطِ

قَطِ قَطِ، فهنالك تمتلىءُ ويُزْوَى بعضُها إلى بعضٍ ولا يظلمُ الله عز وجل من خلقِهِ أحدًا، وأما الجنةُ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُنشىءُ لها خلقًا.

(صحيح) - أخرجه البخاري في كتاب تفسير سورة ٥٠ باب ١. أحمد في مسنده. (٢/ ٣١٤).

٥/٥٣٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

تحاجتْ الجنةُ والنارُ: أوثرتُ بالمتكبرين المستجبرين، وقالت الجنةُ: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاءُ الناسِ وسَقَطُهُمْ وغِرَّتُهُمْ؟(٧) قال الله للجنة: **«إنما أنتِ رحمتي أرحمُ بِكِ من أشاءُ من عبادي»**، وقال للنارِ: **«إنما أنتِ عذابي أعذِّبُ بِكِ من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما مِلْؤُهَا»**، فأما النارُ فلا تمتلىءُ حتى يضع اللهُ تبارك وتعالى رجلَهُ، تقولُ: قَطِ قَطِ، فهنالك تمتلىءُ ويُزْوِى بعضُهَا إلى بعضٍ، ولا يظلمُ الله من خلقِهِ أحدًا، وأما الجنةُ فإنَّ الله ينشىءُ لها خلقًا.

(صحيح) - أخرجه مسلم في كتاب الجنة حديث ٣٥، ٣٦.

٦/٥٣٥ - وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ:

اختصمت الجنةُ والنار إلى ربهما فقالت الجنةُ: يا ربِّ ما لها لا يدخلها إلا ضعفاءُ الناسِ وسَقَطُهُمْ؟! وقالت النارُ - يعني - أوثرتُ بالمتكبرين، فقال اللهُ تعالى للجنةِ: **«أنت رحمتي»**، وقال للنارِ: **«أنتِ عذابي أصيبُ بك من أشاءُ، ولكلِّ واحدةٍ منكما ملؤها»**، قال: فأما الجنةُ فإنَّ اللهَ لا يظلمُ من خلقِهِ أحدًا، وأنه ينشىءُ للنارِ من يشاءُ فَيُلْقَونَ فيها فتقولُ: هل من مزيدٍ؟ ثلاثًا، حتى يضعَ فيها قَدَمَهُ، فتمتلىءُ ويردُّ بعضها إلى بعضٍ، وتقول: قطْ قطْ قطْ.

(صحيح) - أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب (٢٥) قوله تعالى **﴿أن رحمة الله قريب من المحسنين﴾**.

٧/٥٣٦ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

احتجت النارُ والجنةُ فقالت هذه: يدخلني الجبارونَ والمتكبرونَ، وقالت هذه: يدخلني الضعفاءُ والمساكينُ، فقال الله عزَّ وجلَّ لهذه: **«أنت عذابي أعذبُ بك من أشاءُ»**، وربما قال: **«أصيبُ بِكِ من أشاءُ»** وقال لهذه: **«أنتِ رحمتي أرحمُ بِكِ من أشاءُ، ولكلِّ واحدةٍ منكما مِلْؤُهَا»**.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الجنة حديث ٣٤ ـ ٣٦، والبخاري في الأدب المفرد (٥٥٤).

شرح المفردات

١ ـ سَقَطُهم: بفتح السين والقاف أي ضعفاؤهم.

٢ ـ قَدَمَهُ: قولَ جمهور السلف وطائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم في تأويلها بل نؤمن أنها حق على ما أراد الله ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد.

أما جمهور المتكلمين فقالوا: إنها تتأول بحسب ما يليق بها، فعلى هذا اختلفوا في تأويل الحديث على أقوال رأيت أفضلها وأحسنها أن المراد في النار آخر أهلها فيها ويكون الضمير في «قَدَمَه» عائدًا للمزيد.

٣ ـ يَزْوى: أي يُضم بعضها إلى بعض فتجتمع وتلتقي على مَنْ فيها.

٤ ـ قطْ: اسم فعل بمعنى يكفي ويقال قطْ وقطِ وقطِ وقطْني وكلها بمعنى واحد وهو حسبي ويكفيني وتدخل الفاء على قط فتصير «فقط» وتكون هذه الفاء للتّزيين.

٥ ـ قدي: أيضًا اسم فعل بمعنى حسبي يقال قدْك أي كفاك أو يكفيك أو اكتفِ ويقال قِدْني وقدي أي حسبي ويقال قَدْهُ أي حسبه.

٦ ـ رجله: نفس الكلام بالنسبة لكلمة «قَدَمَهُ».

٧ ـ غِرّتهم: بغين معجمة مكسورة وراء مشددة أي البُلْهُ الغافلون الذين ليس لهم فتك وحذر في أمور الدنيا.

المعنى

تفصل هذه الأحاديث القدسية من هم أهل الجنة ومن هم أهل النار، فتبرز صفتان محدّدتان، واحدة للجنة وأخرى للنار، وليس معنى ذلك أن هاتين الصفتين هما وحدهما، بل ذكرتا على سبيل التشديد والتهويل لأنهما من أعظم وأخطرِ الصفات.

فالصفة الأولى تتركز على الانكسار لله والتواضع له فيدخل تحت هذه الصفة الفقراء وسقطهم والضعفاء والمساكين وغِرّتُهم، غير أن الجنة تتساءل عن سبب هذه الخاصية، فيجيبها الله تعالى بقوله: «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء».

أما الصفة الثانية فإنها تتركز على التكبر والتجبر اللذين هما مصدر كل شر وفساد

وطغيان، ويدخل تحت هذه الصفة الجبارون والمتكبرون والملوك والأشراف لأنهم يغلب على صفاتهم الظلم والبغي، وكذلك تتساءل النار عن سبب هذه الخصوصية فيجيبها الله تعالى بقوله: «أنتِ عذابي أعذب بك من أشاء» غير أن النار لا تكتفي بما يُلقى فيها من المتكبرين والجبابرة والعصاة وإذا بها تطلب المزيد، فيُلقي الله فيها المزيد، ثم تعود فتقول: هل من مزيد؟ وهكذا يزيدها الله في كل مرة حتى يضع الله فيها آخر أهلها فتنضم إلى بعضها وتُغلقُ على أهلها وتقول اكتفيت اكتفيت اكتفيت وهذا معنى قولها قط قط قط أو قدي قدي.

وأما الجنة فإن الله يُنشيء لها خلقًا لكي تمتلىء، بعكس النار التي امتلأت بأهلها ولا يظلم ربك أحدًا.

(٢٢) باب أمنيات أهل الجنة وأهل النار

١/٥٣٧ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول له: يا ابن آدم كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أيْ ربِّ خيرَ منزل. فيقول: سلْ وتمنَّ. فيقول: ما أسألُ وأتمنى إلا أن تردَّني إلى الدنيا فأُقتلُ في سبيلك عشرَ مَرّاتٍ لما يرى من فضل الشهادة. ويُؤتى بالرجل من أهل النار فيقول له: يا ابن آدم كيف وجدتَ منزلك؟ فيقول: أيْ ربِّ شرَّ منزلٍ. فيقول له: أتفتدي منه بطلاع[١] الأرض ذهبًا؟ فيقول: أي ربِّ نعم. فيقول: كذبْتَ، قد سألتُك أقلَّ من ذلك وأيْسَرَ فلم تفعلْ. فيردُّ إلى النار.

(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٧/٣، ٢٣٩) والحاكم (جـ ٢ ص ٧٥).

شرح المفردات

١ ـ بطلاع الأرض: طلاعُ الشيء قدرُهُ أي بقدر ثقل الأرض ووزنها.

المعنى

هذه هي أمنيات أهل الجنة، العودة إلى الدنيا للاستشهاد في سبيل الله لما يرون من نعيم الله ورضوانه، وتلك هي أمنيات أهل النار، إنه يتمنى أن يكون له بثقل الأرض ذهبًا ويقدمه فداء لنفسه من النار وقد سئل من قبل في الدنيا بأيسر من هذا، وهو الإيمان والإسلام، فرفضه وأعرض عنه، ولذلك يبقى في نار جهنم مخلدًا فيها كما قال تعالى:

﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يُقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين﴾ [آل عمران: ٩١].

(٢٣) باب الميزان والصراط

١/٥٣٨ ـ عَنْ سَلْمَانَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «يُوضَعُ المِيزانُ[١] يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَوْ وَزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَوَسِعَتْ، فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ: يَا رَبِّ لِمنْ يَزْن هَذَا؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: لِمنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فَتَقُولُ الْمَلاَئِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ[٢] مِثْلُ حَد الْمُوسِي، فَتَقُولُ الْمَلاَئِكَةُ: مَنْ تُجِيزُ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ؟ فَيَقُولُ: مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْناكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ».

(صحيح) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٦).

شرح المفردات

١ ـ الميزان: وهو الذي توزن به الحسنات والسيئات، له لسان وكِفّتان.

٢ ـ الصراط: هو جسر ممدود على ظهر جهنم أدق من الشعر وأحدُّ من السيف ويتوسع للمؤمنين حسب نورهم وعبادتهم.

المعنى

كل الناس ستوزن أعمالهم بالميزان يوم القيامة كما قال الله تعالى: **﴿والوزن يومئذ الحق، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون. ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾** [المؤمنون: ١٠٢].

وكذلك المرور على الصراط قال تعالى: **﴿وإن منكم إلا واردها﴾** [مريم: ٧١] ولقد قال ﷺ: يضرب الصراط بين ظهراني جهنم، وأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ إلا الرسلِ، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم. وفي رواية أخرى قال: فيمر المؤمنون كطرفة العين وكالبرق الخاطف وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم، وقد مرّ بحث ذلك بشيء من التفصيل في كتاب القيامة.

(٢٤) باب حوض النبي ﷺ

١/٥٣٩ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ فقال:

«يا أيها الناس إنكم محشورون إلى اللهِ حفاةً عراةً غُرْلاً[١]، ثم قال:

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] إلى آخر الآية.

ثم قال: ألا وإن أول الخلائِقِ يُكسى يومَ القيامةِ إبراهيمُ، ألا وإنه يجاءُ برجال من أمتي، فيؤخذُ بهم ذاتَ الشِّمال، فأقولُ: يا ربِّ أُصَيْحَابي، فيقالُ: «**إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»، فأقولُ كما قال العبدُ الصالحُ:

﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

فيقال: «**إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم**».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ١٣. ومسلم في كتاب الجنة حديث ٥٨.

٢/٥٤٠ ـ عن أبي هريرة أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال:

يَرِدُ عليَّ يومَ القيامةِ رَهْط من أَصْحَابي، فَيُحَلَّؤُنَ[٢] ـ وفي لفظٍ: فَيُجْلَوْنَ ـ عن الحوضِ فأقولُ: يا ربِّ أصحابي! فيقول: «**إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القَهْقَرَى**».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب (٥٣) الحوض.

٣/٥٤١ ـ وعن أسماء رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال:

أنا علي حوضي أنتظرُ من يردُ عليّ، فيؤخذُ بناسٍ من دوني، فأقولُ: أمتي، فيقول: «**لا تدري مشوا على القهقَرَى**»[٣].

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب (١) ما جاء في قول الله تعالى: **﴿واتقوا فِتنةً لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾** [الأنفال: ٢٥].

٤/٥٤٢ ـ عن أنس عن النبي ﷺ قال:

ليردنَّ عليّ ناس من أصحابي الحوضَ حتى إذا عرفتهم اختلجوا[٤] دوني، فأقول أصحابي! فيقول: «**لا تدري ما أحدثوا بعدك**».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض رقم (٥٣).

٥/٥٤٣ ـ عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله قال:

«أنزلت عليَّ آنفًا سورة فقرأ:

بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة الكوثر)

ثم قال: [أتدرون ما الكوثر؟] فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال:

فإنه نهرٌ وعدنيه ربي عزَّ وجلَّ، عليه خيرٌ كثيرٌ، هو حوضٌ(٥) تَرِدُ عليه أمتي يومَ القيامةِ، آنيته عدد النجومِ فَيُخْتَلَجُ العبدُ منهم، فأقولُ: ربِّ إنه من أمتي، فيقولُ: **«ما تدري ما أَحْدَثَتْ بعدك»**.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الصلاة حديث ٥٣، والنسائي في كتاب البيعة باب ٣٥، ٣٦.

٦/٥٤٤ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بين ظهراني أصحابه:

إني على الحوضِ أنتظرُ من يردُ عليّ منكم، فوالله ليُقْتَطَعَنَّ دوني رجالٌ فلأقولنَّ أي ربِّ مني ومن أمتي! فيقولُ: **«إنك لا تدري ما عملوا بعدك!! ما زالوا يرجعون على أعقابهم»**.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الفضائل حديث ٢٨.

٧/٥٤٥ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

أنا فَرَطُكم(٦) على الحوضِ، ليُرْفَعَنَّ إليَّ رجالٌ منكم، حتى إذا أهْوَيْتُ لأُنَاوِلَهم أُخْتُلِجوا دوني، فأقول: أي رب؟! أصحابي، يقول: **«لا تدري ما أَحدثوا بعدك»**.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب ما جاء في قول الله تعالى: **﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾** رقم (١).

٨/٥٤٦ ـ وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:

أنا فرطُكم على الحوضِ، ولأنازعَنَّ أقوامًا، ثم لأُغْلَبَنَّ عليهم، فأقول: يا ربِّ أصحابي، فيقول: **«إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في منسده (١/ ٣٨٤)، ومسلم في كتاب الفضائل حديث ٣٢.

٩/٥٤٧ ـ عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ:

إني ممسكٌ بِحُجُزِكُمْ(٧) هَلُمَّ عن النارِ، وأنتمْ تَهَافَتُونَ فيها، وتَقَاحَمُونَ فيها تَقَاحُمَ الفراشِ في النارِ والجنادبِ(٨) ـ يعني في النار ـ وأنا ممسكٌ بِحُجُزِكُمْ، وأنا فرطٌ لكم على الحوضِ، فتردُونَ عليّ معًا وأشتاتًا، فأعرفكم بسيماكم وأسمائكم، كما يعرفُ الرجلُ الفرسَ، وقال غيره: كما يعرفُ الرجل الغريبةَ من الإبل في إبلهِ، فَيُؤْخَذُ بكم ذَاتَ الشمالِ، فأقولُ: إليّ يا ربِّ بأمتي أمتي، فيقول: أو يقالُ: «يا محمدُ إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، كانوا يمشون بعدك القَهْقَرَى»، فلا أَعرفنَّ أحدَكم يأتي يوم القيامةِ يحملُ شاةً لها ثُغَاء ينادي: يا محمدُ فأقول: لا أملكُ لك شيئًا، قد بَلَّغْتُ، ولا أعرفنَّ أحدكم يأتي يوم القيامة ببعيرٍ له رُغَاءٌ فينادي: يا محمدُ، فأقول: لا أملكُ لك من الله شيئًا، قد بلَّغْت، ولا أعرفنَّ أحدكم يأتي يومَ القيامةِ يحملُ قِشْعًا(٩)، فيقولُ: يا محمد فأقول: لا أملكُ لك من الله شيئًا قد بَلَّغْتُ.

(حسن) ـ أخرجه البزار (ج ١/ ٩٠٠ كشف الأستار).

١٠/٥٤٨ ـ عَنْ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ، ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ.

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض رقم (٥٣).

١١/٥٤٩ ـ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْد، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ، أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ.

قَال أَبُو حَازِم: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عِيَاشٍ، فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ لَسَمِعْتُهُ، وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا:

(فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا، سُحْقًا، لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي).

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض رقم (٥٣).

١٢/٥٥٠ ـ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ، حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ مِنْ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي، وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُون عَلَى أَعْقَابِهِمْ، فكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا، أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا.

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب (٥٣) حوض النبي ﷺ. ابن أبي مُليكة هو أحد رواة الحديث.

١٣/٥٥١ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْمُخَضْرِمَةِ بِعَرَفَات، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ وَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ وَأَيُّ بَلَد هَذَا؟ قَالُوا هَذَا بَلَدٌ حَرَامٌ، وَشَهْرٌ حَرَامٌ، وَيَوْمٌ حَرَامٌ» قَالَ: «أَلاَ وَإِنَّ أَموالَكُمْ ـ وَدِمَاءَكُمْ عَلَيْكُم حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، في بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي يَوْمِكُمْ هَذَا، أَلاَ وَإِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَأُكَاثِرُ بِكُمْ الأُمَمَ، فَلاَ تُسَوِّدُوا وَجْهِي، أَلاَ وَإِنِّي مُسْتَنْقِذٌ أُنَاسًا، وَمُسْتَنْقَذٌ مِنِّي أُنَاسٌ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّي، أُصَيْحَابِي، فَيَقُولُ: «**إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**».

(صحيح) ـ أخرجه ابن ماجة في كتاب المناسك باب (٧٦) الخطبة يوم النحر.

شرح المفردات

١ ـ غُرلاً: مفردها أغرل وهو الذي لم يُختَنْ. والغُرلة هي القلفة التي تُقطع عند الاختتان، والمقصود أنهم يُحشرون كما خُلِقوا.

٢ ـ فَيُحَلَّوْنَ: أي يُصَدُّون ويُمنعون وكذا «يُجْلَوْنَ».

٣ ـ القهقرى: أي الرجوع إلى الوراء أي تركوا دينك ورجعوا إلى الكفر أو هم أصحاب الكبائر.

٤ ـ اختُلجوا: خَلَجَ أي إنتزع واختُلجوا أي انْتُزِعوا.

٥ ـ حوض: أطلق عليه اسم الكوثر لكون الحوض يُمَدُّ منه أي يستمد ماؤه من نهر الكوثر (انظر فتح الباري).

٦ ـ فَرَطُكُم: الفَرَطُ هو المتقدمُ قومَه إلى الماء ليُهَيِّيء لهم المكان ويستوي فيه

الواحد والجمع، ومنه الدعاء في الطفل الميت «اللهم اجعله لنا فرطًا» أي أجرًا يتقدمنا في الدار الآخرة.

٧ ـ بحُجُزكم: يقال حُجُزَات وحُجَزَات مفردها حُجْزَة وهي موضع التكّة من السراويل أو معقد الإزار.

٨ ـ الجنادِبُ: مفردها جُنْدُب وجِنْدَب وهو ضرب من الجراد وتسميه العامة القبُوط.

٩ ـ قِشْعًا: قَشِعَ الشيءُ أي جَفَّ والقشع هو البيت من جلد أو القطعة من الجلد اليابس أو القِربة البالية.

المعنى

تتمحور هذه الأحاديث القدسية حول موضوع مُعَيَّنٍ ونقطة واحدة، وهي تلك الردة عن الإسلام وشرع الله، أو هي ذلك التراجع الكبير عن طاعة الله والانهمال بالمعاصي والكبائر. فالناس سيُحشرون كما خلقهم الله تعالى، حتى الأشياء التي انفصلت من أجسادهم حال حياتهم كالشعر والأظافر وحتى القلفة التي اقتطعت عند الاختتان، سيعيدها الله سبحانه، إشارة في ذلك إلى عظيم قدرته على البعث والنشور فيندهش رسولُ الله ﷺ لحال قوم يُصَدُّون عن حوضه ويمنعون منه كلما اقتربوا منه، فيحاول أن يتدخل في ذلك على أنهم أصحابه أو من أصحابه، فيرد الله تعالى عليه بأن هؤلاء قد تركوا دينك وأعرضوا عن ما جئت به من الهدى وأنت لا علم لك بذلك، وحينها وعندما يعلم رسول الله ﷺ يدعو عليهم بالسحق والعذاب والهلاك.

(٢٥) باب رؤية الله تعالى

١/٥٥٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال:

هل تُمَارون[١] في القمر ليلةَ البدرِ ليس دونه سحابٌ، قالوا: لا يا رسولَ اللهِ، قال: فهلْ تُمارونَ في الشَمس ليس دونها سحابٌ، قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك، يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامة، فيقولُ: **«من كانَ يَعْبُدُ شيئًا فليتبعْ»**، فمنهم من يتبعُ الشمسَ، ومنهم من يتبعُ القمر، ومنهم من يتبع الطواغيتَ، وتبقى هذه الأمةُ فيها منافقوها، فيأتيهمُ اللهُ فيقولُ: **«أنا ربكم»**، فيقولون: هذا مكانُنا حتى يأتِيَنا ربنا، فإذا جاءَ ربنا عرفناه، فيأتيهم اللهُ، فيقولُ: **«أنا ربكم»**، فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم، فَيُضْرَبُ الصراط بين ظهرانَي جهنمَ

فأكونُ أولَ من يجوزُ من الرسلِ بأمتِه، ولا يتكلمُ يومئذٍ أحدٌ إلا الرسلُ، وكلامُ الرسلِ يومئذٍ: اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وفي جهنمَ كلاليبُ مثلُ شوكِ السَّعْدَانِ[٢] هل رأيتم شوكَ السَّعْدَان؟ قالوا: نعمْ، قال فإنها مثل شوك السعْدان، غير أنه لا يعلمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إلا اللهُ، تَخْطِفُ الناسَ بأعمالِهِم، فمنهم من يُوبَقُ[٣] بعمله، ومنهم من يُخَرْدَلُ[٤] ثم ينجو، حتى إذا أرادَ الله رحمةَ من أرادَ من أهل النارِ أمرَ اللهُ الملائكةَ أن يُخرِجُوا من كانَ يعبدُ اللهَ فيخرجونهم، ويعرفونهم بآثارِ السجودِ، وحرَّم اللهُ على النارِ أن تأكل أثر السجودِ، فَيُخْرَجُونَ من النار، فكلُّ ابن آدم تأكله النارُ إلا أثرَ السجود، فيخرجونَ من النارِ قد امْتُحِشُوا[٥]، فيُصَبُّ عليهمْ ماءُ الحياة[٦] فينبتونَ كما تنبتُ الحِبةُ[٧] في حميلِ السيل، ثم يفرغُ الله من القضاءِ بين العبادِ، ويبقى رجلٌ بين الجنة والنار، وهو آخرُ أهلِ النارِ دخولاً الجنة مقبلٌ بوجهه قبل النارِ، فيقولُ: يا ربِّ أصْرِفْ وجهي عن النارِ، قد قَشَبَنِي[٨] ريحُها، وأحرقني ذَكَاؤُهَا[٩]، فيقولُ: **«هل عسيتَ إن فُعِلَ ذلك بك أن تسألَ غير ذلك؟»** فيقول: لا وعزتك فَيُعْطِي اللهَ ما يشاءُ من عهدٍ وميثاقٍ، فيصرفُ الله وجهه عن النارِ، فإذا أقبل به على الجنةِ رأى بهجتها سكتَ ما شاءَ اللهُ أن يسكتَ، ثم قال: يا ربِّ قدمني عند بابِ الجنة، فيقولُ اللهُ له: **«أليسَ قد أعطَيتَ العهودَ والميثاقَ أن لا تسألَ غير الذي كنت سألتَ»**، فيقولُ: يا ربِّ لا أكونُ أشقى خلقِكَ، فيقولُ: **«فما عَسَيتَ إن أُعْطِيتَ ذلك أنْ لا تسألَ غيره»**، فيقولُ: لا وعزتك لا أسألُ غير ذلك، فَيُعْطِي ربَّه ما شاءَ من عهدٍ وميثاقٍ، فيقدمُه إلى باب الجنةِ، فإذا بلغَ بابها، فرأى زهرتها وما فيها من النضرةِ والسرورِ فيسكتُ ما شاء اللهُ أن يسكتَ، فيقولُ يا ربِّ أدخلني الجنة، فيقولُ اللهُ: **«ويحك يا ابن آدمَ ما أغدركَ؟! أليس قد أعْطَيتَ العهودَ والميثاقَ أن لا تسألَ غير الذي أُعْطيتَ؟»** فيقولُ: يا ربِّ لا تجعلني أشْقَى خَلْقِكَ، فيضحكُ[١٠] اللهُ عزَّ وجلَّ منه، ثم يأذنُ له في دخولِ الجنةِ، فيقولُ: تمنَّ، فيتمنَّى حتى إذا انقطعَ أمنيتُهُ قال اللهُ عزَّ وجلَّ: **«منْ كَذَا وكَذا»**، أقبلَ يذكره ربُّه، حتى إذا انتهتْ به الأمانيّ قال اللهُ تعالى: **«لكَ ذلك ومثلُهُ معه»**.

قال أبو سعيد الخدري لأَبي هريرة رضي الله عنهما:

إنَ رسولَ الله ﷺ قال: قال اللهُ: **«لك ذلك وعشرةُ أمْثالِهِ»**.

قال أبو هريرة: لم أحفظْ من رسولِ الله ﷺ إلا قوله: **«لك ذلك ومثلُهُ مَعَه»**.

قال أبو سعيد: إني سمعته يقول: **«ذلك لك وعشرةُ أمثاله»**.

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب ١٢٩. مسلم في كتاب الايمان حديث ٢٩٩.

٢/٥٥٣ ـ وعن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال:

هل تُضَارُّونَ[١١] في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا: لا، قال: فهل تضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة، قالوا: لا، قال: فوالذي نفسي بيده لا تُضَارُّونَ في رؤية ربكم إلا كما تضارونَ في رؤية أحدهما، قال: فيلقى العبدَ فيقولُ: **«أي فُلْ[١٢]! ألم أُكرمْكَ، وأُسوِّدْكَ[١٣] وأزوِّجْك، وأسخر لك الخيلَ والإبلَ، وأَذَرْكَ ترأسُ وتَرْبَع؟[١٤]»** فيقول: بلى، قال: فيقولُ: **«أفظننتَ أنك مُلاقيّ»**، فيقولُ: لا، فيقولُ: **«فإني أنساكَ كما نسيتني»**، ثم يلقى الثاني: **«أي فُلْ ألم أكرمْك، وأسودْك، وأزوجك، وأسخرْ لك الخيلَ والإبلَ، وأذرْكَ ترأسُ وتَرْبَعُ؟»** فيقولُ: بلى أيْ ربِّ، فيقول: **«أفظننتَ أنك مُلاقي؟»** فيقولُ: لا، فيقول: **«فإني أنساكَ كما نسيتني»**، ثم يلقى الثالثَ فيقولُ له مثلَ ذلك، فيقولُ: يا ربِّ آمنتُ بك، وبكتابِكَ، ورُسُلِكَ، وصليتُ وصمتُ وتصدقتُ، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: **«ههنا[١٥] إذًا»** قال ثم يُقال له: **«الآنَ نبعثُ شاهدنا عليك»**، ويتفكرُ في نفسه: من ذا الذي يشهدُ عليّ؟! فَيُخْتَمُ على فيه، ويقالُ لِفَخذِهِ ولحمهِ وعظامِهِ: انطقي، فتنطقُ فَخِذُهُ ولحمُهُ وعظامُهُ بعملِهِ، وذلك ليُعْذِرَ من نفسِهِ، وذلك المنافقُ وذلك الذي يسخطُ اللهُ عليه.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الزهد حديث ١٦.

٣/٥٥٤ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أناسًا في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ:

نعمْ هل تضَارُّونَ في رؤية الشمسِ بالظهيرة ضَوءٌ ليس فيها سحابٌ، قالوا: لا، قال وهل تُضَارُّونَ في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البدْرِ ضوءٌ ليس فيها سحابٌ، قالوا: لا، قال النبي ﷺ: مَا تُضَارُّون في رؤية الله عز وجل يومَ القيامةِ إلا كما تُضارُّون في رؤيةِ أحدهما، إذا كانَ يومُ القيامة أَذَّنَ مؤذنٌ يَتْبعُ كلُّ أمة ما كانتْ تعبدُ، فلا يبقى من كانَ يعبدُ غيرَ الله من الأصنامِ والأنصابِ إلا يتساقطونَ في النارِ، حتى إذا لم يبقَ إلا مَنْ كانَ يعبدُ اللهَ برٌ أو فاجرٌ وغُبَّرَاتُ[١٦] أهْلِ الكتابِ، فَيُدْعَى اليهودُ، فيُقال لهم: **«من كنتمْ تعبدونَ؟»** قالوا: كنا نعبد عُزَيْرَ بن اللهِ، فيقالُ لهم: **«كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبةٍ ولا ولد، فماذا تبغونَ؟»** فقالوا: عطشنا ربّنا فاسْقِنا، فيشارُ: **«ألا تَردُونَ؟»** فيُحْشَرُون إلى النارِ كأنها سرابٌ يَحْطِمُ بعضُها بعضًا، فيتساقطونَ في النارِ، ثم يُدْعَى النصارى فيقال لهم: **«من كنتمْ تعبدونَ؟»** قالوا كنا

نعبدُ المسيحَ ابنَ اللهِ، فيقالُ لهم: **«كذبتمْ ما اتخذ اللهُ من صاحبةٍ ولا ولدٍ»**، فيقالُ لهمْ: **«ماذا تبغونَ»**، فكذلكَ مثلُ الأوّلِ، حتى إذا لم يَبْقَ إلا من كان يعبدُ اللهَ، من برٍّ أو فاجرٍ، أتاهم ربُّ العالمين في أدنى صورةٍ من التي رأوهُ فيها، فيقالُ: **«ماذا تنتظرونَ؟ تتبعُ كلُّ أمةٍ ما كانتْ تعبدُ»**، قالوا: فارقنا الناسَ في الدنيا على أفقرِ ما كنا إليهم، ولم نُصاحِبْهُمْ، ونحن ننتظرُ ربَّنا الذي كنا نعبدُ، فيقولُ: **«أنا ربكم»**، فيقولونَ لا نشركُ باللهِ شيئًا مرتين أو ثلاثا.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب (٨) قوله تعالى: **﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾**.

٤/٥٥٥ ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال:

هل تُضَارُّونَ في رؤيةِ الشمسِ والقمرِ إذا كانتْ صحوًا؟ قلنا: لا، قال فإنكمْ لا تُضَارونَ في رؤيةِ ربكم يومئذٍ إلا كما تُضَارونَ في رؤيتهما، ثمَّ قال يُنادِي منادٍ: **«ليذهبْ كلُّ قومٍ إلى ما كانوا يعبدونَ»**، فيذهبُ أصحابُ الصليبِ مع صليبِهِمْ، وأصحابُ الأوثانِ مع أوثانهم، وأصحابُ كلِّ آلهةٍ مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من برٍّ أو فاجرٍ وغُبَّرَاتٌ من أهلِ الكتاب، ثم يُؤتي بجهنمَ تَعْرِضُ كأنها سراب، فيقال لليهودِ: **«ما كنتم تعبدونَ؟»** قالوا كنا نعبد عزير بن اللهِ، فيقالُ: **«كذبتم لم يكنْ لله صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تُرِيدُونَ؟»** قالوا نريدُ أن تسقيَنَا فيقالُ: **«اشربوا»**، فيتساقطونَ في جهنم، ثم يُقالُ للنصارَى: **«ما كنتمْ تَعبدُونَ؟»** فيقولون: كنا نعبدُ المسيحَ ابنَ اللهِ، فيقالُ: **«كذبتمْ لم يكن لله صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تريدونَ؟»** فيقولونَ: نريدُ أن تسقيَنَا، فيقالُ: **«اشربوا»**، فيتساقطونَ، حتى يبقى مَنْ كان يعبدُ اللهَ من برٍّ أو فاجرٍ، فيقالُ لهم: **«ما يحبسُكم وقَدْ ذهبَ الناسُ»**، فيقولونَ فارقناهم ونحن أحوجُ منا إليهِ اليومَ، وإنا سمعنا مناديًا يُنَادِي ليلحقْ كلُّ قوم بما كانوا يعبدون، وإنما ننتظرُ ربَّنا، قالَ فيأتيهم الجبارُ فيقول: **«أنا ربكم»**، فيقولونَ: أنتَ ربُّنا؟ فلا يكلِّمه إلا الأنبياءُ، فيقولُ: هل بينكم وبينه آية تعرفونَهُ؟ فيقولونَ: الساقُ، فيُكْشَفُ عن ساقٍ فيسجدُ له كلُّ مؤمن، ويَبْقَى من كان يسجدُ للهِ رياء وسمعةً، فيذهبُ كيما يسجد فيعودُ ظهره طبقًا واحدًا، ثم يُؤتَي بالجسرِ فيُجْعلُ بين ظَهْرَيْ جهنم، قلنا يا رسولَ اللهِ وما الجسرُ؟ قال مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ(١٧) عليه خطاطيف وكلاليبُ وحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ(١٨)، لها شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ(١٩) تكونُ بنجدٍ يقالُ لها السَّعْدَانُ، المؤمنُ عَليها كالطَّرْفِ، وكالبَرْقِ، وكالريح،

وكأجاويد الخيلِ، والرِّكَاب، فَنَاجٍ مُسلَّمٌ، وناج مخْدُوشٌ، ومكدوسٌ في نارِ جهنَّم، حتى يمرَّ آخرُهم يُسْحَبُ سَحْبًا، فما أنتم بأشدَّ لي مناشدةً في الحَق - قد تبينَ لكم - مِنَ المؤمِنِ يومئذٍ للجبارِ، وإذا رأوْا أنهم قد نَجوا في إخوانِهِمْ يقولونَ: ربنا إخوانُنا كانوا يصلُّونَ معنا، ويَصُومُون معنا، ويعملون معنا، فيقول اللهُ تعالى: «اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ دينارٍ من إيمانٍ فأخرجوه»، ويحرِّم اللهُ صورَهم على النارِ، فيأتونَهُمْ وببعضهُم قد غابَ في النارِ إلى قدمه، وإلى أنصافِ ساقيه فَيُخرِجُون من عَرَفوا ثم يَعُودُون، فيقولُ: «اذهبوا فمن وجدتمْ في قلبه مثقالَ نصفِ دينار فأخرجُوه» فَيَخرِجُون مَنْ عرفوا ثم يعودُون، فيقولُ: «اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه»، فيُخرِجون من عرفوا.

قال أبو سعيدٍ: فإنْ لم تصدقوني فاقرءوا:

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠].

فيشفعُ النبيون والملائكةُ والمؤمنون، فيقولُ الجبارُ: بَقِيَتْ شفاعتي فيقبضُ قبضةً من النارِ، فَيُخرِجُ أقوامًا قد امْتُحِشُوا فَيُلْقَوْنَ في نهر بأفواهِ الجنة يقالُ له: ماءُ الحياةِ، فَيَنْبُتُونَ في حافتيه، كما تنبتُ الحَبَّةُ في حَميلِ السَّيْلِ، قد رأيتموها إلى جانبِ الصخرةِ إلى جانبِ الشجرةِ، فما كان إلى الشمسِ منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظلِ كان أبيضَ، فَيَخْرجُون كأنهم اللؤلؤُ، فَيُجْعَلُ في رقابهم الخواتيم، فيدخلُون الجنة، فيقول أهلُ الجنةِ: هؤلاءِ عتقاءُ الرحمنِ أدْخَلَهم الجنةَ بغيرِ عملٍ عَمِلُوه، ولا خيرٍ قَدَّمُوه، فيقالُ لهم: «لكم ما رأيتمْ ومثلُهُ مَعَهُ».

(صحيح) - أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب (٢٤) قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾.

٥٥٦/ ٥ - وعن أبي سعيد الخدري؛ أنا ناسًا في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسولَ اللهِ هل نرى ربنا يومَ القيامةِ؟ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: نَعَمْ. قال:

هَلْ تُضَارُونَ في رؤيةِ الشمسِ بالظَّهيرةِ صحوًا ليسَ معها سحابٌ؟ وهل تُضَارُونَ في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البدْرِ صحوًا ليس فيها سحابٌ. قالوا: يا رسولَ الله! قالَ: «ما تُضَارونَ في رؤية اللهِ تبارك وَتَعَالَى يومَ القيامةِ إلا كما تُضَارُونَ في رؤيةِ أَحَدِهما، إذا كَانَ يومُ القيامةِ أَذَّنَ مؤذنٌ: ليَتْبَعْ كُلُ أمةٍ ما كانتْ تعبدُ، فلا يبقى أحدٌ كان يَعْبُدُ غيرَ اللهِ سبحانه من الأصنامِ والأنصابِ إلا يتساقطونَ في النارِ، حتى إذا لم يَبْقَ إلا من كانَ يعبدُ اللهَ من برٍ

وفاجرٍ أتاهمْ ربُّ العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: **«فما تنتظرونَ؟ تتبعُ كل أمةٍ ما كانتْ تعبدُ»**، قالوا: يا ربنا! فارقنا الناسَ في الدنيا أفقرَ ما كنا إليهم ولم نُصَاحِبْهم، فيقولُ: **«أنا ربكم»**، فيقولونَ: نعوذُ بالله منكَ، لا نشركُ باللهِ شيئًا (مرتين أو ثلاثًا)، حتى إنَّ بعضَهُمْ ليكادُ أَنْ ينقلبَ، فيقولُ: **«هلْ بينكم وبَيْنَهُ آيةٌ فتعْرِفُونه بها؟»** فيقولونَ: نعمْ، فيُكْشَفُ عن ساقٍ[٢٠]، فلا يبقى من كان يسجدُ للهِ من تلقاءِ نفسِهِ إلا أذِنَ اللهُ له بالسجودِ، ولا يبقى من كان يسجدُ اتقاءً ورياءً إلا جعلَ الله ظَهْرَهُ طبَقَةً واحدةً، كلما أَراد أن يسجدَ خَرَّ على قفاه، ثم يرفعون رُءوسَهُم، وقد تَحَوَّلَ في صورتِهِ التي رأوهُ فيها أولَ مرةٍ، فقال: أنا ربكم، فيقولونَ: أنتَ ربنا، ثم يُضْرَبُ الجسر على جهنمَ، وتحلُّ الشَّفَاعةُ، ويقولون: اللهم! سَلِّمْ سلِّم» قيل: يا رسولَ اللهِ! وما الجسرُ؟ قال: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ فيه خطاطيفُ وكلاليبُ وحَسَكٌ، تكون بِنَجْد فيها شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لها السَّعْدَان، فيمرُ المؤمنونَ كطرفِ العينِ، وكالبرقِ، وكالريحِ، وكالطيرِ، وكأجاويدِ الخيل، والركابِ، فناجٍ مُسَلَّمٌ، ومخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، ومكدوسٌ في نارِ جهنمَ، حتى إذَا خَلَصَ المؤمنونَ من النارِ، فوالذي نفسي بيدِهِ! ما منكم من أحدٍ بأشدَّ مناشدةً للهِ في استقصاء الحق من المؤمنين للهِ يومَ القيامةِ لإخوانهم الذين في النارِ، يقولون: ربنا! كانوا يصومون معنا ويُصلُّونَ ويحجُون، فيقالُ لهم: **«أخرجوا من عرفتم»**، فتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ على النار، فَيُخْرِجُونَ خلقًا كثيرًا قد أخذت النارُ إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولونَ: ربنا! ما بَقِيَ فيها أحدٌ ممن أَمَرْتَنا به، فيقولُ: **«ارجعوا، فمنْ وجدتم في قلبِهِ مثقالَ دينارٍ من خيرٍ فأَخرِجوهُ»** فَيُخْرِجونَ خلقًا كثيرًا، ثم يقولُون: ربنا! لم نَذَرْ فيها أَحَدًا ممن أمرتنا، ثم يقولُ: **«ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقالَ نصفِ دينارٍ من خيرٍ فأَخرِجُوه»**، فَيُخْرِجُون خلقًا كثيرًا ثم يقولون: ربنا! لم نَذَرْ فيها ممن أمرتنا أحدًا، ثم يقولُ: **«ارجعوا، فمن وجدتم في قلبِهِ مثقالَ ذرةٍ من خير فأَخرِجُوه»**، فيُخْرِجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا! لم نذر فيها خيرًا.

وكان أبو سعيدٍ الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم:

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

فيقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **«شَفَعَتِ الملائكةُ، وشَفَعَ النبيونَ، وشَفَعَ المؤمنونَ، ولم يَبْقَ إلاّ أرحمُ الراحمينَ»**، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً من النارِ، فيُخْرِجُ منها قومًا لَمْ يعملوا خيرًا قطُّ، قد

عادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهم في نَهْرٍ في أفواه الجنةِ يقالُ له نهرُ الحياةِ، فَيَخْرُجُون كما تَخْرُجُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ، ألا تَرَوْنها تكونُ إلى الحَجَرِ أو إلى الشجر، ما يكونُ إلى الشمسِ أُصَيْفِرَ وأخَيْضِرَ، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيضَ؟» فقالوا: يا رسولَ اللهِ! كأنك كنتَ ترعى بالبادية، قال: «فَيَخْرُجُون كاللؤلؤِ في رقابهم الخواتِم، يَعْرِفهم أهلُ الجنةِ، هؤلاء عتقاءُ اللهِ الذين أدخلهم الجنةَ بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول: «ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم»، فيقولونَ: ربنا! أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحدًا من العالمين، فيقولُ: «لكم عندي أفضلُ مِن هذا»، فيقولونَ: يا ربنا! أيُّ شيءٍ أفْضَلُ من هذا؟ فيقولُ: «رضاي فلا أسخطُ عليكم بعده أبدًا».

(صحيح) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٣٠٢ في مسنده (٣/ ١٦).

وقال مسلم بعد روايته هذه: قال أبو سعيد:

«بلغني أن الجسر أدق من الشعرة، وأحدُّ من السيف».

٦/٥٥٧ ـ عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

يُجْمعُ الناسُ يومَ القيامةِ في صعيدٍ واحدٍ، ثم يطلعُ عليهم ربُّ العالمين، ثم يقالُ: «ألا تتبعُ كلُّ أمةٍ ما كانوا يعبدون»، فيتمثلُ لصاحبِ الصليبِ صليبُه، ولصاحِب الصورِ صُورُه، ولصاحِبِ النار ناره، فيتبعونَ ما كانوا يعبدون، ويبقى المسلمونَ فيطلعُ عليهم ربُّ العالمين فيقولُ: «ألا تتبعونَ الناسَ؟» فيقولونَ: نعوذُ بالله منك، الله ربُّنا وهذا مكاننا حتى نرى ربنا، وهو يأمرهم ويثبتهم، ثم يتوارى ثم يطلعُ فيقولُ: «ألا تتبعونَ الناسَ؟» فيقولونَ: نعوذُ باللهِ منك، نعوذُ باللهِ منك، اللهُ ربُّنا، وهذا مكانُنَا حتى نَرَى ربَّنا، وهو يأمرهم ويثبتهُم، قالوا: وهلْ نراه يا رسولَ اللهِ؟ قال: وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا، قال فإنكم لا تُضَارُّون في رؤيته تلك الساعة، ثم يتوارى، ثم يَطلعُ فيعرفهم نفسَهُ: «أنَا ربكم»، فيقول: «أنا رَبُّكم اتبعوني»، فيقومُ المسلمونَ، ويوضعُ الصراطُ فهم عليه مثلُ جياد الخيلِ، والركابِ، وقولُهم عليه: سلّم سلّم ويبقى أهلُ النارِ، فَيُطْرَحُ منهم فيها فوجٌ، فيقال: هل امتلأتِ؟ وتقولُ: هل من مزيد؟ ثم يطرح فيها فوج فيقال: هل امتلأت؟ وتقول هل من مزيد حتى إذا أوعبوا فيها وضعَ الرحمنُ عَزَّ وَجَلَّ قَدَمَهُ[٢١] وزوَى[٢٢] إلى بَعْض، ثم قال: «قطْ قطْ»[٢٣]، وإذا صُيِّرَ أهلُ الجنةِ في الجنةِ وأهلُ النارِ في النارِ، أُتِيَ بالموتِ مُلبَّبًا[٢٤] فَيُوقفُ على السورِ الذي بينَ أهلِ النارِ وأهلِ الجنةِ، ثم يقالُ:

«يا أهلَ الجنةِ» فَيَطَّلِعُون خائفين، ثم يقالُ: «يا أهلَ النارِ» فيطلعونَ مستبشرين، يرجُون الشفاعة، فيقال لأهلِ الجنةِ ولأهلِ النارِ: «تعرفونَ هذا؟» فيقولونَ هؤلاءِ وهؤلاءِ: قد عرفناه هو الموتُ الذي وُكِّلَ بنا، فيضجع فَيُذْبَحُ ذبحًا على السورِ، ثم يقالُ: «يا أهلَ الجنةِ خلودٌ لا موتَ، ويا أهلَ النارِ خلودٌ لا موتَ»، وقال قتيبة في حديثه: وأزوى بعضها إلى بعضٍ، ثم قالَ: «قَط»، قالت: قَطِ قَطِ.

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة باب ٢٠.

٧/٥٥٨ ـ عن صهيب عن النبي ﷺ قال:

إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ: يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى: **«تُريدونَ شيئًا أَزيدُكُمْ؟»** فيقولونَ: ألمْ تُبَيِّضْ وُجوهَنَا؟ ألمْ تُدْخِلْنا الجنةَ وتنجِنا من النارِ؟ قال: فيُكْشَفُ الحجابُ، فما أُعطوا شيئًا أحبَّ إليهمْ من النظر إلى ربِّهم عَزَّ وجلَّ.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٢٩٧ والترمذي في كتاب صفة الجنة باب ١٦.

٨/٥٥٩ ـ عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إذا جَمَعَ اللهُ العباد بصعيدٍ واحدٍ نَادَى منادٍ: **«ليلحقْ كلُّ قوم بما كانوا يعبدونَ»**، فيلحقُ كلُّ قومٍ بما كانوا يعبدون، ويبقَى الناسُ على حالِهِمْ فيأْتِيهُمْ فيقولُ: ما بالُ الناسِ ذهبوا وأنْتُمْ هاهنا؟ فيقولونَ: ننتظرُ إلهنا، فيقولُ: هل تعرفونَهُ؟ فيقولونَ: إذا تَعَرَّفَ إلينا عرفناه، فَيُكْشفُ لهم عن ساقِهِ فيقعونَ سُجُودًا، وذلك قولُ اللهِ تعالى:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].

ويبقى كلُّ منافقٍ فلا يستطيعُ أن يسجدَ، ثمَّ يقودُهُمْ إلى الجنة.

(صحيح) ـ أخرجه الدارمي في كتاب الرقائق باب في سجود المؤمنين يوم القيامة.

٩/٥٦٠ ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يُسْأَلُ عن الورود فقال:

نجيء نحنُ يوم القيامة. . . .

قال: فَتُدْعَى الأُمَمُ بأوثانها وما كانتْ تَعْبُدُ، الأولُ فالأَولُ، ثم يأتينا ربُّنا بعدَ ذلك فيقولُ: «مَنْ تنظرونَ؟ «فيقولون: نَنْظرُ ربنا، فيقول: **«أنا ربُكم»**، فيقولونَ: حتى نَنْظُرَ

إليك، فَيَتَجَلَّى لهم يَضْحكُ، قال: فَيَنطَلِقُ بهم ويتبعونَهُ، ويُعْطَى كلُ إنسانٍ منهم منافقٍ أو مؤمنٍ نورًا، ثم يتبعونه، وعلى جِسْرِ جهنم كلاليبُ وحَسَكٌ تأخذُ مَنْ شاءَ اللهُ، ثم يُطْفَأُ نورُ المنافقينَ، ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أولُ زمرةٍ وُجُوهُهمْ كالقمرِ ليلةَ البدرِ سبعون ألفًا لا يحاسبونَ، ثم الذينَ يلونهم كأضوأ نجمٍ في السماءِ، ثم كذلكَ، ثم تَحِلُ الشفاعةُ ويَشفَعُونَ، حتى يَخْرُجَ من النارِ من قال لا إله إلا الله، وكانَ في قلبِهِ من الخيرِ ما يزنُ شعيرةً، فَيُجْعلُونَ في فِناء الجنةِ، ويَجْعَلُ أهلُ الجنةِ يَرُشُّونَ عليهم الماءَ، حتى ينبتوا نباتَ الشيءِ في السَّيلِ، ويذهبُ حُرَاقُه[٢٥] ثم يَسْأَلُ حتى تُجْعَلُ له الدنيا وعشرةُ أمثالِهَا معها.

(صحيح) - مسلم في كتاب الإيمان حديث ٣١٦ وأحمد في مسنده (٣/ ٣٤٥، ٣٨٣).

٥٦١/ ١٠ - وعن جابر أيضًا يسأل عن الورود فقال:

نحنُ نجيءُ يومَ القيامةِ على كَذِي وكَذِي انظُرْ أَيْ ذلكَ فوقَ الناسِ، فَتُدْعَى الأمَمُ بأوثانها وما كانتْ تعبدُ، الأولُ فالأولُ، ثم يأتينا ربُّنا تباركَ وتعالى، فيقولُ: «**مَنْ تنتظرونَ؟**» فنقولُ: ننتظرُ ربنا، قال: فيقولُ: «**أنا ربُكم**»، قالَ: فيتجلَّى لهم، قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: يضحكُ».

(صحيح) - أخرجه أبو عوانة في مسنده (ج ١ ص ١٣٩).

٥٦٢/ ١١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

إذا جَمَعَ اللهُ الأولى والأُخرى يومَ القيامة، جَاءَ الربُّ تباركَ وَتَعَالى إلى المؤمنين، فوقفَ عليهم والمؤمنونَ على كوم، فقالوا: لعقبة ما الكوم؟ قالَ: مكانٌ مرتفع، فيقولُ: «**هل تعرفون ربكم؟**» فيقولونَ: إنْ عَرَّفَنَا نَفسهُ عرفناه، ثم يقول لهم الثانية، فيضحك في وجوههم فيخرون له سجدًا.

(صحيح لغيره) - أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (ص ٢٣٦).

٥٦٣/ ١٢ - وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

إن كانَ يوم القيامةِ جَمَعَ اللَّهُ الأوَّلينَ والآخرينَ، فيجيءُ اللَّهُ تباركَ وتعالَى والمؤمنونَ على قوم فيقفُ عليهمْ، فيقولُ: «**هَلْ تعرفونَ ربكم؟**» فيقولونَ: إنْ عَرَّفَنَا نَفسهُ عرفناه، ويَردُ عليهم ثلاثًا، ويردُونَ عليه ثلاثًا: إنْ عَرَّفَنَا نفسَهُ عرفناه، فيتجلَّى لهم يضحكُ.

(صحيح) ـ أخرجه ابن أبي عاصم (جـ ١/ ٦٣١).

شرح المفردات

١ ـ تُمارون: تشكُّون. والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية وليس في الكيفية لأن الحق سبحانه منزه عن الحيز والمكان.

٢ ـ السَّعْدان: جمع سعدانة وهو نبات ذو شوك يُضرب به المثل في طيب مرعاه قالوا: مرعى ولا كالسعْدان.

٣ ـ يُوبَقُ: يهْلكُ.

٤ ـ يُخردل: أي تقطعهم عن لحوقهم بمن نجا.

٥ ـ امتُحشوا: المحش هو احتراق الجلد وظهور العظم.

٦ ـ ماء الحياة: فيه إشارة إلى أنهم يحصل لهم الفناء بعد ذلك.

٧ ـ الحِبَّةُ: جمع حِبب وهي بذور الصحراء، وأما الحَبَّة بفتح الحاء فهو ما يزرعه الناس وجمعها حبوب.

٨ ـ قَشَبني: قال الخطابي: قشبه الدخان إذا ملأ خياشيمه وأخذ يكظمه.

٩ ـ ذكاؤها: شدة حرها وغاية ما وصلت إليه من الحر واللهب.

١٠ ـ يضحك الله عز وجل: كناية عن الرضا منه سبحانه.

١١ ـ تُضارُّون: أي لا يضر أحدكم الآخر بمنازعة ولا مجادلة ولا مضايقة فكلكم متفقون لا يخالف بعضكم رأي الآخر.

١٢ ـ فُلْ: بضم الفاء وتسكين اللام أي فلان.

١٣ ـ أُسَوِّدْكَ: أي أجعلُك سيدًا على غيرك.

١٤ ـ ترأس وتربع: أي جَعَلَكَ رئيسًا على القوم. قال القاضي عياض في قوله «تربع»: تركتك مستريحًا لا تحتاج إلى مشقة وتعب من قولهم أربع على نفسك أي أرفق بها.

١٥ ـ ههنا إذًا: أي قف هنا حتى تشهد عليك جوارحك.

١٦ ـ غُبَراتُ: جمع غابر أي بقاياهم.

١٧ ـ مَدْحَضَةٌ مَزِلَّة: أي موضع الزلل والدحض وهو الهلاك.

١٨ ـ حسكة مفلطحة: قال صاحب التهذيب: الحسك نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم.

١٩ ـ عقيفاء: ملتوية.

٢٠ ـ يُكشف عن ساق: كناية عن شدة الأمر.

٢١ ـ قدمه: تقدم شرحه وافيًا في باب أهل الجنة والنار من هذا الكتاب.

٢٢ ـ زوى: أي ضُمَّ بعضها إلى بعض.

٢٣ ـ قط قط: شرح مستوفى في باب أهل الجنة والنار من هذا الكتاب.

٢٤ ـ مُلَبِّبًا: أي قد ضُمّتْ وجمعت ثيابه إلى نحره.

٢٥ ـ حُراقُهُ: أي أثر النار.

المعنى

قال في فتح الباري قال النووي: مذهب أهل السنة أن رؤية المؤمنين ربهم ممكنة ونفتها المبتدعة من المعتزلة والخوارج، وهو جهل منهم، فقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وسلف الأمة على إثباتها في الآخرة للمؤمنين. وأجاب الأئمة عن اعتراضات المبتدعة بأجوبة مشهورة، ولا يشترط في الرؤية تقابل الأشعة ولا مقابلة المرئي وإن جرت العادة بذلك فيما بين المخلوقين والله أعلم.

ونقل أيضًا عن القرطبي قوله: اشترط النفاة في الرؤية شروطًا عقلية كالبنية المخصوصة والمقابلة واتصال الأشعة وزوال الموانع كالبعد والحجب في ضبط لهم وتحكم، وأهل السنة يشترطون شيئًا من ذلك سوى وجود المرئي، وأن الرؤية إدراك يخلقه الله تعالى للرائي فيرى المرئي وتقترن أحوال يجوز تبدلها والعلم عند الله تعالى.

(٢٦) باب أصحاب الأعراف

١/٥٦٤ ـ عن حذيفة رضي الله عنه قال:

أصحابُ الأعرافِ[(١)] قومٌ تجاوزتْ بهم حسناتُهم النارَ وقصَّرتْ بهم سيئاتهم عن الجنة فإذا صُرِفَتْ أبصارُهم تلقاءَ أصحابِ النارِ قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، فبينما هم كذلك إذا اطَّلَعَ عليهم رَبُّكَ قال: **«قوموا ادخلوا الجنة فإني قد غفرتُ لكم»**.

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (ج ٢ ص ٣٢٠)، وهو وإن كان موقوفًا إلا أنه في حكم المرفوع.

شرح المفردات

١ ـ الأعراف: قال القرطبي في تفسيره: أي على أعراف السور وهي شُرَفُهُ.

المعنى

تعددت الأقوال والآراء على أصحاب الأعراف وهم الذين يكونون على سور بين الجنةِ والنارِ، لكن أحسن الأقوال في ذلك هو قول ابن عطية كما ذكر ذلك القرطبي في تفسيره قال ابن عطية:

وفي مسند خيثمة بن سليمان (في آخر الجزء الخامس عشر) حديث عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ:

«تُوضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقالَ صؤابة ـ بيضة القملة ـ دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار. قيل: يا رسول الله، فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون» اهـ.

وفي شأنهم يقول الله تعالى: ﴿**وبينهما حجاب، وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم، ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون**﴾ [الأعراف: ٤٦].

(٢٧) باب بعث النار

١/٥٦٥ ـ عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ:

يقولَ اللهَ: «**يا آدم!**» فيقولُ لبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ والخيرُ في يديك، قال: يقولُ: «**أَخرِجْ بَعْثَ**[١] **النارِ**»، قال: وما بعثُ النارِ؟ قال: «**من كلِّ ألفٍ تسعمائة وتسعةٍ وتسعين**»، فذاك حين يشيبُ الصغيرُ، وتضعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حَمْلَها، وَتَرَى الناسَ سَكْرَى، وما هم بِسَكْرَى، ولكن عذابَ اللهِ شديدٌ، فاشتدَّ ذلك عليهم، فقالوا: يا رسولَ اللهِ أينا ذلك الرجلُ، فقال: أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج[٢] ألفٌ ومنكم رجلٌ، ثم قال: والذي نفسي في يده إني لأطمعُ أن تكونوا ثلثَ أهلِ الجنةِ، قال: فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: والذي نفسي في يده

إني لأطمعُ أن تكونوا شَطْرَ أهلِ الجنةِ، إنَّ مَثَلكم في الأممِ كمثلِ الشعرةِ البيضاء في جلدِ الثورِ الأسودِ، أو الرقمة(٣) في ذراعِ الحمارِ.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب (٤٦) قوله تعالى: **﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾** مسلم في كتاب الإيمان حديث ٣٧٩.

٢/٥٦٦ ـ وعن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ:

يقولُ اللهُ عز وجل يوم القيامةِ: **«يا آدمُ»**، فيقولُ: لبيك ربنا وسَعْدَيْكَ، فينادَى بصوتٍ: **«إن الله يأمرك أن تُخرِجَ من ذريتك بعثًا إلى النارِ»**، قال: يا ربِّ وما بعثُ النارِ؟ قال: **«من كلِّ ألف ـ أراه قال: ـ تسعمائة وتسعة وتسعين»**، فحينئذٍ تضعُ الحاملُ حملها، ويشيبُ الوليدُ، وترى الناسَ سُكَارَى وما همْ بسكارى، ولكنَّ عذابَ الله شديدٌ، فشقَّ ذلك على الناسِ، حتى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، فقال النبي ﷺ: مِنْ يأجوجَ ومأجوجَ تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحدٌ، ثم أنتم في الناس كالشعرةِ السوداءِ في جنبِ الثورِ الأبيضِ، أو كالشعرةِ البيضاءِ في جنب الثورِ الأسودِ، وإني لأرجو أن تكونوا ربعَ أهلِ الجنةِ، فكبرنا، ثم قال: ثلثَ أهلِ الجنةِ، فكبرنا، ثم قال: شطَر أهلِ الجنةِ، فكبَّرْنا.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب (١) قوله تعالى: **﴿وترى الناس سكارى﴾**.

٣/٥٦٧ ـ وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

أولُ مَنْ يُدْعَى يومَ القيامة آدمُ، فَتَرَاءَى ذريته، فيقالُ: **«هذا أبوكم آدم»**، فيقول: لبيكَ وسعديك، فيقولُ: **«أخرجْ بعثَ جهنم من ذريتك»**، فيقول: يا ربُّ كم أخرِجُ؟ فيقولُ: **«أخرجْ من كل مائةٍ تسعة وتسعين»**، فقالوا: يا رسول الله إذا أُخِذَ منا مِنْ كلِّ مائة تسعة وتسعون فماذا يبقى منا؟ قال إن أمتي في الأمم كالعشرة البيضاء في الثورِ الأسودِ.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب (٢٥) الحشر.

٤/٥٦٨ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية وعنده أصحابه:

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[الحج: ١].

إلى آخر الآية: فقال:

هل تدرون أي يوم ذاك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذاك يوم يقول الله لآدم: «قمْ فابعثْ بعثَ النارِ أو قال: بعثًا إلى النارِ»، فيقولُ: يا ربِّ مِنْ كم؟ قال: «من كلِّ ألف تسع مائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحدًا إلى الجنة»، فشقَّ ذلك على القوم، ووقعتْ عليهم الكآبةُ والحزنُ.

فقال رسول الله ﷺ:

إني لأَرْجُو أن تكونوا شطرَ أهلِ الجنةِ، ففرحوا، فقالَ النبي ﷺ: اعملوا وأبشروا فإنكم بين خَلِيقَتَيْنِ لم يكونا مع أحدٍ إلاَّ كَثَّرتاه يأجوج ومأجوج، وإنما أنتم في الناسِ، أو في الأمم كالشامةِ في جَنْبِ البعيرِ، أو كالرقمةِ في ذراعِ الناقةِ، وإنما أمتي جزءٌ من ألفِ جزءٍ.

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (ج ٤ ص ٥٦٨). وصححه ووافقه الذهبي.

٥/٥٦٩ ـ عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ لما نزلت:

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ إلى قوله:

﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢].

قال: أُنزلت عليه هذه وهو في سفر. فقال: أتدرون أي يوم ذلك؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال:

ذلك يوم يقول الله لآدمَ: «ابعثْ بعثَ النارِ»، فقالَ: يا ربِّ وما بعثُ النارِ؟ قال: «تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحدٌ إلى الجنة»، قال: فأنشأ المسلمونَ يبكون، فقال رسول الله ﷺ: قاربوا وسدِّدوا فإنها لم تكنْ نبوةٌ قط إلا كانَ بين يديها جاهليةٌ، قال: فَيُؤْخَذُ العددُ من الجاهليةِ، فإن تمتْ وإلا كَمُلَتْ من المنافقين، وما مَثَلُكُمْ والأممُ إلا كمثل الرُّقمةِ في ذراعِ الدابةِ، أو كالشَّامةِ في جنبِ البعيرِ، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ربعَ أهلِ الجنة، فكبروا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلثَ أهلِ الجنةِ، فكبروا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصفَ أهلِ الجنةِ، فكبروا، قال: لا أدري قال الثلثين أم لا؟

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب (٢٣). وقال: حديث حسن صحيح.

٦/٥٧٠ ـ عن عمران بن حصين قال: كنا مع النبي ﷺ في سفرٍ فَتَفَاوتَ بين أصحابه في السير فرفعَ رسول الله ﷺ صوتَهُ بهاتين الآيتين:

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ إلى قوله:

﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢].

فلما سمع ذلك أصحابُهُ حثُّوا المطيَّ وعرفوا أنه عند قول يقوله، فقال: هل تدرون أيّ يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال:

ذاك يوم يُنادِي الله فيه آدمَ فيناديه ربُّهُ فيقول: «يا آدم! ابعث بعث النار»، فيقول: يا ربِّ وما بعثُ النارِ؟ فيقولُ: «من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون في النارِ وواحدٌ في الجنة».

فيئس القوم حتى ما أبدوا بضاحكةٍ، فلما رأىَ رسول الله ﷺ الذي بأصحابه. قال:

اعملوا وأبشروا، فوالذي نفسُ محمد بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيءٍ إلا كثرتَاهُ يأجوج ومأجوج ومن ماتَ من بني آدم وبني إبليس.

قال: فَسُرِّي[٤] عن القوم بعضُ الذي يجدونَ، فقال:

اعملوا وأبشروا، فوالذي نفسُ محمد بيده ما أنتمْ في الناسِ إلا كالشامةِ في جنبِ البعيرِ، أو كالرقمةِ في ذراعِ الدّابةِ.

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ٢٣ وصححه، والحاكم (جـ ٢ ص ٢٢٣، ٣٨٥)، (جـ ٤ ص ٥٦٧، ص ٥٦٨). وصححه ووافقه الذهبي.

٧/٥٧١ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: لما نزلت:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في مسيرٍ له فرفعَ بها صوته حتى ثاب إليه أصحابُهُ، فقال: أتدرون أيّ يوم هذا؟ يوم يقول الله لآدم:

«يا آدم قم فابعثْ بعثَ النارِ من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين».

فَكَبُرَ ذلك على المسلمين فقال النبي ﷺ:

سدِّدوا وقاربوا وأبشروا، فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الأمم إلا كالشامةِ في جنبِ البعيرِ، أو كالرَّقْمة في ذراع الدابةِ، فإنَّ معكم لخليقتين ما كانتا مع شيءٍ إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، ومن هلك من كفرةِ الجنّ والإنسِ.

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (جـ ٤ ص ٥٦٦). وصححه.

٨/٥٧٢ ـ وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ:

إنَّ الله تعالى يقولُ يومَ القيامةِ لآدم عليه السلام: **«قمْ فَجَهِّزْ من ذريتك تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النارِ وواحدًا إلى الجنة»**، فبكى أصحابُهُ وبكوا ثم قال لهم رسول الله ﷺ: ارفعوا رؤوسكم فوالذي نفسي بيده ما أمتي في الأمم إلا كالشعرةِ البيضاءِ في جلدِ الثورِ الأسودِ، فَخَفَّفَ ذلك عنهم.

(حسن) ـ أخرجه أحمد في مسنده في (٦/ ٤٤١).

شرح المفردات

١ ـ بعث النار: أي الذين سيبعثون ويُرسل بهم إلى النار.

٢ ـ يأجوج ومأجوج: أمّتان ذواتا عدد كبير وهائل، وكانوا مفسدين في الأرض وقد حبسهم ذو القرنين ببناء السد وسيخرجون منه.

٣ ـ الرَّقْمة: بفتح الراء وسكون القاف. قال أهل اللغة: الرقمتان في الحمار هما الأثران في باطن عضديه. وقيل: هي الدائرة في ذراعيته. (شرح صحيح مسلم للنووي).

٤ ـ فسُرِّي: أي ذهب عنهم يأسهم وفزعهم.

المعنى

هذه الأحاديث القدسية تشير في مجملها إلى أن أهل النار والذين سيدخلونها كثيرون جدًا بنسبة تسعمائة وتسعة وتسعين من ألف يدخلون النار وواحد فقط يدخل الجنة، وذلك ما أحزن الصحابة وأدخل الفزع في نفوسهم حتى خافوا النجاة والخلاص من العذاب، فدفعهم ذلك لسؤال رسول الله ﷺ فقالوا: فماذا يبقى منا؟ أي إن معظمنا سيكون مصيره النار، فطمأنهم رسول الله ﷺ بأن أهل النار كثيرون وكثيرون، والتسعمائة والتسعة والتسعون الذين سيكونون من أهل النار مقابل الواحد، سيكونون من الأمم الأخرى الكافرة والمفسدة أمثال يأجوج ومأجوج ومن كان في الجاهلية، فإن لم يكف هذا العدد أُكملَ من المنافقين.

ثم شبّه المؤمنين في قلتهم بالنسبة لمن سيدخل النار، شبههم بالشعرة البيضاء الواحدة إذا كانت في جنب الثور الأسود، ومعنى ذلك أنهم سيدخلون الجنة بإذن الله بالرغم من تلك النسبة التي وضعها رسول الله ﷺ وهي واحد من ألف.

ولكي يُدخلَ الطمأنينة في نفوسهم، بشرهم بأنهم سيكونون ثلث أهل الجنة، لكن

الصحابة حمدوا الله على نعمته وكبروه ليزيدهم، فقال رسول الله ﷺ: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، فكبروا ثانية وهنا شك الراوي هل قال الثلثين أم لا. نسأل الله لنا ولكم العافية وحسن الختام وجنة الله الخالدة إنه سميع مجيب.

(٢٨) باب من هم الذين يخرجون من النار (الجهنميون)

٥٧٣/ ١ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ إذا خَلَّصَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ وَأَمِنُوا ـ فَمَا مُجَادَلَةُ[١] أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا أَشَدَّ مُجَادَلَةً، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمْ، الَّذِينَ أدخِلُوا النَّارِ ـ قال يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلُّون معنا، ويصومون معنا، ويحجُّون معنا، فأدخلتَهم النارَ فيقول: **«اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم»**، فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم، لا تأكل النار صورهم فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه، فيخرجونهم، فيقولون: ربنا أخرجنا من قد أمرتنا، ثم يقول: **«أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار، ثم من كان في قلبه مثقالُ حبةٍ من خردلٍ»**[٢].

قال أبو سعيد: فمن لم يصدِّق هذا فليقرأ:

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

(صحيح) ـ أخرجه ابن ماجه في كتاب المقدمة باب ٩.

٥٧٤/ ٢ ـ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

إذا مُيِّزَ أَهْلُ الجنةِ وأهلُ النارِ فَدَخَلَ أَهْلُ الجنةِ الجنةَ وأَهْلُ النارِ النارَ قامت الرسلُ فَشُفِّعُوا فيقولُ: انطلقوا أَو اذهبوا فمنْ عرفتم فأخرجوه فَيُخْرِجُونهم قد امْتُحِشُوا[٣]، فَيُلْقُونهم في نهرٍ أو على نهرٍ، يُقالُ له الحياةُ، قال: فتسقطُ مَحَاشُهُم[٤] على حافةِ النهرِ، ويخرجُونَ بيضًا مثلَ الثعاريرِ[٥]، ثمَّ يُشَفَّعُونَ فيقولُ: **«اذهبوا أو انطلقوا فمن وجدتمْ في قلبِهِ مثقالَ قيراط من إيمان فأخرجوهم»**، قال: فيُخْرِجون بشرًا، ثم يشفعون فيقول: **«اذهبوا أو انطلقوا فمن وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردلة من إيمان فأخرجوه»**، ثم يقول الله عز وجل: **«أنا الآن أخرج بعلمي ورحمتي»**، قال: فَيُخْرِجُ أضعافَ ما أَخرجوا وأَضعافَه فيكتبُ في رقابهم عقتاء اللهِ عزَّ وجلَّ، ثم يدخلون الجنة، فيسمَّوْن فيها الجهنميين.

(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٢٥).

٣/٥٧٥ ـ عَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِن ذَرَّةً، أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِن شَعِيرَةً، أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِن بُرَّةً[٦]، أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِن دُودَةً**».

(**صحيح**) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٢٧٦).

٤/٥٧٦ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ ثم يقول الله تعالى: «**أَخرِجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**» فيخرجون منها قد امتُحشوا، فيُلْقَوْن في نهر الحيا أو الحياة ـ شك مالك ـ فينبتون كما تنبت الحِبَّةُ في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراءَ ملتوية.

(**صحيح**) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب ٥١ صفة الجنة والنار. ومسلم في كتاب الإيمان حديث ٤ ـ ٣.

٥/٥٧٧ ـ عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:

يقول إبراهيم: يا ربّاه! يومَ القيامة. فيقول له الربُّ: يا لبَّيْكاهُ! فيقول: أَحْرَقْتَ بَنِيَّ فيقول: «**أَخرِجُوا من النار مَنْ كان في قلبه مثقالُ بُرَّةٍ من إيمانٍ، مثقالُ شعيرة من إيمان**».

(**صحيح**) أخرجه أبو عوانة (ج ١ ص ١٧٥) وابن حبان (٢٥٩٧ موارد).

شرح المفردات

١ ـ مجادلة: أي يدافع المؤمنون عن إخوانهم المؤمنين ويطلبون من الله تعالى لهم العفو والصفح والخروج من النار.

٢ ـ خردل: واحده خردلة نوع من النبات وحَبُّهُ صغير جدًا.

٣ ـ امتُحشوا: أي احتُرقوا وكُشطت جلودهم.

٤ ـ محاشُهُم: أي آثار النار على أجسادهم.

٥ ـ الثعارير: نباتٌ كالهِليَوْنِ، أو القثاء الصغير شبهوا به لطراوته وشدة بياضه ولدقته وضعفه.

٦ ـ بُرَّة: أي وزن حبة القمح.

المعنى

ذاك من فضل الأخوة في دين الله، فالمؤمنون يوم القيامة يدافعون عن اخوانهم المؤمنين ويطلبون لهم الخلاص من نار جهنم، ويستجيب الله لهم، فيأمرهم بأن يخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى أدنى شيء من إيمان وعمل صالح، وشبّه هذا الشيء القليل بحبة الخردلة الصغيرة جدًا وتكاد لا تزن شيئًا.

والمؤمنون في النار يُعذّبون على حسب معاصيهم وذنوبهم، فمنهم من وصلت النار إلى ساقيه، ومنهم إلى كعبيه، فينقذهم إخوانهم منها بأمر الله وإذنه ورحمته. وحينما يخرجون من النار فإنهم يلقون في نهر الحياة إشارة الى الخلد والنعيم المقيم فيخرجون منه بيضًا قد ذهب السواد عنهم من آثار الحريق، ولذلك يسمون بالجهنميين.

(٢٩) باب آخر أهل النار خروجًا

٥٧٨/١ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

إني لأعلمُ آخِرَ أهلِ النارِ خروجًا منها، وآخرَ أهلِ الجنةِ دخولاً، رجلٌ يخرجُ من النار كَبوًا، فيقولُ الله: اذهبْ فادخل الجنةَ، فيأتيها، فَيُخيَّلُ إليه أنها مَلأى، فيرجعُ فيقولُ: يا ربِّ وجدتها ملأى، فيقولُ: اذهبْ فادخلِ الجنة، فيأتيها فيُخيَّلُ إليه أنها ملأى، فيرجعُ فيقولُ: يا ربِّ وجدتُها مَلأى فيقولُ: اذهبْ فادخلِ الجنةَ فإنَّ لك مثلَ الدنيا وعشرةَ أمثالها، أو إن لك مثلَ عشرةِ أمثالِ الدنيا، فيقولُ تسخرُ مني أو تضحكُ[1] مني وأنتَ الملكُ؟ فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضحك حتى بَدَتْ نواجذه وكانَ يقالُ: ذلك أدْنى أهلِ الجنةِ منزلة.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب (٥١) ومسلم في كتاب الإيمان حديث ٣٠٩.

٥٧٩/٢ ـ عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال:

آخرُ مَنْ يدخلُ الجنةَ رجلٌ، فهو يمشي مرة، ويكْبُوا مرةً، وتسفعُهُ النارُ مرةً، فإذا جاوزَهَا التفتَ إليها، فقالَ: تباركَ الذي أنجاني منكِ، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاهُ أحَدًا من الأولينَ والآخرينَ، فتُرفعُ له شجرةٌ، فيقولُ: أيْ ربِّ، أدْنِني من هذه الشجرةِ فأستظلَّ بظلِّها، فأشربَ من مائها، فيقولُ له اللهُ: «يا ابنَ آدمَ، فلعلي إذا أعطيتكها سألتني غيرها»، فيقولُ: يا ربِّ، ويعاهدُهُ أن لا يَسْألَهُ غيرَها، قال: وربُه عزَّ وجلَّ يَعْذِرُهُ، لأنَّه يَرَى ما لا

صبرَ لَهُ عليه، فَيُدنْيه منها، فيستظلُّ بظلِّها، ويشربُ من مائها، ثم تُرفَعُ له شجرةٌ هي أحسنُ مِنَ الأُولى، فيقولُ: أيْ ربِّ، هذه فلأشربَ من مائها وأستظلَّ بظلِّها، لا أسألُكَ غيرها، فيقولُ: «ابنَ آدمَ، ألمْ تُعَاهِدْني أن لا تسألني غيرها؟» فيقولُ: «لعلِّي إنْ أدنيتُكَ منها تسألُني غيرها؟» فيعاهِدُهُ أن لا يسأله غيرها، وربه عزَّ وجلَّ يعذِرُه، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظلُّ بظلِّها، ويشربُ من مائها، ثم ترفعُ له شجرةٌ عند بابِ الجنة، هي أحسنُ من الأوليين، فيقولُ: أيْ ربِّ، أَدْنِني من هذه الشجرةِ فأستظل بظلِّها وأشرب من مائها، لا أسألُكَ غيرها فيقولُ: «يا ابنَ آدمَ، ألم تُعَاهِدْني أن لا تسألني غيرها؟» قال: بَلَى أيْ ربِّ، هذه لا أسألكَ غيرها، فيقولُ: «لعلِّي إنْ ادنيتُكَ منها تسألني غيرهَا»، فيعاهِدُهُ أن لا يسألهُ غيرَها، وربه يعذِرُهُ، لأنَّه يَرَى ما لا صبرَ له عليه فيدنيه منها، فإذا أدناهُ منها سمعَ أصواتَ أَهْلِ الجنةِ، فيقولُ: أيْ ربِّ، أدخلنيها فيقول: «يا ابنَ آدمَ، ما يَصْرِيني[٢] منك؟ أيُرْضِيك أنْ أعطيكَ الدنيا ومثلها معها؟» فيقولُ: أيْ ربِّ، أتستهزىءُ بي وأنتَ ربُّ العالمينَ؟ فضحك ابنُ مسعودٍ، فقالَ: ألا تسألوني ممَّ أضحكُ؟ فقالوا: مم تضحكُ؟ فقال: هكذا ضَحِكَ رسولُ الله ﷺ، فقال: ألاَ تسألوني مم أضحكُ؟ فقالوا: مِمَّ تضحكُ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: من ضَحِك ربي حينَ قال أتستهزىءُ مني وأنتَ ربُّ العالمينَ، فيقولُ: «إني لا أستهزىءُ منك، ولكني على ما أشاء قدير».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٣١٠.

٥٨٠/ ٣ ـ وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال:

إنَّ أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً رجلٌ صَرَفَ الله وجهَه عن النارِ قِبَلَ الجنة، ومَثَّلَ له شجرةً ذات ظلٍّ فقال: أيْ ربِّ قدِّمني إلى هذه الشجرة أكونُ في ظِلِّها، وساقَ الحديثَ بنحو حديثِ ابن مسعود ولم يذكرُ: «فيقولُ: يا ابنَ آدمَ ما يَصْرِيني منكَ» إلى آخر الحديث. وزاد فيه: «ويذكِّرُهِ اللهُ: سلْ كذا وكذا، فإذا انقطعتْ به الأمانيُّ قال اللهُ: هُوَ لك وعشرةُ أمثالِهِ» قال: «ثمَّ يدخلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخلُ عليه زوجتاهُ من الحورِ العينِ فتقولانِ: الحمدُ لله الذي أَحياكَ لنا وأحيانا لك، قال فيقولُ: ما أُعْطِيَ أَحَدٌ مثلَ ما أُعْطِيتُ.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٣١١، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٧).

٥٨١/ ٤ ـ عن أبي سعيد الخدري قال:

يُعْرَضُ الناسُ على جِسْرِ جهنم عليه حَسَكٌ وكلاليبُ وخطاطيفُ تَخْطِفُ الناس قال فيمرُّ الناسُ مثلَ البرقِ وآخرونَ مثلَ الريحِ وآخرونَ مثلَ الفرسِ المجدِّ، وآخرونَ يَسْعَوْنَ سعيًا، وآخرونَ يمشون مشيًا، وآخرونَ يَحْبُونَ حبوًا، وآخرونَ يزحفونَ زحفًا، فأمَّا أهْلُ النارِ فلا يموتونَ ولا يَحْيَوْنَ، وأما ناسٌ فيؤخذونَ بذنوبهم، فَيُحْرقُون فيكونونَ فحمًا، ثم يأذنُ اللهُ في الشفاعةِ، فيوجدونَ ضُبَارَاتٍ ضباراتٍ، فيقذفونَ على نهرٍ، فينبتونَ كما تنبتُ الحِبَّةُ في حَميلِ السَّيْلِ، قال قال رسولُ الله ﷺ: هل رأيتم الصبغاءَ؟ فقال وعلى النارِ ثلاث شجراتٍ، فتخرجُ أو يخرجُ رجلٌ من النارِ فيكون على شَفَتِهَا فيقولُ: يا ربِّ اصْرِفْ وجهي عنها، قالَ فيقولُ: «**وعهدك وذمتك لا تسألني غيرها قال فيرى شجرةً**»، فيقولُ: يا ربِّ أذنني من هذه الشجرةِ أستظل بظلِّها، وآكل من ثمرتها، قال فيقولُ: «**وعهدك وذمتك لا تسألني غيرها**»، قال فيرى شجرةً ـرى أَحْسَنَ منها، فيقولُ: يا ربِّ حَوِّلني إلى هذه الشجرة، فأستظل بظلِّها وآكلُ من ثمرتها، قال: «**وعهدك وذمتك، لا تسألني غيرها**»، قال فيرى الثالثةَ، فيقولُ: يا ربِّ حَوِّلني إلى هذه الشجرة، استظل بظلِّها، وآكل من ثمرتها، قال: «**وعهدك وذمتك، لا تسألني غيرها**»، قال فيرى سوادَ الناسِ، ويسمعُ أصواتهم، فيقولُ ربِّ أدخلني الجنة، قال فقال أبو سعيد ورجلٌ آخرُ من أصحاب النبيِّ ﷺ اختلفَا فقالَ أحدهما: فيدخلُ الجنةَ فَيُعْطى ا ؛ نيا ومثلها معها، وقال الآخرُ: يدخلُ الجنةَ فَيُعْطَى الدنيا وعشرةَ أمثالها.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢٥).

٥٨٢/ ٥ ـ وعن المغيرة بن شعبة يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال:

سألَ موسى ربَّهُ: ما أَدْنى أهلِ الجنةِ منزلةً؟ قال هو رجلٌ يجيءُ بعدما أُدْخِلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ فيقالُ له: ادخل الجنةَ، فيقولُ: أيْ ربِّ كيفَ وقد نَزَلَ الناسُ منازلهم، وأَخَذوا أخذاتِهِمْ، فيقالُ له: أترضى أنْ يكونَ لك مثلُ مُلْك مَلِكٍ من مُلوكِ الدنيا، فيقولُ: رضيتُ ربي، فيقولُ: لك ذلكَ ومثلُهُ ومثلُهُ ومثلُهُ فقال في الخامسة: رضيتُ ربي فيقول: هذا لَكَ وعشرةُ أمثالِهِ، ولكَ ما اشتهتْ نفسُكَ، ولذَّتْ عينُكَ فيقولُ: رضيتُ ربي، قال: ربِّ فأعلاهُ منزلةً؟ قال: أولئكَ الذين أَرَدْتُ غرستُ كرامتهم بيدي، وختمتُ عليها فلمْ تَرَ عينٌ، ولم تسمعْ أذنٌ، ولم يخطرْ على قلب بشرٍ.

قال ومصداقُهُ في كتاب الله عزَّ وجلَّ:

﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: الآية/ ١٧].

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٣١٢.

٥٨٣/ ٦ ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

إني لأعلم آخرَ أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخرَ أهل النار خروجًا منها؛ رجلٌ يؤتى به يومَ القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارَها، فتُعرضُ عليه صغارُ ذنوبه فيقال: عملتَ يوم كذا كذا وكذا وكذا، وعملتَ يوم كذا وكذا كذا وكذا. فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه. فيُقال له: فإن لك مكان كلّ سيئةٍ حسنةً. فيقول: ربِّ قد عملتُ أشياءَ لا أراها ههنا فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه.

(صحيح) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٣١٤. أحمد في مسنده (٥/ ١٧٠). الترمذي في كتاب صفة جهنم باب ١٠.

٥٨٤/ ٧ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

إن من آخر أهل الجنة دخولاً رجلاً مرّ به ربه عز وجل فقال له: قم فادخل الجنة، فأقبل عليه عابسًا. فقال: وهل أبقيتَ لي شيئًا؟ قال: نعم، لك مثل ما طلعت عليها الشمس أو غربت.

(صحيح) أخرجه الطبراني في الكبير (ج ٩/ ٩١٨٩).

شرح المفردات

١ ـ تسخرُ مني أو تضحك: قال القرطبي في «المفهم»: أكثروا في تأويله، وأشبه ما قيل فيه أنه استخفه الفرح وأدهشه فقال ذلك (انظر فتح الباري).

٢ ـ يَصْريني: الصَّرْيُ هو القطع، والمعنى أي شيء يرضيك ويجعلك لا تسألني شيئًا؟

المعنى

إنه قد مضى الله تعالى أنّ من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان لا بد سيدخل الجنة ولا يكون مخلدًا في نار جهنم، وفي هذه الأحاديث القدسية يصور لنا رسول الله ﷺ حالة آخر أهل النار خروجًا من النار. فهو يمشي تارة ويقع تارة والنار تلاحقه بلهيبها وحرها، حتى إذا جاوزها حمد الله ربه على ذلك العطاء الذي لم يعطه أحدًا من الأولين والآخرين.

فيطلب من الله أن يقربه من الجنة وأن يدخله فيها، لكنه في كل مرة يأتيها يحسبها ملأى ولا مكان له ليمكث فيها أو يقيم، وبهذا الحسبان يخاطب الله سبحانه فيقول الله له: إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا. فلم يحتمل العبد هذه الفرحة وذلك العطاء مما دعاه لأن يقول لربه. أتسخر مني أو تضحك مني أو أتستهزىء بي وأنت الملك، وهذا ما أضحك رسول الله ﷺ.

هذا ما يحصل عليه آخر من يخرج من النار، نعيم مقيم، وعطاء كبير، وما تشتهيه نفسه وما تَقَرُّ به عينه، فكيف بالمؤمنين الأتقياء الأبرار، فاللهم اجعلنا من عبيدك الطائعين وثبتنا على الإيمان والهدى إنك على ما تشاء قدير.

(٣٠) باب فداء المسلمين باليهود والنصارى

٥٨٥/ ١ ـ عَنْ أَبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تُحْشَرُ هَذِهِ الأُمَّة عَلَى ثَلاثَةِ أَصْنَافٍ، صِنْفٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَصِنْفٌ يُحَاسَبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَصِنْفٌ يَجِيئُونَ عَلى ظُهُورِهِمْ أَمْثَالُ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ ذُنُوبًا، فَيَسْأَلُ اللهُ عَنْهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ فَيَقُولِ: مَا هَؤُلاءِ؟ فَيَقُولُونَ: هَؤُلاءِ عَبِيدٌ مِنْ عِبَادِكَ، فَيَقُولُ: حُطُّوهَا[١] عَنْهُمْ وَاجْعَلُوهَا عَلَى الْيَهودِ وَالنَّصَارَى، وَأَدْخِلُوهُمْ بِرَحْمَتِي الْجَنَّةَ».

(حسن) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٨).

٥٨٦/ ٢ ـ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يومُ القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا فيقول: **«هذا فكاكُك[٢] من النار»**.

(صحيح) أخرجه مسلم في كتاب التوبة حديث ٤٩. أحمد في مسنده (٤/ ٤٠٨، ٤١٠).

٥٨٦/ ٣ مكرر ـ عَنْ أَبِي مُوسَى ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الأُمَمَ فِي صَعِيدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا بَدَا للهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَصْدَعَ بَيْنَ خَلْقِهِ مَثُلَ لِكُلِ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدونَ فَيَتْبَعُونَهُمْ حَتَّى يُقْحِمُونَهُمُ النَّارَ، ثُمَّ يَأْتينَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ وَنَحْنُ عَلى مَكَانٍ رَفِيعٍ فَيَقُولُ: **مَنْ أَنْتُمْ؟** فَنَقُولُ: نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ، فَيَقُولُ: **مَا تَنْتَظِرُونَ؟** فَيَقُولُونَ: نَنْتَظِرُ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: **وَهَلْ تَعْرِفُونَهُ إِنْ رَأَيْتُمُوهُ؟** فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: كَيْفَ تَعْرِفُونَهُ

وَلَمْ تَرَوْهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، إِنَّهُ لاَ عَدْلَ لَهُ، فَيَتَجَلَّى لَنَا ضَاحِكًا، فَيَقُولُ: **أَبْشِرُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلاَّ جَعَلْتُ مَكَانَهُ فِي النَّارِ يَهُودِيًا أَوْ نَصْرَانِيًا**».

(صحيح) ـ أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨) وصححه شيخنا الألباني ـ حفظه الله ـ في السلسلة الصحيحة رقم (٧٥٥) عدا قوله «بدا لله».

(٣١) باب أول من يدخل الجنة

٥٨٦ مكرر/ ٤ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو بْنِ العَاصِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ أَولَ مَنْ يَدْخلُ الجنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ قَالوا: اللهُ وَرَسُولُه أَعْلَمُ قَالَ: أَوَلُ مِنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ الْفقَراءُ وَالمهاجِرونَ الَّذِينَ تُسدُّ بِهِمْ الثُّغُورُ وَيُتقى بِهمْ الْمَكارِهِ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجتُهُ في صَدْرِهِ لاَ يَسْتَطِيعُ لَها قَضَاءً فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمنْ يَشَاءُ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ: **ائتُوهُمْ فَحَيوهُمْ** فَتَقُولُ المَلائِكَةُ نَحْنُ سُكَانُ سَمائِكَ وَخِيرتُكَ مِنْ خَلْقِكَ أفتَأمُرُنَا أَنْ نَأتي هَؤُلاَءِ فَنُسَلِم عَلَيْهِمْ؟!! قَالَ: **إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدونِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيئًا وَتُسدُّ بِهمُ الثُّغُورَ ويُتقى بِهِمُ المكَارِهَ وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُه فِي صَدْرِهِ لا يَسْتَطِيعُ لَها قَضَاءً** قَالَ: فَتأْتِيهِمُ الملائِكةُ عِنْدَ ذَلِكَ فَيَدْخُلونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار».

شرح المفردات

١ ـ حُطُوها: أي ضعوا عنهم هذه الذنوب.

٢ ـ فكاكك: أي خلاصك.

المعنى

يقول الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم:

ومعنى هذا الحديث ـ أي الحديث الثاني ـ ما جاء في حديث أبي هريرة لكل أحد منزل في الجنة ومنزل في النار، فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره. ومعنى فكاكك من النار أنك كنت معرضًا لدخول النار وهذا فكاكك لأن الله تعالى قدر لها عددًا يملأها، فإذا دخلها الكفار بكفرهم وذنوبهم صاروا في معنى الفكاك للمسلمين. وأما رواية «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب. . .» ـ أي الحديث الأول هنا ـ فمعناه ان الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين ويسقطها عنهم ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم، فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين ولا بد من هذا التأويل لقوله تعالى: **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾** [الأنعام: ١٦٤].

كتاب القرآن

(١) باب في فضل القرآن الكريم

١/٥٨٧ ـ عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: ذَاتَ يَوْمٍ في خُطْبَتِهِ: أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَال نَحَلْتُهُ[١] عَبْدًا حَلاَلٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ[٢] كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ، فَاجْتَالَتْهُمْ[٣] عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشرِكُوا بي مَا لَمْ أُنزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ[٤]: عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِيَ[٥] بكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ[٦]، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ[٧] وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَحْرِقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ، إِذًا يَثْلُغُوا[٨] رَأْسِي، فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ. مُتَصَدِّقٌ، مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيم، رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ ـ قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لاَ زَبْرَ[٩] لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا، لاَ يَبْتَغُونَ أَهْلاً وَلاَ مَالاً، والْخَائِنُ الَّذِي لاَ يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلاَّ خَانَهُ، وَرَجُلٌ لاَ يُصْبِحُ وَيُمْسِي، إِلاَّ وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَذَكَرَ الْبُخْلَ ـ أَو الْكَذِبَ، وَالشِّنْظِيرُ[١٠] الْفَحَّاشُ.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الجنة حديث ٦٣. أحمد في مسنده (٤/ ١٦٢).

شرح المفردات

١ ـ نَحَلْتُهُ: أعطيته ووهبتُهُ.

٢ ـ حنفاء: مائلين بفطرتهم لعبادة الله وتوحيده.

٣ ـ اجتالتهم: أي استخفوا بهم فأزالوهم عما كانوا عليه من الحنيفية.

٤ ـ فمقتهم: المقت أشد الغضب أي غضب عليهم غضبًا شديدًا.

٥ ـ لأبتليك: لأمتحنك بما يظهر منك من تبليغ الرسالة والجهاد وغير ذلك، وأمتحن بك قومك فمنهم من يظهر إيمانه ومنهم من يظهر كفره.

٦ ـ لا يغسله الماء: محفوظ في الصدور لا يندثر على مرّ الأزمان.

٧ ـ تقرأه نائمًا ويقظان: أي يكون محفوظًا في حالتي النوم واليقظة. وقيل: تقرأه في يسر وسهولة.

٨ ـ يثلغوا: أي يشدخوه ويشجوه كما يُشدخ الخبز ويُكسر.

زَبْر: بفتح الزاي واسكان الباء أي لا عقل له يزبره أي يمنعه مما ينبغي من الأقوال والأفعال.

الشِّنطير: فسر في الحديث بالفحّاش وهو السيء الخلق.

المعنى

هذا الحديث متعدد المواضيع يحوي كثيرًا من القضايا وجملة من الأمور:

١ ـ الأمر من الله تعالى لرسوله ﷺ بتعليم هذه الأمة ما جهلت من أمور دينها.

٢ ـ الحلال من مال المسلم هو الذي وهبه الله إياه من الأرض والماء والأولاد والثمار وغير ذلك.

٣ ـ الانسان قد خلقه الله على الفطرة الإيمانية التي تقوده إلى عبادة الله وحده، لكن الشياطين هي التي وسوست في نفوسهم وصرفتهم عن تلك الحنيفية، فحرمت عليهم الحلال كما كان يفعل أهل الجاهلية من تحريم بعض الأنعام على أنفسهم، وحللت لهم الحرام كما يفعل الناس من شرب الخمور وأكل الخنزير وغير ذلك، وهي التي أدخلت عليهم عبادة الأصنام.

٤ ـ بعثة النبي ﷺ هي ابتلاء من الله وامتحان ليميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من الكافر، والتقي من الفاجر.

٥ ـ القرآن الكريم المنزل من عند الله على قلب النبي ﷺ قد حفظه الله في صدور المؤمنين ولن يستطيع شيء مهما عرف بشدة الإزالة كالماء الذي يزيل كل شيء، فلن يستطيع أحد أبدًا أن يمحو القرآن الكريم أو أن يُذهبَهُ من بين الناس كيف وقد قال تعالى: ﴿**أنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [الحجر: ٩].

٦ ـ إن الله سبحانه أمر النبي ﷺ أن يحرق قريشًا ويهلكهم بعد إعراضهم عن هدي

الله ودين التوحيد ورسالة الإسلام، فقال الرسول ﷺ: إذًا يثلغوا رأسي أي سيجتمعون عليّ بكثرتهم وقوتهم وسيشجون رأسي ويقطّعونه كما يُقطع الخبز، فكان الجواب من الله تعالى أن أمره بطلب إخراجهم من أرض الإيمان وبغزوهم وبالإنفاق عامة وعلى الجهاد والغزو خاصة، وأمره ببعث الجيوش لأن الله ناصره وسيرسل له مقابل الجيش خمسةً مثله.

٧ ـ أهل الجنة هم السلطان العادل، والمتصدق في سبيل الله الذي وفقه الله تعالى لذلك، والرجل الرحيم الرقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، والعفيف المتعفف ذو عيال، يقتصر طعامه ورزقه على الحلال بالرغم من كثرة عياله وتعدد مصاريفه.

٨ ـ أهل النار وهم الضعيف الذي هوى به عقله الناقص إلى المعصية والبعد عن الله فاتبع أهل الغنى والجاه فأوردوه النار. والخائن الذي لا يعرف صاحبًا ولا أخًا، بل يندفع من قبل أنانيته ومصالحه ولا يتورع عن خيانة من كانوا أوفياء له. وكذلك المخادع المحتال الذي أصبح الاحتيال ديدنه وعادته، فهو صباحًا ومساءً يمكر ليتعدى على أعراض الناس وأموالهم.

٩ ـ البخل والكذب وصاحب الفحش من القول، كلها صفات تؤدي إلى الخزي في الدنيا ونار الجحيم في الدار الآخرة.

(٢) باب المشغول بالقرآن يُعطى أفضلَ العطاء

١/٥٨٨ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: يقول الربُّ عزَّ وجلَّ: **«مَنْ شَغَلَهُ القرآنُ وذِكري عن مسألتي، أعطيتُهُ أفضلَ ما أُعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»**.

(حسن) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن باب (٢٥).

المعنى

من أكثر من تلاوة القرآن ودراسته وحفظه بحيث إنه شغل به عن حاجاته ومطالبه ولم يعُدْ يسألُ الله تعالى شيئًا من أمور الدنيا، وكذلك يُكثر من ذكر الله عز وجل وتسبيحه ولا يفكر أبدًا بشيء من المتاع والشهوات يسألها، فإن الله سبحانه سيجازيه على إخلاصه ذاك، وسيعطيه على انقطاعه ذاك الانقطاع الشديد للقرآن وللذكر، سيعطيه أعظم ما يطلبه السائلون في أمور دنياهم وأخراهم، فالذي يقبل على العبادة والطاعة وينسى أمور دنياه ومشاكله، فإن الله تعالى يخفف عنه ويؤمنها له ويجعله في راحة وأمان.

كل هذا بسبب القرآن الكريم كلام الله رب العالمين، الذي كان فضله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، فإذا علمت فضل الله على خلقه، علمتَ حينذاك ما هو فضل كلام الله سبحانه.

(٣) باب ارتقاء صاحب القرآن

١/٥٨٩ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: يجيىءُ القرآنُ يومَ القيامةِ فيقولُ: يا ربِّ حَلِّهِ[١]، فيلبَسُ تاجَ الكرامةِ، ثم يقولُ: يا ربِّ زِدْه، فيلبَسُ حُلَّةَ الكرامةِ، ثم يقولُ: يا ربِّ ارضَ عنه، فيرضى عنه، فيقالُ له: «**اقرأْ وارقَ، وتزادُ بكلِّ آية حسنةً**».

(صحيح) ـ أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن باب ١٨.

٢/٥٩٠ ـ عن فضالة بن عبيد وتميم الداري عن النبي ﷺ قال:

من قرأ عشر آيات في ليلة كُتِبَ له قنطارٌ[٢]، والقنطارُ خيرٌ من الدنيا وما فيها، فإذا كانَ يومُ القيامةِ يقولُ ربُّك عز وجلّ: «**اقرأ وارقَ لكلِّ آية درجة**»، حتى ينتهيَ إلى آخرِ آيةٍ معه، يقولُ ربُّك عزّ وجل للعبدِ: «**اقبِضْ**» فيقولُ العبدُ بيده: يا ربِّ أنتَ أعلمُ، فيقولُ: «**بهذهِ الخلدَ وبهذه النعيمَ**».

(حسن) ـ أخرجه الطبراني في الكبير (جـ ٢/ ١٢٥٣).

شرح المفردات

١ ـ حَلِّهِ: أي ألبِسْ صاحبَ القرآنِ حُلَّةً.

٢ ـ قنطار: وزن اختلف مقدار موزونه وهو كناية عن المال الكثير.

المعنى

في يوم القيامة حيث يحتاج فيه الانسان الى مُناصرٍ ومدافع وشفيع يشفع له أمام الله سبحانه، يأتي القرآن الكريم ليكرم من أكرمه في الدنيا، وليشفع لمن عظمه في الدنيا، فيطلب لصاحب القرآن لباس الكرامة وحلة الكرامة وتاج الكرامة ثم الرضا من رب العالمين، ويزيده الله سبحانه مع كل آية يحفظها حسنة ودرجة عظيمة، وهكذا حتى ينتهي إلى آخر آية معه، وفي هذا المعنى يقول رسول الله ﷺ: «يُقال لصاحب القرآنِ: اقرأ وارقَ، ورتِّلْ كما كنتَ ترتِّلُ في الدنيا، فإن منزلَكَ عند آخر آيةٍ تقرؤها» رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وابن حبان (الترغيب والترهيب كتاب القرآن).

ثم ذكر المنذري قول الخطابي حيث يقول ـ أي الخطابي ـ:

جاء في الأثر أنّ عدد آي القرآنِ على قدْرِ دَرَجِ الجنة، فيُقال للقارىء إرْقَ في الدَّرَجِ على قدْر ما كنتَ تقرأ من آي القرآنَ، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءًا منه كان رُقِيُّهُ في الدَّرج على قدْر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة . اهـ.

وبعد هذا الرقي والارتقاء في درجات الجنة، وبعد هذا الإكرام والتبجيل لصاحب القرآن، يزيده الله إكرامًا فيقول له: اقبض. لكن العبد لا يعلم ما معنى ذلك، فيوضح الله بأن لك بيدك اليمنى الخلد، وبيدك اليسرى النعيم.

(٤) باب قارىء القرآن حبيب الله تعالى

١/٥٩١ ـ عَنْ أَبِي ذَرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «ثَلاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ، وَثَلاثَةٌ يَبْغَضُهُمْ اللهُ، فَأَمَّا الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللهُ: فَرَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِالله وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَمَنَعُوهُ، فَتَخَلَّفَ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًا لاَ يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلاَّ اللهُ، وَالَّذِي أَعْطَاهُ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ بِهِ نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَقَامَ أَحَدُهُمْ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتْلُوا آيَاتِي، وَرَجُلٌ كانَ فِي سَرِيَةٍ فَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَهُزِمُوا وَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لَهُ، وَالثَّلاثَةُ الَّذِينَ يَبْغضُهُمْ اللهُ: الشَّيْخُ الزَّانِي، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالْغَنِيُّ الظَّلُومُ».

(صحيح) أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة حديث رقم ٢٥٦٨. النسائي في كتاب قيام الليل حديث رقم ١٦١٥. أحمد في مسنده (١٥٣/٥ ، ١٧٦). ابن حبان في صحيحه (١٤٥/٥ ـ ٣٣٣٩/ الاحسان).

وهذا الحديث قد تم شرحه في كتاب الحرب باب (فضل الجهاد).

(٥) باب نزول القرآن على سبعة أحرف

١/٥٩٢ ـ عن أبي بن كعب قال: كنتُ في المسجد فدخل رجلٌ فصلّى، فقرأ قراءةً أنكرتُها عليه، ثم دخلَ آخرُ فقرأ قراءةً سوى قراءةِ صاحبِهِ، فلما قضينا الصلاةَ دخلنا جميعًا على رسولِ الله ﷺ، فقلتُ إنَّ هذا قرأ قراءةً أنكرتُها عليه، ودخلَ آخرُ فقرأ سوى قراءة صاحبِهِ، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرأ، فحسَّنَ النبيُّ ﷺ شأنَهما، فسُقِطَ[١] في نفسي من التكذيبِ، ولا إذ كنتُ في الجاهليةِ، فلما رأى رسولُ الله ﷺ ما قد غَشِيَني ضربَ في

صدري، ففِضْتُ عرقًا، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فَرَقًا[٢] فقال لي: يا أُبيُّ أُرْسِلَ إليّ: **«أن أقرأ القرآن على حرفٍ»**، فرددتُ إليه أن هوِّن على أمتي، فردّ إليّ الثانية: **«اقرأه على حرفين»**، فرددتُ إليه أن هوِّن على أمتي، فردّ إليّ الثالثة: **«اقرأه على سبعة أحرف فلك بكلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَها مسألةٌ تَسْأَلُنِيها»**، فقلت: اللهم اغفرْ لأمتي، اللهم اغفرْ لأمتي، وأخرتُ الثالثةَ ليومٍ يرغبُ إليّ الخلقُ كلُّهم حتى إبراهيمُ ﷺ.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب المسافرين حديث ٢٧٣ وأحمد (جـ ٥ ص ١٢٧، ص ١٢٨).

شرح المفردات

١ ـ فسقط في نفسي من التكذيب: أي وسوس لي الشيطان في أمر النبوة بالتكذيب.

٢ ـ فَرَقًا: خوفًا.

المعنى

إن من رحمة الله بهذه الأمة أن سهّل عليها أمر تلاوة كتابه الكريم، لأن العرب كانوا مختلفي اللغات ومتنوعي اللهجات وربما صعب على بعض القبائل النطق بالقرآن بلهجة ليست كلهجتها ولذلك طلب النبي ﷺ التخفيف من ربه ليزيده الله القراءة على سبعة أحرف.

واختلف العلماء في معنى سبعة أحرف ونقل النووي هذا الاختلاف في شرحه للصحيح فقال:

وقال آخرون: هي في أداء التلاوة وكيفية النطق بكلماتها من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق وإمالة ومد.

وقال آخرون: هي الألفاظ والحروف وإليه أشار ابن شهاب بما رواه مسلم عنه في الكتاب. ثم اختلف هؤلاء فقيل سبع قراءات وأوجه. وقال أبو عبيد: سبع لغات العرب يمنها ومعدها وهي أفصح اللغات وأعلاها.

وقيل: بل السبعة كلها لمضر وحدها وهي متفرقة في القرآن غير مجتمعة في كلمة واحدة.

وقيل: بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى **﴿وعبد الطاغوت﴾** **﴿نرتع ونلعب﴾** **﴿باعِد بين أسفارنا﴾** و**﴿بعذاب بئِس﴾** وغير ذلك.

وقال القاضي أبو بكر بن الباقلاني: الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله ﷺ وضبطها عنه الأمة وأثبتها عثمان والجماعة في المصحف وأخبروا بصحتها، وإنما حذفوا منها ما لم يثبت متواترًا، وأن هذه الأحرف تختلف معانيها تارة وألفاظها تارة أخرى وليست متضاربة ولا متنافية. (شرح النووي لصحيح مسلم حديث رقم ٢٧٢).

أما بالنسبة لأبي بن كعب رضي الله عنه فقد داخله الشك إذ لم يكن على علم باختلاف هذه القراءات، وفي ذلك يقول القاضي عياض: «وهذه الخواطر إذا لم يستمر عليها لا يؤاخذ بِها». ثم قال القاضي عياض: قال المازري: معنى هذا أنه وقع في نفس أبي كعب نزعة من الشيطان غير مستقرة، ثم زالت في الحال حين ضرب النبي ﷺ بيده في صدره ففاض عرقًا.

كتاب التفسير

(١) باب قوله تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ [البقرة: ٣٧]

١/٥٩٣ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة ٣٧] قَالَ: أَيْ رَبِّ ألم تَخْلُقْني بِيَدِكَ؟ قال: بَلَى.

قَالَ: أي رَبِّ، أَلم تَنْفُخ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ؟ قَالَ: بَلَى.

قَالَ: أي رَبِّ، أَلَمْ تُسْكِنِّي جَنَّتَكَ؟ قَالَ: بَلَى.

قَالَ: أيْ رَبِّ، أَلَمْ تَسْبِقْ رَحْمَتُكَ غَضَبَكَ؟ قَالَ: بَلَى.

قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ تُبْتُ وَأَصْلَحتُ أَرَاجِعي أَنتَ إِلى الْجَنَّةِ؟.

قَال: بَلَى، قَالَ: فَهُوَ قَولُه: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّه كَلَمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧].

(حسن) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٥) ووافقه الذهبي.

المعنى

كان سيدنا آدم عليه السلام في جنة الخلد، فعصى ربّه، وراح يستدر رحمة الله سبحانه ويفتقر إليه ليتوب عليه، وأخذ ينسب إلى الله كل فضل وكل نعمة، فهو الذي خلقه، وهو الذي نفخ فيه من روحه، وهو الذي أسكنه جنته، وهو الذي سبقت رحمته غضبه، كل هذه المقدمات قدمها سيدنا آدم بين يدي توبته إلى الله ربه، وقبل الله منه وتاب عليه وهدى، فكانت تلك المقدمات من إلهام الله لآدم، وكانت هي الكلمات التي تلقاها من الله عز وجل ليقبل توبته ويغفر له ذنبه.

وذكر القرطبي في تفسيره أن أهل التأويل اختلفوا في الكلمات هذه فقال ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد: هي قوله: **﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾** [الأعراف: ٢٣] وعن مجاهد أيضًا: **سبحانك اللهم لا إله إلا أنت ربي ظلمتُ نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم.**

(٢) باب قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس﴾ [البقرة: ١٤٣]

١/٥٩٤ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

يجيءُ نوحٌ وأمَّتُهُ، فيقولُ اللهُ تعالى: هل بلَّغتَ؟ فيقولُ: نعم، أيْ ربِّ. فيقولُ لأمته: **هل بلَّغكُم**؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبيٍّ. فيقول لنوحٍ: **منْ يشهدُ لكَ**؟ فيقول: محمدٌ ـ ﷺ ـ وأُمتُهُ، فنشهدُ أنه قد بلَّغَ وهو قَوله جلَّ ذكره **﴿وكَذلكَ جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس﴾** [البقرة: ١٤٣] والوَسَطُ العدلُ.

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب ٣.

المعنى

يشير هذا الحديث القدسي إلى كرامة سيدنا محمد ﷺ وتفضيله وتفضيل أمته على سائر الأمم، فهم الأمة الوسط أي العادلة التي لا تحيد عن الحق وتتبع الحق في أقوالها وأفعالها، وهم الذين يشهدون لسيدنا نوح عليه السلام بأنه قد أدى الرسالة والأمانة بعد أن كذب بها قومه، والشاهد دائمًا موصوف ولا بد له من وصف دقيق وعلامات مميزة لكي تُقبل شهادته وهذه العلامات هي العلم والعقل والمعرفة والدقة والعدل واتباع الحق، وكل هذه الصفات قد تحلت بها أمة النبي محمد ﷺ.

(٣) باب قوله تعالى: ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾

١/٥٩٥ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية:

﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قال: دَخَلَ قلوبهم منها شيءٌ[1] لمْ يَدْخُلْ قلوبَهُمْ من شيءٍ فقالَ النبيُّ ﷺ:

«قولوا سمعنا وأطعنا وسلَّمنا. قال: فَأَلْقَى اللهُ الإِيمانَ في قلوبهم فأنزل الله تعالى:

﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

(قال: قد فعلت).

﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾.

(قال: قد فعلتُ).

﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(قال: قد فعلتُ).

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٢٠٠.

٢/٥٩٦ ـ وعن ابن عباس أيضًا قال:

«لما نزلت:

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾.

قرأها رسول الله ﷺ فلما قال:

﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾.

قال الله: قد غفرتُ لَكَ. قال:

﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

قال الله: «لا أوآخذكم» فلما قال:

﴿وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾.

قال: «لا أحمل عليكم». فلما قال:

﴿وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾.

قال: «لا أحملكم». فلما قال:

﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا﴾.

قال الله: «قد عفوت عنكم وقد غفرت لكم» فلما قال:

﴿وَارْحَمْنَآ﴾.

قال: «قد رحمتكم». قال:

﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦].

قال: «قد نصرتكم».

(صحيح لغيره) ـ أخرجه أبو عوانة في مسنده (ج ١ ص ٧٦).

٥٩٧/ ٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ . .﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قال: فاشتدَّ ذلكَ على أصحاب رسولِ الله ﷺ فأَتَوْا رسولَ الله ﷺ ثم بركوا على الرُّكَبِ فقالوا: أيْ رسولَ الله! كُلِّفْنَا من الأعمالِ ما نطيقُ: الصلاةُ والصيامُ والجهادُ والصدقةُ وقد أنزلتْ عليك هذه الآية ولا نطيقُها قال رسول الله ﷺ:

أتريدونَ أن تقولوا كما قالَ أهلُ الكتابَيْنِ مِنْ قِبلكُمْ: سمعنا وعَصينا؟ بل قولوا: سمعْنَا وأطَعْنَا غفرانَكَ ربنا وإليك المصير.

قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فلما اقترأَهَا[٢] القومُ ذلَّت[٣] بها ألْسِنَتُهُمْ فأنزل الله في إثرها:

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فلما فعلوا ذلك نسخَها الله تعالى فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥].

(قال: نعمْ).

﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾.

(قال: نعمْ).

﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾.

(قال: نعم).

﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَنصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

(قال: نعم).

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث ١٩٩.

شرح المفردات

١ ـ دخل قلوبهم منها شيء: أي من الفزع.

٢ ـ اقترأها القوم: قرأوها.

٣ ـ ذلت بها أنفسهم: أي خضعت.

ما يستفاد من الأحاديث

هناك كثير من المعاني العظيمة والمقاصد الكبيرة تحملها هذه الأحاديث المباركة، ذكرها الإمام النووي في شرحه للحديثين (١٩٩) و(٢٠١) في صحيح مسلم ونحن نذكر منها بعضها:

١ ـ قال الإمام أبو عبد الله المازري رحمه الله: يحتمل أن يكون إشفاقهم وقولهم (لا نطيقها) لكونهم اعتقدوا أنهم يؤاخذون بما لا قدرة لهم على دفعه من الخواطر التي لا تُكتسب، فلهذا رأوه من قبل ما لا يطاق، وعندنا أن تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً، واختلف هل وقع التعبد به في الشريعة أم لا، والله أعلم.

٢ ـ بالنسبة لحديث النفس قال الإمام المازري رحمه الله: مذهب القاضي أبي بكر بن الطيب أن من عزم على المعصية بقلبه ووطّن نفسه عليها أثم في اعتقاده وعزمه، ويُحمل ما وقع في هذه الأحاديث وأمثالها على أن ذلك فيمن لم يوطن نفسه على المعصية وإنما مرّ ذلك بفكَره من غير استقرار، ويسمى هذا همّا، ويفرق بين الهم والعزم مذهب القاضي أبي بكر، وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين وأخذوا بظاهر الحديث.

قال القاضي عياض رحمه الله: عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب إليه القاضي أبو بكر للأحاديث الدالة على المؤاخذة بأعمال القلوب لكنهم قالوا: إن هذا العزم يكتب سيئة وليست السيئة التي همّ بها لكونه لم يعملها وقطعه عنها قاطع غير خوف الله تعالى وإلا نابه، لكن نفس الإصرار والعزم معصية فتكتب معصيتة، فإذا عملها كتبت معصية ثانية، فإن تركها خشية لله تعالى كتبت حسنة كما في الحديث «إنما تركها من جراي» فصار تركه لها لخوف الله تعالى ومجاهدته نفسه الأمارة بالسوء في ذلك وعصيانه هواه حسنة.

فأما الهم الذي لا يكتب فهي الخواطر التي توطن النفس عليها ولا يصحبها عقد ولا نية وعزم، وذكر بعض المتكلمين خلافًا فيما إذا تركها لغير خوف الله تعالى بل لخوف الناس هل تكتب حسنة قال، لأنه إنما حمله على تركها الحياء، وهذا ضعيف لا وجه له. هذا آخر كلام القاضي. ثم يقول الإمام النووي رحمه الله: وهو ظاهر حسن لا مزيد عليه، وقد تظاهرت نصوص الشرع بالمؤاخذة بعزم القلب المستقر ومن ذلك قوله تعالى: **﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾** [النور: ١٩]. وقوله تعالى: **﴿اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم﴾** [الحجرات: ١٢]. والآيات في هذا

كثيرة، وقد تظاهرت نصوص الشرع وإجماع العلماء على تحريم الحسد واحتقار المسلمين وإرادة المكروه بهم وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها والله أعلم. (انتهى).

من المناسب أن نذكر الحديث رقم (٢٠١) الذي كان مجمل الكلام حوله والذي يرتبط بالحديث رقم (١٩٩) من حيث معانيه وموضوعه والحديث هو كما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تجاوز لأمتي ما حدثتْ به أنْفُسَها ما لم يتكلموا أو يعملوا به».

(٤) باب قوله تعالى: ﴿إنَّ الذين كفروا وماتوا وهم كفار...﴾ [آل عمران: ٩١].

١/٥٩٨ ـ عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

يُجاءُ بالكافر يوم القيامة فيُقال له: «أرأيتَ لو كان لك مِلءُ الأرضِ ذهبًا، أكنْتَ مُفْتَديًا به؟» فيقول: نعم يا ربِّ. قال فيقال: «لقد سئلتَ أيسرَ من ذلك». فذلك قوله عز وجل:

﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يُقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذهبًا ولو افتدى به﴾ [آل عمران: ٩١].

(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٢١٨) وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٩/٧٣٠٦).

المعنى

أي خزي أعظم من ذاك الخزي الذي يلحق بالكافر يوم القيامة، وأية ندامة تعروه وتعلوه، حينها تراه يتخلى عن كل شيء، عن كل متاع الدنيا، عن الذهب والمال ولو كان وزنه بوزن الأرض، إنه يزهد به عندما يحس بالعذاب أنه آتيه، ويتخلى عنه عندما يوقن بنار جهنم ليقتدي به نفسه، لكن هيهات هيهات وقد سئل ما هو أيسر من ذلك، كلمات يقولهن، وشهادة يشهدها، ففرض وأبى وأعرض وتعسّف وعاند، فاليوم يلقى جزاءه وعقابه، ولن يُقبل منه ذلك الفداء وذلك الثمن.

(٥) باب قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا﴾ [آل عمران: ٦٩].

١/٥٩٩ ـ سُئِلَ عَبْدُ اللهِ بنُ مسعود عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا في

سَبيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ـ قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْر، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلاَعَةً فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا في أَجْسَادِنَا، حَتَّى نُقْتَلَ في سَبيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا.

(صحيح) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة حديث ١٢١.

٦٠٠/ ٢ ـ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ـ فَقَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَأُخْبِرْنَا أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ، تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ اطِّلاَعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَسْتَزِيدُونَ شَيْئًا، فَأَزِيدَكُمْ؟ قَالُوا: رَبَّنَا، وَمَا نَسْتَزِيدُ وَنَحْنُ نَسْرَحُ في الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟ ثُمَّ اطَّلَعَ إِلَيْهِمُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: هَلْ تَسْتَزِيدُونَ شَيْئًا فَأَزِيدَكُمْ؟ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ يُتْرَكُوا، قَالُوا: تعِيدُ أَرْوَاحَنَا، حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَنُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى.

(صحيح) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ٤.

٦٠١/ ٣ ـ وأخرجه ابن ماجة في كتاب الجهاد باب ١٦ عن ابن مسعود أيضًا ـ بألفاظ قريبة من ألفاظ الترمذي، إلا أنه قال فيه:

(سَلُونِي مَا شِئْتُمْ) مَرَّةً وَاحِدَةً، وَقَالَ فيه: (وَمَاذَا نَسْأَلُكَ، وَنَحْنُ نَسْرَحُ في الْجَنَّةِ، في أَيِّهَا شِئْنَا؟) وَزَادَ فِيهِ: (فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ لَمْ يَسْأَلُوا إِلاَّ ذَلِكَ تُرِكُوا).

ملاحظة: لقد شرحت هذه الأحاديث في كتاب الحرب باب (فضل الشهداء وتمنيهم العودة إلى الدنيا).

(٦) باب قوله تعالى: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك...﴾ [الأنعام: ١٥٨].

٦٠٢/ ١ ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

كُنتُ مع النبيِّ ﷺ على حمار عليه برذعة[1] أو قطيفةٌ. قال: فذاك عند غروب

الشمس فقال لي: يا أبا ذر، هل تدري أين تغيب هذه[٢]؟ قال قلت: الله ورسولهُ أعلم. قال: فإنها تغربُ في عينٍ حامئةٍ تنطلق حتى تخرّ لربها عز وجلّ ساجدةً تحت العرش، فإذا حان خروجُها أذِنَ اللهُ لها فتخرجُ، فتطلعُ، فإذا أراد اللهُ أنْ يطلعَها من حيث تغربُ حَبَسَها فتقول: يا ربِّ إنّ مسيري بعيدٌ فيقول لها:

«اطلعي من حيثُ غِبْتِ، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانُها».

(صحيح) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ١٦٥).

٢/٦٠٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ فِي قَوْلِهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ من شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قال: يُحْشَرُ الْخَلقُ كُلهم يَوْمَ الْقِيامَةِ، الْبَهَائِمُ والدَّوَابُّ وَالطَّيْرُ، وَكُلُّ شَيءٍ، فَيَبْلُغُ مِنْ عَدْلِ اللهِ أَنْ يَأْخُذَ لِلجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ كُونِي تُرابًا، فَذَلِكَ يَقُولُ الكَافِرُ ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾.

(حسن) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٦) عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٦) السلسلة الصحيحة (١٩٦٦).

شرح المفردات

١ ـ برذعة: كساء يُلقى على ظهر الدابة.

٢ ـ هذه: أي الشمس.

المعنى

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك...﴾: قيل: هو طلوع الشمس من مغربها؛ بيّن أنهم ـ أي الخلق ـ يُمهلون في الدنيا فإذا ظهرت الساعة فلا إمهال. ثم ذكر حديثًا عن رسول الله ﷺ رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ:

«ثلاثٌ إذا خرجْنَ لا ينفعُ نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوعُ الشمسِ من مغربها، والدجالُ ودابةُ الأرض». ثم قال القرطبي:

وذكر الثعلبي في حديث فيه طول عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ما

معناه: أن الشمس تُحبسُ عن الناس ـ حين تكثر المعاصي في الأرض، ويذهب المعروف فلا يأمر به أحد، ويفشو المنكر فلا يُنهى عنه ـ مقدار ليلة تحت العرش، كلما سجدت واستأذنت ربها تعالى من أين تطلع لم يجيء لها جواب حتى يوافيها القمر فيسجد معها، ويستأذن من أين يطلع فلا يُجاءُ إليهما جواب حتى يُحبسا مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر، فلا يعرف طول تلك الليلة إلا المتهجدون في الأرض، وهم يومئذ عصابة قليلة في كل بلدة من بد المسلمين، فإذا تمّ لها مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى إليهما جبريل عليه السلام فيقول: «إن الرب سبحانه وتعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكما فتطلعا منه، وأنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور» فيطلعان من مغاربهما أسودين، لا ضوء للشمس ولا نور للقمر، مثلهما في كسوفهما قبل ذلك. . . .

ثم قال: قال العلماء:

وإنما لا ينفع نفسًا إيمانُها عند طلوع الشمس من مغربها، لأنه خلُص إلى قلوبهم من الفزع ما تُخمَدُ معه كل شهوة من شهوات النفس، وتَفْتر كل قوة من قوى البلدن، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنوّ القيامة في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم، وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحال لم تُقبلْ توبتهُ كما لا تقبلُ توبةُ من حضره الموت. قال ﷺ: «إن الله يقبلُ توبة العبد ما لم يغرغر». اهـ.

(٧) باب قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم...﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣]

١/٦٠٣ ـ عن أبي كعب رضي الله عنه في قوله عز وجل:

﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ [الأعراف: ١٧٢ ، ١٧٣] قال:

جمعهم له يومئذٍ جميعًا ما هو كائن إلى يوم القيامة، فجعلهم أرواحًا ثم صوّرهم واستنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهدَ والميثاقَ وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبلُ وكنا ذرية من بعدهم، أفتهلكنا بما فعل المبطلون.

قال: فإني أُشهدُ عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهدُ عليكم أباكم آدمَ أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم أو تقولوا إنا كنا عن هذا غافلين، فلا تشركوا بي شيئًا فإني أرسلُ إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي وأنزلُ عليكم كتبي فقالوا: نشهد أنك ربنا

وإلهُنا، لا رَبٌ لنا غيرُك، ولا إله لنا غيرُك. ورُفع لهم أبوهم آدمُ فنظر إليهم فرأى فيهم الغنيّ والفقير وحَسَنَ الصورة وغير ذلك فقال: ربِّ لو سوّيتَ بين عبادك. فقال: إني أحبُ أنْ أشكرَ. ورأى فيهم الأنبياء مثل السُرج وخُصُّوا بميثاق آخر الرسالة والنبوة فذلك قوله عز وجل ﴿وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾ [الأحزاب: ٧]. وهو قوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ [الروم: ٣٠] وذلك قوله: ﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾ [النجم: ٥٦] وقوله ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ [الأعراف: ١٠٢] وهو قوله ﴿ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾ [يونس: ٧٤].

كان في علمه بما أقروا به من يكذب به ومن يصدق به فكان روح عيسى من تلك الأرواح التي أَخَذَ عليها الميثاقَ في زمن آدم، فأرسل ذلك الروح إلى مريم حين ﴿انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا فاتخذت من دونهم حجابًا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرًا سويًا﴾ إلى قوله ﴿مقضيًا﴾ [مريم: ١٦ ـ ٢١]. فحملته قال: حملت الذي خاطبها وهو روح عيسى عليه السلام.

قال أبي بن كعب: دخل من فيها ـ فمها ـ

(صحيح) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٣، ٣٢٤) عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ١٣٥) وابن جرير في تفسيره (١٣/ ٢٣٨) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٥).

٢/٦٠٤ ـ عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ـ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يُسْئَلُ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ، وبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: هؤُلآءِ خَلَقْتُ لِلنَّارِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ، فَيُدْخِلَهُ اللهُ النَّارَ.

(حسن) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير سورة ٧ باب ٢ أبو داود في كتاب السنة باب ١٦.

المعنى

قال الإمام النسفي رحمه الله في تفسير الآية:

ذهب المحققون من أهل التفسير، منهم الشيخ أبو منصور والزجاج والزمخشري إلى أن قوله **﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم﴾** أي واذكر إذ أخذ **﴿من ظهورهم﴾** بدل من **﴿بني آدم﴾** والتقدير: وإذ أخذ ربك من ظهور بني آدم **﴿ذريتهم﴾** أي أخرجهم من أصلاب آبائهم **﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا﴾**.

هذا من باب التمثيل، ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الهدى والضلال، فكأنه شهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم: ألست بربكم؟ وكأنهم قالوا: بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك **﴿أن تقولوا﴾** مفعول له أي فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن يقولوا **﴿يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾** لم نُنَبَّهْ عليه **﴿أو تقولوا﴾** أو كراهة أن يقولوا **﴿إنما أشرك آباؤنا من قبلُ وكنا ذرية من بعدهم﴾** فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الإعراض عنه والاقتداء بالآباء، كما لا عذر لآبائهم في الشك وأدلة التوحيد منصوبة لهم **﴿أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾** أي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتركه سنة لنا **﴿وكذلك﴾** ومثل ذلك التفصيل البليغ **﴿نفصل الآيات﴾** لهم **﴿ولعلهم يرجعون﴾** عن شركهم نفصلها.

وذهب جمهور المفسرين إلى أن الله تعالى أخرج ذرية من ظهر آدم مثل الذر وأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم بقوله **﴿ألستُ بربكم﴾** فأجابوه بـ**﴿بلى﴾** قالوا: وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها. (انتهى).

والحديث بمجمله يبين أن الله سبحانه هو مصدر التوفيق للإنسان وهو الهادي الأول والموفق الحقيقي لكل من آمن ودخل جنة ربه، وما على المرء إلا أن يلتمس الهداية من الله دومًا، وأن يرزقه الثبات على الإيمان وفعل الطاعات ولا يغتر بأعماله مهما كبرت، ولا يطاعنه مهما كثرت، فكل ذلك هو بمعونة الله وكرمه، ثم ليبتعدْ عن أعمال أهل النار وليطلب من الله سبحانه أن يجنبه إياها أنه سميع مجيب.

(٨) باب قوله تعالى: ﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم...﴾ [هود: ١٨].

١/٦٠٥ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

سَمِعْتُ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: يُدْنَى(١) الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّه ـ وَقَالَ هِشَامٌ: يَدْنُو(١) الْمُؤْمِنُ (أي من ربه) حَتَّى يَضَعَ عَلَيْه كَنَفَهُ(٢)، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِه، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ، يَقُولُ: رَبِّ، أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا في الدُّنْيَا، وَأَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ تُطْوَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْآخَرُونَ ـ أَوِ الْكُفَّارُ ـ فَيُنَادَى عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ: ﴿هؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب تفسير سورة هود باب قوله تعالى: **﴿ويقول الأشهاد هؤلاء. . .﴾** مسلم في كتاب التوبة حديث ٥٢.

شرح المفردات

١ ـ يُدْنى المؤمن: المراد دنو كرامة وإحسان لا دنو مسافة لأن الله تعالى منزه عن المسافة وقربها.

٢ ـ كَنَفَه: ستره وعفوه.

المعنى

ذاك من إكرام الله تعالى للمؤمن الذي أقر بوحدانية الله وشهد شهادة الحق وأطاع ربه، لا خوف عليه في يوم القيامة، والله سيستره بعفوه وكرمه، ويقربه من غفرانه ورحمته، وبعد أن يقرره على ذنوبه ويعترف بها يقول له: سترتها عليك في الدنيا، واغفرها لك اليوم. أما الكافرون فيطردون من رحمة الله وتلعنهم الملائكة الأشهاد بأنهم ظلموا أنفسهم وظلموا الحق والحقيقة وعاندوها ولم يذعنوا لها فكان هذا جزاؤهم جزاءً وفاقًا.

(٩) باب قوله تعالى: ﴿فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات﴾ [الفرقان: ٧٠].

١/٦٠٦ ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

يُؤْتى بالرجلِ يومَ القيامةِ فيُقالُ: «اعرِضوا عليه صِغارَ ذُنوبه ويُخَبَّأُ عنه كبارُها. فيُقالُ:

عملتَ يوم كذي كذي وكذي، وعملتَ يوم كذي وكذي، وعملتَ يوم كذي وكذي، ثلاث مرات» قال: وهو مُقِرٌّ ليس بمنكرٍ، وهو مُشفقٌ من الكبائر أنْ تجيءَ. قال: فإذا أراد اللهُ به خيرًا قال: «**أعطوه مكانَ كلِّ سيئةٍ حسنةً**» فيقولُ: يا ربِّ إنّ لي ذنوبًا ما رأيتُها هاهنا، فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يضحكُ حتى بَدَتْ نواجذُهُ ثم تلا رسولُ اللهِ ﷺ ﴿**فأولئك يبدل الله سيآتهم حسناتهم**﴾ [الفرقان ٧٠].

(صحيح) أخرجه أبو عوانة في مسنده (جـ ١/ ١٧٠).

المعنى

وكذلك هذا الحديث كسابقه يوضح إكرام الله تعالى للمؤمن حيث يستر عليه ذنوبه الكبار ويغفر له الصغار بل يعطيه بدل السيئة حسنة، وهو مع ذلك كله خائف وجل أن يزل أو يهوي في الهاوية أو يسقط في الحساب، وهذا السبب جعل رسول الله ﷺ يضحك ضحكًا شديدًا حتى بدت نواجذه والمؤمن الذي يكون هذا حاله يوم القيامة قد وصفه الله تعالى في سورة الفرقان فقال: ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق أثامًا، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا. إلا من تاب وآمن وعمل صالحًا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورًا رحيمًا**﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

(١٠) باب قوله تعالى: ﴿فقال لها وللأرض أَئتيا طوعًا أو كرهًا....﴾ [فصلت: ١١].

١/٦٠٧ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:

﴿**فقال لها وللأرض أئتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين**﴾ [فصلت: ١١]:

قال للسماء: «أَخرِجي شمسَكِ وَقَمَرَكِ ونجومَكِ».

وقال للأرض: «شَقِّقي أَنْهارَكِ وأَخْرِجي ثمارَكِ».

فقالتا: «أتينا طائعين».

(صحيح) أخرجه الحاكم (جـ ١ ص ٢٧) وقال: «تفسير الصحابي عند الشيخين مسند».

(١١) باب قوله تعالى: ﴿كلا إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ [المعارج: ٣٩].

١/٦٠٨ ـ عن بُسر بنِ جحّاشٍ القرشي رضي الله عنه قال:

تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآية **﴿فما للذين كفروا قبلك مهطعين. عن اليمين وعن الشمال عزين. أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم. كلا إنا خلقناهم مما يعلمون﴾** [المعارج: ٣٦ ـ ٣٩] ثم بزق رسولُ الله ﷺ على كفِّه فقال:

يقول الله: يا ابن آدم، أنّى تعجُزني وقد خلقتُكَ منْ مثل هذه، حتى إذا سوَّيتُك وعدَّلْتُك مشيت بين بردتين وللأرض منك وئيد ـ يعني شكوى ـ فجمعتَ ومنعتَ، حتى إذا بلغتِ التراقيَ قلتَ أتصدَّقُ وأنّى أوانُ الصدقة!.

(صحيح) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب تفسير سورة المعارج.

ملاحظة: لقد تم شرح هذا الحديث مستوفىً في كتاب النفقات باب (أوانُ الصدقة). فليرجع إليه من شاء.

(١٢) باب قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾

١/٦٠٩ ـ عَنْ أَنَس بْنِ مَالكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: بَيْنَمَا ذاتَ يَوْم بَيْنَ أَظْهُرِنَا ـ (يريد النبي ﷺ) إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فقُلْنَا لَهُ: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: نَزَلَتْ عَلَيَّ آنفًا سُورَةٌ: **﴿بِسْمِ الله الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شانئك هُوَ الأَبْتَرُ﴾** ـ ثُمَّ قَالَ:

هلْ تدْرُونَ مَا الْكَوْثرُ؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فإِنَّهُ نَهَرٌ وَعَدَنيه رَبِّي في الْجَنَّةِ، آنيتُهُ أَكْثَرُ منْ عَدَد الْكَوَاكبِ، تَرِدُهُ[١] عَلَيَّ أُمَّتي، فَيُخْتَلَجُ[٢] الْعَبْدُ منْهُمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّهُ منْ أُمَّتِي، فيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ.

(صحيح) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة حديث ٥٣.

وأخرجه النسائي في كتاب الافتتاح باب قراءة **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾** رقم (٢١).

شرح المفردات

١ ـ تَرِدُهُ: أي يأتون إليه ليشربوا منه.

٢ ـ فيختلج: أي فيمنع منه ويطرد.

المعنى

لقد أكرم الله رسوله ﷺ بنهر عظيم وكبير ومبارك وفيه الخير الكثير وهو نهر الكوثر، أحلى من العسل، وأشد بياضًا من اللبن، وألين من الزبد، حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة ونزلت هذه السورة بعدما آذى العاص بن وائل رسول الله ﷺ بكلامه القاسي وقال له إنه الأبتر أي الذي لا عقب له ولا ولد له يرثه من بعده، فدافع الله عن نبيه ﷺ وقال ﴿**إن شانئك**﴾ أي مبغضك والذي تكلم عنك ﴿**هو الأبتر**﴾ هو المنقطع ذكره في الدنيا والآخرة.

فهذا النهر العظيم يرده كل مؤمن محب لرسول الله ﷺ، لكن الملائكة تقف هناك على النهر وتمنع بعض الواردين وتطردهم، فيقول الرسول ﷺ: يا رب إنه من أمتي فيقول الله: إنك لا تدري ما أحدث بعدك من التغيير والتبديل والتحريف، ولذلك سيذوق العذاب بما كان قد افترى وغيّر وبدّل.

(١٣) باب قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾

١/٦١٠ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت:

كان رسول الله ﷺ يُكثرُ من قول سبحان الله وبحمده أستغفرُ الله وأتوبُ إليه. فقلتُ: يا رسول الله، أراكَ تكثرُ من قول سبحان الله وبحمده أستغفرُ الله وأتوبُ إليه، فقال:

خَبَّرني ربي عز وجل أني سأرى علامةً في أمتي، فإذا رأيتُها أكثرتُ من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، فقد رأيتُها ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا، فسبح بحمد ربك واستغفره، إنه كان توابًا**﴾.

(صحيح) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة حديث ٢٢٠.

المعنى

العلامة التي رآها النبي ﷺ في أمته هي فتح مكة المكرمة حيث تم النصر للمؤمنين، وحطمت الأصنام وارتفعت رايات التوحيد، ودخل الناس من جميع القبائل في دين الله جماعات جماعات، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك، كان يكثر من التسبيح والتحميد

والاستغفار والتوبة، لكي يطبق كلام الله تعالى في سورة النصر حيث قال: **﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا، فسبح بحمد ربك واستغفره، إنه كان توابًا﴾**.

وهكذا ينبغي على كل مسلم مؤمن أن يفعل كما فعل رسولُ الله ﷺ، وأن يسبح ويحمد ويتوب ويستغفر عند كل نصر وعند كل نجاح وعند تحقيق كل فلاح أو إنجاز ليكون التسبيح حصنًا له من الوقوع في الشرك، وليكون الحمد مناسبًا لواقع الحال، وليكون الاستغفار عن التقصير إذ العبد دائمًا مقصر في جنب الله، ولتكون التوبة هي التي تجعله يعود ويرجع إلى الله في كل حال من أحواله، إن عند الذنب وإن عند الطاعة، إن عند الخير وإن عند الشر، وإن الله سبحانه يقبل التوبة عن عباده وهو الكريم واسع الغفران.

كتاب أحاديث الأنبياء

(١) باب ما جاء في سيدنا آدم عليه السلام وزوجه حواء

١/٦١١ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

لما أكل آدم من الشجرة التي نُهيَ عنها قال الله عز وجل: ما حملك على أن عصيتني؟ قال: رب، زَيَّنَتْ لي حواء. قال: فإني أعقبتُها أن لا تحملَ إلا كرهًا ولا تضع إلا كرهًا ودميتُها[١] في الشهر مرتين: فلما سمعت حواء ذلك رنَّتْ[٢] فقال لها: عليك الرنة[٣] وعلى بناتك.

(صحيح) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب تفسير سورة طه الآية (١١٥) ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم...**﴾.

شرح المفردات

١ ـ دميتُها: جعلتها ذات حيض.

٢ ـ رنَّتْ: صاحتْ.

٣ ـ عليك الرَّنَّة: جوزيت بصيحتها أن جُعلت معها بناتها من ذوات الحيض.

(٢) باب ما جاء في سيدنا آدم وسيدنا داود عليهما السلام

١/٦١٢ ـ عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت آية الديْن قال رسول الله ﷺ:

إنَّ أولَ من جحدَ آدمُ عليه السلام، أو أولُ من جحدَ آدمُ؛ إنَّ الله عز وجل لما خلقَ آدمَ مسحَ ظهره، فأخرج منه ما هو من ذراريّ إلى يوم القيامة، فجعلَ يعْرضُ ذريته عليه، فرأى فيهم رجلاً يَزْهَرُ فقال: أيْ ربِّ من هذا؟ قال: «**هذا ابنُك داود**»، قال: أيْ ربِّ كم عمرهُ؟ قال: «**ستون عامًا**»، قال: ربِّ زِدْ في عمره، قال: «**لا إلا أن أزيدَه من عمرِك**»، وكان عمرُ آدمَ ألفَ عامٍ، فزاده أربعين عامًا، فكتبَ اللهُ عز وجل عليه بذلك كتابًا، وأشهدَ

عليه الملائكةَ، فلما احْتُضِرَ آدمُ، وأتته الملائكةُ لتقبضَه قال: إنه قد بقَى من عمري أربعون عامًا، فقِيلَ: «**إنك قد وهبتها لابنك داود**»، قال: ما فعلتُ، وأبرزَ اللهُ عزَّ وجلَّ عليه الكتابَ وشهدتْ عليه الملائكةُ.

(**صحيح لغيره**) ـ أخرجه أحمد (جـ ١/ ٢٥١، ٢٩٩، ٣٧١).

٢/٦١٣ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

لما خلقَ اللهُ آدمَ ونفخَ فيه الروحَ عطسَ، فقال: الحمدُ لله، فحمدَ اللهَ بإذنه، فقال له ربُّه: «**رحمكَ اللهُ يا آدمُ، اذهبْ إلى أُولئكَ، الملائكة إلى ملأٍ منهم جلوس فقل: السلامُ عليكم**»، قالوا: وعليكَ السلام ورحمةُ اللهِ، ثم رَجَعَ إلى ربِّه فقال: «**إنَّ هذه تحيتُك وتحيةُ بنيكَ بينهم**»، فقالَ اللهُ له ويداه مقبوضتان: «**اخترْ أيهما شئتَ**»، قال: اخترتُ يمينَ ربي وكلتا يَدَيْ ربي يمينٌ مباركةٌ، ثم بسطَها، فإذا فيها آدمُ وذريتهُ، فقال: أي ربِّ ما هؤلاء؟ فقال: «**هؤلاء ذرِّيتُك**»، فإذا كل إنسانٍ مكتوبٌ عمرهُ بين عينيه، فإذا فيهم رجلٌ أَضْوَؤُهُمْ أو من أَضْوئهمْ، قال: يا ربِّ من هذا؟ قال: «**هذا ابنُك داود، قد كتبتُ له عمرَ أربعينَ سنةً**»، قال: يا ربِّ زِدْه في عُمرِهِ، قال: «**ذاك الذي كتبتُ له**»، قال: أي ربِّ فإني قد جعلتُ له من عمري ستينَ سنةً، قال: «**أنت وذاك**»، قال: ثمّ أُسْكِنَ الجنةَ ما شاءَ اللهُ، ثمّ أُهْبِطَ منها فكان آدمُ يَعُدُّ لنفسه، قال: فأتاهُ مَلَكُ الموتِ فقال له آدمُ: قد عجَّلْتَ قد كُتِبَ لي ألفُ سنة، قال: بلى ولكنك جعلتَ لابنك داود ستينَ سنةً، فجحدَ فجحدتْ ذريتُه، ونُسِّي فَنُسِّيتْ ذريتُهُ، قال فَمِنْ يومئذٍ أُمِرَ بالكتابِ والشهودِ.

(**صحيح لغيره**) ـ أخرجه الترمذي في كتاب تفسير سورة ٧ باب ٢، ٣.

٣/٦١٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

لما خلقَ اللهُ آدمَ مسحَ ظهره، فسقط من ظهره كلُّ نسمةٍ هو خالقها إلى يوم القيامة، أمثالَ الذَّرِّ، ثم جعلَ بينَ عيني كلِّ إنسان منهم وبَيصًا من نورٍ، ثم عرضَهم على آدم، فقال آدمُ: من هؤلاء يا ربِّ؟ «**هؤلاء ذريتك**». فرأى آدمُ رجلاً منهم، أعجبه وبيصُ ما بين عينيه، فقال: يا ربِّ من هذا؟ قال: «**هذا ابنُكَ داود يكونُ في آخر الأمم**»، قال آدمُ: كم جعلتَ له من العمرِ؟ قال: «**ستين سنةً**»، قال: يا ربِّ زِدْه من عمري أربعين سنةً حتى يكونَ عمرهُ مائة سنة، فقال الله عز وجل: «**إذن يُكْتَبُ ويختمُ فلا يبدَّلُ**»، فلما انقضى عمرُ آدمَ جاءه مَلَكُ الموتِ لقبضِ رُوحه، قال آدم: أولم يبقَ من عمري أربعون سنة؟ قال له مَلَكُ الموتِ: أولم تجعلها لابنك داود؟ قال: فجحدَ فجحدتْ ذريته، ونَسَى ونسيتْ ذريته، وخطِىءَ فخطِئَتْ ذريتهُ.

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (جـ ٢ ص ٣٢٥).

شرح الغريب

(يَزْهَرُ): أي يضيء وجهه حسنًا من الزهرة وهي الحسن والبياض وإشراق الوجه.

(وَبيصًا): آخره مهملة بمعنى البريق.

(احتُضِرَ): أي حضره الموت.

(٣) باب ما جاء في سيدنا موسى وملك الموت عليهما السلام

١/٦١٥ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

أُرْسِلَ مَلَكُ الموتِ إلى موسى فلما جَاءَهُ صَكَّه[١] ففقأ عينَه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبدٍ لا يريدُ الموتَ، قال: فردَّ الله عينه فقال: «**ارجعْ إليه فقلْ له: يضع يده على متنِ ثَوْرٍ**[٢]**، فله ما غطتْ يدُهُ بكلِّ شعرةٍ سنةٌ**»، فقال: أيْ ربِّ ثم مَهْ؟[٣] قال: «**ثمَّ الموتُ**»، قال: فالآنَ، فسأل اللهَ أنْ يَدْنِيَهُ من الأرضِ المقدسةِ رميةً بحجرٍ، فقالَ رسول الله ﷺ: لو كنتُ ثَمَّ لأريتكم قبرَهُ إلى جنبِ الطريقِ تحتَ الكثيب[٤] الأحمرِ.

(صحيح) ـ أخرجه عبد الرزاق (جـ ١١/ ٢٠٥٣٠) ومن طريقه البخاري في كتاب الجنائز باب ٦٨. كتاب أحاديث الأنبياء باب ٣٧، ومسلم في كتاب الفضائل حديث ١٥٧ وغيرهما.

٢/٦١٦ ـ وعن أبي هريرة قال: أُرْسِلَ مَلَكُ الموتِ إلى موسى فلما جاءه صكّه ففقأ عينه فرجعَ إلى ربه عزَّ وجلَّ فقال: أرسلتني إلى عبدٍ لا يريدُ الموتَ! قال: فردَّ اللهُ عز وجل إليه عينَه، وقال: «**ارجعْ إليه، فقل له: يضع يده على متنِ ثورٍ فله بما غطتْ يدهُ بكلِّ شعرةٍ سنةٌ**»، فقال: أيْ ربِّ ثم مهْ؟ قال: «**ثمَّ الموتُ**»، قال: فالآنَ. فسألَ الله أن يدنيه من الأرضِ المقدسةِ رميةً بحجرٍ[٥].

قال: فقالَ رسول الله ﷺ: فلو كنتُ ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريقِ تحتَ الكثيبِ الأحمرِ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (٢/٢٦٩، ٣١٥، ٣٥١، ٥٣٣) وهو بصورة الموقوف ولكنه في حكم المرفوع لأنه مما لا يعلم بالرأي والقياس وقد ثبت مرفوعًا كما في الذي قبله والذي بعده.

٣/٦١٧ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

جاءَ مَلَكُ الموتِ إلى موسى عليه السلام فقالَ له أجبْ ربَّك قالَ: فلطمَ موسى عليه السلامُ عينَ مَلَك الموتِ ففقأَهَا، قال: فرجعَ المَلَكُ إلى الله تعالى فقالَ: إنك أرسلتني إلى عبدٍ لك لاَ يريدُ الموتَ، وقد فقأ عيني، قال: فردَّ اللهُ إليه عينَه، وقالَ: «ارجعْ إلى عبدي، فقل: الحياةَ تريدُ؟ فإن كنتَ تريدُ الحياةَ فضعْ يَدَكَ على مَتْنِ ثورٍ، فما توارتْ يَدُكَ من شعرةٍ فإنك تعيشُ بها سنةً»، قال: ثم مهْ؟ قال: «ثم تموتُ»، قال: فالآنَ من قريبٍ، ربِّ أمتني من الأرضِ المقدسةِ رميةً بحجرٍ، قالَ رسولُ الله ﷺ: واللهِ لو أني عنده لأريتكم قبرَه إلى جانب الطريق عندَ الكثيبِ الأحمرِ.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الفضائل حديث ١٥٨ وأحمد (٢/ ٢٦٩، ٣١٥، ٣٥١، ٥٣٣).

٤/٦١٨ ـ وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

قد كانَ مَلَكُ الموتِ يأتي الناسَ عَيَانًا قال: فأتَى موسى فَلَطَمهُ ففقأ عينَه، فأتى بِّهُ عز وجلّ فقال: يا ربِّ عبدُك موسى فقأَ عيني، ولولا كرامتهُ عليك لَعَنَفْتُ به ـ وقال يونس: لَشَقَقْتُ عليه ـ فقال له: «اذهبْ إلى عبدي فقل له: فليضعْ يده على جِلْدِ أو مسْكِ ثورٍ فله بكل شعرةٍ وارتْ يده سنةٌ»، فأتاه، فقال له: ما بعد هذا؟ قال: «الموتُ»، قال: فالآنَ قال: فشمَّه شمةً فقبضَ رُوحَهُ، قال يونس: فردَّ اللهُ عز وجل عينه، وكانَ يأتي الناسَ خُفْيَةً.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ٥٣٣)، والحاكم (جـ ٢ ص ٥٧٨).

[يونس]: هو أبو محمد الحافظ المؤدب أحد رواة هذا الحديث.

شرح المفردات

١ ـ صكّه: لطمه.

٢ ـ متن ثور: ظهره.

٣ ـ ثم مَهْ: أي ثم ماذا؟ أحياة أم موت؟.

٤ ـ الكثيب: الرمل المستطيل المحدودب.

٥ ـ رمية بحجر: أي قدر ما يبلغ الحجر إذا رماه شخص.

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم:

أجاب العلماء عن هذا ـ أي عن فقء موسى عين ملك الموت ـ بأجوبة:

أحدها: أنه لا يمتنع أن يكون موسى ﷺ قد أذن الله تعالى له في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحانًا للملطوم والله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما أراد.

والثاني: أن هذا على المجاز، والمراد أن موسى ناظره وحاجّه فغلبه في الحجة، ويقال: فقأ فلان عين فلان إذًا غلبه بالحجة، وفي هذا ضعف لقوله ﷺ «فردّ الله عينه» فإن قيل أراد ردّ حجته كان بعيدًا.

والثالث: إن موسى ﷺ لم يعلم أنه ملك من عند الله وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقء عينه، لا أنه قصدها بالفقء وتؤيده رواية «صكه» وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازري والقاضي عياض. قالوا: وليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه. فإن قيل: فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيًا بأنه ملك الموت. فالجواب أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بأنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى، والله أعلم.

(٤) باب ما جاء في سيدنا موسى عليه السلام مع السامري

١/٦١٩ ـ عن علي رضي الله عنه قال:

لما تعجَّلَ موسى إلى ربه، عمدَ السامريُّ فجمع ما قدَرَ عليه من الحلي حلي بني إسرائيل فضربه عجلًا، ثم ألقى القبضة في جوفه، فإذا هو عجلٌ له خوارٌ، فقال لهم السامري: هذا إلهكم وإلهُ موسى، فقال لهم هارون: يا قوم ألَمْ يعدكم ربكم وعدًا حسنًا؟ فلما أن رجع موسى إلى بني إسرائيل. وقد أضلَّهم السامريّ، أخذَ برأس أخيه فقال له هارون ما قال. فقال: موسى للسامري: ما خطبك؟ قال السامري: قبضتُ قبضة من أثر الرسول فنبذتُها وكذلك سوَّلَتْ لي نفسي. قال: فعمد موسى إلى العجل فوضع عليه المبادر فبرده بها وهو على شف نهر فما شرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد ذلك العجل إلا اصفرّ وجهه مثل الذهب فقالوا لموسى: ما توبتُنا؟ قال: يقتل بعضكم بعضًا، فأخذوا السكاكين فجعل الرجل يقتل أباه وأخاه ولا يبالي من قتل، حتى قتل منهم سبعون ألفًا، فأوحى الله إلى موسى: مُرْهم فليرفعوا أيديهم فقد غفرت لمن قتل وتبتُ على من بقي.

(صحيح) أخرجه الحاكم في كتاب تفسير سورة طه.

(٥) باب ما جاء في سيدنا موسى وسيدنا الخضر عليهما السلام

١/٦٢٠ ـ عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفًا البَكاليّ يزعم أن

موسى بني إسرائيل إنما هو موسى آخر، فقال: كذب عدو الله، حدثنا أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ:

قامَ موسى النبيُ خطيبًا في بني إسرائيل، فسُئِلَ أيُّ الناسِ أعلمُ فقالَ: أنا أعلمُ فعتبَ اللهُ عليه إذ لم يردَّ العلمَ إليه، فأوحى الله إليه: **«أن عبدًا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلمُ منك»**، قال: يا ربِّ وكيفَ به؟ فقيل له: **«احملْ حوتًا في مِكتلٍ، فإذا فقدته فهو ثمّ»**، فانطلقَ وانطلقَ بفتاهُ يوشعَ بنِ نونٍ، وحملا حوتًا في مِكتلٍ، حتى كانا عند الصخرة، وضعا رأسَاهما وناما فانسَلَّ الحوتُ من المِكتل فاتخذ سبيله في البحر سربًا، وكان لموسى وفتاهُ عجبًا، فانطلقا بقيةَ ليلتهما ويومَهما، فلما أصبحَ قال موسى لفتاه: آتنا غداءَنا لقد لقينا مِنْ سفرنا هذا نصبًا، ولم يجدْ موسى مسًّا من النَّصَبِ حتى جاوزَ المكانَ الذي أُمِرَ به، فقال له فتاه: أرأيتَ إذ أوينا إلى الصخرةِ فإني نسيتُ الحوتَ، قال موسى: ذلك ما كنا نَبْغِي، فارتدَّا على آثارهما قصصًا، فلما انتهيا إلى الصخرة، إذا رجلٌ مُسَجيّ بثوبٍ أو قال: تسجَّي بثوبه، فسلَّم موسى فقال الخَضِرُ: وأنّي بأرضك السَّلامُ، فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعمْ، قال هل أتبعُك على أنْ تعلمني مما عُلِّمتَ رشدًا؟ قال إنك لن تستطيعَ معي صبرًا، يا موسى، إنِّي على علم من علم الله علمنيه لا تعلمُهُ أنتَ، وأنتَ على علم علَّمَكهُ لا أعلمُهُ، قال: ستجدني إن شاءَ اللهُ صابرًا ولا أعصي لك أمرًا، فانطلقَا يمشّيانِ على ساحلِ البحر ليسَ لهما سفينةٌ، فمرتْ بهما سفينةٌ فكلَّموهم أن يحملوهما، فَعُرِفَ الخَضِرُ فحملوهما بغير نوْلٍ، فجاءَ عصفورٌ فوقعَ على حرفِ السفينة فنقرَ نقرةً أو نقرتين في البحرِ، فقال الخضرُ: يا موسى ما نقصَ علمي وعلمُكَ من علم الله إلا كنقرةِ هذا العصفورِ في البحرِ، فعمدَ الخضرُ إلى لوح من ألواحِ السفينةِ فنزعه، فقالَ موسى: قومٌ حملونا بغير نوْلٍ عَمَدْتَ إلى سفينتهم فخرقْتَها لتغرقَ أهلَها! قال: ألمْ أقلْ إنك لن تستطيعَ معي صبرًا، قال: لا تؤاخذني بما نسيتُ، فكانت الأُولى من موسى نسيانًا، فانطلقا فإذا غلامٌ يلعبُ مع الغلمانِ فأخذَ الخَضِرُ برأسِهِ من أعلاه فاقْتَلَعَ رأسَهُ بيده، فقال موسى: أقتلتَ نفسًا زكيةً بغير نفسٍ؟ قال: ألمْ أقلْ لك إنك لَنْ تستطيع معي صبرًا ـ قال ابنُ عيينة: وهذا أَوكدُ ـ فانطلقا، حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها: فأبوْا أن يُضَيِّفُوهما، فوجدَا فيها جدارًا يريدُ أن ينقضَّ فأقامه، قال الخضِرُ بيده: فقال له موسى: لو شئتَ لاتخذتَ عليهِ أجرًا، قال: هذا فراقُ بيني وبينك، قال النبي ﷺ يرحمُ اللهُ موسى لوددْنَا لو صبرَ حتى يقصَّ علينا من أمرهما.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب العلم باب ٤٤. كتاب التفسير باب ٢. والترمذي في كتاب التفسير باب ١٩.

٦٢١/ ٢ ـ عن ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيْس بن حصين الفزاريُ في صاحب موسى، قال ابن عباس: هو خَضِرٌ فمرَّ بهما أبيُّ بن كعب فدعاه ابن عباس قال إني تمارَيْت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيلَ إلى لُقيِّه، هل سمعتَ النبي ﷺ يذكرُ شأنه؟ قال: نعم. سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول:

«بينما موسى في ملأٍ من بني إسرائيل جاءه رجلٌ، فقال: هل تعلمُ أحدًا أعلمَ منك، قال موسى: لا، فأوحى الله إلى موسى: «بلى عبدُنا خَضِر»، فسأل موسى السبيلَ إليه، فجعلَ اللهُ لَه الحوتَ آيةً، وقيل له: إذا فقدتَ الحوتَ فارجعْ فإنك ستلقاه، وكانَ يتبعُ أثَرَ الحوتِ في البحر، فقال لموسى فتاهُ؛ أرأيتَ إذ آوَينا إلى الصخرةِ فإني نسيتُ الحوتَ وما أنسانيه إلا الشيطانُ أن أذكرَهُ، قال: ذلك ما كنا نبغي، فارتدا على آثارهما قصصًا، فوجدا خَضِرًا، فكانَ من شأنهما الذي قصَّ الله عزَّ وجلَّ في كتابه.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب العلم باب ١٦. كتاب أحاديث الأنبياء باب ٢٧، ومسلم في كتاب الفضائل حديث ١٧٤.

٦٢٢/ ٣ـ وعن ابن عباس حدثني أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ:

«موسى رسولُ الله عليه السلام قال ذَكَّرَ الناسَ يومًا، حتى إذا فاضت العيونُ، ورقَّت القلوبُ، ولىّ فأدركه رجلٌ فقال: أيْ رسولَ اللهِ هل في الأرضِ أحدٌ أعلمُ منك؟ قال: لا، فَعَتَبَ عليه إذ لم يردّ العلمَ إلى الله. قيل: بلى، قال: أي ربِّ فأينَ؟ قال: «بمجمع البحرين»، قال: أيْ ربِّي اجعل لي عَلَمًا أعلمُ ذلك به، ـ فقال لي عمرو: ـ قال: «حيث يفارقُك الحوتُ»، وقال لي يعْلي قال: «خذ نُونًا ميتًا حيث ينفخُ فيه الروحُ»، فأخذَ حوتًا فجعلَهُ في مكتل، فقال لفتاه: لا أكلفُكَ إلا أنْ تخبرني بحيث يفارقُك الحوتُ قال: ما كَلَّفْتَ كثيرًا، فذلك قولُه جل ذكره: وإذ قال موسى لفتاهُ يوشع بن نون ـ ليست عن سعيد ـ قال: فبينما هو في ظلِ صخرةٍ في مكانٍ ثَرْيَانَ إذ تضرَّب الحوتُ وموسى نائمٌ، فقال فتاه: لا أوقظه، حتى إذا استيقظ نَسِيَ أن يخبرَهُ، وتضرَّبَ الحوتُ حتى دخلَ البحرَ، فأمسكَ اللهُ عنه جِرْيَةَ البحر، حتى كأنَّ أثره في حجر، قال لي عمرو: هكذا كأن أثره في حجر، وحلّق بين أبهاميه واللتين تليانهما، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا، قال: قد قطعَ اللهُ عنك النَصَبَ ـ ليستْ هذه عن سعيد ـ أخبره فرجعا فوجدا خضرا، قال لي عثمان بن أبي سليمان: على طِنْفِسَةٍ خضراءَ على كبدِ البحرِ، قال سعيد بن جبير: مُسَجًّي بثوبه قد جعلَ طرفه تحت رجليه وطرَفَه تحتَ رأسِه، فسلَّم عليه موسى، فكشفَ عن وجهه وقال: هل بأرضي من سلام؟ منْ أنتَ؟ قال: أنا موسى قال: موْسى بني إسرائيل؟ قال: نعمْ، قال: فما شأنك؟

قال: جئتُ لتعلمني مما عُلِّمْتَ رشدًا، قال: أما يكفيك أنَّ التوراةَ بيديك وأن الوحيَ يأتيك، يا موسى: إن لي عِلْمًا لا ينبغي لك أن تعلمه، وإن لك عِلْمًا لا ينبغي لي أنْ أعلمه، فأخذَ طائرٌ بمنقارِه من البحرِ وقال: والله ما علمي وما علمُك في جنب علم اللهِ إلا كما أخذَ هذا الطائرُ بمنقاره من البحرِ، حتى إذا ركبا في السفينة وجدا معابر صغارًا تحملُ أهلَ هذا الساحلِ إلى أهلِ هذا الساحلِ الآخر عرفوه، فقالوا: عبد الله الصالح ـ قال: قلنا لسعيد: خَضِرُ؟ قال: نعمْ ـ لا نحملهُ بأجرٍ، فخرقَهَا ووتد فيها وتدًا، قال موسى: أخرقتها لتغرقَ أهلها لقد جئتَ شيئًا إِمْرًا، قال مجاهد: مُنْكَرًا قال: ألم أقل: إنك لن تستطيعَ معي صبرًا، كانت الأولى نِسْيَانًا، والوسطى شطًا، والثالثة عمدًا، قال: لا تؤاخذني بما نسيتُ، ولا ترهقني من أمري عُسْرًا، لقيا غلامًا فقتله، قال يعلي: قال سعيد وجد غلمانًا يلعبون، فأخذ غلامًا كافرًا ظريفًا فأضجعه، ثم ذبحه بالسكين، قال: أقتلتَ نفسًا زكيةً بغير نفسٍ لم تعملْ بالحِنْثِ، وكان ابنُ عباس قرأها زكيةً زاكيةً مسلمةً كقولك: غلامًا زكيًا، فانطلقا فوجدا جدارًا يريدُ أن ينقضَّ فأقامه، قال سعيد بيده هكذا ورفع يده فاستقام، قال يعْلي: حسبتُ أن سعيدًا قال: فمسحه بيده فاستقام، لو شئتَ لاتخذتَ عليه أجرًا، قال سعيد: أجرًا نأكله، وكان وراءهم، وكان أمامهم، قرأه ابن عباس أمامَهم مَلِكٌ يزعمون عن غير سعيد: أنه هُدَد بن بُدَد، والغلامُ المقتولُ اسمه يزعمون: جَيْسُورٌ.

مَلِكٌ يأخذ كلّ سفينةٍ غصبًا، فأردتُ إذا هي مرت به أن يدعها لعيبها فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها، ومنهم من يقول: سدُّوها بقارورةٍ، ومنهم من يقول: بالقارِ، كان أبواه مؤمنين، وكان كافرًا، فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا، أن يحملهما حُبُّه على أن يتابعاه على دينه، فأردنا أن يبدلَهما ربُّهما خيرًا منه زكاةً بقوله: أقتلتَ نفسًا زكيةً. وأقربَ رُحْمًا وأقربَ رحما هُمَا بِهِ أرحمُ منهما بالأولِ الذي قتلَ خضرٌ، وزَعَمَ غيرُ سعيدٍ: أنهما أُبدلا جاريةً، وأما داود بن عاصم فقال عن غير واحد: إنها جارية، فلما جاوزا قال لفتاه: آتنا غداءنَا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا إلى قوله: عجبًا. صنعا: عملاً. حولاً: تحولا. قال: ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصًا، إمْرًا ونكرًا: داهيةً، يَنْقَضُّ: ينقاض كما تَنقَاضُ السِّنُّ، لَتَخِذْتَ واتخذْتَ واحد، رُحْمًا من الرُّحْم وهي أشد مبالغة من الرحمة، ونظن أنه من الرحيم وتدعى مكة: أم رُحْم: أي الرحمةُ تنزل بها».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ٣، وابن حبان في صحيحه (جـ ٨/ ٦١٨٧).

(٦) باب ما جاء في سيدنا موسى عليه السلام مع عجوز بني إسرائيل

١/٦٢٣ ـ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ أعرابيًا فأكرمه فقال له: ائتنا فأتاه فقال له رسول الله ﷺ: سل حاجتك. قال: ناقة نركبها، وأعنز يحلبها أهلي فقال: أعجزتم أن تكونوا مثلَ عجوز بني إسرائيل؟ قال:

إنَّ موسى عليه السلام لما سارَ ببني إسرائيلَ من مصر ضلُّوا الطريق فقال: ما هذا؟ فقال علماؤهم: يوسفُ عليه السلامُ لما حَضَرَهُ الموتُ أخذ بنيامينُ علينا موثقًا من الله أن لا نخرجَ من مصر حتى ننقلَ عظامه معنا، قال: من يعرفُ موضِعَ قبره؟ قال: عجوزٌ من بني إسرائيل، فبعثَ إليها فأتتْ، فقال: دُلِّيني على قبرِ يوسف، قالت: حتى تعطيني حكمي، قال: وما حكمُك؟ قالت: أكونُ معك في الجنةِ، فكرهَ أن يعطيها ذلك، فأوحى اللهُ إليه: **«أنْ أَعْطِها حكمَهَا»**، فانطلقتْ بهم إلى بحيرة مستنقع ماء، فقالت: انضِبُوا هذا الماء فأنضبُوهُ، فقالتْ احتفُروا، فاحتفَروا فاستخرجوا عظامَ يوسف، فلما أَقَلُّوه إلى الأرضِ فإذا الطريقُ مثلُ ضوءِ النهارِ.

(صحيح) ـ أخرجه ابن حبان (٢٤٣٥)، والحاكم (جـ ٢ ص ٤٠٤).

٢/٦٢٤ ـ عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سُئِلَ عن شيءٍ فأرادَ أن يفعله قال: نعمْ، وإذا أراد أن لا يفعله سكتَ، وكان لا يقولُ لشيءٍ لا، فأتاه أعرابي فسأله فسكتَ، ثم سأله فسكتَ، ثم سأله فقال النبي ﷺ كهيئةِ المنتهرِ له: سلْ ما شئتَ يا أعرابي، فغبطْناه وقلنا الآن يسألُ الجنةَ، قال: أسألُكَ راحلةً، قال النبي ﷺ: لك ذاك، ثم قال: سلْ، قال: ورحْلَها، قال: لك ذاك، ثم قال: سلْ، قال: أسألك زادًا، قال: ذاك لك، قال: فعجبنا من ذلك، فقال النبي ﷺ: أعطوا الأعرابي ما سأل، قال: فأُعْطِيَ، ثم قال النبي ﷺ: كمْ بينَ مسألةِ الأعرابيِّ وعجوزِ بني إسرائيل، ثم قالَ: إنَّ موسى ﷺ لما أُمِرَ أن يقطعَ البحرَ فانتهى إليه ضَرَبَ وجوهَ الدوابِّ فرجعتْ، فقال موسى: ما لي يا ربِّ؟ قال: **«إنك عند قبر يوسف فاحملْ عظامه معك»**، قال: وقد استوى القبرُ بالأرضِ، فجعلَ موسى لا يدري أين هو، فسألَ موسى: هل يدْري أحدٌ منكم أين هو؟ فقالوا: إن كانَ أحدٌ يعلمُ أين هو فعجوزٌ بني فلانٍ، لعلها تعلمُ أينَ هُوَ فأرسلَ إليها موسى، فانتهى إليها الرسولُ قالتْ ما لكم؟ قالوا: انطلقي إلى موسى فلما أتته، قال: هل تعلمينَ أينَ قبرُ يوسفَ؟ قالتْ: نعمْ، قال: فدلِّينا عليه، قالت: لا والله حتى تعطيني ما أسألُك قال لها: لك ذلك، قالت: فإني أسألك أن أكونَ معك في الدرجة التي تكونُ فيها في الجنة، قال: سلي الجنة،

قالتْ: لا واللهِ لا أرضى إلا أن أكونَ معك، فجعلَ موسى يُرَادُها قال: فأوحى الله إليه: «أن أعطها ذلك، فإنه لا ينقصُك شيئًا»، فأعطاها، ودلَّته على القبرِ، فأخرجوا العظامَ، وجازوا البحرَ.

(حسن لغيره) ـ أخرجه الخرائطي (ص ٦٥) في مكارم الأخلاق.

(٧) باب ما جاء في سيدنا موسى عليه السلام وسؤاله عن الخصال السِّتِّ

١/٦٢٥ ـ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: سألَ موسى ربَّه عن ست خصال كان يظنُّ أنها له خالصةٌ، والسابعة لم يكنْ موسى يحبُّها قال: يا ربِّ أيُّ عبادكَ أتقى؟ قال: «الذي يذكرُ ولا ينسى»، قال: فأي عبادك أهدى؟ قال: «الذي يتبعُ الهدى»، قال: فأي عبادك أحكمُ؟ قال: «الذي يحكمُ للناسِ كما يحكمُ لنفسه»، قال: فأي عبادك أعلمُ؟ قال: «الذي لا يشبعُ من العلم يجمعُ علمَ الناسِ إلى علمه»، قال: فأي عبادك أعزُّ؟ قال: «الذي إذا قَدَرَ غَفَرَ»، قال: فأيُّ عِبادك أغنى؟ قال: «الذي يرضى بما يُؤْتَى»، قال: فأي عبادِك أفقرُ؟ قال: «صاحبٌ مبغوضٌ».

قال رسول الله ﷺ: «ليس الغِنى عن ظهرٍ، إنما الغنى غنى النفسِ، وإذا أرادَ الله بعبد خيرًا جعل غناه في نفسه، وتُقَاهُ في قلبه، وإذا أرادَ بعبدٍ شرًا جعلَ فقره بين عينيه».

(حسن) ـ أخرجه ابن حبان (جـ ٨٦).

(٨) باب ما جاء في سيدنا موسى عليه السلام والانتساب إلى الإسلام

١/٦٢٦ ـ عن أبيّ بن كعب قال:

انتسب رجلان على عهد رسول الله ﷺ.

فقال أحدهما: «أنا فلان بن فلان، فمن أنت لا أمَّ لك؟ فقال رسول الله ﷺ:

انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام، فقال أحدهما: أنا فلانُ بن فلانٍ حتى عدَّ تسعةً، فمن أنت لا أمَّ لك؟ قال: أنا فلانُ بن فلان بنُ الإسلام. قال: فأوحى الله إلى موسى عليه السلام: «إنَّ هذين المنتسبين؛ أمَّا أنت أيها المنتمي أو المنتسب إلى تسعةٍ في النار فأنت عاشرهم، وأما أنت يا هذا المنتسبُ إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة».

(صحيح) أخرجه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه (٥/ ١٢٨).

(٩) باب ما جاء في سيدنا موسى عليه السلام والقائه الألواح

١/٦٢٧ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:

ليسَ الخبرُ كالمعاينةِ، قال اللهُ لموسى: **«إنَّ قومَك صنعوا كذا وكذا»**، فلم يبال، فلما عاينَ ألقى الألواحَ.

(صحيح) ـ أخرجه ابن حبان (٢٠٨٧)، وأحمد (جـ ١ ص ٢٧١)، والبزار (جـ ١/ ٢٠١)، والطبراني (جـ ١٢/ ١٢٤٥١)، الحاكم (جـ ٢ ص ٣٢١).

(١٠) باب ما جاء في سيدنا أيوب عليه السلام

١/٦٢٨ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

بينما أيوبُ يغتسلُ عُرْيانًا خَرَّ عليه رِجْلُ جرادٍ من ذهبٍ، فجعلَ يَحْثِي في ثوبه، فنادى رَبُّه: **«يا أيوبُ! ألم أكنْ أغنيتُكَ عما ترى؟»** قال: بلى يا ربِّ ولكنْ لا غنًى بي عن بركتك.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ٣٥. كتاب أحاديث الأنبياء باب ٢٠. كتاب الغسل باب ٢٠، وأحمد (٢/ ٣١٤).

٢/٦٢٩ ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: بينما أيوبُ عليه الصلاة والسلام يغتسلُ عُرْيانًا خرَّ عليه جرادٌ من ذهبٍ، فجعل يَحْثي في ثوبه قال: فناداه ربُّه عزَّ وجلَّ: **«يا أيوبُ ألم أكنْ أغنيتُك؟»** قال بلى يا ربِّ، ولكنْ لا غنى بي عن بركاتك.

(صحيح) ـ أخرجه النسائي في كتاب الغسل باب ٧، والبخاري تعليقًا في كتاب التوحيد باب ٣٥. وكتاب الغسل باب ٢٠.

٣/٦٣٠ ـ وعن أبي هريرة:

أُرْسِلَ على أيوب رِجْلٌ من جرادٍ من ذهبٍ، فجعلَ يقبضُها في ثوبِهِ، فقيلَ: **«يا أيوبُ ألم يكفِكَ ما أعطيناك؟»** قال أي ربِّ ومن يستغني عن فضلك؟!.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٣).

٤/٦٣١ ـ وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

أُرسِلَ على أيوب جرادٌ من ذهبٍ فجعلَ يلتقطُ، فقال: **«ألم أُغْنك يا أيوبُ؟»** قال: يا ربِّ ومن يشبعُ من رحمتك؟ أَوَ قال: من فضلِك.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٤) والطيالسي (٢٤٥٥) وغيرهما.

٦٣٢/ ٥ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

إن أيوبَ نبيَّ اللهِ لَبثَ به بلاؤُه خمس عشرة سنة، فرفضَه القريبُ والبعيدُ إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخصِّ إخوانه، قد كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدُهما لصاحبه ذاتَ يومٍ: نعلمُ والله لقد أذنبَ أيوبُ ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قالَ منذُ ثماني عشرة سنةً لم يرحمه الله، فيكشفُ عنه ما به فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجلُ، حتى ذكرَ له ذلك، فقال له أيوبُ: لا أدري ما تقول غير أن الله يعلم أني كنتُ أمر بالرجلين يتنازعانِ يذكرانِ الله فارجع إلى بيتي فاكفر عنهما كراهيةَ أن يذكرَ الله إلا في حقٍّ، وكان يخرج لحاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغَ، فلما كان ذات يوم أبطأَ عليها، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه: **«أن أركضْ برجلِكَ هذا مغتسلٌ باردٌ وشرابٌ»**، فاستبطأته، فتلقته وأقبل عليها قد أذهبَ اللهُ ما به من البلاءِ وهو أحسنُ ما كان، فلما رأته قالت: أيْ باركَ اللهُ فيك هل رأيتَ نبي الله هذا المُبتَلَى؟ والله على ذلك ما رأيتُ رجلاً أشبهَ به منك إذ كان صحيحًا، قال: فإني أنا هو، قال: وكان له أندران أندرُ للقمح وأندرُ للشعيرِ، فبعثَ الله سحابتين فلما كانتْ إحداهما على أندرِ القمح أفرغتْ فيه الذهبَ حتى فاضَ، وأفرغت الأخرى في أندرِ الشعيرِ الوَرِقَ حتى فاضَ.

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (جـ ٢ ص ٥٨١)، وابن حبان (٢٠٩١).

(١١) باب ما جاء في سيدنا يونس عليه السلام

٦٣٣/ ١ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال ـ يعني الله تبارك وتعالى ـ:

«ينبغي لعبد لي ـ وفي رواية لعبدي ـ أن يقول أنا خير من يونس بن متى عليه السلام».

(صحيح) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل حديث ١٦٦.

٦٣٤/ ٢ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ عن ربه قال:

«ينبغي لعبد أن يقول أنه خير من يونس بن متى ـ ونسبه إلى أبيه ـ».

(صحيح) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ٥٠.

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: قال العلماء: هذه الأحاديث تحتمل وجهين:

أحدهما: أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أنه أفضل من يونس فلما علم ذلك قال: أنا سيد ولد آدم ولم يقل هنا أن يونس أفضل منه أو من غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

والثاني: أنه ﷺ قال هذا زجرًا من أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئًا من حط مرتبة يونس ﷺ من أجل ما في القرآن العزيز من قصته.

(١٢) باب ما جاء في سيدنا يحيى وسيدنا عيسى عليهما السلام

١/٦٣٥ ـ عن الحارث الأشعري أن رسول الله ﷺ قال:

إن الله عز وجل أوحى إلى يحيى بن زكريا بخمسِ كلمات أن يعملَ بهن ويأمرَ بني إسرائيل أن يعملوا بهنّ، فكأنه أبطأ بهنّ، فأَوحى الله عز وجل إلى عيسى: **«إما أن يُبَلِّغَهن أو تُبَلِّغَهنّ»**، فأتاه عيسى فقال: إنَّ الله أَمرك بخمسِ كلمات تعملُ بهنَّ وتأمرُ بني إسرائيلَ أن يعملوا بهنّ، فإما أن تخبرَهم وإما أن أُخبرَهم، فقال: يا روحَ الله لا تفعلْ فإني أخافُ إنْ سبقتني بهن أن يُخْسَفَ بي أو أُعَذَّبَ، قال: فجمعَ بني إسرائيل في بيتِ المقدسِ حتى امتلأ المسجد وقعدوا على الشرفاتِ، ثم خطبَهم، فقال: إن الله عز وجل: أوحى إليّ بخمسِ كلماتٍ وأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنّ أولُهنّ: أن لا تشركوا بالله شيئًا، فإنَّ مَثَلَ منْ أشركَ باللهِ كمثلِ رجلٍ اشترى عبدًا من خالص ماله بذهبٍ أو وَرِقٍ، ثم أسكنه دارًا، فقال اعمل وارفع إليّ عملك، فجعلَ العبدُ يرفعُ إلى غير سيدِه، فأيكمْ يرضى أن يكون عبدُه كذلك؟ فإن الله عز وجل خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئًا، وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا، فإنَّ الله عز وجل يُقْبِلُ بوجهِه إلى وجهِ عبدِه ما لم يلتفتْ، وأَمركم بالصيامِ، ومَثَلُ ذلك كمثل رجلٍ في عصابة، معه صرةُ مِسْكٍ، فكلُّكم يحبُّ أن يجدَ ريحَهَا، وخلوفُ فم الصائمِ عند، اللهِ أطيبُ من ريح المسكِ، وأمركم بالصدقةِ ومَثَلُ ذلك كمثَلِ رجلٍ أسره العدوُ، فأوثقوه إلى عنقه، أو قربوه ليضربوا عنقه، فجعلَ يقولُ لهم: هل لكم أنْ أفديَ نفسي منكم، فجعل يُعْطِي القليلَ والكثيرَ حتى فَدَى نفسه، وأمركم بذكرِ الله كثيرًا ومَثَلُ ذلك كمَثَلِ رجل طلبه العدو سِراعًا في أثرِه حتى أَتى حِصنًا حصينًا، فأحرزَ نفسه فيه، وكذلك العبدُ لا ينجو من الشيطانِ إلا بذكرِ اللهِ.

وفي رواية أخرى عن الحارث الأشعري رضي الله عنه زاد: قال النبي ﷺ:

وأنا أمركم بخمس أمرني الله عز وجل بهنَّ الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله، فمن فارق الجماعة قيد شبرٍ فقد خلعَ ربقةَ الإسلام والإيمان من عنقه أو الإيمان من رأسه إلا أن يُرَاجِعَ ومَنْ دَعَا بدعوى الجاهليةِ فهو من جُثَاء جهنم قيلَ: يا رسولَ الله وإنْ صامَ وصلَّى؟ قال: وإنْ صامَ وصلّى، تداعوا بدعوى الله الذي سماكم بها، المسلمين المؤمنين عباد الله.

(صحيح) ـ أخرجه الطيالسي (جـ ٥/ ١١٦١، ١١٦٢)، والترمذي في كتاب الأمثال باب ٣، والحاكم (جـ ١ ص ١١٧).

(١٣) باب ما جاء في سيدنا عيسى عليه السلام وخروج الدجال

١/٦٣٦ ـ عن النوار بن سمعان قال:

ذكرَ رسولُ اللهِ ﷺ الدجالَ ذاتَ غداةٍ فخفَّض فيه ورفَّع[١] حتى ظنناهُ في طائفةِ النخلِ، فلما رحنا إليه، عرفَ ذلك فينا، فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا سول الله ذكرتَ الدجالَ غداةً فخفَّضت فيه ورفَّعتَ حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: غيرُ الدجالِ أَخوفُني عليكم، إن يخرجْ وأنا فيكم فأَنا حَجيجُه دونكم، وإنْ يخرجْ ولستُ فيكم فامرؤٌ حَجِيجُ نفسِه، واللهُ خليفتي على كلِّ مسلمٍ إنه شابٌ قَطَطٌ[٢] عينُه طافئةٌ كأني أُشبِّهُهُ بعبدِ العزّى بنِ قَطَنٍ، فمن أدركَه منكم فليقرأ عليه فواتحَ سورةِ الكهف، إنَّهُ خارجٌ خَلَّةً بين الشام والعراق[٣]، فعاثَ يمينًا وعاثَ شمالاً[٤]، يا عباد الله فاثبتوا، قلنا يا رسولَ الله وما لُبْثُه في الأرضِ، قال: أربعون يومًا، يومٌ كسنة، ويومٌ كشهرٍ، ويومٌ كجمعةٍ، وسائرُ أيامِهِ كأيامِكم، قلنا: يا رسول الله فذلك اليومُ الذي كسنةٍ أتكفينا فيه صلاةُ يوم؟ قال لا اقدروا له قدره، قلنا يا سول الله وما إسراعُهُ في الأرض؟ قال: كالغيثِ استدبرته الريحُ، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمرُ السماءَ فتمطرُ والأرضَ فتنبتُ، فتروحُ عليهم سارحتُهم[٥] أطولَ ما كانت ذُرًا[٦] وأسبغَه ضُرُوعًا وأمدَّه خَوَاصِر[٧]، ثم يأتي القومَ فيدعوهم فيردُّون عليه قوله، فينصرفُ عنهم فيصبحونَ مُمْحِلين[٨] لَيس بأيديهم شيءٌ من أموالهم، ويمرُّ بالخَرِبَةِ فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتَتْبَعُهُ كنوزُها كَيَعاسِيبِ النحلِ[٩]، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا فيضربُهُ بالسيفِ فيقطعُهُ جزلَتَيْنِ[١٠] رميةَ الغَرَضِ، ثم يدعوه فيقبلُ، ويتهللُ وجهه يضحكُ، فبينما هو كذلك إذ بعثَ اللهُ المسيحَ بن مريمَ فينزل عند المنارةِ البيضاءِ شرقي دمشق بين مَهْرودَتَيْنِ[١١] واضعًا كفيه على أجنحة ملكيْن إذا طأطأ رأسَهُ قطرَ، وإذا رفعه تحدَّر منه جُمَانٌ كاللؤلؤِ، فلا يحلُ لكافر يجدُ ريح نَفسِه إلا ماتَ، ونفسُه ينتهي حيث ينتهي طرفُه فيطلبُه حتى يدركَه ببابِ لُدٍّ[١٢] فيقتلُه، ثم يأتي عيسى بن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه

فيمسحُ عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: «**إني قد أخرجتُ عبادًا لي لا يَدَانِ لأحدٍ بقتالهم**[١٣] **فحرِّز عبادي إلى الطورِ**»[١٤]، ويبعثُ اللهُ يأجوجَ ومأجوجَ وهم من كل حدبٍ ينسلون، فيمرُّ أوائِلُهم على بحيرةِ طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرُهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماءً، ويُحْصَرُ نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُه حتى يكونَ رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينارٍ لأحدكم اليوم، فيرغبُ[١٥] نبي الله عيسى وأصحابه فيرسلُ اللهُ عليهم النغفَ[١٦] في رقابهم، فيصبحون فَرسى[١٧] كموتِ نفسٍ واحدةٍ، ثم يهبطُ نبيُّ الله عيسى وأصحابُه إلى الأرضِ، فلا يجدونَ في الأرضِ موضعَ شبرٍ إلا ملأه زهَمُهم[١٨] ونتنُهم فيرغبُ نبيُّ الله عيسى وأصحابُه إلى اللهِ، فيرسلُ اللهُ طيرًا كأعناقِ البُخْتِ فتحملُهم فتطرحُهم حيثُ شاءَ اللهُ، ثم يرسلُ الله مطرًا لا يَكُنُّ[١٩] منه بيتُ مدر ولا وبر فيغسلُ الأرضَ حتى يتركَها كالزلفة، ثم يقال للأرض انبتي ثمرك، وردي ببركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرِّسل، حتى أنَّ اللقحة من الإِبل لتكفي الفِئام[٢٠] من الناس، واللقحةَ من البقرة لتكفي القبيلة من الناسِ، واللقحةَ من الغنم لتكفي الفخذَ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة.

وفي رواية نحو هذا الحديث وزاد: لقد كان بهذه مرّةً ماء، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخَمَرِ[٢١] وهو جبل ببيت المقدس فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتلْ من في السماء، فيرمون بنُشَّابهم[٢٢] إلى السماءِ، فيردُّ الله عليهم نشابهم مخضوبةً دمًا.

وفي رواية ابن حُجْر: فإني قد أنزلت عبادًا لي لا يَدَيْ لأحدٍ بقتالهم.

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الفتن حديث ٢١٣٧ وأحمد (جـ ٤ ص ١٨١) وغيرهما.

شرح المفردات

١ ـ (خَفَّض فيه وَرَفَّعَ): في معناه قولان: أحدهما أن النبي ﷺ خفض من صوته وأعلاه وهو يتكلم. والقول الآخر أنَّ: خفض بمعنى حَقَّرَ وَرَفَّعَ أي عظَّم وفخَّمَ فمن تحقيره أنه أعور وأنه لا يقدر على قتل أحد إلا ذلك الرجل ثم يعجز عنه بعد ذلك وأنه يضمحل أمره ثم يقتل بعد ذلك هو وأتباعه. ومن تفخيمه وتعظيم فتنته هذه الأمور الخارقة للعادة ومنها تحذير كل نبي أمته منه.

٢ ـ (قَطَط): شديدُ جُعُودة الشَّعر.

٣ ـ **(خارجٌ خَلَّةً بين الشام والعراق)**: أي سمتَ ذلك وقُبَالته.

٤ ـ **(عَاثَ يمينا وعاثَ شمالاً)**: العَيْثُ الفسادُ أو أشد الفساد.

٥ ـ **(السارحة)**: الماشية.

٦ ـ **(أطول ما كانت ذرا)**: أطول أسنمة.

٧ ـ **(أسْبَغَهُ ضُروعًا وأمدَّه خواصر)**: أسبغه أطوله لكثرة اللبن فيها، وأمده خواصر لكثرة امتلائها من الشبع.

٨ ـ **(فيصبحون ممحلين)**: أي أصابهم الجدب والقحط.

٩ ـ **(يعاسيب النحل)**: جماعة النحل، ويعسوب النحل هو أميرها.

١٠ ـ **(فيقطعه جزلتين)**: أي قطعتين.

١١ ـ **(مهرودتين)**: ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران.

١٢ ـ **(باب لدّ)**: بلدة قريبة من بيت المقدس.

١٣ ـ **(لا يَدَانِ لأحد بقتالهم)**: لا قدرة ولا طاقة لأحد بذلك.

١٤ ـ **(فَحَرِّز عبادي إلى الطور)**: ضمهم واجعله لهم حرزًا.

١٥ ـ **(فيرغب نبي الله عيسى)**: أي يدعو الله سبحانه وتعالى.

١٦ ـ **(فيرسل عليهم النَّغَف)**: النغف دُودٌ يكون في أنوف الإبل والغنم.

١٧ ـ **(فيصبحون فَرْسَى)**: أي قَتْلَى.

١٨ ـ **(زَهَمُهُم)**: دسمهم.

١٩ ـ **(لا يكن)**: يمنع نزول الماء.

٢٠ ـ **(الفئام)**: المجموعة من الناس.

٢١ ـ **(جبل الخَمَرِ)**: الخمر بفتح الخاء والميم الشجر الملتف الذي يستر من فيه وقد فسره في الحديث بأنه جبل بيت المقدس لكثرة شجرة.

٢٢ ـ **(نشابهم)**: سهامهم.

كتاب الفضائل

(١) باب في فضائل النبي ﷺ

١/٦٣٧ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التي في القرآن:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

قال في التوراة: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا وحرزًا[١] للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتُك المتوكلَ، ليس بفظٍ ولا غليظ ولا سَخَّابٍ[٢] بالأسواق، ولا يدفعُ السيئةَ بالسيئةِ، ولكنْ يعفو ويصفحُ، ولن يقبضَه اللهُ حتى يُقيمَ به الملةَ العَوْجاء[٣]، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلْفًا»[٤].

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ٣. كتاب البيوع باب ٥٠.

٢/٦٣٨ ـ عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه لما سمع بمخرج النبي ﷺ خرج فلقيه فقال له النبي ﷺ: أنت ابنُ عالمِ أهلِ يثرب؟ قال: نعم. قال: فناشدتُكَ بالله الذي أنزلَ التوراةَ على طورِ سيناء هل تجدُ صفتي في الكتاب الذي أنزله الله على موسى؟ قال عبد الله بن سلام: أنسب لنا ربك يا محمد! فارتَجَّ[٥] النبي ﷺ فقال له جبريل: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ...﴾ إلى آخر السورة.

فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله، وأن الله مُظَهِّرُكَ، ومظهر دينك على الأديان، وإني لأجد صفتك في كتاب الله: «﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ أنت عبدي. ورسولي سميتُكَ المتوكلَ ليس بفظٍ ولا غليظٍ، ولا سخّابٍ في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئةَ مثلها، ولكنْ يعفو ويصفحُ، ولنْ يقبضَه اللهُ حتى يقيمَ به الملَّة العَوْجَاءَ، حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويفتحَ به أعينًا عُمْيًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غُلْفًا».

(صحيح لغيره) ـ أخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال (ج ١٢/ ٣٥٤١٤).

شرح المفردات

١ ـ **(حِرْزًا)**: الحِرْز الوعاء الحصين يحفظ فيه الشيء، والحرز المكان المنيع يُلْجأ إليه، والمعنى أنه ﷺ لهم حصن من الضلالة والسوء والعذاب إذا آمنوا به واتبعوه.

٢ ـ **(سَخَّاب أو صَخَّاب)**: السخب والصخب بمعنى الصياح.

٣ ـ **(يقيم به الملة العوجاء)**: يصلح به ﷺ ملة إبراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها.

٤ ـ **(غلفًا)**: أي مغشاه مغطاه وأحدها أغلف ومنه غلاف السيف وغيره.

٥ ـ **(فارتج)**: أي اضطرب اضطرابًا شديدًا.

٣/٦٣٩ ـ عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال:

بينما أنا عند النبي ﷺ إذ أَتاه رجلٌ فشكا إليه الفاقَةَ، ثم أتاهُ آخرُ فشكا إليه قطعَ السبيلِ فقال:

«يا عديُّ هل رأيتَ الحيرة؟ قلتُ: لم أرها، وقد أُنبِئتُ عنها. فإنْ طالتْ بك حياةٌ لَترينّ الظعينة[١] تَرْتَحِلُ من الحِيرة حتى تطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ أحدًا إلا اللهَ. قلتُ ـ فيما بيني وبين نفسي ـ: فأين دُعَّارُ طيىءٍ[٢] الذين قد سَعَّروا[٣] البلادَ؟!

ولئن طالتْ بك حياةٌ لتفتحنَّ كنوزَ كسرى، قلتُ كسرى بن هرمز؟!! قال: كسرى ابن هرمز.

ولئن طالتْ بك حياةٌ، لترَينَّ الرجلَ يخرجُ ملءَ كفِّه من ذهب أو فضةٍ، يطلبُ من يقبلُه منه، فلا يجدُ أحدًا يقبلُه منه، وليلقينَّ اللهَ أحدُكم يومَ يلقاهُ، وليس بينه وبينه ترْجُمان يترجمُ له، فيقولَنَّ: **«ألمْ أبعثْ إليك رسولاً فيبلغك؟»** فيقول: بلى، فيقول: **«ألم أعطِكَ مالا وولدًا، وأُفضِلْ عليك؟»** فيقول: بلى، فينظُر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنمَ.

قال عدي: سمعتُ النبي ﷺ يقول: اتقوا النار ولو بِشِقِّ تمرةٍ، فمنْ لم يجد شِقَّةَ تمرةٍ فبكلمةٍ طيبةٍ.

قال عدي: فرأيتُ الظعينةَ ترتحلُ من الحيرةِ حتى تطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ إلا اللهَ، وكنتُ فيمنْ افتتحَ كنوزَ كسرى بن هرمز، ولئنْ طالتْ بكم حياةٌ لترونَّ ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يخرجُ مِلءَ كفِّه.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب ٢٥ وأحمد (جـ ٤ ص ٢٥٧).

شرح المفردات

١ ـ (**الظَّعِينة**): أصلها الراحلة التي يظعن ويحل عليها أيْ يسار، ويقال للمرأة ظعينة.

٢ ـ (**دُعَّارُ طيىء**): أراد بهم قطاع الطريق، والداعر المفسد الخبيث.

٣ ـ **سعروا البلاد**: أحدثوا القلق والفوضى فيها.

٦٤٠/ ٤ ـ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:

يُدْعَى نوحٌ يومَ القيامةِ فيقولُ: لبيك وسعديك يا ربِّ، فيقول: «**هل بلَّغتَ؟**» فيقول: نعم، فيقالُ لأمته: «**هل بلَّغكم؟**» فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: «**من يشهدُ لك؟**» فيقول: محمدٌ وأمته، فَيَشهدون أنه قد بلَّغ ويكونُ الرسولُ عليكم شهيدًا» فذلك قوله جل ذكره:

﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة: ١٤٣].

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ١٣. كتاب الاعتصام باب ١٣، والترمذي في كتاب التفسير باب ٣، وأحمد (جـ ٣ ص ٣٢).

٦٤١/ ٥ ـ عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ:

يجيءُ النبي ومعه الرجلان، ويجيءُ النبي ومعه الثلاثةُ، وأكثرُ من ذلك وأقلُّ، فيقالُ له: «**هل بلَّغتَ قومك؟**» فيقولُ: نعم، فَيُدْعَى قومُهُ، فيقالُ: «**هل بلغكم؟**» فيقولون: لا، فيقالُ: «**من شهدَ لك؟**» فيقول: محمدٌ وأمته، فتدعي أمةُ محمدٍ فيقالُ: «**هل بَلَّغَ هذا؟**» فيقولونَ: نعمْ، فيقول: «**وما علمكم بذلك**»، فيقولونَ: أخبرنا نبينا بذلك أن الرسلَ قد بلغوا فصدقناه. قال فذلكم قوله تعالى:

﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة: ١٤٣].

(صحيح) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد باب ٣٤. أحمد في مسنده (٣/ ٥٨).

٦٤٢/ ٦ ـ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ـ قَالَ:

«إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَامَتْ ثُلَّةٌ(١) مِنَ النَّاسِ يَسُدُّونَ الأُفقَ نُورُهُمْ كَالشَّمْسِ فَيُقَالُ: النَّبِيُّ الأُمي، فَيَتَحَسَّسُ(٢) لَها كُلُّ نبي فَيُقَالُ: مُحمَّدُ وَأُمَّتُهُ، ثُمَّ تَقُومُ ثُلَّةٌ أُخرى يَسِدُّ مَا بَيْنَ الأُفق نُورُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَيُقَالُ: النَّبِيُّ الأُميُّ فَيتحَسَّسُ لَها كُلُّ شيءٍ فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُه، ثُمَّ تَقُومُ ثُلَّةٌ أُخْرَى يَسُدُّ مَا بَيْنَ الأُفق نُورُهمْ مِثْل كَوْكَب فِي السَّمَاءِ فَيُقَالُ: النبيُّ الأُميُّ فَيَتَحَسَّسُ لَها كُلُّ شَيءٍ فَيُقَالُ: مُحمَّدٌ وأُمَّتُهُ ثُمَّ يَحْثِي حَثْيَتَيْنِ فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ يَا مُحَمَّدُ وَهَذَا مِنِّي لَكَ يَا مُحَمَّدُ ثُمَّ يُوضَعُ الميزانُ ويُؤخذُ في الْحِسَابِ».

(حسن) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٢٢ ـ ٨٨٧٠) وذكره الهيثمي في الزوائد (١٠/ ٤٠٨) وقال: «رواه الطبراني ورجاله وثقوا».

شرح المفردات

١ ـ الثُلة: الجماعة من الناس.

٢ ـ يتحسس: يتطلع إليها لعله يكون هو المقصود.

٦٤٣/ ٧ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: سألتُ اللهَ مسألةً وددتُ أنني لم أكنْ سألتُهُ؛ ذكرتُ رسلَ ربي فقلت: يا ربُّ سخرتَ لسليمانَ الريحَ، وكلمتَ موسى فقال تباركَ وتعالى: «ألمْ أجدْكَ يتيمًا فآويتُكَ، وضالاً فهديتُك، وعائِلاً فأغنيتُك؟» قال: فقلتُ: نعمْ. فَوَدِدْتُ أنْ لم أسأله.

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (جـ ٢ ص ٥٢٦).

(٢) باب في فضل أمة محمد ﷺ

٦٤٤/ ١ ـ عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنما بَقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بينَ صلاةِ العصرِ إلى غروب الشمس أُوتي أَهلُ التوراةِ التوراةَ فعملوا حتى إذا انتصفَ النهارُ عجزوا فأُعْطوا قيراطًا قيراطًا، ثم أُوتي أهلُ الإنجيلِ الإنجيلَ فعملوا إلى صلاةِ العصر ثم عجزوا فأُعْطوا قيراطًا قيراطًا، ثم أوتينا القرآنَ فعملنا إلى غروب الشمسِ، فأُعطينا قيراطَيْن قيراطيْن، فقال أهلُ الكتابين: أيْ ربَّنا أعطيتَ هؤلاءِ قيراطَين قيراطيْن، وأعطيتنا قيراطًا قيراطًا ونحنُ كنا أكثرَ عملاً!! قال الله عز وجل: **«هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟»** قالوا: لا، قال: **«فهو فضلي أوتيه من أشاءُ».**

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ٣١، وأحمد (جـ ٢ ص ١٢١، ١٢٩).

٢/٦٤٥ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: **إنما أجلُكم في أجلِ من خلا من الأممِ ما بينَ صلاةِ العصرِ إلى مغربِ الشمسِ، وإنما مثلُكم ومَثَلُ اليهودِ والنصارى كرجلٍ استعملَ عُمالاً فقال: من يعملُ لي إلى نصفِ النهارِ على قيراطٍ قيراطٍ؟ فعملت اليهودُ إلى نصفِ النهارِ على قيراطٍ قيراطٍ، ثم قال: من يعملُ لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمسِ على قيراطين قيراطين، ألا لكم الأجرُ مرتين.**

فغضبت اليهودُ والنصارى فقالوا: نحن أكثرُ عملاً، وأقلُ عطاءً!!. قال الله: «هل ظلمتُكم من حقكم شيئًا» قالوا: لا، قال: «فإنه فضلي أُعطيه من شئتُ».

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب ٥٠. كتاب الإجارة باب ٨، وأحمد (جـ ٢ ص ٦) وغيرها.

٣/٦٤٦ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم:

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦].

وقال عيسى عليه السلام:

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

فرفع يده وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله عز وجل: **«يا جبريل اذهبْ إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسلْه ما يبكيك؟»** فأتاه جبريل عليه الصلاةُ والسلامُ فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال: ـ وهو أعلمُ ـ فقال الله: **«يا جبريلُ اذهبْ إلى محمدٍ فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءُكَ».**

(صحيح) ـ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٣٤٦، وأبو عوانة (جـ ١ ص ١٥٨).

٤/٦٤٧ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أكثرنا الحديث عند رسول الله ﷺ ذات ليلة، ثم غدونا فقال: عُرِضتْ عليّ الأنبياءُ الليلة بأممها فجعلَ النبي ﷺ يمرُّ ومعه الثلاثةُ، والنبيُّ ومعه العصابةُ، والنبي ومعه النفرُ، والنبي وليس معه أحدٌ، حتى مرّ عليّ موسى ومعه كبكبةٌ[١] من بني إسرائيل فأعجبوني، فقلت: من هؤلاء فقيل: **«هذا أخوك موسى ومعه بنو إسرائيل»**، قال: قلت فأين أمتي؟ قال: فقيل: **«انظر عن يمينِك»**، فنظرتُ فإذا الظِّرابُ قد سُدَّ بوجوهِ الرجالِ، ثم قيل لي: **«انظرْ عن يسارِكَ»**، فنظرتُ فإذا الأفقُ قد

سُدٌ بوجوه الرجال، فقيل لي: «أرضيت؟» فقلتُ: رضيتُ يا رَبِّ! رضيتُ يا ربِّ، قال لي: «مع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب»، قال النبي ﷺ: فداكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين ألفًا فافعلوا، فإن قصّرتم فكونوا من أهل الظِّراب(٢)، فإن قصّرتم فكونوا من أهل الأفق، فإني رأيت ثَمّ ناسًا يتهاوشون، قال: فقام عكّاشة بن محصن الأسدي، فقال: ادع الله لي يا رسول الله أن يجعلني من السبعين، قال: فدعا له، قال: فقام رجلٌ آخرُ فقال: ادعُ اللهَ لي يا رسول الله إن يجعلني منهم، قال: قد سبقك بها عُكّاشة قال: ثمّ تحدثنا، فقلنا: من ترون هؤلاء السبعين الألف، قوم ولدوا في الإسلام لم يشركوا بالله شيئًا حتى ماتوا؟ فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: هم الذين لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون.

(صحيح) ـ أخرجه عبد الرزاق (جـ ١٠/١٩٥١٩)، وأحمد (١/ ٤٠١، ٤٠٢) والطيالسي (٤٠٤)، والحاكم (جـ ٤ ص ٥٧٧).

شرح المفردات

١ ـ (الكُبْكُبَة): بضم الكافين وفتحهما: الجماعةَ المُتَضامَّة من الناس وغيرهم.

٢ ـ (الظِّراب): بكسر الظاء وتخفيف الراء المفتوحة الجبال الصغار وأحدها ظَرِبٌ بفتح الظاء وكسر الراء.

٦٤٨/ ٥ ـ عن أبي الدرداء قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول:

إن اللهَ عز وجل يقول: «يا عيسى إني باعثٌ من بعدك أمةً إن أصابهم ما يحبُّون حمدوا الله وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حِلْمَ ولا عِلْمَ»، قال: يا ربِّ! كيفَ هذا لهم ولا حِلْمَ ولا عِلْمَ؟ قال: «أُعْطِيهم من حلمي وعلمي».

(حسن) ـ أخرجه أحمد (جـ ٦ ص ٤٥٠)، والبزار (جـ ٣/ ٢٨٤٥)، والبخاري في التاريخ الكبير (جـ ٨/ ٣٣١٥)، والحاكم (جـ ١ ص ٣٤٨).

٦٤٩/ ٦ ـ عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله زَوَى لي الأرضَ فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها وإن أمتي سيبلغُ ملكُها ما زُوِيَ لي منها، وأُعطِيتُ الكنزين الأحمرَ والأبيضَ، وإني سألتُ ربي لأمتي أن لا يهلكها بِسَنَةٍ عامَةٍ، وأن لا يسلِّطَ عليهم عدوًا من سوى أنفسِهم، فيستبيحُ بيضَتهم، وإن ربي قال: «يا محمد إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُرَدُّ، وإني أعطيتُكَ لأمتك: أن لا أهلكهم بسنة عامةٍ، وأن لا أسلِّط عليهم عدوًا من سوى

أنفسهم، يستبيحُ بيضَتهم، ولو اجتمعَ عليهم مَنْ بأقطارِهَا، أو قال مَنْ بين أقطارِها، حتى يكونَ بعضهم يُهْلِكُ بعضًا ويَسْبِي بعضُهم بعضًا».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم (في كتاب الفتن حديث ١٩)، والترمذي في كتاب الفتن باب ١٤.

ملاحظة: لقد تمَّ شرح هذا الحديث مستوفى من كتاب الحرب باب (ذم القتل).

٧/٦٥٠ ـ وعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل زَوَي لي الأرضَ أو قال إن ربي زَوى لي الأرضَ فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإنَّ مُلْكَ أمتي سيبلغُ ما زُوِيَ لي منها، وإني أعطيتُ الكنزين الأحمرَ والأبيض، وإني سألتُ ربي لأمتي: أن لا يهلكوا بسنةٍ بعامةٍ، ولا يسلِّط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم يستبيحُ بيضتهم، وإنَّ ربي عز وجل قال: **«يا محمد إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُرَدُّ ـ وقال يونس: لا يُرَدُّ ـ وإني أعطيتُك لأمتك؛ أن لا أُهلِكَهم بسنةٍ بعامة، ولا أسلطَ عليهم عدوًا من سوى أنفسهم، يستبيحُ بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بَيْنَ أقطارها أو قال مَنْ بأقطارِها، حتى يكونَ بعضُهم يَسْبي بعضًا»**، وإنما أخافُ على أمتي الأئمةَ المضلين، وإذا وُضِعَ في أمتي السيفُ لم يرفعْ عنهم إلى يوم القيامةِ، ولا تقومُ الساعةُ حتى يلحقَ قبائلُ من أمتي بالمشركين، حتى تعبدَ قبائلُ من أمتي الأوثانَ، وأنه سيكونُ في أمتي كذابون ثلاثون كلُّهم يزعمُ أنه نبيٌ وأنا خاتَمُ النبيين لا نبيَّ بعدي، ولا تزالُ طائفةٌ من أمتي على الحقِّ ظاهرين، لا يضرُّهم من خالفهم، حتى يأتي أمرُ الله عز وجل.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (ج ٥ ص ٢٧٨)، وأبو داود في كتاب الفتن باب ٢٩.

٨/٦٥١ ـ عن ثوبان أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

إن ربي زَوى لي الأرضَ حتى رأيتُ مشارقَها ومغاربَها، وأعطاني الكنزين الأحمرَ والأبيضَ، وإن أمتي سيبلغُ ملكُها ما زُوِيَ لي منها، وإني سألتُ ربي لأمتي: أن لا يهلكها بسنة عامة فأعطانيها، وسألته أن لا يسلِّط عليهم عدوًا من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضَهم بأسَ بعضٍ فمنعنيها، وقال: **«يا محمد إني إذا قضيتُ قضاءً لم يُرَد، إني أعطيتُكَ لأمتك: أن لا أهلكها بسنةٍ عامة، ولا أظهرَ عليهم عدوًا من غيرهم فيستبيحهم بعامة ولو اجتمعَ من بأقطارها، حتى يكونَ بعضهم هو يهلك بعضًا، وبعضهم هو يسبي بعضًا»**، وإني لا أخافُ على أمتي إلا الأئمةَ المضلين، ولن تقومَ الساعةُ حتى تلحقَ قبائلُ من أمتي بالمشركين، وحتى تعبدَ قبائلُ من أمتي الأوثانَ، وإذا وُضِعَ السيفُ في أمتي لم يُرْفَعْ عنها إلى يومِ القيامةِ، وأنه قال كلُّ ما يوجد في مائة سنةٍ، وسيخرجُ في أمتي كذابون

ثلاثون كلُهم يزعمُ أنه نبيّ وأنا خاتمُ الأنبياءِ لا نبي بعدي، ولكن لا تزال في أمتي طائفة يقاتلون على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمرُ الله قال: وزعم أنه لا ينزع رجل من أهل الجنة من ثمرها شيئًا إلا أخلف اللهُ مكانها مثلَها، وأنه قال: ليس دينار ينفقه رجلٌ بأعظم أجرًا من دينار ينفقه على عياله، ثم دينار ينفقه على فرسه في سبيلِ الله، ثم دينارٌ ينفقُه على أصحابِه في سبيلِ اللهِ، قال وزعم أن نبي الله ﷺ وآله وسلم عظَّمَ شأن المسألةِ، وأنه إذا كان يوم القيامة جاء أهلُ الجاهلية يحملون أوثانَهم على ظهورهم، فيسألهم ربهم عز وجل: «ما كنتم تعبدون؟» فيقولون: ربنا لم ترسلْ إلينا رسولاً، ولم يأتنا أمرٌ ولو أرسلتَ إلينا رسولاً لكنا أطوعَ عبادك لك، فيقول لهم ربهم: «أرأيتم إن أمرتكم بأمر أتطيعوني؟» قال: فيقولون: نعم. قال فيأخذ مواثيقهم على ذلك، فيأمرهم أن يعمدوا لجهنم فيدخلونها، قال: فينطلقون حتى إذا جاءوها رأوا لها تغيظًا وزفيرًا، فهابوا فرجعوا إلى ربهم، فقالوا: ربنا فَرِقْنا منها، فيقول: «ألم تعطوني مواثيقكم لتطيعوني، اعمدوا لها فادخلوا»، فينطلقون حتى إذا رأوها فَرِقُوا فرجعوا، فقالوا: ربنا لا نستطيع أن ندخلها، قال: فيقول: «ادخلوها داخرين»، قال: فقال نبي الله ﷺ: لو دخلوها أول مرة كانت عليهم بردًا وسلامًا.

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (جـ ٤ ص ٤٤٩).

٩/٦٥٢ ـ عن شداد بن أوس أن النبي ﷺ قال: إن الله عز وجل زوي لي الأض حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وإن مُلْكَ أمتي سيبلغ ما زُويَ لي منها، وإني أعطيت الكنزين الأبيض والأحمر، وإني سألت ربي عزَّ وجلَّ لا يهلك أمتي بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا فيهلكهم بعامة، وأن لا يلبسهم شيعًا، ولا يذيق بعضهم بأس بعض، وقال: «يا محمد إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يردُّ، وإن قد أعطيتُكَ لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة، ولا أسلطَ عليهم عدوًا ممن سواهم، فيهلكوهم بعامة حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، وبعضهم يقتل بعضًا وبعضهم يسبي بعضًا»، وقال: قال النبي ﷺ: وإني لا أخاف على أمتي إلا الأئمةَ المضلين، فإذا وُضِعَ السيفُ في أمتي لم يرفعْ عنهم إلى يومِ القيامةِ.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (جـ ٤ ص ١٢٣).

١٠/٦٥٣ ـ عن أنس أن النبي ﷺ قال: ما من مسلم يموتُ فيشهدُ له أربعةُ أهلِ أبياتٍ من جيرانه الأدْنَيْن إلا قال: «قد قبلتُ علمكم فيه، وغفرتُ له ما لا تعلمون».

(صحيح لغيره) ـ أخرجه أحمد (جـ ٣ ص ٢٤٢)، وابن حبان (٧٤٩)، والحاكم (جـ ١ ص ٣٧٨) وغيرهم.

١١/٦٥٤ ـ عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **ما مِنْ مسلم يموتُ فيشهدُ له ثلاثةُ أَهْلِ أبياتٍ** من جيرانه الأَدْنين بخير إلا قال تبارك وتعالى: **«قد قبلْتُ شهادةَ عبادي على ما علموا، وغفرتُ له ما أعلمُ»**.

(صحيح لغيره) ـ أخرجه أحمد (جـ ٢ ص ٤٠٨).

١٢/٦٥٥ ـ عن الربيع بنت معوذ: إذا صلوا على جنازةٍ فأثنوا خيرًا يقول الربُّ: **«أجزتُ شهادتهم فيما يعلمون، وأغفرُ لهم ما لا يعلمون»**.

(صحيح لغيره) ـ أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (الجزء الثاني ـ القسم الأول ص ١٦٨/ ٥٧٤). وانظر كنز العمال (جـ ١٥/ ٤٢٢٨٣).

١٣/٦٥٦ ـ بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخٍ، فإن بها ظعينة معها كتابٌ، فخذوا منها، قال: فانطلقنا تَعَادَى بنا خَيْلُنا، حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها: أخرجي الكتاب قالت: ما معي كتاب فقلنا: لتُخْرِجِنَّ الكتابَ أو لنلقينَّ الثيابَ، قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطبُ ما هذا؟!!» قال: يا رسول الله لا تعجلْ عليَّ؛ إني كنتُ امرءًا مُلصَقًا في قريش ـ يقول: كنتُ حليفًا ولم أكن من أَنْفُسِهَا ـ وكانَ مَنْ معك من المهاجين مَنْ لهم قراباتٌ يحمونَ أهليهم وأموالهم، فأحببتُ إذ فاتني ذلك من النسبِ فيهم أن اتخذ عندهم يدًا يحمون قرابتي، ولم أفعلْهُ ارتدادًا عن ديني، ولا رضًا بالكفرِ بعدَ الإِسلامِ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أما إنه قد صدقكم» فقال عمر: يا رسولَ اللهِ دَعْني أضرب عنقَ هذا المنافقِ، فقالَ:

إنه قد شهدَ بدرًا، وما يُدْرِيك لعلَّ الله اطَّلعَ على من شهدَ بدرًا قال: **«اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم»**.

فأنزل الله السورةَ: **﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾** [أول سوة الممتحنة].

إلى قوله: **﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَءَ السَّبِيلِ﴾**.

(صحيح) ـ أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب ٤٧. كتاب الجهاد باب ١٤١، ومسلم (في كتاب فضائل الصحابة حديث ١٦١) وغيرهما.

١٤/٦٥٧ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

إنَّ اللهَ تعالى اطلعَ على أهلِ بدرٍ فقال: **«اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم»**.

(صحيح) ـ أخرجه الحاكم (جـ ٤ ص ٧٧)، وأبو داود في كتاب السنة باب ٩.

ملاحظة: لقد تمّ شرح هذين الحديثين في كتاب الحرب باب (شهداء بدر).

١٥/٦٥٨ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال:

هل تدرونَ أول من يدخلُ الجنةَ من خلق اللهِ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أولُ من يدخلُ الجنةَ من خلق اللهِ الفقراءُ والمهاجرون، الذين تُسَدُّ بهم الثغورُ، ويُتّقي بهمُ المكاره، ويموتُ أحدُهم وحاجتُهُ في صدره، لا يستطيعُ لها قضاءً، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لمن يشاءُ من ملائكته: **«أئتوهم فحيُوهم»**، فتقولُ الملائكةُ: نحنُ سكانُ سمائِكَ وخيرتُكَ من خلقِكَ، أفتأمرنا أن نَأتي هؤلاءِ فنسلِّمْ عليهم؟ قال: **«إنهم كانوا عبادًا لي يعبدوني لا يشركونَ بي شيئًا، تُسَدُّ بهم الثغورُ، ويُتَّقى بهم المكارهُ، ويموتُ أحدُهم وحاجتُهُ في صدرِهِ لا يستطيعُ لها قضاءً»**، قال: فتأتيهم الملائكةُ عند ذلكَ فيدخلونَ عليهم من كلِّ باب:

﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

(صحيح) ـ أخرجه أحمد (١٦٨/٢)، وابن حبان (٢٥٦٥)، وأبو نعيم (جـ ١ ص ٣٤٧).

١٦/٦٥٩ ـ عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إن أولَ ثلةٍ تدخلُ الجنةَ لفقراءُ المهاجرين، الذين يُتّقَى بهم المكاره، وإذا أُمروا سمعوا وأطاعوا، وإذا كانت لجلٍ منهم حاجةٌ إلى السلطانِ لم تقضَ له حتى يموتَ، وهي في صدرِهِ، وإنَّ اللهَ عز وجل يدعو يوم القيامةِ الجنةَ فتأتي بزخرفها وزينتها، فيقول:

«أيْ عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقُتِلُوا، وأُوذُوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي، أدخلوا الجنة»، فيدخلونها بغير حسابٍ ولا عذابٍ وذكر الحديث.

(صحيح) ـ أخرجه أحمد، والحاكم (جـ ٢ ص ٧١).

(٣) باب في فضل المدينة المنورة

١/٦٦٠ ـ عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إنَّ اللهَ تعالى سمَّى المدينةَ: «طابة».

(صحيح) ـ أخرجه مسلم (في كتاب الحج حديث ٤٩١).

(٤) باب (في فضل قبيلة أسلم وغفار)

١/٦٦١ ـ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«أَسْلَمُ سالمها اللهُ وغِفَارُ غفَر اللهُ لها» أَمَا إني لم أقلْها ولكنْ قالها اللهُ عزَّ وجلَّ.

(صحيح)ـأخرجه مسلم (في كتاب فضائل الصحابة حديث ١٨٥)، والحاكم (جـ ٤ ص ٨٢).

(٥) باب (في فضل فقراء المسلمين)

١/٦٦٢ ـ عن عبد الرحمن بن سابط قال:

أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر الجمحي: إنا مستعملوك على هؤلاء، تسير بهم إلى أرض العدو فتجاهد بهم فذكر حديثًا طويلاً فقال فيه: قال سعيد: وما أنا بمختلف عن العُتُق الأولِ بعد إذ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول في فقراءِ المسلمين: يُزفّون كما يُزفُّ الحمامُ فيقال لهم: قِفوا للحساب، فيقولون: والله ما تركنا شيئًا نُحاسبُ به، فيقول الله عز وجل: **صدق عبادي فيدخلون الجنة قبل الناس بسبعين عامًا.**

أخرجه الطبراني في الكبير (جـ ٦/٥٥٠٨، ٥٥٠٩) أبو نعيم في الحلية (جـ ١ ص ٢٤٦).

(٦) باب في فضل يوم الجمعة

١/٦٦٣ ـ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَاني جِبْرِيلُ بِمِثْلِ الْمِرْآةِ الْبَيْضَاءِ فِيهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ الْجُمُعَةُ جَعَلَهَا اللهُ عِيدًا لَكَ وَلأُمَّتِكَ فَأَنْتُمْ قَبْلَ الْيَهُودِ والنَّصَارَى، فِيهَا سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ يَسْأَلُ اللهَ فِيها خَيْرًا

إلاَّ أعْطَاه إياهُ» قَالَ: «قُلْتُ: مَا هَذِهِ النكتَةُ السَّوْدَاءُ؟ قَالَ: هَذَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ تَقُومُ في يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَنحنُ نَدْعُوهُ عِنْدَنَا «المزِيدَ» قَالَ: «قُلْتُ: مَا يَوْمُ المزِيدِ؟» قَالَ: إنَّ الله جَعَلَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أفْيَحَ وَجَعَلَ فِيهِ كُثْبَانًا مِنَ المِسْكِ الأبْيَضِ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ يَنْزِلُ الله فِيهِ فَوُضِعَتْ فِيه مَنَابرُ مِنْ ذَهَبٍ لِلأنبياءِ وَكَرَاسِيُّ مِنْ دُرٍّ لِلشُّهداءِ وَيَنْزلنَ الحورُ العينُ مِنَ الْغُرفِ فَحَمِدُوا الله ومَجَّدوه» قَالَ: «ثُمَّ يَقُولُ الله: «اكْسُوا عِبادِي فَيُكْسَوْنَ وَيَقُولُ: أَطْعِمُوا عِبادِي فيُطْعَمُونَ ويَقُولُ اسقُوا عِبَادِي فَيُسْقَوْنَ وَيَقُولُ طيِّبوا عِبادِي فَيُطَيَّبونَ ثُمَّ يَقُولُ: مَاذَا تُرِيدونَ؟ فَيَقُولون: رَبَّنا رِضْوَانَكَ قَالَ يَقُولُ؛ رَضِيتُ عَنْكُمْ ثمَّ يَأمُرُهُمْ فَيَنْطَلِقُونَ وَتَصْعَدُ الْحورُ الْعينُ الْغُرفَ وَهِي مِنْ زُمُردةٍ خَضْراءَ وَمِنْ يَاقوتَةٍ حَمْرَاءَ».

(صحيح) ـ أخرجه ابن شيبة في مصنفه (٢/ ١٥٠) وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/ ٢٢٨ ـ رقم ٤٢٢٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤٢١) وقال: «رواه البزار والطبراني في الأوسط بنحوه، وأبو يعلى باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وقد وثقه غير واحد، وضعفه غيرهم، وإسناد البزار فيه خلاف» ا.هـ.

فهرس المحتويات

كتاب التوحيد والإيمان

كتاب الإخلاص

كتاب العلم

كتاب العبادات

كتاب الصلاة

كتاب الزكاة

كتاب الصوم

كتاب الحج

كتاب الأطعمة واللباس

كتاب الأيمان والنذر

كتاب التصاوير

كتاب الأموال

كتاب النفقات

كتاب الأدعية والأذكار

كتاب التوبة

كتاب البر والأخلاق

كتاب الدعوة

كتاب الظلم

كتاب القضاء

كتاب الحرب

كتاب الدماء

كتاب الموت

كتاب القيامة

كتاب القرآن

كتاب التفسير

كتاب أحاديث الأنبياء

كتاب الفضائل